

لرغبة الكثيرين من العلماء والأدباء من قراء تفسير

الجواهر في مختلف الممالك الإسلامية . واشتياقهم لشاهدة

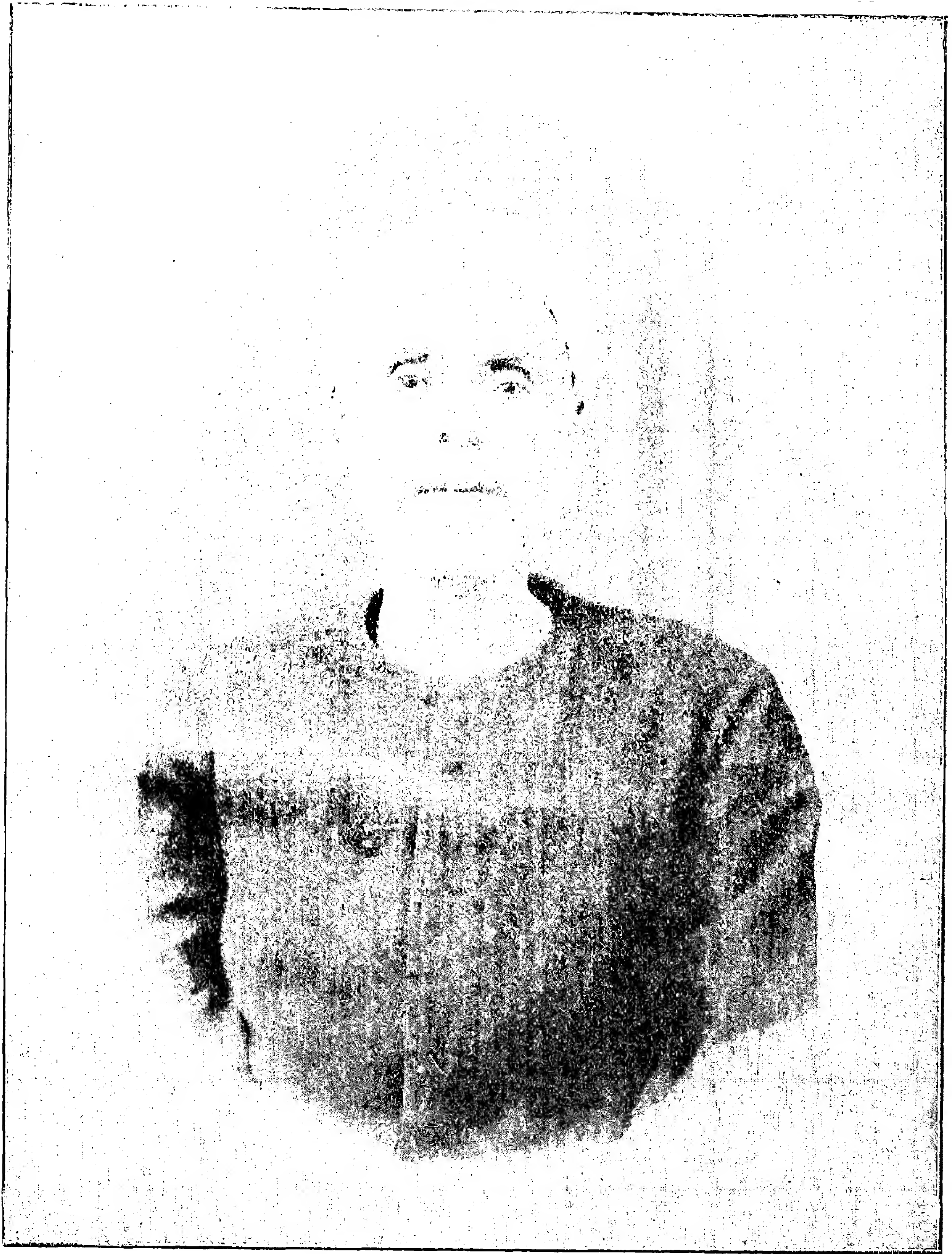
صورة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الحكيم

( الشيخ طنطاوى جوهرى )

أجبنا ملتهمهم وصدّرنا هذا الجزء بآخر صورة

لفضيلته أدامه الله نخدمه العالم وبث المعارف ما

مُصِطَفَى الْبَابِ الْحَلْبِيِّ وَأَوْلَادِهِ بِمِصْرَ



- (١) الدين والعلم تويمان
- (٢) الدين يدرك بحاسة السمع ، ومشاهد الطبيعة تدرك بحاسة البصر ، والعقل يدبرهما
- (٣) ومن اكتفى بحاسة السمع فهو جهول
- (٤) إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا



١٧١

الحمد لله

في تفسير القرآن الكريم

المسئل على عجائب البع لكانونا وغربا لآبائنا

تأليف

الأستاذ سادو الحكيم شيخ طنطاوي جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
مع الله المسلمين بجمانه آمين

الجزء الثامن عشر

طبع بطبعة

مصطفى السباني الحلبى وأولاده بمصر

وحقوق الطبع محفوظة

وباشطبعه محمد امين عمران

ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ

فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تفسير سورة الصافات ( هي مكة )

( آياتها ١٨٢ - نزلت بعد الأنعام )

وفيها « أربعة فصول : الفصل الأول » في تفسير البسملة « الفصل الثاني » في التوحيد ووصف ابداع الله في السموات وخلق الانسان وأن الله خلق ما هو أعظم منه شأنًا كما جاء في آخر ﴿ سورة يس ﴾ من قوله - أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم - فأول هذه مرتبطة بآخر تلك ارتباطًا وثيقًا ، ثم كيف جهل الانسان فأنكر البعث وما يتبع ذلك من محاورة أهل الجنة وهم يطلعون على أهل النار ثم وصف أهل الجنة ونعيمهم الخ « الفصل الثالث » في قصص نوح وإبراهيم وإسماعيل واسحق ويوسف وهرون والياس وهو الياسين ولوط ويونس « الفصل الرابع » دفع فرية ان الملائكة بنات الله واثبات انهم صافون مسبحون كما جاء في أول السورة لانهم بنات الله وفذلكة السورة بمدح المرسلين والسلام عليهم

### ﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

( مذكرة عن فسكتي قبيل فجر يوم الأحد ٢٤ مايو سنة ١٩٣٠ )

ذكرت في أمثال هذا المقام اني أنام في فصل الربيع وما بعده فوق السقف تحت النجوم إجابة لداعي المحافظة على الصحة واتقنسا بالنجوم واشراقها وأنوار القمر وبهجة السماء . ففي هذا التاريخ استيقظت حوالى الساعة الثانية بعد نصف الليل ، والظلام حالك ، وأنوار النجوم متألثات ، بهجات مشرقات ، يتخلل نورها تلك الظلمات الحالكات ، والرياح مهتاجة لها دوى وصرير وصفير على الحيطان وفي الشبايبك والأبواب وفي الثقوب اللاتي تلاقبها في ذلك المكان ، ولقد عجبت هذه النفس تذكرها النسبات وتمتاجها عواصف الرياح وقواصفها



فإنما هذه الدنيا قيثارات والرياح نوافلها أوتان ومثالث بفنون الطرب وطرف الألمان رقتها يد الزمن  
الغزير الموهاب ، الجليل الفوائد ، الباهر الحكم ، هنالك غادر الخيال حاستي السمع والبصر وأخذ يجري على سننه  
فيجوس خلال العوالم ليحظى بفنون الحكم وبصائع العلم فيما وعاه من صور جميلة مخزونة يستثيرها وحكم  
غوال يأنس بها ، فأشرفت النفس بأنواره وازدانت بلوثة ولآلئه ، وأخذ العتل يجول في ميدانه وهو يقول  
« الأنوار أحاطت بالناس من كل جانب النهار والليل مشرقان زهران ، تغرب الشمس فيظهر القمر والنجوم  
وما أرضنا إلا ذرّة واحدة طائفة في عوالم لا حدّ لها ولا آخر لها اللهم إلا ما افترضه المفترضون من كرات  
المجرات وشموسها وكواكبها إذ يجرى النور حولها فلا يقطعها في أقل من مائة ألف مليون سنة مع العلم بأنه  
يقطع في الثانية الواحدة ( ١٨٦ ) ألف ميل أي ( ٣٠٠ ) ألف كيلو ولا يزيد جريه حول أرضنا عن جزء من  
سبعة من الثانية الواحدة وما أبعد الفرق بين سبع الثانية وبين مائة ألف مليون سنة ، ثم ان النور يحيط  
بهذه العوالم كلها بل كلها أنوار بل المادة كلها نور قد تراكم فأظلم ولا ينيره في عقولنا إلا العلم . انظره عند  
آية - الله نور السموات والأرض - في الكلام على « قطرة ماء »

الدنيا عجوز شوهاء عند الجهلاء وهي عروس لبست الحلل وحليت بحلى الماس والياقوت والدرر جميلة  
هيفاء حوراء عند الحكماء فكأنها السور الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، هنالك أخذت  
أفكر في الجمال الظاهر في هذا الوجود ومنظر النجوم وأصوات الرياح تزيدان الذكرى وتلهبان في القلب نار  
الشوق والحكمة والعلم

يا سبحان الله : أتحبس في سجن هذه الأرض فلا تعرف ما وراءه ، أنعيش ونموت ونحن جامدون خامدون ،  
ألمثل هذا خلقنا ؟ نحن نرى الجمال يحيط بنا والرحمات لا تدعنا ، هذه الأنوار الشمسية لو أطفئت لمات أهل  
الأرض ، النور هو الحياة ، الرحمات لم تدر حشرة ولا بهيمة ولا إنسانا ، بالرحمة والراقة والعطف رأينا للنملة  
( ٤٠٠ ) عين ( اقرأ رسالة عين النملة في سورة النمل في هذا التفسير ) و ٠٠٠ عين للذبابه وغيرها أعين  
تعدّ بعشرات الآلاف كما في نفس تلك الرسالة ، وإذا تعمقنا في البحار في الأماكن التي لا نصيبها الأنوار  
الشمسية وجدنا للأسماك أنوارا تشع له من نفسه كما تقدم في هذا الكتاب ، أينما قلبنا وجوهنا أبصرنا نورا  
وأينما فكرنا في العوالم أدركنا رحمة ، ونحن لنا عقول تفهم الرحمة وتنظر النور ، هنالك تجسّمت أنواع الرحمات  
نصب عيني وتلاّأت الأنوار في الخيلة ، إذن هما زينتان : زينة ظاهرة ، وأخرى باطنة ، والزيتان قد  
تجلتا معا في « بسم الله الرحمن الرحيم »

هذه البسملة التي يقرؤها الجهلاء والعلماء وتمرّ على أكثر الناس مرور الرياح في هذه الليلة والأنوار على  
الأذان والعيون فلا يباهون لها وهم بها جاهلون ، فن عجز عن ادراك الجمال في هذه الأنوار والظلمات والرياح  
الهبات فما أعجزه أن يدرك الرحمة في البسملة ، لا تدرك معاني هذا القرآن إلا بدراسة هذا الوجود ، ألم تر أن  
الرحمة التي ذكرت في البسملة في أول هذه السورة قد سبقت للتذكرة بما فيها من الرحمات والعجائب ،  
ذكرى يسبو لها قلب الحكيم ، وعلم يهفو له فؤاد الواله المغرم اللبيب

( ١ ) ألم تركيب أبرزت الزينات الظاهرات في ذكر السموات والأرض والمشارق والمغارب وزينة السماء  
الدنيا بالسكواكب ، يا للعجب أليس ماشاقتي الليلة وأهلب في قلبي نار الشوق للحكمة والبحث هو  
نفس هذه الزينة ، ذكرت في هذه السورة للاعتناء لصفاء النفوس التي تقل في نوع هذا الانسان  
الأرضي إذا كثرة محبوب عنه وهو غافل لا يستمع منادى الملائة العالمة الأعلى لأنه أقرب الى الحيوان  
مغمور في الطين والمادة

( ٢ ) وكلما سنحت له ساحة أعرض وتولى وشمخ بأنفه ورجع الى نبي نوعه وأخذ يتبجح بالمجادلات

و يفرح بالقلبة في مجالسه الأقران ، ويستخون الحكمة والمنكر ، ويخون من سائر الأعداء  
ويبرز بالباحث العقلية والآراء الفلسفية

(٣) فهمنا تجات الرجحات :

(١١) أولا في ظهور الأنوار كما بيناه وفي مجموعها

(ب) ثانيا في حوار القرناء إذ يلوم كل منهم الآخر بعد فوات الفرقة تقرعها للقلدين في هذه  
الأرض وتدكيرا للفسكرين منهم وتبيننا لنا أن لا نعيش مجولين على أجنحة آراء غيرنا بل  
في ذلك مستخرون ، فوق الأنوار رحمة الحياة الجدية الكلى حتى على الأرض . وفي  
الاعتبار بتساؤل أهل النار إذ أقبل بهمهم على بعض رحمة أخرى فيها تكون الحياة العلمية ، فهمنا  
رجحان : رحمة جسمية ، ورحمة عقلية موضوعتان في السورة وضعها منظما صريحا

(ج) وثالثا تساؤل أهل الجنة إذ قصت كل منهم قصصه مع قرينه وهو في الدنيا وأنه أعزل  
دلالة الجدلية وآراءه اللاتى كاد يقويه بها فتولى عنها معرضا وسلك سبل السعادات في الجنات  
وهذه أشبه بتأنيج ما قبلها من الحياة الجسمية ومبادئ الحياة العقلية فان من اعتبر بالقلدين  
الغضابن يحفره ذلك أن يكون هومن المفكرين العاقبين ، وهذه هي قصة هذا الانسان تمت  
فيه الحياة ومن أهم أسبابها الأنوار ، فاذا استوى وقوى أخذ يتفكر في شؤون هذه الحياة  
فتعرض له الشهوات ، وهذه هي المرتبة الثانية ، فاذا صد عنها ووصل الى الحقائق فقد كملت  
حاله في الدارين . هذه هي قصة هذا الانسان أولا وآخره ، إذن لم يبق إلا تطبيق أحوال  
الأعم السابقة على هذه المقدمات

(د) فدكر نوحا وأنه نجا وفاز هو ومن معه وهلك أعداؤه ، قالنا نرون كك التسم الثالث  
والمالكون كالتسم الثاني فما تقدم

(هـ) ومثل نوح في ذلك إبراهيم الذي نظر في النجوم المذكورة في أول السورة وهي مناط  
فكر العظماء وأجلهم الأنبياء مع تبيان ما أصابه من الأعداء فنصر عليهم ، وما أصابه من  
الابتلاء بنوح وولد وكيف رحبه الله تعالى . فهنا تجات الرجحان ، رحمة في دعوته للناس ،  
ورحمة في فداء ولاءه ، وكل ذلك تذكرة للمسلمين اليوم وانهم ان صبروا نجوا

(و) ومثل إبراهيم ونوح الياس ولوط ويونس . وهنا انتهى التطبيق على المقدمات الثلاث  
فسير هؤلاء الأنبياء تقص علينا أبناء الرجحات الواردة على الأنبياء وأتباعهم بعد ما قصت علينا  
رجحات الأنوار ورجحات النجاة من قراء السوء ثم الوقوف على الحقائق ثم تلخص السورة كلها

لما كانت السورة مبدوءة بالقسم باللائكة الصافين على أن الله واحد وهم أرواح لها سلطان على عالم  
المادة وهم بأذن ربهم يدبرون الكائنات فتكون الأنوار والظلمات والحياة والأعم وتبع ذلك أن الأنبياء فاترون  
منصورون وأن أعداءهم هالكون ختمها بإضافة الكلام . أولا في اللائكة فأخذ يفند ما يفتريه الكافرون  
عليهم من أنهم بنات الله ونحو ذلك ، فلم يبق إلا ان اللائكة هم الصافون المسبحون ، كل له عمل يخصه  
لا يشترك فيه سواه . وثانيا ان المرسلين منصورون والجنود الذين معهم غالبون ، ثم تلخصها تلخيصا أكثر  
اجالا ، فهو منزلة عما يصفونه به واذن تكون ملائكة القائلون بأمره على حال غير ما وصفوها والمرسلون  
كتبت لهم السلامة . فلا جرم أن اطلاق الأضدادهم والحمد لله رب العالمين

ومن عجب أن سورة يس خلصت في آخرها كالخلصت الصافات كما تقدم . هذه هي الرجحات التي  
تجالت في هذه السورة تبينا لآية (بسم الله الرحمن الرحيم) واعلم أن قوله تعالى - وسلام على المرسلين -



بينه وبين قوله تعالى - سلام قولاً من رب رحيم - حسنة أن الأمان من المخاوف هو أعظم الرحمت في الدنيا والآخرة ، فن كانت الخواطر النفسية نائرة عليه مضجرة له منهكة لقواد فلاسلام له والمرسلون لم تبق لهم في أنفسهم خواطر السوء لأنهم مطلعون على الرحمت الواسعت المحيطات بالناس والحيوان ولم يحجبهم عنها ما يحجب أكثر هذا الانسان من جدال وحوار وعداوات وذنوب ومطامع وكبر وعجب وما أشبه ذلك فهذه كلها حجب أسدلت على أكثر عقول هذا النوع الانساني الذي حكم عليه بالسجن في هذه الدار المملوءة جلالاً وقد صدته عن جاهلها الحروب والكروب وما تقدم من فواجع الدهر وقواطع الأخلاق الشائنة ، فلا يفقه أكثر الناس ولا يعقل بهجة الأنوار ولا جمال النجوم والشمس والقمر ولا عجائب الرياح وغرائبها وانها تحمل السحب المطرات فلا يكاد الضوء ينقطع عنا بالسحاب حتى نرى آثاره بالقطرات التي أمطرها علينا فنحيا بها . ومن عجب أن الدارسين هذه العلوم أكثرهم غافلون كأنهم جاهلون أيضاً لأنهم نظروا اليها باعتبار غاياتها ومنافعها المادية ولم ينظروا اليها باعتبار مبادئها من الرحمت العائمة فضلت عقولهم ونهت في بيداء المادّة ولم تجتمع تلك العجائب عندهم في موجود واحد منه كان صدورها حتى تفوح به قلوبهم ويشعروا بحب عظيم بل حبههم مفرق لا اجتماع له

هذا هو سرّ البسملة في أول السورة . فهذه العوالم إن لم تكن النفوس العالمة بها ملاحظة الرحمة المتجلية فيها المبسوطة المنشورة في كل ذرّة وحشرة كما تقدم فانهم لا يشعرون بالرحيم - ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين - ومن لم يشعر بأن هذا الوجود انما ظهر برحمة وعلم وأن هذه هي نتائجها فان حياته كلها ذلة ولاسلام له لأن الأمان لمن يعلم أن روحه في يد رحيم حكيم ، فأما من يرى أن هذه الدنيا لامدبر لها وانها هكذا تائهة من الأزل الى الأبد فان روحه أبداً معذبة متألّمة لا يدري من أين يأتيه البلاء أمن الفقر أم من الذل أم من المرض أم من الموت . أما الآخر فانه يرى نفسه سعيداً لأنه يشعر بذات رحيمته تقوم بأمره ، ومثل هذا ينال الأمان في هذه الحياة وبعد الممات هذا معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » في سورة الصافات وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

## الفصل الثاني

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا \* فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا \* فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا \* إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ \* رَبُّ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ \* إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ \* وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ  
شَيْطَانٍ مَّارِدٍ \* لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ \* دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ  
إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ \* فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ  
مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ \* بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ \* وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ \*  
وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ \* أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ \* أَوَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ \*

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ فَاخِرُونَ \* فَإِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ زَيْدٌ وَجَدَّ وَأَبُو زَيْدٍ وَهَارُونَ  
 الَّذِينَ \* هَذَا يَوْمُ الْعَمَلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ \* أَخْبَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَنْتُمْ كَذَّبْتُمْ  
 يَمْبُدُونَ \* مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْتَدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ \* وَقَدْ هَمُّوا بِإِنْتِهَابِ سُلْطَانِهِمْ لَأَنْتُمْ كَذَّبْتُمْ  
 بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْأِمُونَ \* وَأَقْبَلْ بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ \* قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ  
 الْيَمِينِ \* قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ \* وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَائِفِينَ \*  
 سَفَحَ عَيْنَانَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ \* فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ \* فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ  
 مُشْتَرِكُونَ \* إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْجَارِمِينَ \* إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ \*  
 وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ \* بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا  
 الْعَذَابِ الْأَلِيمِ \* وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ \* أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ  
 مَعْلُومٌ \* فَوَاكِهَةٌ وَهُمْ مُكْرَمُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ \* يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ  
 مِنْ مَعِينٍ \* بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ \* لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ \* وَعِنْدَهُمْ قَاسِرَاتُ الْطَّرْفِ  
 عَيْنٌ \* كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ \* فَأَقْبَلْ بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ \* قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي  
 قَرِينٌ \* يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ \* إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبُونَ \* قَالَ هَلْ أَنْتُمْ  
 مُطَّلِعُونَ \* فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ \* قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ \* وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ  
 مِنَ الْمُخْضَرِّينَ \* أَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ \* إِلَّا مَرَدُّنَا إِلَى الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ  
 الْعَظِيمُ \* لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ \* أُولَئِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقْمِ \* إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً  
 لِلظَّالِمِينَ \* إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ \* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ \* فَإِنَّهُمْ لَا كَافِرُونَ  
 مِنْهَا فَمَا لَوْ كُنَّا مِنْهَا بَطُونًا \* ثُمَّ إِنَّمَا لَهُمْ عَلَيْهَا لِسُوبًا مِنْ جَحِيمٍ \* ثُمَّ إِنَّمَا مَرَجَعْنَاهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ \* إِنَّهُمْ  
 الْفَوَاكِلُ بَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ \* وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولَئِينَ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
 فِيهِمْ مُنذِرِينَ \* فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ \* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(والصفات صفا ✽ فالزاجرات زجرا ✽ فلتاليات ذكرا) أقسم الله بالملائكة (١) يتمون صفوفهم في مقام العبودية في عراتهم (٢) ويزجون الكواكب المسخرات وهن جاريات مدبرين شؤون العالم رادعين الناس عن الشر بالاهام والشياطين عن الوسوسة لهم (٣) ويتلون آيات الله على الأنبياء والأولياء ، وبالعلماء الذين يحذون حذو الملائكة صفا في العبادات وزجرا عن الجهالات وتلاوة الآيات ، وبالغزاة الحاذين حذو العلماء صفا في الجهاد وزجرا للعدو وتلاوة للكتاب ، وهذه المعاني كلها تحتملها الآية ، فكل هذه صفات وكالها زاجرات وتاليات والعطف لاختلاف الصفات لا الذوات ، وكل وصف لاحق أرقى من سابقه ، فالصف للعبادة كمال والمنع من الجهالة والمعاصي تكميل بالمنع من الشر والتعليم بالكتاب إفاضة للخير وهذا غاية المقاصد السامية من الأرواح العالية ، أقسم الله بالملائكة الذين اتصفوا بالكمال في النفس وبتكميل الناس ونظام العالم وبالعلماء الذين حذوا حذوهم وبالغزاة التابحين لهم ، ولاجرم أن تناسق الصفوف وانتظام الأحوال دليل على وحدة المبدأ ، ثم أخذ يفيض بذكر صفاته في جواب القسم فقال (إن إلهكم لوحد ✽ رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) أي مطالع الشمس وهي (٣٦٥) مشرقا لكل يوم من أيام السنة الشمسية مشرق ، فأمراب المشرقين ورب المغربين فأنما هما للصيف والشتاء . وأمراب المشرق والمغرب فهما جهة المشرق وجهة المغرب (إنا زينا السماء الدنيا) القرني منكم تأنيث الأذني (بزينة الكواكب) بالإضافة وعدمها أي بزينة هي الكواكب من حيث جمالها ولألوانها وبهجتها وتناسب أشكالها وحسن أوضاعها لاسيما عند الخاصة الدارسين لنظامنا المفكرين في حسابنا إذ يرون أن السيارات مثلا بينها مسافات متناسبات بحيث يكون كل سيار بعده عن الشمس ضعف بعد الكوكب الذي قبله . وإن يعرف هذا إلا الدارسون المفكرون الناظرون في ملكوتنا الحاسبون الذين هم يعقلون . فلزينة إذن زينتان : زينة للعامة والجهلاء وهذه تظهر بالعين في الليلة الليلية ، وزينة عند الخاصة وهي لا تظهر إلا للعلماء ، ولناك أردفه بقوله (وحفظا من كل شيطان مارد) خارج عن الطاعة متمردات سواء أكان من شياطين الانس أم من شياطين الجن ، ثم بين حالهما فقال (لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى) إلى كلام الملائكة والكتبة (ويقدفون) يرمون (من كل جانب) من جوانب السماء إذا قصدوا صعودها (دحورا) أي مدحورين مطرودين (ولهم عذاب) آخر (واصب) دائم شديد وهو عذاب الآخرة . يقول الله لا يسمعون إلى عالم الملائكة واستثنى من اختلاس من كلامهم مسارقة فقال (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) كوكب يشق الجو بضوئه . يقول الله : « أقسم بهذه العوالم المنظمة المرتبة من ملك وكوكب ونبي وعالم ومجاهد بحيث تلاامت وتضامت واتصلت وكانت متناسقات الوضع منظمات وهي زاجرات كزجر الملك للكوكب والمجاهد للعدو والعالم للجاهل . ولاجرم أن الملك والنبي والمصلي والعالم والمجاهد تالون للذكر

هذه العوالم ينسب بعضها إلى بعض وهي أسباب ومسببات فكأنها عالم واحد بحيث ترى وحدة منظمة فالعالم علويه يفيض على سفليه وسفليه قابل من علويه فنرى الشمس والقمر والكواكب مفيضات أنوارها على الأرض ولا نرى في خلق الرحمن من تفاوت بل نرى اتحادا واتتلافا نظم وحدتها وجع مفرقتها ، ولاجرم أن ذلك دلالة على وحدة الصانع وذلك برهان ذكره فيلسوف يوناني وهو أفلاطون « أن وحدة العالم دلالة على وحدة الله عز وجل » ثم أخذ يوضحه فقال : « رب السموات والأرض وما بينهما » وأتم ترونها متصلات منتظمات ،

فالوحدة فيهما ظاهرة والألفة بينهما مصروفة مستأهدة»

الدينا بيت فرشته الأرض وسقفته السماء وسراجها السماء كذلك قال - ورب المشرق - ألا وإن البيوت الرفيعة العماد كالتضاه بالأنوار تزين بالترشيح وأنواع الجبال والبيجة والصور الجبلان التي تنموها مسعدا لأهلها سارا السكاه إلا إذا أشرفت جوائبه وأزانت أركانها بأنواع الجبال والصور الجبلان التي تنموها النفوس وترضاها المشراق ، وأى سقفت أجل من السماء ، وأى فرش أبهى من الأرض ؟ وأى سراج أجل من الشمس وأى زينة أبهى من النجوم فذلك قال - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - لا تكون القصور المشيدة والبيوت الرفيعة حافلة بالسور مأمونا على جهلها وزخرفها إلا متى حفظت من الموص السارقين وممتورى محاربيها فذلك حفظ الله السماء أن يتناول لسرك جهلها وأنساق حافتها وبرجة بناها وحاسن نظامها إلا اللامكة الصافون والأنبياء والاماء الخلمون ، فأما الجهال والشياطين فأولئك عن جهلها غاهون وهم عن آياتها معرضون ، فالسما منهم في حصن حصين ولقد يهيش المرء ويموت وهو في غفلة عن درك هذا الجبال لأن السماء حست منه ، وهل يعرف الفضل إلا ذروه ، فالعيون مفتحة ولكن أين ابصارها وهل ينال العلم إلا عاشقوه أو يهر الجبال إلا عارفيه . ومن لم يحركه العود وأثره والربيع وأزهاره فهو فاسد الزاج يحتاج إلى العلاج . ولقد ناول المرء لحة من الجبال وتمق له سائحة وتبدوله بارقة من الحاسن فتخطف بصيرته كالشهاب الناقب فيعجن إلى مثلها ويصبو إلى اختها ويتعلق قلبه بالجبال . ذلك تأويل قوله - إلا من خطف الخطافة - ولكن ظاهر القول كما هو مشهور أن الشياطين يسترقون السمع فيحترقون بالشهب وقد تخطفهم الشهب فيعودون يسموا كاسارقين من نوع الانسان والقائدين رجاء أن لا يقموا في قبضة المطاكين وهذا المعنى إذا أريد كما هو المشهور فيمكن كتابته وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلي فلنقل هذا هو المعنى وهو كتابة عن المعنى المتقدم فيكون المنع المحسى رصنا للمنح العقلي والكتابية من أجل أنواع البلاغة فاصطاح المعنيان وتسايقا في الميدان وأبقينا الظاهر على ظاهره وتفتح الحكيم والركي بباطنه . ألا ترى وعاك الله أن كثيرا من الناس حولك محبسون في هذه الأرض غائبة ابصارهم لا يسمعون إلى الملا الأعلى ولا يفهمون رموز هذه الدنيا وكجائتها وقد قذفوا من كل جانب مطردين طرفهم شهواتهم وعدواتهم وكبريائهم وحروبهم وطمعهم وشههم من تلك المعاني العالية . فهم معمورون في جهاتهم تأتون في سكراتهم تخطفهم من كل جانب الأهواء والشهوات وانغمسوا فيها فلا يخلصون إلى ذلك الجبال ولا يفقهون ذلك السقف المنقوش . إن النجوم أشرفت بجهاطلها للحكاء وبهرت بنظرها العاهاء وزينت السماء للناظرين وهي من جهة أخرى أزجت الحرارة إلى الأرض فأبغ الزرع ودرت الضرع واغتنى الجح فتناظت السموات وكثرت اللذات فأعجت البصائر عن النظر والمقول عن الفسك وأصبح الناس صرعى أو هامهم قلى أهواهم مطردين عن الحكمة ، ثم ان شياطين الجح كمشياطين الأانس غاية الأمل أن الأتولين ليسوا في الأجسام البشرية وأن الآخرين فيها ولكن البصيرة واحدة ومن كان في الجسم أعشى فهو إذا جرد منه أعشى فشياطين الانس وشياطين الجح كلاهما محزونون من الحكمة العالية ، ألا ترى أن الخواطر الحكمة لا يتألف في هذه الدنيا إلا أهلها ولكل أناس في الأجسام البشرية وفي الحال الروحية خواطر خاصة بهم كأثرهم صفوف لا يتعدون مراتبهم فمن خطف الخطافة على أحدحالين إما أن تهديه إلى الصراط السوي وإما أن تقف في طريقها الشهوات وتجبتها اللذات والأهواء . فعلى المعنى الأول يكون الاستثناء متصلا كما قدمناه . وعلى المعنى الثاني يكون منقطعا على ما هو مشهور وكلا المعنيين حق . فكأن من الناس جاءتهم بارقة علم فاستخاضا بها . وكأن أناس سمعوا الذكر فأعرضوا عنه وهم بجهايلهم مشغولون . ذلك تفسير هذه الآية

مورهم



بهرهم الجمال وذاقوا حلاوة الحكمة وأكثر الناس لا يطمون لأنهم عنها مصروفون

﴿ مثال يوضح المقام ﴾

قرأ قارئ - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - فالآية معناها معلوم وهو أن زينة الحياة الدنيا لا بقاء لها فالباقيات الصالحات خير أي أن يكون سعي الانسان لثواب الآخرة . فهذه الآية يذهب عندها السامعون مذهبين : مذهب لفهم المعنى المقصود والتفكير فيه . والآخر للتحسر على الدنيا ولذاتها ويقول الانسان أين المال . أين الولد . أين زينة الدنيا ؟ يقول ذلك وهو يعلم المعنى المقصود . لماذا ؟ لأن بصيرته لم تستعد للمعنى بل هو مشغول بالعاجلة . فهذان القسمان من الناس أوهما خطف الخطفة فاهتدى . وثانيهما خطفها فتبعته الهواجس فقتلت الفكرة في مهدها وكأنما ذلك شهاب تارة يهتدى بضوئه وتارة يهلك بناره . هدى الأول بضياته وأهلك الثاني وأمات وجدانه بناره

فجلّ العلم وجلت الحكمة وجلّ الله الذي جعل هذه المعاني في تلك المباني وصرف عقول العارفين عن نقائص المعاني الى النظر الى العالم العلوي والحكمة القدسية

إن خواطر الناس الشريفة كلها خطفات من الملائكة الأعلى . إن المعارف والعلوم والمعاني الشريفة تشرق على النفوس لتصلها بعوالم مشرقة فيها هذه المعاني . وما عقولنا إلا كالعين . وما تلك العوالم إلا كالكواكب المضيئة . وما المعرفة إلا انكشاف المعاني بتلك الأنوار الباطنية فنسبة تلك العوالم الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا ونسبة انكشاف المعاني الى أبصارنا كنسبة انكشاف المرئيات الى أبصارنا . فلو لا الضياء مارأى الناس الأجسام هكذا عالم الملائكة . ذلك كله تقرير الحكماء السابقين والعلماء المحققين

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن مسألة الشهب كانت عند القدماء من المشكلات الدينية . ألا ترى أن السماء كانت في رأي قدماء الفلاسفة لا تقبل الخرق ولا الائتام فكيف تكسر الكواكب وينزل شهب منها في الأرض ؟ فكان علماء التفسير رحيم الله يؤولون تارة ويكذبون علوم الفلاسفة أخرى . أما الآن فما أجل العلم فان العلم الحديث يعتبر الشهب من نفس الكواكب السماوية وهي قطع صغيرة تقدم إيضاحها في هذا التفسير في النصف الأول من القرآن فقرأه في ﴿ سورة الحجر ﴾ وما قبلها فلاشكال وذلك معجزة للقرآن ، خالف الفلاسفة البائدة ووافق الحاضرة

﴿ أسرار القرآن في علم الأرواح وعلم التصوّف ﴾

يقرأ القارئ هذه الآيات ولا يخطر بباله أن الكشف الحديث أبرزها . لقد سأل علماء النفس في أوروبا بعض الأرواح عن اتصالهم بالناس وحضورهم اذا طلبوهم فأجابوا قائلين مانصه : « إن الأرواح العالية لا تناجي إلا نفوسا صافية لا تريد إلا الخير للناس مع استعدادها للحكمة ومستحيل أن تناجي من شؤه قلوبهم الكبرياء وألتهم الشهوات . أما الأرواح الناقصة فانها تسرّجدا بمحادثة الجهلاء من الناس وتعطيهم كاذب وأساطير وتفرح بذلك كما يفرح جهلة المسلمين والمسيحيين بالكذب الذي اعتادوه في أول ابريل . وفوق ذلك قالوا : إن كل ما كان من حديث الأرواح لامور العاجلة فهو من سقط المتاع لانهواه إلا الأرواح الشريرة وما كان من قبيل العلم والحكمة والمنفعة العامة فهو شغل الأرواح العالية السماوية تلقيه الى من هم مستعدون » اه فتبين من ذلك أن الملائكة الأعلى من الملائكة والأرواح لا يأنسون إلا بما هو نفع عام ويأنفون من الامور الخاصة كالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا

﴿ علماء التصوّف ﴾

أما علماء التصوّف فانهم قد يأمررون تلاميذهم بالجوع والسهر وترك الكلام والعجب وما أشبه ذلك مع الذكر وحسن السير . فبعض هؤلاء يكشف لهم وهذا الكشف قد فصاوه تفصيلا فقالوا : « إن كان للامور

العاجلة كبرت زيد وحياة عمرو وغناه وفقره فذلك من الكشف الظاهري . أما ان كان لنا لارا واعلمة  
والحكمة والمعرفة فيكشف نوراني .

أليس ما يقوله الفريقان قديما وحديثا هو عين هذه الآية . أليس هو سرها ؟ فاستدعي رخص الأرواح  
إن قصدا بالكشف الدنيا والمال والعظمة تركتهم الأرواح العالية وأحاطت بهم الشريرة ويكون العلمان وبدا  
على من تعلمها واذن الجهال أفضل وهم ممن قال الله فيهم - وأضل الله على علم - فهؤلاء كتجار الخروباعة  
الخنازير وشاربي الخمر والحشيش بل هؤلاء أشد وهم الذين لا يسمعون الى الملائة الأعلى بل الى الملائة الأسفل  
ويقتدون من كل جانب دحورا لأنهم مطرودون عن التلقى عن الأرواح العالية التي لاتنجلي إلا من هم  
مستحقون . يقول مؤلف الكتاب فالجد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . لقد ظهرت  
معاني القرآن اليوم أي بعضها وظهر سر قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وسر قوله  
- وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعترفونها -

ولكم سألني سائلون عن هؤلاء المتصوفة الذين ظهروا ببلاد الاسلام كقوم ببلاد صرا كش لا يصاون  
ولا يصومون وينسبون لولي عظيم واذا جلسوا معا وتواجدوا طار أحدهم الى قبة المكان الذي هم فيه  
جالسون واذا جىء لهم بشاة أو عنز خرقوا بطنها وشووها وأكلوها . فهذه فتنت كثيرا وطقن الناس أن هؤلاء  
عندهم سر عظيم وماهى إلا توجسه نفوسهم الى أمور جزئية فنالوها ولكنها أمور منحطة قدرة دنيئة لاترقى  
النفوس البشرية بل هي أمور ظاهانية . فاذا عجز المصلي والمزكي والعالم المسلم عن هذا فليس معناه ضعف حاله .  
وأن هؤلاء يعلمون عليه بل هم قوم حصرت نفوسهم في أمر جزئي صغير فلاهم في العير ولا في النفي بل تجب  
حاربتهم وقتلهم . ان هؤلاء لا يسمعون الى الملائة الأعلى . واذا رأيت أمثال هؤلاء يخبرونك بشئ في نفسك  
فلاتظن الأمر عظيما . فهذا الكشف حقير لأنهم لا يسمعون الى الملائة الأعلى لضعف نفوسهم وإنما يسمعون  
الى الملائة الأدنى ويقتدون من كل جانب دحورا ولهم عذاب دائم يوم القيامة لأنهم أضاعوا أنفسهم في أمور  
جزئية وغفلوا عن هذه الدنيا وجالها وعلومها ولم تصلح نفوسهم لعالم الملائكة فينشروا العلم والحكمة بين  
الناس

### ﴿ ذكر نظير هذا في المعروف بين الناس ﴾

إن هذه الأحوال هي التي نشاهدها في العالم الانساني ، انظر ألسنت ترى أن أكابر العلماء والحكماء  
لا يستطيعون أن يذكروا شيا من حكمتهم وفلسفتهم أمام الجهلاء ولو ذكروها لم ينلهم منهم إلا السخرية  
والاستهزاء ، ألسنت ترى أن العلماء قالوا : « إن الحكماء خلقوا ليعلموا العلماء والوعاظ ليعلموا العامة » فهل  
يخاطب الحكماء الجهلاء ؟ كلا . ثم كلا . هكذا هذه الآية . يقول الله - لا يسمعون الى الملائة الأعلى - لأن الملائة  
الأعلى لا يخاطبهم لعدم التلاؤم ، فسبحان من أظهر هذه المعاني حتى صارت من المألوفات ، وأشرقت الأرض  
بنور ربها في سر الكتاب ، قال تعالى ( فاستفتهم ) فاستخبر بنى آدم ( أنهم أشد خلقا أم من خلقنا ) من  
الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والكواكب والشهب الثواقب فكيف ينكرون البعث وأين هم بالنسبة  
لهذه العوالم التي خلقناها ( إنا خلقناهم من طين لازب ) أي لاصق أولازم نأين هم من كواكب السماء وعالم  
الملائكة وتلك العوالم النورية المشرقة ، فاذا قدرنا أن نخلق تلك العوالم العظيمة فهل يعجزنا أن نعيد ما هو  
مخلوق من طين لا يصلح للحياة إلا بأشراق الأنوار عليه ووصول الآثار إليه من العوالم الأخرى ( بل عجبنا )  
يا محمد من تكذيبهم إياك ومن انكارهم البعث وهم ( يسخرون ) من أمر البعث ( واذا ذكروا لا يذكرون )  
ودأبهم أنهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون ( واذا رأوا آية ) معجزة كانشقاق القمر ( يستسخرون ) يستدعي  
بعضهم بعضا أن يسخر منها أو يبالعون في السخرية ، فهؤلاء كالذي خطف الخطفة فأتبعه شهاب قتله وأمات



فسكرته وأضاع رشده وأضل عقله فأشمال هذا أحياء وما هم بأحياء كما قال تعالى - أموات غير أحياء -  
\* وقال الشاعر

ففتز بعلم تغمى حيا به أبدا \* الناس موتى وأعمل العلم أحياء

فهؤلاء يستخرون (وقالوا إن هذا إلا السحر بيني) سحر ظاهر ساحر بته (أنا مننا) استفهام انكاري  
(وكنا ترابا وعظاما) أي أنبث إذا كنا ترابا وعظاما (أو آتونا الأتون) أي أبعث أيضا آتونا  
مستبعدين ذلك زيادة استبعاد لأن آباهم أقدم منهم فيكون بعثهم أشد غرابة (قل نعم وأنتم داخرون)  
صاغرون وإذا كان كذلك (فإنها هي زجرة واحدة) صحيحة واحدة وهي ففخة البعث (فإذا هم ينظرون)  
أي فإذا هم أحياء بصراء ينظرون إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم (وقالوا) إذا قاموا من القبور  
(يا ويلنا هذا يوم الدين) يوم الحساب فتقول الملائكة (هذا يوم الفصل) يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين  
(الذي كنتم به) في الدنيا (تذكرون) فتقولون أنه لا يكون (احشروا الذين ظلموا) أي اجعوا كل ظالم  
بشرك أو غيره (وأنزولهم) وأشباههم وأمثالم بحيث يكونون في مباءة واحدة كما يرى في هذا العالم المادي  
إن المرات الأرضية مجذوبة إلى الأرض والطوائية إلى الماء والمائية إلى الماء وأصحاب الحرف المتفة يتفقون  
ويتفاهمون وأصحاب الأخلاق الرضية يتجادرون وذو النفوس الشريفة يأنفون ، فهذا العالم المادي والروحي  
على نسق واحد فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، فالجبة في الدنيا لا تفارق الأشكال وفي الآخرة  
لا تفارق المعلوم والأخلاق - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت -

وهل تألف الغربان إلا سر بها ، أو العجم إلا ألفها ، أو الزناير إلا أخواتها ، أو الغل إلا طائفها . فإجبا .  
تتساكلت الدنيا والآخرة وما يدركه القرآن عن الآخرة نساها في الدنيا . فالسألة في الدارين بافان الصفات  
واختلافها ، طمنا نزلت المرات ونظمت الدروس وألفت الكتب وبيت الكتابات وأقيمت  
الجماعات . كل ذلك لترية العقول وصلها بمقال واحد . إن ذلك هو النظام الحبيب

يقول الله - احشروا الذين ظلموا وأنزولهم - (وما كانوا يهودون من دون الله) من الأصنام زيادة في  
تخبرهم (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) فمر ففهم طريقها ليلسكوها لأنهم على مشرب واحد . وفي الحديث  
« أنت مع من أحببت » وذلك كله بطريق الجاذبية والاستعداد - وما ربك بظلام للعبيد - (وقومهم)  
احبسوهم في الموقف (إنهم مسؤولون) عن العقائد والأعمال (مالك لا تناصرون) لا ينصر بعضكم بعضا  
(بل هم اليوم مسلمون) منقادون لحزمهم (وأقبل بعضهم على بعض) أي الرؤساء والأتباع أو الكفرة  
والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ أو يتخاصمون (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن الهين) أي  
من قبل القهر والقوة لأن الهين موصوفة بالقوة أي انكم تحملوننا على الضلال وتهوروننا عليه ، أو من قبل  
الدين فتضلوننا وتقولون لنا إن الدين ما تضلوننا به (قالوا) أي الرؤساء للأتباع (بل لم تكونوا مؤمنين)  
أي بل أبيتتم أئمة الايمان وأعرضتم عنه وأنتم تختارون ، وهل لنا سلطان على ضلالتكم وهذا قوله (وما كان  
لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلك به اختياركم (بل كنتم قوما طائفين) مختارين الطغيان (فحق علينا قول  
ر بنا) فالزمننا جميعا وعيد الله بالسخط والعذاب (إنا لنا نقون) العذاب في النار (فأغويتنا كما إننا كنا  
غافرين) أي فدعونا كما إلى الغي لتكونوا أمثالنا لأن الطيور على أشكاطها تقع والناس مولعون بتكثير سوادهم  
ومن هم على شاكلتهم ليا نسوا بهم كما تفعل الأمم كلها يعلمون الأمم لغاتهم وعلومهم وتاريخهم ليكونوا على  
شاكلتهم ويتفقوا بهم (فأهم) فان الأتباع والتبوعين (يومئذ في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في  
الغواية (إنا كذلك) أي مثل ذلك الفعل (نفعل بالجريمين) بالمسركين وبيت سببه فقال (إنهم كانوا إذا  
قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أي عن كلمة التوحيد وعن الداعية إليها (ويقولون أننا اننا آلهتنا

لشاعر مجنون) يذنون سجداً عز وجل فردد الله عليهم قائلاً: كلا (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) أى ما جاء به قام عليه البرهان وتطابق عليه المرسلون (إنكم لذائقوا العذاب الأليم) بالاشراك وتكذيب الرسول (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى إلا مثل ما عملتم (إلا عباد الله المخلصين) هذا استثناء منقطع

### ﴿ وصف أهل الجنة ﴾

ما كانهم ، ومجالسهم ، وشرابهم ، ونسأؤهم

﴿ ما كانهم ﴾

هى الفواكه لتلذذ مع الاترام وعدم النصب في التحصيل وهم في الحدايق وهو قوله (أولئك لهم رزق معلوم في فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم)

﴿ مجالسهم ﴾

يجلسون على سرر وهم متقابلون ، وقد جاء في آية أخرى - ونزعنا ما في صدورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين في لا يمسهم فيها نصب - وذلك قوله تعالى (على سرر متقابلين)

﴿ شرابهم ﴾

يشربون الخمر من نهر ظاهر للعيون أو خارج منها وهى بيضاء لذيذة لشاربها ليس فيها غائلة تفسد عقولهم كما في خمر الدنيا وتصدعهم وتحدث فيهم البول والقيء والعربدة وأمثالها ، يقال غاله اذا أفسده ولا يسكرون منها وهذا قوله (يطاف عليهم بكأس) باناء فيه خمر (من معين) من شراب معين أو نهر معين (بيضاء لذة للشاربين) صفتان للكأس (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) يقال نرف الشارب فهو تزيف ومنزوف

﴿ نسأؤهم ﴾

قصرن أبصارهن على أزواجهن فلا يحببن غيرهم نجل العيون أى واسعاتهن جمع عيناء يشبهن بيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض الخلوط بأدنى صفرة فانه أحسن ألوان الأبدان وهذا قوله (وعندهم قاصرات الطرف عين في كأنهن بيض مكنون)

### ﴿ وصف حديث أهل الجنة ﴾

بعد أن ذكر الله ما كانهم ومشاربهم وقلوبهم المؤتلفة ونساءهم أخذ يذكر أحاديثهم في شؤون مضت وانتضت في الدنيا قبل البعث كما قال الشاعر:

وما بقيت من اللذات إلا في محادثة الرجال ذوى العقول

وهذه لذة عقلية أشرف من اللذات الحسية السابقة ، فهؤلاء يطاف عليهم بكأس من معين وهم يتحادثون كما يحصل ذلك بعد الانتصار في الحروب العظيمة فيقول أحدهم : « لقد كان لى جليس في الدنيا يوبخنى على التصديق بالبعث » ويقول : « أنحن ندان (أى نجزي) اذا أصبحنا تراباً وعظاماً ؟ كلا . ثم كلا . انظروا ، انظروا أيها الاخوان ها هو ذا فلان الذى كان شأنه ذلك » (هل أنتم مطلعون) الى أهل النار لأرىكم ذلك الترين (فاطلع) عليهم (فراه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) أى وسطه فلما رآه (قال) له (تالله إن كدت لتردين) لتهلكنى باضلالك (ولولا نعممة ربى) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) معك فى جهنم ، يا هذا أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معدن بين الامواتنا الأولى بخلاف الكفار فهم يموتون المودة الأولى مثلنا ثم هم فى جهنم يتمنون الموت كل ساعة . قيل لحكيم : ما شر من الموت ؟ قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا القول يقوله المؤمن تحدثاً بنعمة الله عليه بسمع من قرينه ليكون توبيخاً له فيزيد تعذيبه ثم قال لقرينه (إن هذا) الأمر الذى نحن فيه (هو الفوز العظيم) قال الله (لمثل هذا فليعمل العاملون)

## ﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (أذلك خير نزلًا) تمييز (أم شجرة الزقوم) أي أنعم الجنة وما فيها خير نزلًا أم شجرة الزقوم والنزل ما يقيم للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر صرّ بهامة (إننا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابًا في الآخرة أو ابتلاء في الدنيا إذ قالوا كيف يكون في البار شجرة والنار تحرق الشجرة (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) فنبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتهما (طاعها كأنه رؤس الشياطين) أي رؤس الحيات القبيحة المنظر التي يسميها العرب شياطين أو نفس الشياطين التي لم يرها الناس ولكن وقع في وهمهم شناعتها وقبح منظرها كما في بيت امرئ القيس \* ومستونة زرق كأنياب أغوال \* (فأنهم لا يكون منها) من الشجرة أو من طلوعها (فالثون منها البطون) لغلبة الجوع (ثم إن لهم عليها الشوبا) أي الخلطا (من جحيم) ماء حار يشوي وجوههم (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) فلخص ذلك أنهم يؤتى بهم من دركات الجحيم إلى شجرة الزقوم فيأكلون ثم يسقون ثم يرجع بهم إلى محالهم من الجحيم، ثم بين السبب الذي أوقعهم في الكفر المسبب لذلك فقال (إنهم ألفوا آباءهم ضالين \* فهم على آثارهم يهرعون) الأهراع الإسراع الشديد كأنهم يحشون حشا (ولقد ضلّ قباهم أكثر الأولين) أي ضلّ قبل قريش الأمم الحالية بالتقليد وترك النظر (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أنهم هلكوا جميعًا (الإعباد الله المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله فأنهم لم يهلكوا. انتهى التفسير اللفظي للفصل الثاني

## ﴿ لطيفة في التقليد والنظر ﴾

نبين في هذا الفصل ما تكون عاقبة التقليد فجاء أولًا في قول القائل في الجنة لقرينه في النار انه نجا من اغوائه ولو أنه اتبعه لوقع في الجحيم، وثانيا في قوله - إنهم ألفوا آباءهم ضالين \* فهم على آثارهم يهرعون - ثم زاد على ذلك أن أكثر الأمم الحالية ما هلكوا إلا بالتقليد، فظهر من هذا المثال أن التقليد أوله وآخره شؤم على المقلد وعلى من يتبعه، إن العالم الانساني لا سعادة له إلا بالنظر والفكر والبحث في حقائق الأشياء دنيوية وأخروية، فلينظر العقلاء في التعاليم الاسلامية الحالية وليفكروا في نظام الدين الاسلامي وليعلموا أن اتباع الأمم الاسلامية المتأخرة في تعاليمها قد أضاع الأمم الكثيرة في الشرق، فلينظم تعليم الاسلام بجميع العلوم والصناعات باعتبار أنها فرض والافليعلموا أنهم لا يحقون بالأمم التي أبادها الجهل وأضاعها الجاهلون

## ﴿ جوهرة في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - الخ ﴾

لقد تقدم الكلام على الكواكب والكشف الحديث فيها في أول سورة البقرة وفي سورة الأنعام وسورة يونس وغيرها، ولا بد هنا من ذكر أبداع ما جاء في الكشف حديثًا لتبتهج أيها الدكيّ بالعلم والحكمة فهناك ما جاء في « مجلة السياسة » الأسبوعية وهذا نصه :

## ﴿ اكتشاف علمي جديد ﴾

( المجرة ومركز الكائنات )

( نظرية الدكتور شابلي في سعة هذا الكون )

نحن نطابق لفظة الكون على ما نشاهده وما لا نشاهده من الأجرام العلوية التي تسبح في الفضاء، وقد كانت النظريات العلمية تؤكد حتى الآن أن الكائنات (على سعتها وكثرة أجزائها) محدودة وأن وراءها ظلمات فوق ظلمات وفراغ لا أول له ولا آخر. على أن الدكتور شابلي مدير مرصد جامعة هوفارد الأمريكية ومن أشهر علماء الفلك في الوقت الحاضر قد جاءنا اليوم بنظرية جديدة وهي أنه ليس في الكون فراغ بالمعنى



العلمي وأن الأجرام الفلكية تملأ هذا الوجود الى مالا نهاية له ، وقد نشرت إحدى المجلات العلمية الأمريكية  
مقالة في هذا الموضوع رأينا أن نلخصها فيما يلي

« يؤخذ من أحدث المباحث العلمية أن الفراغ الذي تسبح فيه الأفلاك شفاف وأنه ليس فيه جزء فارغ  
كما كان يظن حتى عهد قريب بل هو يهيج بالأجرام الفلكية في كل ناحية من أبعاده وليس فيه جبهة واحدة  
بل عدة مجرات وأن بعضها كبيرة جدا حتى ان المسافة بين طرفيها تزيد على ألوف الملايين من السنين النورية  
ويرجع فضل هذا الاكتشاف الى الدكتور شابلي فقد أثبت بعد البحث العلمي الدقيق هذه الحقيقة العلمية  
الجديدة وهي أن نظامنا الشمسي ونظام المجرة هما في الواقع نظام واحد يدور بسرعة مائتي ميل في الثانية  
أو بسرعة تزيد على ستة آلاف وثلثمائة وسبعة ملايين ومائتي ألف ميل في السنة ، وأنه يكمل كل دورة من  
دوراته في ثلثمائة مليون سنة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان اليوم من أيام هذا النظام يعادل ثلثمائة ألف سنة  
(لأن اليوم بالاعتبار الفلكي هو دورة الجرم على محوره ودورة النظام الذي نحن بصدده على محوره تستغرق  
ثلثمائة مليون سنة) وتبلغ المسافة التي يجتازها هذا النظام في كل دورة من دوراته ألفا وثمانمائة واثنين وتسعين  
ألفا ومائة وستين ألف ألف ألف ميل ، ويعتد الدكتور شابلي أنه لن ينقضي زمان طويل حتى يتوصل  
العلماء الى اكتشاف سر الحياة في أحد تلك الأجرام فان معظمها قديم جدا ، وليست كرتنا الأرضية بالنسبة  
اليه سوى طفل حديث الولادة ، وقد كان الأقدمون يعتقدون أن الكرة الأرضية هي مركز جميع الكائنات  
وأن الشمس وجميع الأفلاك تدور حولها ، ثم تقدم العلم فثبت أن الأرض لم تكن مركز الكائنات ، وقام  
الاعتقاد بين جمهور العلماء أن الشمس هي ذلك المركز ، وظلت النظريات تتغير وتتقلب الى أن جاءنا الدكتور  
شابلي بنظريته الجديدة وهي أن مركز الكائنات هي نقطة اتصال الأبراج المعروفة بالعقرب والحية والرامي  
وتبعد هذه النقطة عن الكرة الأرضية نحو خمسين ألف سنة نورية أي نحو ثلثمائة ألف ألف مليون ميل  
فالنور الذي نراه الآن منبعثا من ذلك المركز هو النور الذي انبثق منه منذ أكثر من خمسين ألف سنة أي قبل  
أن يظهر الانسان على هذه الكرة

ومما يجدر بالذكر أن الاستاذ (ادنجتون) الذي يعتبر أعظم علماء الفلك في الوقت الحاضر (وهو أستاذ  
الفلك في جامعة كبريدج بإنجلترا) أعلن منذ عشر سنوات أن الشمس هي مركز المجرة وأن طرف المجرة يبعد  
عن الكرة الأرضية عشرة آلاف سنة نورية وأنه ليس وراء ذلك الطرف سوى فضاء لا حدود له ، أما الآن  
فقد أثبت (الدكتور شابلي) أن الكائنات أوسع من ذلك بكثير ، اذا نظرت الى السماء في ليلة صافية الأديم  
أممكنك أن ترى بالعين المجردة نحو خمسة آلاف نجم من النجوم المختلفة الأحجام والدرجات وهذه النجوم  
مبعثرة في قبة الفلك بالانظام ظاهر وبخترتها في الوسط طريق المجرة الذي هو أشبه بنهر متعرج ، على أن ما نراه  
بالعين المجردة ليس سوى جزء صغير من مجموع النجوم التي يتألف منها عالمنا ( أي نظامنا الشمسي والمجرة  
معا) فان عدد نجومه يبلغ عشرة آلاف مليون نجم ، وما شمسنا سوى نجم تافه يدور هو والأرض وجميع  
أجرام النظام الشمسي حول مركز الكائنات الذي سبقت الإشارة اليه

ويقول الدكتور شابلي أيضا : إن حول هذا المركز نحو مائة مليون نجم (والنجم هو الشمس بعينه)  
ومن هذه المجموعة تتألف نواة المجرة ولكن بقية أجزاء المجرة لانزال محاطة بحجب الكتمان ، وإنما هنالك  
قرائن تدل على أن ثخانة نظام المجرة تبلغ نحو خمسة وخمسين ألف سنة نورية وأن قطرها أكثر من ذلك بكثير  
﴿ ترى ما الذي وراء مركز الكائنات ؟ ﴾

يعتقد الدكتور (شابلي) أنه لن يمر وقت طويل حتى تتجلى لنا أسرار كثيرة ، أما النظرية القائلة بوجود  
شمس عظيمة تستمد منها جميع الشمس نورها وهي مركز الكائنات فهي خرافة لا طائل تحتها ، ونظرية

النسبية (وهي أحدث النظريات العلمية وأصدقها في الوقت الحاضر) تؤكد لنا أن لكل جرم حدودا لا يتعداها ، فالنجم المسمى (منكب الجوزاء) هو عبارة عن شمس هائلة يمكن وضع خمسة وعشرين مليون شمس كشمسنا في بطنها ومع ذلك لا يمكن (بحسب مذهب النسبية) تصوّر شمس أكبر من منكب الجوزاء لأن قوّة الجاذبية فيها تكون هائلة جدا تصطم بقوة إشعاعها وتمزقها شراً ممزقاً

فركز الكائنات يشرف على نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا ويحفظ التوازن بين جميع أجرام النظام ، وقوّة جاذبيته تفوق قوّة أى جرم آخر يفرضه العلم ، وتدل المباحث العلمية الحديثة أيضا على أن مركز المجرة محوط بألوف الملايين من النجوم المبعثرة في الفضاء ، وللدلالة على سعة الفضاء الذي تشغله تلك النجوم نقول : « إن محيطه لا يقل عن ثلثمائة ألف سنة نورية وثخائنه لا يقل عن مائة وخمسين ألف سنة نورية ، أما نظامنا الشمسي فواقع خارج محيط المجرة عند أحد طرفيها ، ولا يخفى أن جميع أجرام الفلك تدور على محورها بلا انقطاع ، وقد قلنا ان اليوم يتكوّن من دورة الجرم على محوره ، فاليوم باعتبار مركزنا الأرضية يتكوّن من دورة الكرة على محورها وهو بحسبنا أربع وعشرون ساعة ، أما الكائنات التي تتألف منها نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا فهو يعادل ثلثمائة مليون سنة لأن هذه الكائنات تدور مرة حول محورها كل ثلثمائة مليون سنة ، وعليه فإن ستة أيام أو سبعة من نوع الأيام التي نحن بصددتها تكفي لنشوء كائنات بأسرها ، أما الذي حمل (الدكتور شبلي) على القول بأن نطاق الأفلاك أوسع كثيرا مما يتوهم العلماء وأن عدد الأجرام التي تتألف منها الكائنات غير محدود فهو النجوم المعروفة بالمتغيرة ، فقد اكتشف منها عدّة آلاف وهو يعتقد أن الكون مملوء بها ، وقد درس حالة هذه النجوم درسا مدققا فابتكر طريقة علمية لقياس درجة نورها ولمعانها ، والمجال لا يتسع لشرح تلك الطريقة وإنما نقول إن الدكتور شبلي توصل بواسطتها الى معرفة أبعاد تلك النجوم وقد أثبت أنها تقع خارج الحدود التي كانت مفروضة للكائنات أي في الفضاء الذي كان يقال حتى عهد قريب انه فراغ ليس فيه شيء من الأجرام الفلكية ، وقد وجد أن قوّة اشعاع بعض تلك النجوم تفوق قوّة اشعاع الشمس أكثر من ثلاثين ألف ضعف فتأمل

وبناء على هذا الاكتشاف أصبحت حدود الكائنات أوسع بكثير مما كان العلماء يتصوّرونها حتى أوائل هذا القرن ، ويظهر الآن أن النجوم المتغيرة توجد بشكل مجموعة مبعثرة حول أطراف المجرة وانها حدود الكائنات التي يتألف منها نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا ، أما حقيقة شكل الكائنات المذكورة فهي انها تشبه قرصا ثخيننا مستطيلا يتألف من نظامنا الشمسي ومن المجرة ، وليس نظامنا الشمسي مركزا لتلك الكائنات بل هو يبعد عن ذلك المركز نحو خمسين ألف سنة نورية كما سبق القول فيه

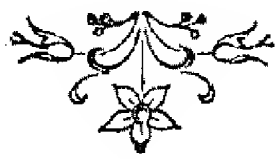
﴿ ووراء هذه الكائنات كلها ؟ ﴾

كان العلماء يزعمون حتى عهد قريب أن وراء الكائنات فراغا لا حدود له وأن هذا الفراغ يبتدىء بعد المجرة بقليل وليس له آخر إلا ان الدكتور شبلي قد أثبت اليوم أن مجرتنا ليست هي المجرة الوحيدة بل إن هنالك مجرات أخرى ومجموعات نظم شمسية لا عداد لها وهي تدور حول نواة مركزية ، وقد أطلق عليها الدكتور شبلي اسم جزائر كونية ويمكننا رؤية عدّة مئات منها بواسطة التلسكوبات الحاضرة ، ومتى أنشئ تلسكوب مرصد (مونت ويلسون الجديد) الذي سيبلغ قدر عدسته مائتي بوصة فالأرجح اننا سنتمكن من مشاهدة ألوف كثيرة من تلك الجزائر ، وتظهر هذه الجزائر لأول وهلة بشكل مجموعات مظلمة من النجوم أو السدم المبعثرة في الفضاء ، ومع ان هذه الجزائر ليست من مكتشفات (الدكتور شبلي) إذ قد كانت معروفة من قبل إلا ان القول بأن كلاً منها هي مجرة قائمة بذاتها هو قول جديد ، وقد ثبت الآن أن بعضها يبعد عن نظامنا الشمسي نحو مائة مليون سنة نورية أو أكثر

ومما يدل على سعة هذا الكون أنه لو أصيبت مجرتنا (وفيها نحو عشرة آلاف مليون جرم فلكني) بمصيبة محقتها وأزالتها من الوجود فإن الذين في أقرب الجزائر الكونية (إذا صح أن في تلك الجزائر مخلوقات) لا يشعرون بتلك المصيبة إلا بعد مئات الألوف من السنين لأن أنوار المجرة تظل سائرة في الفضاء ولا تصل إلى أقرب جزيرة إلا بعد انقضاء مئات الألوف من السنين . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

هذه هي المقالة التي أحببت أن أثبتها هنا قبولا لنعمة الله علينا بالعلم والحكمة ، فانظر أيها الدكي إلى عظمة الله التي لا تقناهي وكواكبه التي لا حد لها ، اللهم إن هذه هي السعادة الحقيقية أن تزيد معرفتنا بجمالك وبهائلك ونرى أنفسنا في يد رحيم لانهاية لرحمته ، عظيم لانهاية لعظمته ، إن القلب اذا أدرك هذه العظمة وعقل هذه الرحمة يكاد يذوب وجدا على بعده عن مسدى هذه النعم ويتمنى لو يراه ، بل كثير من قراء هذا التفسير العاشقين للعلم ستكون حياتهم كلها سعادة بعمل نافع للأمم جمعاء ، ويرون أن الموت نعمة من أجل النعم ، بل سعادة لا حد لها ، لأنهم يودون أن يروا مسدى هذه النعم صانع هذه العجائب مبدع هذا الجمال بعد أن يكونوا قد أموا ما أعدتهم له في هذه الأرض

يا سبحان الله : كآني أشاهد كثيرا من قراء هذا التفسير قد امتازوا بأنهم في الدنيا مشرقة أنوارهم العلمية وقد اشتاقوا لمسدى هذه النعم وحققوا معنى الحديث « من أحب لقاء الله أحب لقاءه » ولا سبيل لهذه المحبة بغير دراسة هذه الدنيا ، وأنا أجدك يا الله أن جعلت هذا التفسير جامعا لأجل ما في العلوم وزهراتها إن قراء هذا التفسير فضلاءهم اذا سمعوا قوله تعالى - وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون - وسمعوا قوله تعالى - تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - لا تطيش سهامهم ولا يضل سمعهم ولا يظنون التناقض بل هم يعلمون علما ليس بالظن أن الله يخاطب الناس كما يخاطب أحدا طفلا صغيرا بل كما يخاطب الدواب ، إن منزلتنا من الله أبعد من ذلك وانما ضربنا ذلك مثلا إذ ليس المقام مقام تحديد اليوم بألف سنة ولا مقام تحديده بخمسين وانما يراد مدة عظيمة عبر عنها بما نعقله ، ولا جرم أن اليوم (٢٤) ساعة وهذا هو المعروف عندنا وهذا مبنى على دوران أرضنا ولكن هناك كواكب أخرى أكبر من أرضنا وهناك مجرات وسدم وهذه مجرتنا التي فيها شمسنا يومها (٣٠٠) ألف سنة كما رأيت وقد يكون أكثر لمجرة غيرها ، فاذن ألف سنة ليس قيما وخمسون ألف سنة كذلك وثلاثمائة ألف ألف سنة كذلك ولا يعلم أيام جميع الكواكب وجميع المجرات وجميع السدم إلا من لانهاية لعلمه ، إذن هنا فهمنا قول علمائنا رحمهم الله « إن العدد لا مفهوم له » قالوا هذا عند الكلام على أن السموات سبع وأن الأرضين سبع ، أفلمست ترى أن هذا زمان عجائب القرآن ، يقول : إن يوما عند الله يبلغ ألف سنة ، ثم يقول خمسين ألف سنة ، لماذا ؟ ليفتح للعقول أبواب الفكر فيفكر العاقل ويقرأ العلوم فيعلم أن ذكر المحدثين يفتح باب الدرس حتى يعرف أنه لا حد للسنين ولا وقوف لها عند حد والله واسع عليم - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - انتهى نصف الساعة الثانية من ليلة الأحد (٥) يناير سنة ١٩٣٠ وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين





## الفصل الثالث

في قصص الأنبياء الذين أجمعوا في قوله تعالى - ولقد أرسلنا فيهم منذرين الخ -

وَأَقْدَ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ \* وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ \* وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ  
 الْبَاقِينَ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ \* سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ \* إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \*  
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ \* وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ \* إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ  
 سَلِيمٍ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ \* أَتَشْكُرُونَ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ \* فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ  
 الْعَالَمِينَ \* فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ \* فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ \* فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ \* فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ  
 فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ \* مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ \* فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ \* فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ \*  
 قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ \* قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ \*  
 فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ \* وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَاهِدِينَ \* رَبِّ هَبْ لِي مِنَ  
 الصَّالِحِينَ \* فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ \* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ  
 فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ \* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ  
 لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ  
 الْبَرُّ الْمُبِينُ \* وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ \* سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ \*  
 كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ \* وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ  
 الصَّالِحِينَ \* وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ \* وَلَقَدْ مَنَّا  
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ \* وَنَصَرْنَا هَامَانَ فَكَانُوا مِنَ الْغَالِبِينَ \*  
 وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ \* وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ \* سَلَامٌ  
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ \* إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ  
 الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ \* أَتَدْعُونَ بَمَلَأٍ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ \* اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ  
 آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ \* فَكَذَّبُوهُ فَأَنهَمُ لَمُحْضَرُونَ \* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ  
 سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ \* إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ  
 الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ \* ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ \* وَإِنَّكُمْ

لَتَمُرُّنَّ عَلَيْهِمْ مُبْتَلِينَ \* وَاللَّيْلُ أَفْأَلٌ تَقْتَابُونَ \* وَإِنْ يُؤْسِرَنَّ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ أَتَى إِلَى الْمَلِكِ  
 الْمَشْحُونِ \* فَسَأَهُمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ \* فَأَلْقَمَهُ الْحَرْبُ وَهُوَ مُلِيمٌ \* فَذَلَّ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \*  
 لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْتَلُونَ \* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ \* وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ \*  
 وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ \* فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

﴿ قصة نوح عليه السلام ﴾

قال تعالى (واقعد نادانا نوح) لما أيس من قومه المقلدين لآبائهم فأجبناه (فلنعم المجيبون) أي فوالله  
 لنعم المجيبون نحن (ونجيناها وأهلها من الكرب العظيم) من الغرق ومن أذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين)  
 إذ كان له ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم ، وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب ، ويافث  
 وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج . هذا هو المشهور على السنة المؤرخين وليس في القرآن نص على هؤلاء  
 ولا على غيرهم (وتركنا عليه في الآخرين) من الأمم ثناء حسنا وذكر أجيالا فيمن بعده من الأنبياء إلى  
 يوم القيامة ، ثم قال الله (سلام على نوح في العالمين) أي سلامة وسعادة منا على نوح من بين العالمين في  
 زمانه (إنا كذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل بالثناء الحسن والنجاة تبشيرا بالنجاة والذكر  
 الحسن لكل من آمن وعمل صالحا (إنه من عبادنا المؤمنين \* ثم أغرقنا الآخرين) وهم كفار قومه

﴿ قصة ابراهيم ﴾

قال تعالى (وان من شيعته) ممن شايعه في الايمان وأصول الشريعة (لإبراهيم \* إذ جاء ربه بقلب  
 سليم) إذ ظرف متعلق بشيعته لما فيها من معنى المشايعة وسلامة قلبه خلوصه من الشرك ومن آفات القلوب  
 وهي المهلكات من الذنوب القلبية كالكبر والحسد (إذ) بدل من إذ الأولى (قال لأبيه) آزر (وقومه)  
 عبدة الأوثان (ماذا تعبدون) من دون الله قالوا نعبد أصناما قال لهم ابراهيم (أنفكا آلهة) أي أتريدون  
 آلهة دون الله لأجل الافك أي الكذب (فما ظنكم برب العالمين) أي فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف  
 يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم انه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة في النجوم) أي نظر  
 في النجوم راميا ببصره الى السماء ليريههم انه ينظر فيها لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم انه استدل بأماره على  
 أنه سقيم (فقال إني سقيم) أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكانوا يخافون العدوى كما هي الحال اليوم في  
 جميع الأمم فتفرقوا عنه بهذه الحيلة وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل وهذا من  
 معاريض الكذب لأنهم فهموا انه سقيم الآن وهو يريد سأسقم بل إن كل من كان الموت لاحقه فهو به  
 سقيم أو نفس السلامة داء كما في المثل « كفي بالسلامة داء » أو اني سقيم بكفركم (فتولوا عنه مدبرين)  
 مولين الادبار (فراغ الى آلهتهم) مال اليها (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) من الطعام الذي أمامكم فلم  
 يجبن (مالكم لاتنطقون) لاتجيبون (فراغ عليهم) فأقبل عليهم (ضربا باليمين) أي ضاربا بسبب الخلف  
 السابق منه ليبر في يمينه ، أوضاربا يمينه للدلالة على القوة ، فرجعوا الى أصنامهم فوجدوها مكسرة (فأقبلوا  
 اليه يزفون) يسرعون فقالوا نعبيدها وأنت تكسرها فأجابهم (قال أتعبدون ما تنحتون) بأيديكم (والله  
 خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الأصنام ، أو وخلق أعمالكم فلم تعبدون غيره؟ (قالوا ابنوا له)  
 لأجله (بنيانا) من الحجر طوله عشرون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألقوه في الجحيم) في النار الشديدة

(فأرادوا به كيدا) بالقائه في النار (فجلمهم الأسفلين) المتهورين عند الالتقاء فخرج من النار (وقال إني ذاهب إلى ربّي) أي إلى موضع أمرني بالذهاب إليه (سيهدين) سيرشدني إلى ما فيه صلاح في ديني ويصوني ويوفقني (رب هب لي من الصالحين) أي بهض الصالحين أي الولد (فبشرناه بسلام حلیم) فالبشارة بثلاث : انه ذكر ، وانه يبلغ أوان الحلم ، وانه حلیم . ومن حمله انه رضی بالذبح كما سيأتي (فلما بلغ معه السعي) أي بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوادثه وكأنه قيل مع من يسعى ؟ فقيل مع أبيه ، فاذن معه بيان لا يتعلق ببلغ ولا بالسعي (قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) إذ قيل له في المنام اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى ، فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح ، أمن الله هذا الحلم ، أم من الشيطان ؟ فن عمه سمى يوم التروية فرأى مثل ذلك في الليلة الثانية فعرف انه من الله فسمى يوم عرفة ، ثم رأى الليلة الثالثة مثل ذلك فهمم بنحره فسمى يوم النحر (فانظر ماذا ترى) من الرأي على وجه المشاورة ، يريد أن يختبره ليعلم أيجزع أم يصبر (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي ما تؤمر به (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) على الذبح (فلما أسلما) انقادا لأمر الله وخضعا (وتله للجيبين) صرعه على جنبه ووضع السكين على حلقه (ونادينا أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي حقت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح وجواب لما محذوف أي كان ما كان مما لا يحيط به الوصف من استبشارهما وجدهما الله وشكرهما له على نعمة دفع البلاء (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي إنا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (إن هذا هو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر إذ اختبرناه بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) كبير الجثة سمين ، يقال ان جبريل أتى له بكبش أملح أقرن من الجثة ، ويقال انه رعى فيها أربعين خريفا ، وقيل انه وعل أهبط عليه من ثبير ولما هرب من عند الجرة رماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سنة ، ويقول الحنفية : « من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة » (وتركنا عليه في الآخريين سلام على ابراهيم) هو كما سبق (كذلك نجزي المحسنين \* إنه من عبادنا المؤمنين) وقوله (و بشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أي بوجود اسحق أي ولما أسلم أمره لله في ذبح اسماعيل بشره الله باسحق بعد ذلك (وباركنا عليه) أي أفضنا عليه بركات الدين والدنيا (وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن) في عمله (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) ظاهر ظاهمه

### ﴿ لطيفة ﴾

في هذه القصة الشجاعة بالفتك بالعادات المزرية بالانسانية والشجاعة في اقتحام الأهوال وقد قام بمثل ذلك نبينا ﷺ وفيها الصبر والحلم والاناة وأن يستعد الانسان لتسليم نفسه لله كل وقت لا يبالي بما يصيبه من فقد أو قتل أو نقص ، كل ذلك تعلم لنا وتهيئة للعالمى ، ولقد سبق في ﴿سورة البقرة﴾ اني ذكرت لك هناك « لغز قابس اليوناني » قبل الميلاد بخمسمائة سنة إذ شرح كل الأحوال الانسانية من علم ومال وولد ومالك فلم يجعل للانسانية سعادة إلا بالصبر على ما يصيب الانسان ، فالصبر أول الامور وآخرها ، وأخرج من السعادات العلماء والشعراء والأغنياء والملوك وأهل الجلال والوارثين فقد حكم على هؤلاء جميعا بأنهم ليسوا سعداء وجعل كل ما يقرؤه الناس في الكتب من الأخلاق أدبا مزورا . فأما الأدب الحقيقي فهو الأخلاق وأهمها الصبر على النوائب وحكم بأن هؤلاء جميعا قبل أن يتدلوا بالمصائب ليس أحد منهم سعيدا ولهذا وحده جاءت هذه القصص وكيف يرضى ابراهيم بذبح ولده . وكيف يرضى اسماعيل بالذبح لذلك وردت هذه القصص في القرآن . ومن عجب أن تتحد الفلسفة والدين على أمر واحد أمر الصبر وانه السعادة القصوى . يقول قابس « لأن النفس مادامت تفرح بالنعمة وتؤلمها النعمة فانها رعناء جاهلة طفلة لأن المال والولد كالليل والنهار يطلعان على الفاجر والصالح . والسعادة التي اصطلاح عليها الناس لابقاء لها فهي رعناء تفرح بها النفوس الرعناء ، فالسعادة إذن أن تكون النفس مطمئة لكل ما يأتي عليها وهذا قوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم



ولا تفرحوا بما آتاكم - وقوله - إن الله لا يحب الفرحين - وهذا الخلق يحصل بأحد أمرين : إما بتوالي  
النوائب على امرئ حتى يصير قدراً على احتمالها . وإما أن يدرس هذا العالم درساً مدققاً فيدرك إذ ذاك  
أن العالم نظام واحد له صرب يربيه مطلع على كل جليل وصغير رحيم يرى أن الله معه في السراء والضراء  
فيرضى وقتاً ويغلبه الطمع وقتاً ولكنه أقرب إلى الرضا من الجهال

#### ﴿ قصة موسى وهرون ﴾

قال تعالى (واقدمنا على موسى وهرون) أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدنيوية (ونجيناهما  
وقومهما من الكرب العظيم) من تظاب فرعون ومن الفرق (وانصرناهم) الذمير لهما مع القوم (فكانوا  
هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستقيم) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما  
الصراط المستقيم) الطريق الموصل إلى الحق (وتركنا عليهما في الآخرين) سلام على موسى وهرون \* إنا  
كذلك نجزي المحسنين \* إنيهما من عبادنا المؤمنين

#### ﴿ قصة الياس ﴾

هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو ادريس النبي عليه السلام (وان الياس لمن المرسلين  
إذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أى أتعبدوننه وهو اسم صنم كان لأهل بك بالشام وهو  
البلد الذى يقال له الآن بعلبك و يطلق البعل على الرب بلغة اليمن و يصير المعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون  
أحسن الخالقين) وتتركون عبادته (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) بدل من أحسن (فكذبوه فانهم  
مخضرون) أى فى العذاب (إلا عباد الله المخلصين) بدل من الواو (وتركنا عليه فى الآخرين) سلام على  
إلياسين) لغة فى الياس كسينا وسينين (إنا كذلك نجزي المحسنين \* إنه من عبادنا المؤمنين)

#### ﴿ ذكر لوط ﴾

قال تعالى (وان لوطا لمن المرسلين \* إذ نجيناها وأهلها أجمعين \* إلا عجوزا فى الغابرين \* ثم دمرنا الآخرين \*  
وانكم) يا أهل مكة (لترون عليهم مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) أى مساء (أفلا تعقلون) أى  
أفليس فيكم عقل تعتبرون به

#### ﴿ ذكر يونس ﴾

قال تعالى (وان يونس لمن المرسلين \* إذ أبق) هرب (إلى الفلك) من قومه بغير إذن ربه (المشحون)  
المملوء (فساهم) فقارع أهل الفلك (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة \* روى انه لما وعد قومه  
بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا  
فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه وهو من اللقمة (وهو مليم)  
آت بما يلام عليه (فلولا انه كان من المسيحين) الناكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أوفى بطن الحوت  
إذ كان يقول : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » وقيل من المصلين (اللبث فى بطنه الى  
يوم يعثون) ميتا (فنبذناه) طرحناه (بالعراء) بالأرض الخالية عن الشجر والنبات (وهو سقيم) عليل  
وكان لبثه فى بطن الحوت ثلاثة أيام (وأنبثنا عليه شجرة من يقطين) هو القرع ، وكل نبت يمتد على وجه  
الأرض كالقرع يقطين \* قيل لرسول الله ﷺ إنك لتحب القرع . قال : أجل هى شجرة أخى يونس  
(وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) هم قومه أهل نينوى . واعلم أن كلام المفسرين مضطرب هنا فلا سمعك  
ملخص كلام التوراة :

« إن الله أرسل « يونان » أى يونس بن امناي قائلاً قم اذهب الى أهل نينوى المدينة العظيمة فهرب  
يونان من وجه الرب فنزل الى ياقا ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فجاءت ريح شديدة وكان ما كان مما هو

مهروف من أصر القرعة ، ولما خرجت القرعة بأن يرمى في البحر خافوا خوفا شديدا ثم طرحوه فسكن  
البحر ، وأما الرب فألهم حوتا فابتلعه

### ﴿ الاصحاح الثاني ﴾

فصلى يونان الى الرب إلهه من جوف الحوت الى آخر ما هنالك فنبذه الحوت بعد ثلاثة أيام الى البر

### ﴿ وفي الاصحاح الثالث ﴾

إن الله أمر يونس أن يذهب الى أهل نينوى رسولا ثانيا فذهب اليهم وقال بعد أن بعين تنقلب نينوى  
فآمن أهل نينوى وصاموا ولبسوا المسوح جميعهم من الملك الى أدنى رجل فعفا الله عنهم ولم يهلكهم

### ﴿ وفي الاصحاح الرابع ﴾

ان يونان لما رأى ذلك اغتم غما شديدا وقال يارب أنا كنت بادرت الى الهرب لأنى أعلم انك ستفعل  
ذلك وتعفو عنهم ، ثم جلس شرقى المدينة وجعل لنفسه مظلة ليجلس تحتها فأبنت الله له يقطينة فارتفعت على  
رأسه ليخلصه من غمه ففرح يونان فرحا عظيما ثم أرسل الله لها دودة وقت الفجر فضربت اليقطينية فبست  
وعند طلوع الشمس جاءت ريح شرقية حارة فضربت رأس يونان فذبل فطلب لنفسه الموت فقال الله ليونان  
هل اغتظت من الصواب من أجل اليقطينة ؟ أتشفق على يقطينة لم تتعب فيها بفت ليلة نبتت وبت ليلة هلكت  
أفلاشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة وفيها خلق كثير لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبها عم كثيرة . انتهى  
ملخصا من التوراة

ثم قال تعالى (فآمنوا) أى الذين أرسل اليهم يونس (فتعناهم الى حين) الى انقضاء آجالهم . انتهى  
التفسير اللفظى للفصل الثالث من السورة

### ﴿ لطيفة فى قصة يونس وقصة ابراهيم عليهما السلام ﴾

إن يونس تجل أمر الله فأما ابراهيم واسماعيل الذبيح فانهما صبرا ، إن ابراهيم قانت لله شاكر لا نعمه  
صابر ففيه الصبر والشكر ، فأما يونس فانه ذا كره لله ولكنه استجمل ، ولذلك قال الله تعالى لنبىه صلى الله عليه وسلم  
- فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم - فاذن القصد من هذه السير ترقية  
المسلمين أى ان الصبر هو عمدة السعادة فى الدنيا ، فابراهيم صابر شاكر ، وأما يونس فانه قد استجمل مع انه  
يذكر الله ، فذكر الله نفعه ولكن الصبر درع ، ذلك هو المقصود من هذه القصص ، وقد قدمت لك أن الصبر  
عليه مدار السعادة فى الدنيا لأن الامور ليست تحت تصرف العباد ، فلناس جميعا معرضون لما لا يرضونه كل  
آن فان لم يكن صبر فلا سعادة ولا شرف فى الدنيا ولا الآخرة . انتهى الكلام على الفصل الثالث

### ﴿ الفصل الرابع ﴾

فَأَسْتَفْتِهِمُ الرَّبُّكَ الْبِنَاتِ وَلَهُمُ الْبَنُونَ \* أَمْ خَاقِنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَّا نَا وَهُمْ شَاهِدُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ  
مِنْ إِنْكَرِهِمْ أَيْقُولُونَ \* وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ  
تَحْكُمُونَ \* أَوْلَاتُ تَذَكَّرُونَ \* أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ \* فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \*  
وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ \* سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ \*  
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ \* فَإِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ \* مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ \* إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ

الجبّيم \* وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ \* وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّافُونَ \* وَإِنَّا لَنَعْنُ الْمُسَبِّحُونَ \* وَإِن  
كَانُوا لَيَقُولُونَ \* لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ \* لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ \* فَكَفَرُوا بِهِ  
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ \* وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا الرُّسُلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمُتَعُورُونَ \* وَإِن جُنَدُنَا لَهُمْ  
الغَابُونَ \* فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ \* وَأَبْصِرْهُمْ فَتَوْفَّيْهِمْ يَبْصِرُونَ \* أَفَمِمَّا بِنَا يَسْتَهْجِئُونَ \* فَإِذَا نَزَلَ  
بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ \* وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ \* وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ \* سُبْحَانَ رَبِّكَ  
رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

هذا الفصل فيه ما يخص الفصلين السابقين فان أول السورة ذكرا صفات وهم الملائكة وهنا أخذ يستفتى  
أهل مكة في تسميتهم بنات الله ثم ذكر انهم هم الصافون المتقدمون في أول السورة ، وفي وسط السورة ذكر  
المرسلين وهنا ذكر انهم منصورون . فاذن هذا الفصل ما يخص الفصلين السابقين وهذا قوله تعالى ( فاستفتهم  
الربك البنات ) الاناث ( ولهم البنون ) عطف على ما تقدم في أول السورة - فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من  
خلقنا - والكلام هنا في انهم نسبوا لله الولادة والله منزه عن المادة فكيف يلد ؟ وفي انهم جعلوا الولد  
أضعف الزوجين الذكر والأنثى وفي أن الملائكة الذين لا يوصفون بما يوصف به الحيوان إناث وهذا قوله تعالى  
( أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ) حاضرهم ( ألا انهم من إفسكهم ) كذبهم ( ليقولون ولد الله ) إذ  
لا دليل عليه ( وانهم لكاذبون ) فيما يتدينون به ( أصطفى البنات على البنين ) استفهام انكار واستبعاد ( مالك  
كيف تحكمون ) بثما تقضون لأنفسكم ترضون لله ما لا ترضون لأنفسكم ( أفلاتدكرون ) انه منزه عن ذلك  
( أم لكم سلطان مبين ) حجة واضحة أو كتاب بين فيه أن الملائكة بنات الله ( فأتوا بكتابكم ) الذي نزل  
عليكم ( إن كنتم صادقين ) في قولكم ( وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ) أي الملائكة ويسمون جنا لاجتماعهم  
( ولقد نامت الجنة انهم لمحضرون ) أي ولقد عامت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول لمحضرون في النار  
( سبحان الله عما يصفون ) من الولد والنسب والصاحبة . وقوله ( إلا عباد الله المخلصين ) استثناء منقطع  
من المحضرين ( فانكم ) يا أهل مكة ( وما تعبدون ) ومعبودكم ( ما أنتم ) وهم جميعا ( عليه ) على الله  
( بفائتين ) بمضلين ( إلا من هو صال الجحيم ) أي استم تضلون أحدا إلا من استعتوا للفتنة بحسب فطرهم  
فيكفرون فيصطلون جهنم كما هو مقتدر أزلا كقوله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - يقال فتن  
على فلان امرأه أي أفسدها عليه . قال جبريل عليه السلام ( وما من ) أحد ( إلا له مقام معلوم ) في المعرفة  
والعبادة والانتها إلى أمر الله في تدبير العالم \* وعن ابن عباس « ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك  
يصلي أو يسبح » فهذا وحديث « أظت السماء وحق لها أن تظ » (١) يفيدان كثرة الملائكة ( وانا لنعني  
الشافون ) في أداء الطاعة ( وانا لنعني المسبحون ) المنزهون عما لا يليق به ويصح أن يكون الكلام في  
النبي ﷺ والمؤمنين ، فهم صافون في الصلاة ، ومنزهون لله عن المحدثات . والكلام هنا كالكلام في  
أول السورة ( وان كانوا ) أي كفار مكة قبل بعث النبي ﷺ ان مخففة من الثقيلة ( ليقولون لو أن عندنا  
ذكرا من الأولين ) أي كتابا من الكتب التي أنزلت عليهم ( لكاننا عباد الله المخلصين ) لأخلصنا العبادة له

(١) الاطيطة أصوات الابل



ولم يخالف مثلهم فجاءهم الذكر الذي طلبوه وهو القرآن (فكفروا به فسوف يعلمون) مضية تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام (واقدم سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكرامة قوله (انهم لهم المنصورون \* وان جنودنا لهم الغالبون) وسميت كلمة كما قال ابن مالك \* وكلمة بها كلام قد يؤم \* (فتول عنهم حتى حين) الى مدة يسيرة (وأبصرهم) أي أبصر ما يناهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك . أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذا بنا يستعجلون) قبل حينه (فاذا نزل بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم (وتول عنهم) يا محمد (حتى حين) الى وقت هلاكهم يوم بدر (وأبصر) اعلم (فسوف يبصرون) فسوف يعلمون ماذا يفعل بهم بعد الموت ويوم القيامة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون مما حكى في السورة (وسلام على المرسلين) سلم الله على الرسل عموما بعد سلامه في الفصل الثالث على المذكورين في السورة (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الأعداء ونصر الأنبياء وفيه تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به \* قال علي رضي الله عنه : « من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه - سبحان ربك رب العزة عما يصفون \* وسلام على المرسلين \* والحمد لله رب العالمين - » واعلم أن المؤمن في كل تشهد يقول : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ولا جرم أن الصالحين يشعرون الأنبياء فكأن المؤمن يحيي كل روح شريفة من الأرواح المفارقة للسادة وعند قيام المرء من المجلس يسلم على المرسلين ويحمد الله صرعى العالمين وتربية العالمين تشمل الارسال والهداية وتعذيب الكافر والعاصي واثابة الطائع المؤمن . فالؤمن يحمد الله على تربيته للعالمين وما الخير والشر في التربية إلا أخوان . فالموت والحياة والضرر والنفع سواء في التربية . وفي هذه بشرى لكل مصلح من أتباع الأنبياء فانهم يهنئون بالسلامة وبالاكرام من الله وينحون نعمة عظيمة في الدنيا بالنصر وفي الآخرة بالنظر لوجه الله الكريم والتقرب منه ومشاهدة جماله اه

#### ﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -
- (٢) في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا - الخ
- (٣) في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا - الخ
- (٤) في قوله تعالى - إني كان لي قرين -

#### ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

( في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب \* وحفظا من كل شيطان مارد \* لا يسمعون الى الملائ الأعلى ويقذفون من كل جانب \* دحورا - الى - شهاب ثاقب - )  
( خواطر في يوم الاثنين كتبت ليلة الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ )

معلوم أن الصفات صفا هم الملائكة المذكورون قبل آخر السورة - وانا لنحن الصافون \* وانا لنحن المسبحون - فهؤلاء الصافون هم القائمون بنظام العالم وتديره بأمر ربهم وهم الملهمون الناس العلم كما ان الشياطين يوسوسون بالشر - فالزاجرات زجرا - اشارة الى الأعمال النظامية - فالتاليات ذكرا - اشارة الى العلوم ولاوظيفة إلا العلم والعمل . وزينة السماء الدنيا بالكواكب مبدأ لعلوم الأمم وتربية الحكماء والفلاسفة في الأرض . يخرج الانسان طفلا فراهقا فتفي فينظر فيرى كواكب وشموسا وهو في هذه على إحدى ﴿ أربع حالات ﴾ الحال الأولى ﴿ أن يرى الكواكب ببصره وهو لا يشعرك بجمال ولا يجب بها إما لقصور في نظره وإما لاعتراض كبرض أو عواطف خاصة أو أمور شاغلة جسمية أو عقلية . فهؤلاء كلهم يرون النجوم والشمس والقمر كما يرون المدر والحجر فلا تعجب ولا احساس بالجمال ﴾ الحال الثانية ﴿ أن يحس بالجمال . ولا جرم أن

هذا أرتقى من سابقه لأن الأول شارك الدواب والتمل والدجل في انها نظرت الأنوار بل النبات له احساس بالاور  
 إذن لامزية للأول على غيره من الأحياء ولكن الثاني لما رأى أن فيها جمالا تبتدى بالألوان وبهجتها وصار  
 يتأملها المرة بعد المرة عشقا وغراما وابتهاجا بها ، فهذا ارتقى من حال الحيوانية الى مبادئ الانسانية . **الحال الثالث** ﴿ تتوقف على السابقتين إذ يقول في نفسه هذا جمال وهذه العوائس الأوانس والخنس  
 الجوارى الكنس أراها عرائس تزف كل ليلة ولها أنواع من السير والنظام فلا بحث عن كيفية دورانها وسفيها  
 وشهورها وبروجها ومنازلها ونظامها وحينئذ يقول : **ه** إن النظام الذى أدركه عقلى بالحساب والعلوم الرياضية  
 لانسبة بين جماله وشرفه وبين جمال وشرف الألوان الظاهرة . فالثاني لفظ والأول معناه . والثاني عرض  
 والأول جوهر . والثاني مبتدأ والأول خبره . والثاني قشر والأول لبه . والثاني زهر والأول ثمره . هنالك  
 تتجلى تلك المعانى البديعة في نفوس المطلعين فترى البصيرة من بدائع الحركات وفنون النظم وجمال  
 الابداع وحينئذ ينسون الجمال الظاهرى وتسكرو عقولهم بلذة الأفراح العامية في باحات الأفلاك السماوية  
**الحال الرابعة** ﴿ تتوقف على الثلاثة قبلها فتشاهد عقولهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ويقولون جمال  
 ظاهر ونظام بحساب لاخطأ فيه بين آلاف الآلاف من الكواكب بل المجرات والسدم ولكل كون سيارات  
 وللسيارات أقمار وكلها ذات حركات سريعة لا تصطدم ولا تخطئ . فهنالك تؤد النفس لو يتاح لها مشاهدة  
 المبدع لهذه العجائب وهنالك تكون السعادة التى لاحد لها . فمن أدرك ذلك فى الدنيا وشعر بما أكتبه  
 شعورا مبينا على علم حقيقى فهو من الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون من الآن لأنه أدرك نظاما جيل  
 أحست به نفسه فسعدت سعادة حقيقية وابتهج بأدراك صانعه وأحس بأنه جواد حكيم . وكل ما اعتراه من  
 نصب أو ألم يرى أن ذلك الصانع حكيم فى فعله فيسكن قلبه وتطمئن نفسه

فهؤلاء هم خير الذين زين لهم السماء حقا . فأما الفريق الثانى والثالث فهما أقل من هؤلاء . فأما  
 الأولون فهم همج الهمج . ذلك أن هذا الفريق قد جعل من بين أيديهم سد ومن خلفهم سد وذلك السد  
 معنوى فلا يرون ما يراه غيرهم . فلهم أبصار ولكن لا يبصرون وأسماع ولكن لا يسمعون إما لنقص الفطرة  
 ونقص الفريضة أو للشهوات واللذات أو للآلام أو للعداوات وهكذا . فهؤلاء هم الذين قيل فيهم على سبيل الرمز  
 - وحفظا من كل شيطان مارد - . وكيف يسمعون الى الملائ الأعلى وهم لا يفرحون إلا بلذات بطونهم  
 وشهوات فروجهم والاستعزاز بالمال والجاه والتفاخر والكواكب تطوف حولهم والشمس والقمر وأنواع الجمال  
 فهم غارقون فى طوهم والدنيا حافلة بأنواع الجمال والكمال . ومن هؤلاء فى الدنيا من يسمع حكمة فتبهره  
 فى لحظة فيحس بأمر لم يعهده فى نفسه فتارة يثار عليه ويستزيد علما وهذا العلم إما أن يكون علما بالجزئيات  
 واما علما بالكليات . فالعلم بالكليات أمثال ما ذكرته فيما تقدم من الابداع فى النظام والحكمة والعلم بالجزئيات  
 مثل أن يفكر فى أهل أوروبا الآن وأهل الشرق وأرباب الديانات فيرى أن بعض المسلمين اليوم قد غلبوا  
 على أمرهم وأن أهل أوروبا بهم الغالبون بالسلاح والكرام وأن الفاسق والكافر يسود ويغلب الصالح  
 الناسك وأن كثيرا من الصالحين فقراء وكثيرا من الفاسقين أغنياء . فهنالك يحصل الشك والكفر والضلال  
 فالخطفة على قسمين : خطفة تؤدى الى الهدى فى النظر الى النظام العام العجيب . وخطفة تؤدى الى الردى  
 وتوقع الانسان فى هوة الهلاك بالنظرات الجزئية وهذا هو الذى يحصل فى هذه الأرض وهو الرموز له بالخطفة  
 التى يتبعها شهاب ثاقب . فهذا الشهاب الثاقب المذكور هنا والشهاب المبين المذكور فى سورة الحجر إما للهلاك  
 واما للحكمة والعلم . ومن عجب أن الشهاب يهذى ريهلك كالماء به الحياة والممات وهكذا النور . ولا أحد  
 ممن تعلموا من جهال نوع الانسان يخلو من إحداهما . فأهل الأرض إما قوم صالحون آمنوا بأنبيائهم بلا  
 بحث ولا تنقيب . فهؤلاء هم الصالحون ولهم مراتب تناسب عقولهم فيعيشون فى الجنة الجسمية ويكونون من

أصحاب اليمين . واما قوم قلوبا كلا نحن تريد أن نعرف بقولنا وهؤلاء قسمان : قسم بحث فلم يصل وكسل ومال الى الترف والنهم ، وهؤلاء هم الدرجة الوسطى من الباحثين وهم أهل الضلال . وقسم وصل وعرف أمثال مافي هذا التفسير ، فأولئك هم الذين أنعم الله عليهم بالعلم والحكمة وهم الفائزون وهم المقربون ومن قبلهم هم أصحاب المشامة

ملخص ما تقدم أن للناس جيههم ﴿ أربع درجات ﴾ ناظرون لا يعقلون ، وناظرون يعقلون الأنوار المحسوسات ، وناظرون يدركون سرّ الحركات والنظام ، وناظرون يدركون ما وراء ذلك ، والفريق الأول منهم من ينظر نظرة فلما أن يلحق بأحد الأقسام الثلاثة بعده ، واما أن يهلك فيردى ، هذا ملخص ما تقدم وهو من أسرار هذه الآية

### ﴿ نظرات الناس في قراءة لقرآن كمنظراتهم في الأفلاك ﴾

وكما أن الناظرين في الفلك وجماله يكونون أربعة أقسام ، هكذا قراءة القرآن ، فهم من يكتفي بلفظه فيقرأ هذه الآيات ويكتفي بالتلاوة فهذا كالفريق الأول ، وقسم يحب بالبلاغة والاعراب وأنواع المجاز والاستعارات والتقديم والتأخير والذكر والحذف وهكذا من فنون علم المعاني والبيان والبديع . فهذه الطبقة الثانية هي التي تقف عند الفرح بمحاسن الكلام كما وقف أولئك عند محاسن الأنوار من كواكب السماء وجهوا ما وراءها ، وهؤلاء هم أكثر علماء البلاغة والمدرّسون في المدارس الشرقية والغربية المختصون بفن البلاغة ، وقسم ثالث يقول . كلا . لا بد من الدراسة والعلم بهذا الوجود ، وقسم رابع بخطو وراء ذلك خطوات وهذان القسمان يشبهان القسمين الثالث والرابع فيما تقدم . فهنا اجتماع الفريقان : فريق الناظرين . وفريق السامعين وان كانوا في مبدأ الأمر مفترقين

### ﴿ نظرات فلاسفة العالم أربعة ﴾

ألا تعجب معي أيها الذكي : انك مهما قلبت طرفك في آراء علماء اليونان والرومان والعرب والألمان والانجليز والفرنسيين وجميع فلاسفة الشرق والغرب لاترى غير هذه النظرات . سبحانك اللهم وبحمدك . إنك جعلت (طاليس المايطي) ومن بعده من (ديموقراطيس) قد وقفوا على المادّة وقالوا إن الهواء أو الماء أو النار أو الأرض أو الأجزاء التي لاتتجزأ هي أصل هذا الوجود كله فلا إله ولا ملك ولا نبي ولا رسول فالعالم أوّله وآخره لأصل له إلا ذلك . وهذه الطائفة هنا تشبه الطائفة الأولى من الطوائف الأربعة المتقدمة بعض الشبه مع اختلافهم في تعيين المبدأ منها . فهم اتفقوا في الأصل واختلفوا في تعيينه . وجاءت طائفة ثانية فقالت : « والله نحن متحيرون ! هذه الأرض لاعلم فيها ولا حقيقة . وكل امرئ له أن ينظر كما يشاء » وهؤلاء هم السوفسطائية . وقسم ثالث نظر فقال . كلا . ههنا في الطبيعة حساب وههنا هندسة ونظام . إذن الحساب أصل أو يقولون هنا محبة ونفور ودفع وجذب . إذن أصل العالم محبة ونفور أو حساب مثل ما يقوله فيثاغورس وانبدقليس . وقسم رابع قال : « لاحساب بلا حساب . ولا محبة ولا نفور بدون فاعل لهما » وهؤلاء هم انكساغورس ثم سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس فهؤلاء أقرّوا بالله ولكن الأوّل ظنه لاعمل له إلا في الكليات والآخرون يقولون بأنه يحيط علما بجميع الجزئيات

فهذه الطوائف الأربع لا يخرج عن حصرها أحد في العالم قديما وحديثا ومستقبلا . فاذا سمعت أن طائفة من المتعلمين بمصر وبلاد الشرق القريب على مذهب بخنرالأماني المفسر لمذهب (داروين) والدكتور (شبل شميل) المترجم لهذا الكتاب الى اللغة العربية فاعلم أن هؤلاء في صف القسم الثاني والأوّل فهم إما متحيرون واما واقفون عند المادّة . واذا سمعت قوما منهم يقولون : « إن الإله موجود ولكنه ترك المادّة حبلها على غاربها » فهؤلاء أشبه بمذهب انكساغورس الذي تقدم وهكذا



واعلم أن هذه درجات نوع الانسان في كل عصر وجيل لاتجاوز الأرض منهم وذلك على مقتضى جلالهم  
ومنتهى ما وصلت اليه عقولهم ، والسبب في ذلك (أسعدك الله) أن لكل امرئ حدا في المعرفة كما قيل :  
الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم لا يستون كما لا يستوى الشجر  
هذا له ثم حاور مذاقته : وذلك ليس له طعم ولا ثم

### ﴿ نظرات الخليل عليه السلام ﴾

ومن عجب أن هذه المراتب الأربع هي التي أشار الله لها في القرآن في نظرات الخليل ، فان الكواكب  
والقمر والشمس لم تكفه في نظراته فتحطأها وقال - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - الخ  
واياك أن تقف عند اللفظ فليس الخليل عليه السلام بالذي يقف عند هذه المناظر . كلا . بل هذا رمز للمعارف  
والعلوم وانها درجات بعضها فوق بعض حتى تنتهي الى الدرجة الرابعة المتقدمة ، واعلم أيديك الله أن نظرات  
الخليل ذكرت في القرآن ليتعلم المسامون كيف يرتقون في أسباب العاوم وأن هذا لا بد منه لمن يريد الوصول  
لله وليس المعنى أننا نكتفي بهذه الآيات أو بلاغتها أو معناها . كلا . ثم كلا . فالقرآن أنزل ليعلن العروج لله  
بالحكمة والفهم والتعقل

أفلاترى أن هذا من غرائب القرآن وعجائبه ، ثم ألا تحب أن أريك أمرا عجيبا يناسب ما ذكرناه هنا  
وهو ما جاء في « اخوان الصفاء » الذي ألف منذ نحو ألف سنة وقد يقرؤه بعض أهل العلم ولكن أكثرهم  
كانوا لا يفهمونه ، وكيف يفهمون ما لم يدركوه ؟ وكيف يدركه امرؤ لم يدرس علوم الحكمة من الرياضيات  
والطبيعيات حتى يعرف جمال الله في تشریح الانسان والحيوان ونظام النبات وكان أكثرهم يظنون أن  
هذه العلوم تنافي الدين فوقفت العقول وطمست البصائر ، وربما كان بعضهم يرى تأويل آية في ذلك الكتاب  
فيعد هذا التأويل كفرا فينفر من الكتاب ، فاذا نقلت لك الآن جملة صالحة منه فاني أقول نحن الآن لسنا  
مقلدين لأحد ، فنحن نأخذ الحكمة أنى وجدناها ونذرنا للدليل عليه . هذا ديدنا في هذا الكتاب وغيره  
ولا يصدني عن العلم أن يقال : « ان صاحبه قد أخطأ في بعض المسائل فما فيه الخطأ أنا أجتنبه لا انى أترك  
ألف حكمة لأجل خطأ موهوم أو محقق في حكمة واحدة . إن هذا جهل وغرور ولو كانت هذه القاعدة صادقة  
لم يخلق الله العالم . إن الماء والنار والهواء وان الشمس كل من هذه فيها هلاك باغراق ناسك واحراق  
عجوز واحداث أمراض بالهواء الفاسد وازدياد المرض لمن به حى واحداث ضربة الشمس . فلو كان الضرر  
القليل يوجب ترك النفع العظيم لوجب أن يفنى هذا العالم كله ولما كان خلقه عبثا - وما خلقنا السموات  
والأرض وما بينهما لاعبين - إذن فلاقص عليك ما جاء في كتاب « اخوان الصفاء » في الجزء الثالث منه  
تحت العنوان التالي وهذا نصه :

### ﴿ فصل في جزاء المحسنين ﴾

اعلم يا أخى أن جزاء المحسنين يتفاضل في الآخرة بحسب درجاتهم في المعارف واجتهادهم في الاعمال  
الصالحة والناس متفاوتو الدرجات في أعمالهم كل يعمل على شاكلته وأجود أحوال العامة والجهال كثرة  
الصوم والصدقة والصلاة والقراءة والتسبيح وماشا كل ذلك من العبادات المفروضة والمسئونة في الشرائع المشغلة  
لهم عن فضول وبطالة وما لا ينبنى لهم كيلا يبقوا في الآفات وأفضل أعمال الخواص التفكير والاعتبار بتصاريف  
أمور المحسوسات والمعقولات . وبخاصة ما يتعلق بالدين وقد قيل أفضل أعمال الخير خصلة واحدة وهو التفكير  
قال الله تعالى - قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا - ثم اعلم أن الانسان إذا  
عقل الأمور المحسوسة وعرفها وتفكر في الأمور العقلية وبحث عنها وعن عللها استقبلته عند ذلك طريقتان

إحداهما ذات اليمين تؤديه الى الهداية والرشاد والأخرى ذات الشمال تؤديه إلى النقي والضلال وذلك ان أمور العالم نوعان كليات وجزئيات لاغير فاذا أخذ الانسان يفكر في كلياتها ويعتبر أحوالها وتصاريفها ويبحث عن الحكمة فيها بانتاله وأمكنه أن يعرفها بحقائقها وأرشد اليها فكما تقدم فيه ازداد هداية و يقينا ونورا واستبصارا وتحققا وازداد من الله قربا وكرامة واذا أخذ يتفكر في جزئياتها والبحث عنها وعن عللها خفيت وانغلت مناجيها وكلما ازداد تفكرا ازداد تحيرا وشكوكا ومن الله بعدا وكان قلبه من أجل ذلك في عذاب أليم . مثال ذلك انه اذا ابتداء الانسان أولا وتفكر في نفسه ونظر الى بنية هيكله ونفسه وكيفية تركيب جسده وكيف كان أولا في صلب أبيه ماء مهينا . ثم كيف صار نطفة في قرار مكين . ثم كيف صار مضغة . ثم كيف كسا العظام لحما . ثم كيف صار جنينا بعد أطوار متعاقبة . ثم كيف قبل جسده نور شعاع فيض روح القدس الالهى . ثم كيف أخرج من الرحم الذى هو عالم كونه إلى الدنيا الذى هو عالم آخرته . ثم كيف صار طفلا حساسا . ثم كيف تربى وهو طفل صبي جاهل . ثم كيف نشأ وصار شابا عالما أجاهلا . ثم كيف صار رجلا عالما فيلسوفا حكما مدبرا متملكا على ما لك . ثم كيف صار زاهدا عابدا . ثم ان طال عمره كيف يرجع كما كان بديا ضعيفا ذاهب القوة . ثم كيف ظهر بعد الشباب والقوة الضعف والشيبة - الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء - فاذا فكر الانسان في هذه الحالات التى ينقل فيها من أدونها الى أمها ومن أفضلها الى أكلها فيعلم بالضرورة ويشهدله عقله ان له صانعا حكما هو الذى اخترعه وأنشأه وأتماه فاذا تحقق عنده ما وصفنا من هذه الحالات جعل نفسه عند ذلك مقياسا على سائر أبناء جنسه فعلم علما يقينا انه قد فعل بهم مثل ما فعل به وهكذا سائر الحيوانات وكلما ازداد تفكرا في هذا الباب ازداد بر به يقينا وبأوصافه معرفة وعلم أن الله تعالى سى عالم قادر عليم حكيم محسن جواد كريم مشفق رحيم ولو نظر في التشريح أو فى كتاب منافع الأعضاء أو كتاب الحيوان أو كتاب النبات أو كتاب المعادن أو كتاب الآثار العلوية أو كتاب تركيب الافلاك وماشا كلها من الكتب والعلوم والمعارف من وصف مصنوعاته ومعجزات مخترعانه فانه كلما ازداد فيها نظرا ازداد بالله علما وبأوصافه اللاتقة به معرفة واستبصارا وإليه قربة وإلى لقاء الله اشتياقا فهذا هو الطريق ذات اليمين المؤدى سالكه إلى الله تعالى وإلى نعم جنانه و أما الطريق الآخر ذات الشمال المؤدى الى الشكوك والخيرة والضلالة والعمى وهو أن يبتدىء الانسان قبل النظر فى العلوم والآداب والرياضيات وقبل أن يحسن أخلاقه ويهذب نفسه بالكشف عن الأمور الجزئية الخفية المشككة على الحذاق من العلماء والفلاسفة فضلا عن غيرهم نحو معرفة ألم الأطفال وطلب معرفة مصائب الأخيار والبحث عن الأنباء وتيسير أمور الأشرار ولم زيد الحازم فقير وعمره والعاجز غنى ولم جعفر الغنى أمير وعبدالله الحكيم حقيروم هذا الرجل ضعيف والآخر قوى صحيح ولم هذه الدودة صغيرة وهذا الجمل كبير ولم الفيل مع كبرجسته له أربع قوائم والبقر مع صغر جسته له ستة أرجل وجناحان ولماذا يصلح البقر والذباب والقردان والبراغيث وأى فائدة فى خلق الخنازير والوزغ وأى حكمة فى خلق العقارب والحيات وماشا كل ذلك من المسائل التى لا يحصى عددها إلا الله ولا يعلم سواه عللها فلما الانسان فانه لا يعرف الحكمة فى عللها الا بعد النظر فى العلوم الالهية وهو لا يعرف الا بعد النظر والتفكر فى الأمور الطبيعية وهو لا يعرف الا بعد النظر فى الأمور المعقولة وهو لا يعرف الا بعد النظر والتفكر فى الأمور المحسوسة فمن لم يكن مرتاضا بهذه العلوم والمعارف ولا متأدبا بها ولا صافى النفس ولا صالح الأخلاق فيبتدىء أولا بطلب الأمور المشككة التى تقدم ذكرها فلا يدركها ولا يعقلها فيرجع عند ذلك خاسرا متفكرا متحيرا غافلا بنفسه وسواسا فى قلبه فينظر عند ذلك الى أمر العالم مهملا والكائنات باتفاق لا بعناية حكيم ولا صنع صانع عليم أو يظن أن رب العالمين غافل عن أمر عالمه حتى يجرى فيه ما يلقى بالحكمة أو يظن أنه لا يعلم ما يجرى فيه أو أنه لا يفكر فى هذه الأمور الجزئية ولا يهتمه أو يظن انه قاس قائل الرحمة والنظر

لضعفاء الخلق أرانه جائر في قضائه وأحكامه متمم لحاقه مفرط في تقديره غير عدل ولا حكيم في كثير من أفعاله لا يرجع الضعيف وما شا كل هذه من الظنون والشكوك والحيرة والضلال الذي قدناه في طلب معرفته عقول كثير من العقلاء المتقدمين المرتاضين بالعلوم الحكمية فكيف غيرهم ممن ليست له رياضة ولا معرفة بحقائق الاسرار المعروفة وقيل ان حكيم الفرس بزر جهر لما تفكر في هذه الامور المشككة ولم يعرف عللها قال عند ذلك احتجاجا لنفسه إذ قد تبين له بأن الله حكيم عدل فان مصائب العباد اذن لعل لا يعرفها اقرارا على نفسه بالجهل عن معرفة هذه الامور المشككة ويقال ان نبيا اجتاز صرة بعين من الماء في سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الى الجبل ليصل فيبينها هو كذلك اذ نظر الى فارس قد أقبل على تلك العين فشرب منها الماء وسقى فرسه ثم ركب فضى ونسى عند العين صرة فيها دراهم ثم جاء من بعده راعي الغنم ورأى الكيس فاخذه ومضى ثم جاء بعده شيخ حطاب عليه أثر البؤس والمسكنة على ظهره حزمة من الحطب ثقيلة حملها حفا هناك حزمته واستاق يستريح ممابه من شدة الضعف والتعب والربق والانهار ففكر النبي وقال في نفسه لو أن ذلك الكيس مكانه لكان هذا الشيخ الضعيف أولى باخذه من ذلك الراعي الشاب الغني القوي فما كان الا قليلا حتى أن الفارس فترجع الى مكانه الذي شرب الماء منه وطلب الكيس فلم يجده فطالب الشيخ فأبى الشيخ وقال ما عندي خبر هذا فضر به وعذبه حتى قتله ومضى الفارس فقال عند ذلك يارب ما وجه الحكمة في هذه القضية وأين هذا من العدل فأوحى الله تعالى اليه ان أبا الشيخ قتل في الزمان الماضي أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لاني الراعي بمقدار مافي الكيس فاخذت القود ورددت الدين وأنا حكيم عادل . ولذلك يحكى أن نبيا من أنبياء الله تعالى اجتاز نهر فيه صبيان يلعبون وبينهم صبي مكفوف وهم يفوضونه في الماء ويولعون به وهو يطلبهم ولا يظفر بهم ففكر النبي في أمره ودعا ربه أن يرد بصره ويساوي بينه وبين الصبيان فلما رد الله بصره فتبع عينيه فقرب الى واحد من أولئك الصبيان فتعلق به وغوصه في الماء ولم يفارقه حتى قتله وطلب آخر كذلك وهرب الباقيون فدعا النبي حين ذلك ربه أن يكفيهم شره فأوحى الله تعالى اليه وقال اني قد فعلت ولكن لم ترض بحكمي وتعرضت في تدبيرى خلقي فقين للنبي ان كل ما يجري في العالم من أمثال هذه الامور فقله تعالى فيه سر وتدير وحكمة لا يعلمها الا هو . وقد أخبر الله تعالى في القرآن من حديث نبين وما جرى بينهما من الخطاب في هذا المعنى أحدهما موسى عليه السلام وهو صاحب شريعة وأمر ونهى وحدود ورسوم وأحكام والآخر الخضر عليه السلام وهو صاحب سر وغيب وكتمان وكيف تعرض له موسى عليه السلام فيما يفعله بواجب حكمة وكيف اعتذاره اليه لما لم يستطع معه صبرا وانما ذكرنا هذه الحكايات في هذا الفصل لان أكثر الآراء والمذاهب تنشعب من هذه الامور المشككة التي فكر فيها العلماء وطلبوا عللها فاذا لم تبلغ أفهامهم كيفية معرفتها تفرقت بهم الآراء والمذاهب عند ذلك الامن عصمه الله وهدى قلبه وعرفه كما قال - ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء - وقال الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا - وقوله - ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلمنا - اه

هذا ما اخترته من ذلك الكتاب . وهاهوذا أوضح لنا ثلاث مسائل \* الأولى \* أن النظر في هذه العوالم يقربنا الى الله ويجعلنا مشتاقين الى لقائه . وان يتم ذلك لأحد من أهل الأرض إلا اذا استوثق من عجائب الطبيعة البهجة البديعة العجيبة . وهذه الخصلة هي نهاية حكمة الحكماء في الأرض . فاذا اشتقنا الى لقاء الله كان الموت لنا سعادة لا حزنا وألما إذ به يرى ذلك الذي أرانا شموسا جميلة وكواكب وجعل أضواءها سببا في نظام النبات وتنوعه بحيث يستد الجوع ويكسو الجسم ويهيج النظر ويؤتي الدواء ويزيل الداء ويهيج حاسة الشم بالروائح وحاسة اللمس باللموسات الناعمة . فهذا الصانع الحكيم الذي يبدع هذا الابداع ويجعل شمسه العظيمة مواتية في نتائجها لحواسنا ورغباتنا . اليه يشاق المفكرون ولكن ليس كل من قرأ هذا المقال وفهمه تحس نفسه بهذا النعيم العلى . كلا . ثم كلا . فهذا المقال نفسه يقرؤه ألف واحد ولكن



الذي يقدره حق قدره عدد قليل وهم السكاملون في العلم وغيرهم يسمعون من وراء حجاب لضئف الاستعداد - وقليل من عبادى الشكور - ( المسألة الثانية ) إن اشتغال النفس بالامور الجزئية من قوت وحياء وفقر وغنى لا تعطى إلا الشكوك وظن السوء ( المسألة الثالثة ) ان العلماء المفكرين يحصل عندهم يقين بأن الجزئيات لها أسرار تخفى عليهم لأنهم لما نظرُوا في الكليات صار عندهم يقين بأن صانع العالم ليس يذرة بلا حساب وهو عدل في الجزئى كما انه ثبت انه عدل في الكلى . أما العامة فلما عجزوا عن البرهان المذكور فهؤلاء يقال لهم أمثال حكاية الفارس المذكورة وحكاية الصبي الأعمى وحكاية الخضر وموسى عليهما السلام انتهت اللطيفة الاولى والحمد لله رب العالمين

### ( اللطيفة الثانية )

( في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب \* وحفظا من كل شيطان مارد \*

لا يسمعون الى الملائ الأعلى - الى قوله - شهاب ثاقب - )

( كتب في صباح يوم السبت ( ٢٩ ) مارس سنة ١٩٣٠ )

قبل أن نخوض في هذا المبحث العجيب أقدم مقدمة فأقول : « لقد تقدم في هذا التفسير مارآه سقراط وتلميذه أفلاطون من أن هذه المادّة وما تركب منها لا يستحقان ولا يصلحان أن يكونا مناط العالم ولا مسميين باسم الموجود . المادّة عندهم لا تصلح موضوع العلم ، العلم ثابت دائم والمادّة متحركة غير ثابتة . هي دائمة التغير والتعثر في أذيال الكون والفساد فكيف يتكلم عليه العلم ؟ وكيف تكون له مهذا ؟ » هذه هي النظرية التي نسقها أفلاطون ، وجاء من بعده أرسطاطليس فأقرّها من جهة وخالفها من جهة أخرى . فقال : « نعم المادّة لا تصلح مناطا للعلم ، ولكنى لا أوافق أستاذى في أن العلم مناطه ومتعلقه هو عالم المثال . كلا . إذ لبرهان عليه » ولا أريد أن أطيل في هذا المقام لأنه معروف في سابق هذا التفسير وفي لاحقه إن شاء الله في ( سورة القتال ) عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وإنما سقت الكلام في هذا الموضوع توطئة لتفسير الآية . ذلك أن القوم لما جعوا المادّة لا تصلح مناطا للعلم بل لا تصلح أن توصف باسم الموجود إذ الوجود لا معنى له إلا اذا كان دائما ، أما الوجود المؤقت فما أقل نفعه وما أضلّ سعيه فوجوده عدم وعلمه جهل . هذا ما أردت أن أقدمه لتفسير الآية وعلى هذا الأساس أقول :

إذا كان العلم لا يبنى على مالدوام له وكذلك الوجود فيمكن هكذا الفرح ، فاذا فرح الناس بما لا بقاء له ففرحهم غرور وسرورهم غمّ ونعيمهم شقاء وغناهم فقر . ولقد اعتاد هذا الانسان أن يفرح بالزينة المنصوبة في الأرض وفي السماء ، والزينة على قسمين : زينة طبيعية ، وزينة صناعية . فالزينة الطبيعية كالأزهار والأشجار والأنهار وجمال الحدائق الغناء وجداول الماء وبهاء الوجوه ومحاسن الوجود وجمال النجوم والشموس والأقمار وبهجة الأحجار الثمينة ، كل ذلك جمال طبيعي لسكان هذه الأرض به يفرحون وبه في أوقات فراغهم ينشرحون . أما الزينة الصناعية فهي ما يصنعه الناس من زينة في ثيابهم ومنارهم ومساجدهم ومعابدهم وما يزينون به نساءهم من المايج والأقراط والخواتم والحلى والحلل وما تزدان به ملوكهم من التيجان والقصور وما يقيمون من الزينة في الولائم والمسرات لمولود أوختان أو عقد لزواج أولزفاف أو لنصر على عدوّ أولتتويج ماوكهم وأعيادهم أو حفلات دينية كالأعياد والمواسم التي اعتاد الناس أن يرفعوا فيها الرايات وينصبوا الأعلام ويتحلوا بما يحلوهم من الملابس ويلبسوا كل ما غلا ثمنه وجمال منظره وندر الحصول عليه من الأحجار الكريمة كالزبرجد والياقوت والماس والزمرّد وأمثالها

هذه مجامع الزينة التي اعتاد الناس أن يظهروها في مواسمهم وفي أفراسهم الخاصة وهي تتبع في نظامها ثروة الذين قاموا باظهارها . فاذا كان القائم بتلك الزينة دولة من دول الأرض وكانت ذات بسطة ونفوذ وغنى

مدت سرادقاتها وتلاأت أنوارها وازدهرت أفنان الأشجار ليلا بما يعلق عليها من أفنين الأنوار من أصفر  
فالقح وأخضر ناضر وأحمر قان وأبيض يقق ، ففرى الزينة تبهر العقول تذكره لحوادث وطنية وأحوال سياسية  
أو أعياد دينية

هذه مجامع مايزدان به الناس في الأرض وبه يهيمون وله يهرعون ويفرحون . هذه كلها زينة الأرض  
وكلها فانيات . أما زينة السماء فهي تلك النجوم الجليسة التي رصها الله في الجوّ الذي فوقنا ، فهي دائمة  
باقية في أفراحنا وأحزاننا وموتنا وحياتنا ، فنحن في مصر في هذه الأيام قد كانت لنا أنواع من الزينات في  
شهر مارس سنة ١٩٣٠ فنها ماهي الملك البلجيكي ، ومنها ماهي لنسس ملك مصر بحيث ازدانت جميع الدواوين  
بالأنوار المتلاثة وذلك في يوم أو بعض يوم ، وهكذا تمرّ الأعياد الدينية تاو الأعياد وينصب الناس الزينة لأجل  
وليمة العرس أو الختان أو غيرهما ثم تنتهي تلك الزينات ويرجع الناس الى أعمالهم ، ولكن زينة السماء باقية ،  
زينا منازلنا ومدننا أم لم نزينهما فزينة السماء الدنيا باقية ، فاذا أزيات الزينة من الأرض فزينة السماء باقية  
ليلا ونهارا وهي زينة بديعة شمسها الوهاجة تجري ولا نظير لنورها في مصابيح زينة الأرض . وكذا القمر  
والنجوم الثابتة والسيارة . فهذه كلها مضيئة جميلة بهجة سارة للناظرين . زينة العرس تتاوها المآتم وكل  
زينة نصبناها في الأرض يعقب الفرح بها رد فعل وهذا قوله تعالى - إن الله لا يحب الفرحين -

تأمل أيها الذكي ما تقدم بقسميه وهما زينة لا تدوم وهي الأرضية وزينة دائمة وهي السماوية ، ولا جرم  
أن لكل زينة رافعا لها ومنظما ، ومنظم الزينة المقيم لها غير المتفرجين عليها الفرحين بها . فهنا ثلاثة :  
منظم الزينة ، ونفس الزينة ، والناظرون لها . فنظم زينة الولايم في الأعراس أناس لهم علم باتقانها والمدعوون  
للفرح قوم آخرون ، فالسما وكواكبها هنّ الزينة والملائكة هم المقيمون لها والناس هم الناظرون ، ولكن  
ليس كل ناظر للزينة يفشرح بها صدره ، فالرجل الذي ساورته الهوم ، وأحاطت به الغموم ، وأرهقته الديون  
إذا صرّ باعظم زينة لا يحسّ بها فؤاده ، ولا يفشرح بمرآها صدره ، ولا يسر بمعهدها قلبه ، بل لامنزلة لها  
عنده ، هكذا الناظرون الى السماء أكثرهم لا يعقلون جلالها إما للجهل أو لانصراف النفس لامور عارضة  
أو لنقص الفطنة أو الفطرة ، والنفوس الكبيرة تألف الزينة الباقية ، والنفوس الصغيرة تألف الزينة الفانية  
\* قال الشاعر

على قدر أهل العزم تأتي العزائم \* وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويعظم في عين الصغير صغيرها \* وتصغر في عين العظيم العظام

ترى الأطفال والجهال والنساء ومن على شاكلتهم يفرحون بما يرون من زينة الأرض طبيعية أو صناعية  
وهم للصناعية أميل لأن صانعها من أمثالهم من الناس ، أما الطبيعية فهي في المرتبة الثانية لأن صانعها ليس  
من الناس ، أما الزينة السماوية فهم لا يفكرون فيها ولا هم منها يتعجبون لأنها من صنع الملائكة المسخرين  
بأمر الله ، إن للملائكة علما وعملا والعمل أشير له في الآية بالزاجرات زجرا ، وزجرا السحاب مثلا فعمل في المادة  
وهؤلاء لهم السلطان على المادة فيتصرفون فيها بالكون والفساد والانماء والافناء والتصوير والايجاد ، والعلم  
والعلم أشير له بالتاليات ذكرا ، أقسم الله بالصفات الزاجرات التاليات وهؤلاء هم الملائكة كما قال تعالى في آخر  
السورة في شأنهم - وما منا إلا له مقام معلوم \* وانا نحن الصافون \* وانا لنحن المسبحون -

وأكبر مظاهر هؤلاء الملائكة تزيين السماء بالكواكب فهذا هو قوله تعالى - والصابغ صفا \* فالزاجرات  
زجرا \* فالتاليات ذكرا - الى قوله - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -

عجب وألف عجب من نظم القرآن الحكيم ، يقول الله هنا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -  
ويتبعه بقوله - وحفظا من كل شيطان مارد \* لا يسمعون الى الملائ الأعلى - الخ ولكنه لم يقل نظير ذلك في

قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - بل قال - لنبلوهم أيهم أحسن عملا - وانا لجاعاون ما عليها صعيدا جزا - . فزينة السماء حفظها من الشياطين ، وزينة الأرض لم يحفظها منهم بل ابتلى الناس بها وفي الناس شياطين كما في الجن كما قال في آية أخرى - شياطين الانس والجن - ولا جرم أن العقول المظلمة من بني آدم المتجسدين ، ومن الأرواح التي ليست من نوع بني آدم في الأرض لا تعقل جمال النجوم والشمس والقمر . كلا . ويناسب هذا قوله تعالى في سورة أخرى - وزيناها للناظرين - وحفظناها من كل شيطان رجيم - إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين - فزينة السماء محفوظة ، ونتيجة ذلك ما نشاهده في بني آدم ان أكثرهم لا يعقون جمال هذه النجوم ولا يشاقون لفهمها ولا يحرصون على اكتناها كمنها ولا يتذكرون بها عظمة مبدئها ، فهذه الزينة فوق تناول عقولهم . أما زينة ملوكهم وأعيادهم وأعراسهم وما أشبه ذلك فهم بها فرحون ، ولها وامقون ، وعلمها يحرصون

ومن هذا القبيل قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين - الخ ر قوله - حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا - الخ وقوله تعالى - أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقوله - والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة - وقوله - ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا -

فهذه مجمل أنواع الزينات التي لا بقاء لها ونهى عنها الخواص وأغرم بها الجهلة والعوام ، وهؤلاء مبعثون عن زينة السموات لا يدخل في العظيمة ولكن لقصر نظورهم وضعف فطرتهم ، فتلهم كمثل الأيتام إذ يمنعون أن يعطوا ما لهم حتى يبلغوا الحلم ، أو كمثل السفهاء من نحو النساء والصبيان الذين قال الله فيهم - ولا تؤثروا السفهاء أموالكم - الخ أو كمثل الغلامين اليمين في المدينة وقد خي السكز لهما فأقام الخضر الخائط عليه ليحفظ حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما

جالس أيها الذكي من تشاء من بني آدم فانك تستخرج ما في نفسه بالمحادثة ، وسرعان ما تدرك أهو من الشياطين المدحورين ، أم من الملحقين بالملائكة المكرمين ، فان كان نزاعا الى معالي الامور مغرما بالامور العالية كاستكناه عجائب النظام العام والسكواكب مغرما مولما بمبدعه مجبجا بتلك الآثار فاعلم ان هذا اذا سار في سبيله صار أبا من الآباء الذين خلقهم الله في الناس وفريق منهم كأبنائه فهو ينفعهم ماديا وأديبا كما أن الملائكة كذلك ولا تحجب عنهم الأسرار الكونية الممكنة لأمثال أهل الأرض ما داموا أحياء

### ﴿ تبصرة ﴾

إن أنواع الزينة المنصوبة في الأرض آنا فآنا مذكرات بالزينة السماوية ، فالحكيم يحقر ما يفنى ولا يفرم إلا بما يبقى ، وما جمال الوجوه في الناس ولا أنواع الزينات فيها إلا أعراض زائلات مذكرات بالجمال الدائم والحياة الروحية الخالدة التي يذكرنا بها دوام السكواكب وأنوارها والشموس وأقمارها ، فهذه بدوامها الممكن لها تقول لنا بلسان حالها : « كل زينة عندكم كالمعدوم » وهذا يذكرنا بقول أفلاطون المتقدم : « إن السكائن الذي لا بقاء له ليس جديرا بأن يكون مناط العلم ، بل ليس جديرا أن يستحق اسم الموجود » فهكذا هذه الطائفة الكبيرة النفوس لا تبالى بالزينة العرضية وتوجه وجهها للزينة الدائمة التي حفظها الله لهم فلا يشاركون فيها الغوغاء . وهذا هو الأمر المدهش . زينة يراها البار والفاجر طالعة غاربة ولكنها لا يفرح بها إلا الأقاون

هذا ما فتح الله به في تفسير قوله تعالى - والصفات - فالزاجرات زجرا - الى قوله - فأتبعه شهاب

ثاقب - مساء يوم الثلاثاء أول ابريل سنة ١٩٣٠ م



### ( بهجة العلم )

( في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب \* وحفظا من كل شيطان مارد \* )

( لا يسمعون الى الملا الأعلى - الآية )

( كتب في صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠ )

توجهت ليلة السبت ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ الى قرى الريف في المزرعة التي اعتدت أن أراقب أحوالها وبت مع الفسلاحين هناك وأنا أشاهد النجوم في الجوّ الراقق البهيج اللطيف ، فماذا رأيت ؟ رأيت بهجة الكواكب وجبالها والنسمات تلعب بالأشجار والحشائش والزروع والنلاحون يتحدثون ويديرون السواقى لتسقى الجنات المعروشات من البطيخ والسنتاوى وأشباههما فسألني سائل : ما الذي نشاهده في السماء كأنه سحاب وليس بسحاب ؟ فقلت هذه اسمها عندنا انجرة . فقالوا هي عندنا طريق التبانة لأنها أشبه بما في طريقكم من التبن . فقلت هي عند علماء الدين أبواب السماء وعند الانجليز الطريق الابني وأخذت أذكر لهم عدد نجومها ولكنني ألفت أن القوم لاتتعلم نفوسهم هذه العجائب ، فلما ان انطلق عمود الصباح وقال المؤذن « سحى على الفلاح » خيل لى أن يد العناية العظمى القدسية امتدت جهة المشرق صباحا وقد أخذت تسدل على الظلام ستارا ، وعجبي من هذا الستار لم أره نظيرا في الأرض ، ستار لاهو من صوف ، ولامن وبر ولامن شعر ، ولامن قطن ، ولامن تيل ، ولامن حرير ، بل هو ستار من نسيج غير النسيج الأرضى مرصع بجواهر جمعت أصناف الألوان من أحمر وبرتقالى وأصفر وأخضر وأزرق ونيلي وبنفسجى ، والمادة المنسوجة لآتراها العيون ، ولاتتخيلها الظنون ، ولا يعرف كنهها المفكرون ، لم ينسج على منوال الناسجون ، نسيج هذا الانسان فى مادة غليظة من الصوف والقطن الخ ونسيج رب الانسان فى موجود سماه الناس أثيرا ، كيف نسيجه وهو لا يرى ياترى ! نسيجه بحركات منتظمات ، حركات سريعات تكاثرت واتحدت فصارت ذات مظاهر ملونة بالألوان السالفة ، فهذه هى ألوان ضوء الشمس فى عالم الأثير ولكل لون عدد خاص من الحركات فى الثانية . فبينما يكون عدد الحركات فيها ( ٤٠٠ ) مليون مليون للون الحرة اذا هذا العدد يزداد فى غيرها بالتدرج حتى يصل الى ( ٧٠٠ ) مليون مليون فى الثانية فى البنفسجى

أيها المسلمون : ههنا نسيج كالذى نسيجه على منوال لا تقدر على تقليده . منوال بديع . ما أجهل الانسان والحيوان فى الأرض . سمع نسايج تدخلت وامترجت وكوّنت ستارا واحدا ألقى على السماء فأخفى كواكبها وعلى الأرض فأبان مواكبها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وزروع جبال وأشجار باسقات تبارك الله : ستار واحد يخفى به عالم السماء ونجومها ويظهر بهجة الأرض وجبالها . إن الذى وضع هذا الستار بين العالمين العلوى والسفلى لجليل وبديع . يلقى على السماء وعلى الأرض ستارا وليس بستار يخفى النجوم وهو مظهر الجمال . بهذا الستار تجلى معنى القابض الباسط . فهاهو ذا قبض أنوار النجوم وظلام الليل فأصبحنا لانراها وهكذا بسط الزروع والحقول والأنهار فأصبحنا نراها

تباركت يا الله . انك أنت الذى علمت أصحاب دور الصور المتحركة (السينما) كيف يقلدون ليلاك بالظلام ويقلدون نهارك بالضياء . فاذا أرادوا اظهار صور البلاد النائية والأمم القاصية والسيار البعيدة فاتهم يقبضون النور ويبسطون الشرائط التى رسمت عليها تلك الأشكال ويعرضونها الى نور ضئيل فأخذت العجائب تبرز للناس فى تلك الدور بهيئة عجيبة وهم فرحون لما رأوا من مناظر لم يروها ومعالم لم يهتدوا اليها كما نراك أنت فعلت مع الناس ليلا إذ تريحهم فى دجنات الظلمات كواكب وكواكب وتبهر الحكماء والعلماء بياهر الجمال وبديع الصنع . فاولئك العلماء متى نظروا تلك النجوم هامت نفوسهم فى الحكمة والفلسفة . وهى يكون ذلك إلا فى الظلام

ومناظر النجوم . فأما أكثر الناس فانهم يقفون أعينهم و ينامون نوما عميقا فتظهر لهم صور وأشباح وأحلام . إذن الظلام يعطي النفوس الانسانية فرصة الحرية التي بها يجولون في عوالم الكواكب السماوية ويسبحون في بحار جلية من عوالم الأحلام وفي مواكب مختلفة مذكرات بسوائف الأيام وأعاجيب الزمان ، فإذا قلدصنعتك مديرو دور التمثيل بعض التقليد في تقليدك الليل والنهار فلكم قلد حيواناتك بنو آدم في صناعاتهم كما تقدم في ﴿سورة طه﴾ فمأشوا في الكهوف كما عاش الجرذان تحت الأرض وفي الأدواح كما عاشت فيها الطباء والمها واتخذوا بيوتا كما اتخذ النمل . وصنعوا القناطر والجسور لما رأوا (الكستور) وهو (الجندبادستر) يصنع سدودا لمنع قوّة السيل . واتخذوا السفن في البحار لما رأوا السنجاب يركب خشبة في البحر ويجعل ذنبه مواجها للرياح ليكون أشبه بالسكان (الدّفه) التي تضبط سير السفينة . وهكذا رأوا الدّب الشمالي يسافر في البحر على قطعة من الثلج واصطاد لما رأى الثعلبين البرّي والبحري يعيشان على الصيد الى آخر ما تقدم مما ذكر هناك وهي (٣١) صناعة قلد فيها الانسان الحيوان وأجاد واستفاد وأفاد . أما في تقليد الليل والنهار فقد أحكمه أيضا إذ أظهر وقت الاظلام مناظر الصور المتحركات كما تتحرك النجوم في مداراتها فإذا انتهت الدور أبرزوا النور فتوارت تلك الصور كما تتوارى نجوم الليل اذا أشرقت الشمس صباحا وتمحى تلك الأحلام في دياجى الظلمات والعيون هاجعة والحواس خامدة والناس نيام وانى لا أزال في حيرة من أمر هذا الستار الذي يلقى على الأرض فيظهر جلالها واذارفع عنها أظلمت أرجاؤها وأوحشت ساحاتها

هيا هيا : لقد نعت لوامع النور من وراء ستار الظلام الدامس وأخذت أفهم الجواب بعد اللتيا والتي . ذلك أنه كلما كان الصانع ألطف كانت الصنعة التي هي أقرب اليه ألطف . فاذا كان صانع بنى آدم يعملون في كتمان وصوف وحير والفلاحون في طين وماء فان الشمس ذات الاشراق صنعت بيد العناية ذلك النسيج الذي تشرق عليه أرواح علوية . وأعلى من ذلك أن الأنبياء ينسجون العقول بالدين والحكماء بالحكمة فالمصنوع الغليظ نتيجة صنع عوالم الحيوان والمصنوع اللطيف كضياء الشمس مناسب لاشراقها لأنها جسم ناري والمصنوع الذي هو ألطف من ذلك هو النسيج العقلي من العلم والحكمة فهو أرق صناعة وألطف من صنعة الضياء . وليس النسيج له أجساما حيوانية ولا شموسا نارية . ولقد مرّ ما يقرب من هذه الخواطر في أول سورة الأنعام عند قوله تعالى - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور - ولكن لم يخطر لي هذا السؤال هناك فهنا أجبت . ولكن النسيج لذلك أرواح وهي درجات بعضها فوق بعض - والله من ورائهم محيط - . لطف من الله بالناس جعل ستارهم الضوئي غاية في اللطف ونهاية في البهجة والجمال . لم يرهقهم بستائر جسمية . أشرق عليهم بنوره . أضاء لهم تارة وأظلم ليلهم تارة أخرى اظهارا للرحمة والجمال . المنظر باهر وساحر ولكن الناس مسحورون بغيره . هم منقومون أنامتهم الشهوات وأبعدتهم الحسرات . لو أن الناس أدركوا جمال هذه الحوادث لانبهروا أشد البهر ولكن الحكمة قضت أن يكونوا في غمرة ساهين لاهين حتى يعيشوا أمدا ليقتضى الله أمرا كان مفعولا

### ﴿ نظري في مزرعة قطن ﴾

فلما أشرقت الغزاة وملأت البطاح وتجلت المزارع أخذت أجول في تلك الأضقاع فصادت مزرعة قطن ولا جرم أن القطن أخص مزارع بلادنا وعماد ثروتها . ولكنني نظرت اليه نظرة أخرى وكأني من عالم غير هذا العالم الأرضي وكان الدنيا قد لبست ثوبا قشيبا جميلا  
الله أكبر : الناس غشت على عقولهم العادات حتى قال الله - اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون - كلما كان الجمال أبهج كان الاعراض عنه أتم وأكثر . هذه مزارع القطن التي نمرّ عليها غدوا وعشيا وفيها

لبلاب جليل وأنواع مزارع أخرى نطارت إليها إذا هي محلاة بالزهر المختلف الألوان . وهناك جزوات القطن ضمت فصوصها ضما لتتحفظ في داخلها شعر القطن وبذره ، وهامى ذه إحدى الجزوات قد تفتحت بالتحاح حرارة الشمس عليها وكأنهن جميعا يخاطبني قائلات : « انظر الى الزهرات الجميلات ، والى الجزوات الخضراوات ، والى شعر القطن الذي تفتحت عنه الأكام ، هذه الملابس اليك نهديها من شعرنا لتمتع عنكم الحر والقر ، وهذه الزهرات جمال يسر الناظرين ، وهذه الجزوات اللاتي تخفي في داخلها شعر القطن والبذر ليتم نضجهما ويكامل خلقها » كل هذه اليك ناظرة لاسما الزهرات الباهرات الجميلات وزهرات أخرى في أنواع الشجرات الأخرى وأن الزهر الأحمر والأزرق والبنفسجي ناظرات اليك مسامات عليك ، وقد حليت كل هذه الأزهار وأوراقها بأقراط من الماس وهبها إياها قطر الندى ، فازيفت الأرض بأجل زينة ، وازدانت بالبهجة والجمال ، وهناك لم يسهني إلا أن أصبح قائلا : يا الله أنت يجب أن نحبك لأن نخاف منك ، أفجع هذا الجمال كله يكون خوفنا منك ، إن من جهلك أحق بالخوف منك ، ومن أظهرت له جالك أولى بحبك لأنك قربته ، وانما خوفك يكون هيبته منك أو خوف بعده عنك

فحجبت نفسي طربت لهذا الجمال مع ان ما ألقته النفس لاجمال له ، كم نظرت هذا في حقولنا وكنت أنا في زمن الشباب من زراعته ، فما هذا الذي ألبسه لباس الجمال في نظري الآن ؟ العقل الانساني اذا لم يزخره العلم عن مقره في الصبا ولم يوقظه النظر والفكر بقي أسير العادات قليل النظر قليل الفكر ، فاذا استيقظ أدرك انه يعيش في بيئة من الجمال والبهجة والحسن والاشراق ، وأين كانت هذه المزرعة ؟ كانت في المكان الذي فيه تخيلت أن البدر يخاطبني في وسط النخيل بالقرب من المرج بالقرب من القاهرة وذلك تقدم في ﴿سورة فاطر﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ وما أدري لماذا لم تستيقظ نفسي ليلا سابقا ونهارا لاحقا إلا في هذا المكان ، ثم لماذا خطرت هذه الخواطر في هذه الأيام ؟

الله أكبر : لقد تجلت الحقيقة واضحة ، أنا لم أتم ليلة واحدة في ذلك الحقل ولكني نمت هذه الليلة ولماذا هذا ؟ عرفت الجواب أن ذلك امر ظهر وحكمة بهرت وهي انها جاءت لتفسير قوله تعالى في هذه السورة التي قد استعدت المطبعة لطبع تفسيرها في هذا الشهر (أغسطس سنة ١٩٣٠) أليس هذا هو قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح - وهذه المصابيح تدعو العقلاء للتفكير في جلالها وفي حكمها وفي حسابها كما تقدم في ﴿سورة يس﴾ عند قوله تعالى - والشمس تجري مسرورا لها - وفي سورة يونس عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء - الخ وفي سورة الأنعام وفي سور أخرى كثيرة ، ويقول في آية أخرى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - الخ ويقول في ﴿سورة الحجر﴾ - وزيناها للناظرين - . إذن الله لم يزين السماء لمن ليسوا أهلا للنظر ، إذن الحكماء في هذه الأرض هم الذين زين الله لهم السماء . أما الجهلاء فلم يزين لهم الإشهواتهم ليعيشوا غالبا كما تعيش الأنعام وهم خامدون . إذن بهذا نفهم قوله تعالى - وجعلناها رجوما للشياطين - فشياطين الانس وشياطين الجن يعيشون ويموتون ولاهم يعقلون جمال هذه الشمس ولا بهجة هذه النجوم وانما هم محبوسون . إن هذه هي التي أجراها الله على لسان العامة في بلادنا المصرية إذ هم اذا رأوا سحبا منشورة في السماء مقطعة غير ملتزمة قالوا إن السماء مزينة وانما زينت لعالم مات . فهم يقولون إن العالم اذا مات تزين له السماء أي تزين لروحه اذا صعدت كما تزين المدن لقدم الملوكة والعظماء ولكن في الحقيقة هي مزينة له في هذه الحياة الدنيا وهو هو الذي يفهم جلالها فاذا مات ازداد بصيرة في ذلك الجمال ففطرة العامة قد ألت بطرف من معنى الزينة . فالأرض مزينة للحكماء والسماء والنجوم والجمال والشجر والبواب فهم أبدا في سعادة وحبور . وليكون قرءاء هذا التفسير المفردون بالعلم من أرقى هذه الطبقة في عالم الانسان . وبهذا انتهى المقال في تفسير هذه الآيات صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠ في نفس اللحظة



التي افتقرت بلادنا فرقتين : فرقة أوصدت دار النيابة في وجوه الأمة . والفرقة الأخرى هي جميع الأمة المصرية فهؤلاء يريدون دخول البرلمان وهؤلاء يمنعونهم وسر ذلك كله تدخل الأجانب في هذه البلاد . وذلك كله منشؤه أن رجال الشرق ينقصهم العلم والتعليم . وهأنذا قت بما يجب على وعلى كل امرئ في بلاد الاسلام أن يقوم من التعليم بما أطمه الله وأقدره عليه . والى الله ترجع الامور -

﴿ ما حقيقة السموات . وهل للنور وزن ؟ وهل للنور خالد ؟ ﴾

وإذا بقي دهرًا طويلًا أفليست الأرواح أحق بذلك ؟ ﴿

في يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٠ حضر صديقي العالم الذي اعتاد محادثتي في هذا التفسير فقال حسن ما قلت في هذا المقام والسكنى أسألك سؤالاً في نفس موضوع الآية . إن ما ذكرته هنا إنما هو وجدانيات قامت بنفسك فسطرتها والوجدان شيء والعلم شيء آخر ، وانك لم تذكر إلا الصبابة والعشق والغرام وما ذلك إلا عواطف كهواطف العشق الانسانية الشائعة بين الناس وما كل امرئ بهاشق لأن العشق استهداد ، فهل أنت على استهداد أن تحادثني في حقائق السموات ؟ فقلت حبا وكرامة . فقال حياك الله ، هل السماء مبنية شديدة ؟ فقلت أذكرك أيها الصديق بما مرّ في أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند الكلام على السماء وقد ذكرت هناك أن هذا العالم لا فراغ فيه فهو مملوء بوجود سموه الأثير وهو موجود لأنه به يقوم الضوء والكهرباء والجاذبية فهو إذن موجود ، إذن عالم السماء موجود . فقال حسن هذا وأنا أذكره وأذكر انك أثبت هناك عدم الفراغ ببرهانين برهان القدماء القائل : إن هذا الذي سميناها فراغا لا يخلو ما نراه فيه من النور والظلمة من أحد أمرين اثنين : إما أن يكونا جوهرين ، وإما أن يكونا عرضين أو أحدهما عرض والآخر جوهر فان كانا جوهرين فالسموات إذن موجودة وان كانا عرضين أو أحدهما فالعرض لا بد قائم بجوهر إذن ثبت انه لا فراغ وأن السموات موجودة فعلا ، هذا ما قلته أنت إذ ذاك عن القدماء ، وأما المحدثون فانك أثبت قولهم بأنهم استدلوا بأن التلغراف السلكي والذي لاسلك له كلاهما محمول وهل الحامل يكون معدوما ؟ إذن هو موجود . إذن القدماء والمحدثون مجمعون على ذلك ، فالسماء المذكورة في الآية هنا موجودة ، فأنا الآن لا أسألك في وجود السماء وقد عرفته فيما تقدم في هذا التفسير وإنما سأولى هل هي مبنية وهل هي شديدة ؟ إن البناء لا يكون لما هو كالتخيال . وهل خيالنا مبنى ؟ وهل خيالنا متين قوى ؟ وهو يفنى حالا . فقلت : هل الأثير خيال ؟ فقال أنت عبرت بهذا القول سابقا فقلت انه كالتخيال . فقلت : سأبرهن لك على أن الأثير قوى متين وعلى أنه أقوى من أبنيتنا وكل بناء عرفناه . فقال ياليت شعري كيف يكون ذلك ! فقلت : أيها الصديق . أليست تسلّم بأن هناك قوة جاذبية بها تجذب الشمس ما حولها من السيارات وأرضنا منها . فقال أسلم به لأنها قضية مسلم بها . فقلت : لو اني أنا وأنت وأناس آخرون معنا حاولنا أن نخرج صخرة من مكانها ور بطنا فيها حبلا وأخذنا نجر ذلك الحبل ونحن عصبة أولو قوة وزحزحنا هذه الصخرة وأخذنا ندور بها أدوارا منتظمة حول محور فإذا نقول في هذا الحبل الذي به جذبنا هذه الصخرة أضعيف هو أم متين ؟ قال بل قوى متين . قلت فإذا جذبت الشمس كل سياراتها بقوة الجاذبية القائمة بالأثير أفلا يكون الأثير قويا متينا بنسبة هذه الأجرام . أفلا يكون نسبة هذا الأثير إلى الشمس والأرض كنسبة الحبل إلى عصبتنا والصخرة المذكورة قال بلى والله هذا حق . قلت إذن ثبت أن عالم الأثير أقوى من البناء وأمتن شيء عرفناه في الوجود . فإذا سمعنا الله يقول - والسماء بينناها بأيدينا والموسعون - وسمعناه يقول في ﴿ سورة النبأ ﴾ - وبنينا فوقكم سبعا شدادا - فإنا نقول هذه الحقيقة ياربنا لم يتجمل لنا بعض معناها إلا في هذا الزمان لأن الناس عندهم شكوك وأوهام في هذا الموضوع . فقال إن هذه المسألة لم أسمع لها جوابا شافيا إلا الآن . فقلت فلتحمد الله على العلم وعلى الحكمة . وهذه تكمل ما نقصنا من العلم في تفسير بسملة (ص) فقال لم أفهم مرادك . فقلت ألم تقل

هناك ان الانسان له قوى علمية وهي الحواس الخمس والعقل وقوى عملية وهي اليدين والرجلان وأن الحواس بها عرف الناس ماحولهم ووصلوا لما قرب من الكواكب وأن المجاهر والمناظر المعظمة التي أسداها العلم طمس زادت شأومهم . فقال بلي تقدم ذلك . فقلت والعقل اقتنص الصور بالحواس فكانت العلوم الطبيعية وصور المقادير فكانت العلوم الرياضية وأن الآلات الجارية على الأرض مساعدات للأرجل وهكذا الطائرات والسفن وهكذا جميع المجالات والآلات المتحركات مساعدات الأيدي في أعمالها . قال عرفت ذلك . فقلت بقي شيء واحد لم نذكره هناك ولكن هنا محل ظهوره . فقال وما هو ؟ قلت إن اللسان يوصل العلوم كما قلنا هناك . ونقول هنا انه يستخدم الهواء وينوب عنه التلغراف السلكي والذي لاسلك له والتلفون . قل هذا حق . قلت ولا واسطة لمساعد اللسان المذكور إلا الأثير . قال حقا . إن هذا البرهان وكل ما ترتب عليه حسن ، ولكن اذا عضدته ورسخته بكلام علماء الفن يكون أهدي سبيلا وأقوم قبلا وأوضح تأويلا . فقلت انهم يقولون إن كثافة الأثير هي ألف طن للمليمتر الواحد والطن نحو ٢٢ قنطارا ، إذن كثافة المليمتر الواحد من الأثير تعادل نحو ٢٢ ألف قنطار . فقال يا للهيب : هذه كثافة لانظير لها في كثافة ما نعرفه من الحديد والرصاص والحجارة وحقا ان الذي به تجذب الشمس سياراتها يجب أن يكون كذلك ليتحمل ذلك كله ، وانظرا كتبته بعض المجلات العلمية وهو المقتطف في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

﴿ تحوّل الآراء في الأثير ﴾

( من نيوتن الى ايفشتين )

مهما يكن تصوّر نوع الفضاء الذي يحيط بنا صعبا . ومهما تختلف الآراء في نوعه وحدوده الهندسية ومهما يكن تقصيرنا عن ادراك كنهه وحقيقته . فان له صفات طبيعية خاصة به يمكننا درسها ومعرفة بعض قوانينها . وعليه لا يمكننا أن نسميه فضاء خفسب . بل علينا أن نطلق عليه اسما ينم على خواصه الطبيعية أو بعض هذه الخواص . وأول من بحث في هذا الموضوع بحثا دقيقا وسمى هذا المجهول بالاثير كان الطبيعي الانكليزي العظيم السراسحق نيوتن . يستحيل علينا أن نصف صفات الاثير الطبيعية بالدقة التامة بالتعابير والمصطلحات التي نستعملها لوصف خواص المواد الارضية . لكننا لانستطيع غير هذا السبيل فنضطر الى استعمال هذه المصطلحات لكوننا لانعرف سواها . وفي مثل هذه الحال يجب علينا أن نبقى متذكرين انها لاتعبر عن الحقيقة بالدقة التامة ولكنها تفعل ذلك لو كان الأثير مادة عادية . نحن تكلم عن مرونة الأثير وكثافته مثلا . فبأي حق نفعل ذلك ؟ ليس الأثير مادة عادية كما وادنا لننسب اليه صفاتها . ومع ذلك نقول ان كثافة الأثير هي ألف طن للمتر المكعب . ومرونته تساوي حاصل ضرب كثافته في مربع سرعة النور . وبهذا نعني أنه لو تحوّل الاثير مادة لكانت له تلك الكثافة وهذه المرونة . بمثل هذه التحفظات يمكننا أن نستعمل الاصطلاحات العادية لتعداد خاصيات الاثير المعروفة فنقول :

(١) الاثير شفاف

(٢) » عديم الاحتكاك بالمواد

(٣) » عظيم الكثافة

(٤) » تام المرونة

(٥) » عديم الحرارة

(٦) » عديم الصوت

(٧) » موصل حسن للجاذبية والنور والامواج الكهربية - المغناطيسية

(٨) » وسيط لتلاصق دقائق المادة وتماسكها

- (٩) الأثيروسيط للمجاذبية الكيميائية (أو الالفة الكيميائية)
- (١٠) « يملأ كل فراغ من المادة . انه ماجاء في مجلة المقتطف  
لست الساعة بصدد أن أوضح :
- (١) نظرية نيوتن الذي اضطر أن يفرض وجود الأثير حين عرف ناموس الجاذبية العام وقال « لا أتصور أن قوة هائلة عظيمة تنتقل من الشمس الى عوالمها بدون موصل لهذا التأثير » (إذن هو حبل يوصل الجاذبية كما قلنا في الحبل الذي جذبت به عصبتنا الصخرة فيما تقدم)
- (٢) ولا بصدد أن أذكر (هو بجنس) الذي يقول : « إن الأثير مؤلف من ذرات في غاية الصغر سريعة الحركة ثقيلة الوزن عظيمة الكثافة ، وما النور إلا موجات فيه لأنه ذرات كما قال نيوتن »
- (٣) ولا أنا في مقام شرح نظرية (فرنل) الفرنسي الذي جعل الأثير تختلف كثافته باختلاف مواقعه
- (٤) ولا في مقام آراء كوتنن في الذي يؤيد وجوده بسبب ما رآه من الظواهر الكهر بائية والمغناطيسية في الأرض
- (٥) ولا أنا الآن أود أن أشرح نظرية (جورج توكس) القائل « انه سائل شفاف عديم الاحتكاك بالأرض والسيارات عند حركتها فيه ولكنه صلد قوى متين عند ما تنظر اليه من جهة اتصال الجاذبية والنور » وقد أيد هذا الرأي (السراوليفرلودج) بالتجربة وهكذا
- (٦) نظرية (ما كسول) إذ قال بالمرونة والكثافة فيه وأن المرونة تساوى حاصل ضرب الكثافة في ربع سرعة النور
- (٧) وخالف العالم (أمافين) هؤلاء العلماء في الكثافة وهكذا
- (٨) العالم (ماك كولاغ) فانه قال « انه لا يقبل الضغط »
- (٩) والعالم (اينشتين) يقول : « انه خيال من الفضاء والوقت يصعب على من يتعمق في الرياضيات أن يدرك كنهه »
- أقول : أنا لست في مقام شرح هذه الأقوال وانما المهم الاتفاق على الجدول المتقدم المحترم عند جمهور هؤلاء العلماء وغيرهم . إذن ثبت هنا أن السماء أولاً موجودة . ثانياً انها أشد الأبنية وأمتنها وأقواها . ثالثاً ظهر بهذا أن اشارات القرآن أصبحت اليوم واضحة جلية في العلوم الحديثة ، فاذا كانت السموات بناء واذا كانت شديدة فها هوذا أصبح واضحاً جلياً . فهل كفالك ما سمعت عن علماء الفن ؟ فقل كفى والحمد لله
- أقول : لقد سررت الاشارة الى هذا الموضوع في غير هذا المكان والايضاح هنا أهم
- ﴿ هل للنور وزن ؟ ﴾
- ثم قال : ولكني أريد أن أسأل في النور . لقد سمعتك تذكر أن النور حركات في الأثير والحركات لا تكون إلا بقوة دافعة والقوة الدافعة تحرك الميزان حتماً . إذن النور موزون ، ولكني ما سمعت أحداً يقول ذلك . فقلت له : انه موزون وله ثقل . فقال : كيف ذلك ؟ فقلت : هالك ما جاء في بعض المجالات العلمية وهذا نصه :

### ﴿ أربعة ملايين طونولاته من أشعة الشمس في الثانية ﴾

( هل النور له وزن ؟ )

يقول العامة « ضربته الشمس » كأن أشعتها تشتمل على مادة تضرب بها الأشياء . وما أقرب هذا التعبير الى ما اكتشفه العلم الحديث في هذا الشأن فهو في الواقع حقيقة وليس بالمجاز كما يريد أن يفهمه الناس . ولكن اذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون للأشعة وزن كسائر الأشياء المادية فقد برهن العلم صحة هذا الاكتشاف





## ﴿ ازدياد بهجة العلم ﴾

( في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - )

﴿ وصف الكواكب وبهجتها وأنا في الحقل ليلا حتى مطلع الفجر ﴾

اللهم إنك أنت الخالق القيوم ومن حياتك استمدت العوالم حياتها ، ومن عامتك استمدت علمها ، ومن قدرتك استمدت قدرها ، ومن جمالك استمدت جمالها ، أنت الذي نقشت لنا السماء ، ونقشت الأرض ، وزخرفتهما بزخرفك ، وأترتهما بنورك ، تجبت للنقش والرقم والجنردة وللإبداع في تزويق الأرض بنباتها وجمالها ، وفي تزيين السماء بنجومها وشموسها وأقمارها ، لنا عقول تظهر لنا فيها كبرية جدا بدليل انها مستهددة لأن تفهم بعض مصنوعاتك

ولطالما كنت مشوقا أن أنام في العراء ليلا لأشاهد جمال النجوم قبيل الفجر وهي طالعة فوق الحقل والجبال والصحاري والقفار . كنت أود ذلك كثيرا ، نعم أنا أشاهدها كل ليلة فوق سقف المنزل ولا حاجز بيني وبين النجوم وجمالها ولكن أين الثريا وأين الثرى وأين منظر النجوم في القاهرة حيث المنازل والأبخرة المتصاعدة ودخان الآلات البخارية وبين منظرها في الغابات ، ولقد هيا الله لي هذه الفرصة الآن لأصف في هذا التفسير تلك المناظر الجميلة أيضا لقوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - فتوجهت الى منبر عتنا بجهة المروج وهي الى الجبل الشرقي أقرب وليس وراءها إلا الصحراء والجبل فبنت بعض الليالي هناك في نفس الحقل في أواخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظت قبل الفجر فإذا رأيت ٢ رأيت زينة حقيقية ، ياسبحان الله : نحن نشاهد فيما يقيمه الناس من الزينة في اللؤلؤ العاقمة وأفراحهم والموائد التي يحتفلون بها مصابيح يوقدون فيها ويضئونها صفوفا منتظمت ، وإذا هبت الرياح أخذت تلك المصابيح تضطرب اضطرابا يكسبها جمالا على جمال ، فها أنا ذا في هذه الليلة اطلعت فنظرت المصابيح السماوية تهتز طربا وقد ظهرت بهيئة لم أعهدها في المدن ولا في القرى ، فلكم رأيت النجوم ليلا أيام الشباب وأنا في قرية كنا كفر عروضة الله حجازي وهكذا في القاهرة ، ولكن هنا في الجبل والصحراء والحقل تبنت لي راقصة ضاحكة مستبشرة ، ما أبدع هذا المنظر ، إن فرق ما بين الثوابت والسيارات أن الأولى كثيرة الاضطراب أما الثانية فهي لا اضطراب فيها وإن كانت أكبر حجما في نظر العين ، وما أكثر الثوابت وما أقل السيارات ، لذلك كان ذلك المنظر أسمى أجل مارأته عيني في الحياة وخيل لي اني في جنة عرضها السموات والأرض ، مبدعة أيما ابداع ، متقنة أيما اتقان ، قد ازينت ولكن للناظرين ، وحيثما ولكن للعالمين ( بكسر اللام ) وشعرت نفسي كأنها كانت في هذه الساحات الجميلة وقد أبعدت عنها بسفروانها رجعت الى مستقرها وفرحت بالرجوع الى وطنها . ومن العجيب أن الزراعين قد يبيتون في الحقول كما بت ، بل بعضهم نام في الحقل معي . هذه المناظر أمامهم ومع ذلك لا تحرك فيهم ساكنا ولا توقظ فيهم ذائنة فالجمال ظاهر والخاسن باهرة وأكثر أهل الأرض لا يدرسون فيبينها أرى الثريا قد أخذت تشرق طالعة اذا الدبران ذوالنور الأحمر قد تلاها وقد ساق أمامه نجومها بهيئة ضلعي مثلث ووراءهن الهقمة ثم الهنعة ونجوم الجبار التي يعب عنها بالجوزاء فأذكرني ذلك ماجاء في «صبح الأعشى» من وصف هذه النجوم فأحببت ذكره وها هو ذا تحت هذا العنوان

﴿ الصنف الثاني : نجوم منازل القمر التي ينتقل فيها القمر من أول الشهر الى الثامن والعشرين منه ﴾

ونكتفي من هذا الفصل بما نحن فيه إذ ذكر الشرطين والبطين ثم أتبعهما بذكر الثريا فقال مانصه :

﴿ الثريا ﴾ ويسمى النجم عاما عليها ، وبه فسر قوله تعالى - والنجم إذا هوى - وهي ستة أنجم صغار يظنها بعض الناظرين سبعة أنجم ، وهي في شكل مثلث متساوي الساقين ، وبين نجومها نجوم صغار جدا

كالرشاش . ومطلعا الى الشمال عن مطلع الشرطين والبطين ، وأول ما يطلع منها وينيب هو الجانب الغربى  
دون الأنفاذ منها ، وهي عند أصحاب الصور بالقرب من محل ذنب الثور المقطوع . قال ابن يونس : وليست  
من صورة الثور ، وبعضهم يسميها أليا لجل لفرجها منه

(الديبران) ويسمى تالى النجم لكونه يطلع تالى الثريا . ورسمها من حادى النجم لذلك ، ويسمى  
أيضا المجدع وعين الثور ، وهذه المنزلة سبعة أنجم تشبه شكل الدال ، واسد منها مضى ، أجر عظيم النور ،  
واسم الديبران واقع عليه فى الأصل ثم غاب عليه وعلى باقى المنزلة . وهذه الكواكب السبعة عند أصحاب  
الصور هى رأس الثور ، وأول ما يطلع منه طرف الدال ، ويبتكون راسها الى الجنوب وفتحتها الى الشمال ،  
والكواكب الأجر المضى ، هو آخر ما يطلع منها . والعرب تقول للكواكب القربيين منه : كياه ، والباقي غده  
ورما قالوا . قلاصه ، ويقولون فى خرافاتهم . إن الديبران خطب الثريا الى القمر فتالت . ما أصنع بسبوت ؟  
فساق اليها الكواكب المسميات بالقلاص ميرا ، فخرت منه فهو يطبها أبدا ، ولا يزال تابها لها ، ومن ثم قالوا  
فى أمثالهم : أوفى من الحادى وأشد من الثريا .

(الطقمة) سميت بذلك تشبيها بدائرة تكون فى عنق الفرس . وقد مر القول عليها فى الكلام على  
أوصاف الخيل ، وهى ثلاثة كواكب محيطة صغار تسمى الأثافي . وهى على أعلى القدم اليسرى من التورم  
المبرعنه بالجوزاء . اهـ

أقول : ومن أجمل المناظر ماسماه الطقمة وما عبر عنه بالجوزاء . نظرت فرأيت هذه النجمات تليها نجوم  
دقيقة ممتدة فى نظر العين قد صنعت قوسا بديعا جميلا واسعا بهيجا كأنه عقد من الماس وضعت به السماء بأبرج  
وزاد جمالها . ثم نظرت وراءها اذا أنا بنجوم الجوزاء التى يسمونها الجبار وهى أضوأ النجوم فى نظر العين  
فهناك ثلاث نجوم من القدر الأول وأمامها نجوم أخرى تصنع معها ما يشبه زاوية حادة ويسمىها العائمة الميزان  
تشبيها بميزان الباعة فى بلادنا . ولقد وصفت نفس هذا المنظر فى السنة الفائتة فى نفس هذا التفسير فى تفسير  
السملة فى بعض السور التى تتلوا سورة العنكبوت ولكن وصفها فى هذه المرة جاء فى الحقل لاقى المنزل وتلا  
ذلك ما نقلته من كتاب «صبح الأعشى»

إن فى الحقل لمتسعا للخيال . تبدو المناظر للعين وتسمع الأذن طنين الحشرات فكأنها حفلة جهت ما يسر  
العين ويهيج الأذن . انهاجنة عجبت للمفكرين الذين يعاؤون قوله تعالى - ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح -  
ألفيلين لظن لذلك المدرسون واتسكن للمسلمين مدارس فى الحقول ليدرسوا الحقول والحدائق والأعنام والبهائم  
والأنهار والجبال نهارا ويدرسوا النجوم ليلا والأفليعلوا عنهم عن ربهم معرضون وعن الرقى فى الدنيا والآخرة  
مبعدون . وان يذهب ما كتبه عن هذه المناظر سدى سيشهد ما شهدته التلاميذ والمدرسون - تعرف فى وجوههم  
نضرة النعيم - ولكن يتنافس فى ذلك المتنافسون -

وهل هذه المناظر يتف جملها عند ما ذكرناه ؟ كلا . أوليست الجوزاء هى التى كشف العلماء اليوم كما  
تقدم فى هذه السورة آنفا أن بعض نجومها أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرة ، ومعلوم أن شمسا  
أكبر من أرضنا ألف ألف مرة وثلاثمائة ألف مرة ، ويقولون إن ضوء الشمس بالنسبة لضوء ذلك الكوكب  
من الجوزاء المذكورة أشبه بنور الحباب بالنسبة لضوء الشمس ، إذن الجمال الظاهرى الذى تمتعت به هذه  
الليلة ليس شيا مذكورا بالنسبة للعلوم المتدخرة فى هذه المناظر . إذن الدنيا فيها مفاتيح الجنة ، فأول مفاتيحها  
جمال الظواهر وبابها العلوم التى عرفها نوع الانسان وراء هذه الظواهر والعلوم هى السعادة بل هى مفتاح  
الجنة ، ومن لم يشعر بالسعادة العلمية فى هذه الحياة فكيف يسعد بالنظر الى مبدع هذا الجمال اهـ



﴿ امتحان عقول الناظرين من الأمم ﴾

انظر الى البدوى في العراء المذكور في «صبح الأعشى» كيف وقف أمام الدبران والثريا والقمر وتصور في نفسه أن القمر خاطب والثريا مخطوبة والدبران هو الذي ساق بأمر القمر النجوم السبعة لتكون مهرا ، فهذا تصور لطيف انتزعه الرجل من أحوال الانسان واخترع للسماء نظاما كمنظام أهل الأرض فيه الأحوال الاجتماعية ، وتارة يقول قائلهم :

أليس الليل يجمعنى وسامى \* وإيانا وإياها تدانى

فهيئنا تخيل الليل خيمة قد جمعته مع سامى وان تناءت الديار ، وبارة نسمع قائلا يقول من المتأخرين من الأمم الاسلامية العربية :

يا ليل طل يشوق دم \* إني على الحالين صابر  
لى فيك أجز مجاهد \* إن صح أن الليل كافر  
يهنيك بدرك حاضر \* ياليت بدرى كان حاضر  
حتى يبين لناظرى \* من منهما زاه وزاهر  
بدرى أرق محاسنا \* والفرق مثل الصبح ظاهر

وأونة نسمع آخر يقول :

سل يا أبا البدر نجم الليل عن سهرى \* تدرى النجوم ولا تدرى الورى خبرى  
ونسبع آخر يقول فى ممدوحه وذلك فى حسن التعليل فى علم البديع :

لولم تكن نية الجوزاء خدمته \* لما رأيت عليها عقد منتطق

فالبدوى فى البادية كان خياله أقرب الى القطرة ، أما المتأخرون فان خيالهم نزل بالمنظر السماوية الى اللذات التى ملكت على تلك الأجيال مشاعرهم إذ ملكوا زمام الأمم وأغنيتهم الغنائم بانساع الملك وكثرت لديهم الجوارى الحسان من الأمم فأخذوا يتغزلون وجاراهم فى ذلك علماء اللغة وكلما زادوا ابداعا قيدوه فجماوه من العلم ، ولم يكفهم ذلك حتى تخياوا تلك النجوم قد نزلت فصارت من خدام ملاوكهم الذين يدحونهم ، ولماذا هذا المدح ؟ ذلك لأجل الجوائز التى يأخذونها من مال الدولة بلامقابل إلا ذلك المدح ولكن الله كأنه يقول : إنا زينا السماء للناظرين المفكرين فأما أن تسكون النجوم لأجل الغزل أو لأجل الزلف للملوك فذلك كله خيال الشعراء - والشعراء يتبعهم الفاوون -

إن شعر الأمة وخيالها يدلان على درجتها ، وهذه الأمم العربية المتأخرة نسبت أصل الفضائل وأفرطت فى اللذات فرجعت الى باديتها حتى تستقيم أجيالها كرة أخرى ثم يأتى لها من يوقظها كرة أخرى ، وهذا المقام أوضحته فى ﴿سورة الشعراء﴾ عند تفسير هذه الآية وذكرت هناك ما قاله سديوالفرنسى أن مجموع الشعراء عند الأمم العربية الاسلامية أكثر من مجموع الشعراء فى الأمم كلها ، ولكن الافراط فى الشعر عند المسلمين فى الأندلس والتفكير والتعقل عند الاسبانيين جعل الآخريين يغلبون الأولين والله فى خلقه شؤون وقد ذكرت هناك أن ذلك من معجزات القرآن فى آية الشعراء ، والله زين السماء للناظرين وقال :  
- إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - ولقد ابتلى الله آباءنا العرب لما عظم ملكهم واستولوا على فارس والروم فانصرف متأخروهم عن بهجة علوم الكائنات الى بهجة الغلمان والفتيات وابتدأ ذلك فى عصر بنى أمية وعظم فى عصر بنى العباس ، وانظر ماجاء فى الجزء الأول من كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » وهذا نصه :

كان الشاعر الجاهلى يقول الايات تغزلا فى حبيبته يهبر بذلك عن حبه أو ما تسمىه جوارحه من الغرام

أو الشوق ولا يشب في غير حبيبه أو خطيت وقد يسميها بغير اسمها . والغالب أن يكنى عنها بأحدى حرائر الشعر لئلا يعلم أهلها بتشبيبه فيمنهوه من التزوج بها . لأنهم كانوا شديدى الغيرة على النساء حتى إن أحدهم إذا سطا عليه عدو وخاف على حياته مند عمدا إلى اسرانه أو حبيته فيقتلها خيرة عليها من أن يسبها سواء بعد موته (١) ويندر في الجاهلين أن يشب شاعرهم بغير سميتها . وإذا قيل فلماذا فوق العادة كما فعل دريد بن الصمة إذ رثى أخاه بقصيدة صسترها بأبيات غزلية (٢) وقد رأيت الشعراء المشاق في الجهلية يعدون على الأصابع فأصبحوا في العصر الاموي أضعاف ذلك وأكثروا من وصف الحب وأعراضه وأسوائه

وذلك طبيعي في الأمة بالتقاطها من البداوة إلى الحضارة وخصوصا إذا كان ذلك على أثر الفتح وفيها الفتن من السبايا فيصيب الرجل منهم جارية أو يضع جوار في كل معركة ملكا سلالا له . وكانت السبايا في صدر الاسلام كثيرات وأكثرهن من الروم والفرس . والفاخون ييهونون أو يستخدمونهم في حاجات المنزل ويستبقون الجيلات منهم للتسريح فتسركت القلوب وتنهت القرائح للمواضيع الغزلية وصار الشعراء يشبون بالنساء الجيلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجا عن حرمة الادب فجاءوا التشبيب ذميا يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشب بأمرأة الا جلده (٣) فلما أفضت الدولة إلى بني أمية وقد انتقلت عاصمتها من المدينة إلى دمشق وكثر الاختلاط بالأعاجم وأخذ العرب بأسباب الحضارة وذهبت هيئة العقبة من نفوسهم وانقضت شدة الراشدين في المحافظة عليها فان عليهم التشبيب فكثر ما منه ولا سيما في المدينة لأن أهلها من أسبق المسلمين إلى القسوف واليهود لقيام بعض أبناء الصحابة بين أظهرهم وقت أغرقهم مهارية بالمطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك فكانوا ينفقون الاموال على المغنين ونسبهم فيكثر اللهو في المدينة وسبقت سائر المدائن الاسلامية إلى الغناء وشاع القسوف بين أهلها وتجرأ الشعراء على التشبيب بغير أحبابهم وجاء في هذا الكتاب أيضا في موضع آخر ما نصه :

كان في المدينة على عهد معاوية طائفة من أبناء الصحابة يخشى قيامهم للطلبة بالخلافة كما فعل أحدهم عبد الله بن الزبير فاعمهم معاوية بالمطايا وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالحلم فركنوا إلى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسماع . ينفقون في ذلك الاموال وهي تنفذ عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ هـ) كانت المدينة قد أصبحت مسرحة للهو والغناء ونزع فيها طائفة من المغنين وتكاثر فيها النشون وأهل القسوف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء اه المقصود منه

أفلا ترى أيها الذكي أن فساد الأمم المرئية في القرون المتأخرة إنما حصل بكثرة الإفراط في اللذات والانغماس في سلك الترف والتعم الذي هو آفة العمران ، فالخلفاء الراشدون كما رأيت منعوا التشبيب وبنو أمية أباحوه والعباسيون أعظموا أمره ، ألا ترى معي أن الاسراف في ذلك ناجم من الاسراف في مال الدولة وفي الانغماس في اللذات وهذا وذلك أبعاد المسلمين عن معرفة جمال هذه الدنيا لأننا بين جبالين : جمال يقصرنا على الشهوة الحيوانية وهو ما رأيت ، وجمال يفرحنا ويشرخ صدورنا بجمال العالم ومعرفتها والعروج إلى الله بمعرفتها ، فان غاب الأول انحطت الأمة ، وإذا غاب الثاني ارتقت ، وهذا معنى - لنباوهم أيهم أحسن عملا - فالأرض مزدانة بالجمال وكل يصيب منه ما استعد له . وكتاب الأغاني الذي انتشر في الخافقين من أسباب كثرة الفجور وسقوط الأمة الأندلسية لأن أبناء الأشراف هناك كانوا يقرؤون المحاضرات المخترعة عن ملوك العباسيين وعشقتهم للجوارى ومعاقر بنت الخان فظنوا ذلك حقا فاعتنقوا تلك المناهب فهلكوا . كل ذلك داخل في معنى - إنا زينا السماء الدنيا - الخ ومعنى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا -

يا أمة الاسلام : هذبوا الأدب العربي . لانلقوا بالكتب الموروثة بين أيدي شبانكم . عشقوهم من إبان

(١) الاغاني ١٤٥ ج ١٢ (٢) العمدة ١٢٢ ج ٢ (٣) الاغاني ٩٨ ج ٤

صفرهم في جمال السماء وجمال الأرض لاني الغزل والتشبيب . اسندروا هذا الأدب فانه أدب ضال . فليروا  
الأشعار الفاضلة لا الفزلية كأبيات عمرو بن كاثوم في الفخر في معلقته إذ يقول :

إذا ما الملك سام الناس خسفاً \* أينما أن نقرّ النمل فينا  
وكأبيات زهير بن أبي سلمى إذ يقول :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله \* على قومه يستغن عنه ويذم  
وكقول طرفة بن العبد في معلقته :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى \* لِكَالطَّوْلِ الْمُرْحَى وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ  
مَتَى مَا يَشَاءُ يَوْمًا يَقْدَهُ لِحَتْفِهِ \* وَمَنْ يَأْكُ فِي أَسْرِ الْمَنِيَةِ يَنْقَدُ

إن ما يسمعه الفتى أيام حداثته عالق لاشك بفؤاده ملازم له بقية حياته ، ونرى القرنجة في تعليمهم  
للأحداث يدرسون لهم في المدارس كتباً فيها صور جميلة نباتية وحيوانية وسماوية فيعشقون العلم والبحث  
والنظر في هذه العوالم . وهذا هو المنطبق بعض الانطباق على هذه الآية . إنا زينا السماء الدنيا - الخ وآية  
- إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - الخ

أفليس المساهون أولى باقتناء آثار القرآن . هاأنذا حذرتكم أيها المسلمون . فأما أدب الأغاني والكتب  
الأخرى التي مماثلة فليس يجوز أن تكون عامة بل تخصص لها طائفة لحفظ المأثور . أما التعليم العام فيجب  
حذف التشبيب منه بتاتا واستبداله بجمائب الدنيا الجميلة والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين  
﴿ اعترض على المؤلف وجوابه ﴾

هنا سألتني أسعد الفضلاء فقال : وهل في شرعة التأليف أن تذكر أشعار الغزل وذمها وأشعار الفضائل  
ومدحها ومغاني المدينة وفسوق الأندلسيين وذهاب دواتهم وهكذا ؟ هل الآية تشمل هذا كله ؟ فقلت وأكث  
منه . إن الزينة السماوية والزينة الأرضية قد جمعتا جميع العلوم . فإذا صرف الانسان عقله للزينة العامة في  
العوالم كان حكما . وإذا حصر عقله في الجزئيات فان كانت مؤلمة أورثته الشك كما تقدم عن اخوان الصفاء  
وان كانت سارة كما في محاسن النساء وسائر الشهوات أورثته العصيان . فالزينة إذن تشمل العلوم كلها وتشمل  
ما يحصر النفس في الشهوات التي تخفض النفس وتمنعها من الرفعة في الدنيا والآخرة . أليس القرآن يفسر  
بعضه بعضا . ألم يقل الله في سورة الكهف ( بعد أن ذكر في أولها أن ما على الأرض زينة لها ) - واتل  
ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لسكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا \* واصبر نفسك مع الذين يدعون  
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه  
عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا -

إذن هذه الآية تكملة للآيتين في الصافات وفي الكهف . فهو يقول إن الزينة زينتان : زينة الحياة  
الدنيا وهي مذمومة . وماهي زينة الحياة الدنيا ؟ قد فسرنا بقوله - المال والبنون زينة الحياة الدنيا -  
وكل ما ألهانا عن العلم فهو زينة الحياة الدنيا وهي مذمومة . وكل ما ذكرته لك داخل في هذا . إذن هذا  
كله تفسير للآية . إذن الآيات مرتبات هكذا

(١) - إنا زينا السماء الدنيا - الآية

(٢) - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها -

(٣) - ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا -

(٤) - المال والبنون زينة الحياة الدنيا -

(٥) - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطورة من الذهب والفضة والخيل



المسومة والأنعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب .

(٦) - أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا .

فالأولى والثانية للزينة العامة . والثالثة أخرجت الزينة المهيجة للشهوات . والرابعة مفصلة بعض التفصيل  
لثالثة . والخامسة مفصلة للرابعة . والسادسة لبيان أن الزينة قد تهتت ذلك الى سوء أعمال الناس  
التي رأوها حسنة في بادئ الرأي . إذن كل ما ذكرناه هنا لابد منه حتى نعرف لماذا زين الله لنا السماء وما  
الزينة المذمومة ؟ وما الزينة المدحوخة ؟ وهل الفزل إلا ما يرجع الى النساء المذكورات في هذه الآيات ؟ وهل  
بغير أمثال ما كتبناه يكمل انتفاع المساميين بمجمل آيات القرآن . فقال : « إن من البيان لسحرا »  
فقلت : اللهم إني أحمدك على البيان والتبيين وانشرح الصدور واظهار الحقائق لأمر الاسلام . انتهى  
صباح يوم الأربعاء (١٣) أغسطس سنة ١٩٣٠ م

### ﴿ نور على نور ﴾

أذكرك بما تقدم في أول ﴿سورة البقرة﴾ عند آية الجنة وأني نقلت لك هناك عن الامام الغزالي في  
الاحياء أن العلم الجنة العارفين وأن الجنة الحسية للجاهلين فارجع اليه هناك فأى علم هذا الذي إذا أدركناه يكون  
جنة ياليت شعري : أعلوم اللغات من الصرف والنحو والبلاغة التي فتن بالوقوف عند حدها المذمومون من  
الأجيال الفاتمة الاسلامية بعد العصور الثلاثة الأولى الذين لم يجدوا لهم منقذين من الجهل ، وكلما نبع نابغ  
لينقذهم كفروه جهالة ونذالة ، أم علم الفقه وأصوله مع الوقوف عليهما . كلا . بل هي العلوم التي بها نعرف  
نظام هذا العالم ﴿وبعبارة أخرى﴾ هي العلوم التي قد جمع زهراتها هذا التفسير  
الله أكبر : أليس في تقديم الكلام على تلك العلوم في هذه السورة شاهد على ذلك . ألم يتقدم الله هنا  
ذكر جمال العوالم وزينة السماء على ذكر قاصرات الطرف الحور العين اللاتي كأنهن البيض المكنون وعلى  
ذكر كأس المعين البيضاء التي تلذ الشاربين ولا تضرب عقولهم ولا تسكرهم بل تقدم الله آية جمال العوالم وزينة  
السماء على ذكر لذات الجنة وحورها وخيرتها فقال - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - ولا جرم أن  
هذه لذة العقول ولذات الجنات الظاهرة حسية ولذات العقول أقوى من لذات الأجسام ولذلك كانت لذة  
الملوك والقواد أشد من لذات العمال والصناع ، وفوق هؤلاء وهؤلاء لذات العلماء ، واللذة بالمعرفة لاحد  
ها ، والله يوم القيامة يجهل الناس في منازلهم بحيث لا يتخطونها فن لم يعرف من اللذات إلا النساء والشرب  
والأكل أدخله الجنة الحسية ، ومن ارتقى فوق هذه الطبقة فعرف الله أعطاه فوق ذلك النظر الى وجهه  
على مقدار علمه في الدنيا فيزيد هناك انكشافا

### ﴿ سوانح وخواطر في هذا المقام ﴾

يظهر لي أن صفى الشجاعة والحب هما الصفتان اللتان بهما سعادة الحياة والممات ، وأن الجبن والبغض  
بهما شقاء الحياة والممات ، وللحب مفتاح وهذا المفتاح والحمد لله أصبح في أيدي الأذكياء قارئ هذا التفسير  
وهو النظر في جمال هذه العوالم . فكلمنا زدنا علما زدنا حبا لصانع العالم . وهذا الحب يجعل حياتنا كلها  
نشاطا في أعمالنا ونحس فيها بشعور المحبة الانسانية العامة والخاصة . فترى الذين وصلوا الى هذه الدرجة  
مفرمين باسعاد الأمم لأن العالم في نظرهم أصبح واحدا ويقدمون اسعاد أمم الاسلام الذين هم أقرب اليهم  
ولا يتسكؤون في اسعاد الأمم الأخرى . فياليت شعري كيف يرى الانسان ذلك الجمال العام الذي ضربت لك  
مثله بما شاهدته في الحقل هذه السنة في آخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ ليلا قبيل الفجر في أول هذا المقال من  
بدائع الجمال والنور المشرق في سائر الأرجاء . وذلك الجمال وذلك النور وراءهما ما هو أجل وأبهى وأبهى وهي

نفس الحقائق العلمية . أقول كيف يرى الانسان ذلك وأنه لا حد له في البهجة والسكال والامتداد ولا تكون  
حياته كلها علما وجمالا واسعادا للناس قاطبة . ثم كيف يرى ذلك ثم يخاف من الموت وقد علم علما ليس  
بالظن أن روحه في يد مبدع هذا الجلال لاسيما أنه أحبه وبعقدار المحبة تكون لذة النظر للمحبوب . وهذه  
الأجسام مانعة منه . فاذن تكون هذه الحياة عاتقة عن النظر . إذن هذا الحب تصعبه الشجاعة فإذا لم يخف  
من الموت فم يخاف إذن فلا مصيبة في هذه الأرض أقوى عند الانسان من الموت فإذا لم يكن مصيبة أصبحت  
جميع أحوال الحياة سهلة وضعفت آثار ما نسميه مصائب فيها . فهنا أصطعبت الشجاعة مع الحب وبضدها  
تميز الأشياء . فإذا عاش الانسان جاهلا فلم يعرف هذه التجائب لم يدخل الحب قلبه . وإذا عمل عملا صالحا لم  
يكن له باعث عليه إلا أحد أمرين : إما أن ينتظر المكافأة عليه في الدنيا على أيدي الملوكة والأمراء والعاقبة  
وأما أن ينتظرها في الآخرة بالخور الحسان وكأس المعين والحلى والحلل . وهذا وما قبله آثارهما أضعف من آثار  
المحبين لربهم أولئك الذين يعملون في الدنيا ويرون انهم سعداء بنفس أعمالهم ويرون اطلاع محبوبهم على  
أعمالهم خير مشجع لهم وهؤلاء سعداتهم في الآخرة تكون على هذا المنوال فهم أبدا في ازدياد العلم ونفس  
العلم لهم سعادة حقيقية ولو انهم منعوا ذلك النعيم ووقفوا عند حد المطعم والمشارب والخور لرأوا أنهم معذبون  
عذابا لا يطاق . وفي هذا العالم اليوم من اذا قال له الملك أنا أعطيك أجل جارية عندي تحظى بها ومن المال  
ما تشتهي ولكن لا تحضر مجلسي لأنك لا تسليح للوزارة ولا للشاورة ولا للمنادمة لكان ذلك عليه أشد من  
الموت لأنه إذ ذلك سقطت كرامته في نفسه وأصبح ذليلا مهينا . فإذا كان هذا في الطبقة الوسطى وهم الملوكة  
والأمراء ومن على شاكلتهم وهم أرباب اللذة الوسطى فما بالك بمن فوقهم من أرباب اللذة العليا العقلية وهم  
الحكماء ، ولقد قدمنا كثيرا في هذا التفسير أن لذة المحسوسات أدنى ولذة الحكم والفطنة أرقى كاللذة الأسد  
بنسبة لذة العنز والغزال . فأما لذة العلم والحكمة فهي أحق من جميع اللذات . ولن يصدق هذا القول إلا  
من عرف هذه الأقسام الثلاثة وجربها بنفسه فان من لم يجرب ولم يذوق فستحيل عليه أن يصدق ذلك أو  
يتصوره والله الخالق والأسر وهو رب العالمين

ثم إن هؤلاء المحبين لربهم بسبب هذه العاوم يرون أن كل من أحب غيره فان ذلك المحبوب يشهر بحب  
من أحبه وهذه تعظيم تشجيعا إذ يرون أن الله يحبهم حبا يليق بجلاله لا يحب المخلوق لاسيما اذا قرؤا قوله  
تعالى - يحبهم ويحبونه - وقوله - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم -  
واعلم أن الأذكياء من قرءاء هذا التفسير سيكون حبه لله مفرطا . ذلك أن الانسان كلما ازداد علما  
ازداد حبا . وهذا العلم الموجب للحب انما هو علم العجائب والهجائب في كتب الحيوان والنبات والمعادن  
وعلم طبقات الأرض والفلك وغيرها مشتتة في الكتب بل صعوبة الفهم فلذلك لا تجد البارعين في تلك العلوم  
عندهم هذه المحبة بل ربما أنكروا الالهية أو صدقوا بها ولكنهم غافلون لأن علومهم أخذوها منفصلة غير  
متصلة ولا موصولة لبدعها . أما في هذا التفسير فانها متصلة مفضلة . إذن هي موصولة لذلك الحب ولم تكن هذه  
العجائب في القرون الأولى واضحة لعموم الناس كما اتضحت في هذا الزمان لاسيما بالصور الفوتوغرافية . وسيزيد  
يقينك بما كتبه الآن ما أنقله لك عن الامام الغزالي في الاحياء تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

### ﴿ بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ﴾

اعلم ان المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المحبة ولكنهم يتفاوتون لتفاوتهم في المعرفة  
وفي حب الدنيا إذ الأشياء انما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء  
التي قرعت سمعهم فتلقوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما لم يطلعوا على

حقيقتها ولا تخيوا لها معنى فاستدبل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغوا بالله مل وتركوا البعث وهو لا يهم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقرَّبون وقد ذكر الله حال الأصناف الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من المقرَّبين فروج درمجان وجنة نعيم - الآية لأن كنت لا تفهم الأمور إلا بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن الشافعي يعرف علمه بحجلا والفقهاء يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقهاء به أتم وإعجابهم به وحبهم له أشد فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لا محالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعتة ازداد به معرفة وإزداد حبا وكنا سائر الصناعات والفضائل والعمالي قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدرى ما هي التصنيف فيكون له معرفة بحجلا ويكون له بحسبه ميل بحمل والبصير إذا اقتبس عن التصنيف واطاع على عافيتها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تامل على كمال صناعات الفاعل والمصنف والعالم بحجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعمالي يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فإنه يطلع تصنيفا صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البسوخ مثلا من عجائب صنعه ما يفهر به عقله ويتعجب فيه له ويزداد بسببه لا محالة عظيمة الله وجلاله وكما سغفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلنا استدلل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له فلا يجوز تفاوت أهل المعرفة في الحب لا حصر له وما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منسما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته إذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء وأما من يحبه لذاته فلأنه مستحق للعب بسبب كماله وجلاله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

### ( بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى )

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وأنما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلها المعنى لا تفهمه الابدثال وهو انا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات حياته وعلمه وقدرته و ارادته للخياطة أجلي عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته و ارادته وعلمه وكونه حيا وانا فانه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته و ارادته فان هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن تعرف حياته وقدرته و ارادته إلا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفة فاعليه الادليل واحد وهو مع ذلك جلي واضع بوجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهدله بالضرورة كل ما نشاهده ونشكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر وسدر ونبات وشجر وحيوان وسما وأرض وكوكب وبرّ وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأسماء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا

بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحرر كبرها ودالة على عاها وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا يحصر لها فان كانت حياة السكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسننا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عاها وعلى عظمتها وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حاطها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجود ومحرك لها . يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا واثلاف عظامنا وخطومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة . فانا نعلم انها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد السكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما سبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تنقص عن فهمه عقولنا فله سببان : أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله : : والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لانخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يهره نور الشمس اذا أشرقت فتسكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستتارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشد عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفاؤه فسبحان من احتجب باشراف نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتجيب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الأشياء تسببان بأضدادها وساعم وجوده حتى انه لا ضلله عسرا ادراكه فلا اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراف لا غروب لها لسكننا نظن انه لاهيئة للأجسام الا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لانشاهد في الاسود الا السواد وفي الأبيض الا البياض فأما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا أن الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعينه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام . والنور هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فها هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهاام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فانه تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانتهت السموات والأرض وبطل الملكوت والملكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشديتين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم أدركت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال أمره لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال الا يرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا الى غيره كمن نظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج صرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله



ولاحبا الاله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد لله فهذا يقال فيه انه فنى في التوحيد وأنه فنى عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كتابنا فنينا عنا فبقينا بلا نحن فبنينا امور معاومة عند ذوى البصائر أشكيات لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بمباراة مفهومة موصلة لغرض الفهم والاشتمال بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيه فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المسركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غزيرة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق لهم بشهوته وقد أنس بمسركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقمها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذ رأى على سبيل الفجأة حيرانا غريبا أو نباتا غريبا أو فضلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمرعة طبعها وأعضاؤه فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهواتها لطول الانس بها ولو فرض أنكه بلغ عاقلا ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لحيف على عقله أن يفهم لعظم تعجبه من شهادة هذه الخبائب لخالقها فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجماره وهو يطلب جماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاضة فهذا سر هذا الأمر فليصدق ذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على أحد : الاعلى اكمه لا يعرف القمر  
لكن بطلت بما أظهرت محتجبا : فكيف يعرف من بالسرف قدسرا

### ﴿ زبرجدة ﴾

( في قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب - وظهور أسرار القرآن في عصرنا الحاضر )  
اعلم أيها الذكي أن كثيرا من العقلاء وأهل العلم والفلسفة اذا سمعوا هذه الآية توهموا وظنوا أن هذه لا تخلو من أحد أصرين : إما أن تكون أمرا خياليا وضع لوضع والتعليم ، وإما أنه مجاز ، فلما أن يكون هناك شياطين يرتقون الى السماء ومتى وصلوا اليها سمعوا الملائكة وأن شهابا تقابلهم في طريقهم فتمنهم ، فهذا مما لا سبيل اليه بحسب ما نشر من العلوم  
هذا هو الذي يظنه أكثر أهل العلم في زماننا وفي كل زمان . واعلم أن العلم الناقص هذا شأنه فيحكم بما علم على ما لم يعلم ، وهما إذا باسط لك أيها الذكي آراء المتقدمين وعلماء العصر الحاضر في هذه المسألة لتقف أولا على حقيقة الشهب بحسب العلوم المدونة في زماننا ثم أحدثك بعدها عما فتح الله به من أسرار هذه الآية لينزل الخرج من صدرك ولتعلم من العلم ما لم ينله كثير من الفضلاء وليشج صدرك ولتكون من الموقنين الفرحين بالعلم الذي هو جنة محجلة للعارفين في هذه الحياة الدنيا فأقول والله الفضل والمدة وهورب العالمين قد تقدم بعض هذا المقام في سورة الحجر ولكن هنا لابد من استيفائه فأقول ناقلنا عن كتابي « بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية » وهذا نصه :

### ﴿ حوادث كرة الاثير من الشهب الساقطة وانقضاض الكواكب ذوات الاذئاب ﴾

أما الأقدمون فيقولون اننا نرى في السماء صورة أعمدة مخروطية قائمة قائماتها مما يلي كرة النار ومخروطها مما يلي وجه الارض وما هي الاذخان يابس لطيف صعد من الأرض كما قادمنا والجبال والبراري فاذا بلغت الأبخرة السكرية الزمهريرية تتلاقى في أعلاها بكرة الأثير وهي الكرة النارية التي حدثت فوق كرة الزمهرير بسبب سرعة الحركات الفلكية التي ولدت الحرارة فأنشأت هذه الكرة وتقل حرارتها كلما اقتربت من كرة

الزمهرير الفاصلة بينها وبين كرة النسيم فاذا بلغ الدخان كرة الأثير المذكورة اشتعل نارا كما ترى الدخان الطائر من السراج المنطفي يشتعل بملاقاته لسراج ممتد وكأثرها تشتعل في النفط الأبيض ثم تنفيه بسرعة فينطفئ وإنما اعتبرها دخانا محترقا لانهم يقولون انها تظهر في أيام الجسدب أكثر والجسدب يقل منه المياه في الارض فيقل البخار ويكثر الدخان ويستدلون على انه دخان أيضا بأن النار عند اشتعالها فيه ترى عظمة فلا تزال تقل حتى تختفي فينجيل الناظرين انها نار نازلة من السماء . وتارة ترى كأنها كرة صغيرة متدحرجة على سطح كرة كبيرة فهي تتبدى في حركتها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق ومن الجنوب الى الشمال بالعكس وتارة تنسكب فسكانها في نظر العين كرة من قطن اشتعلت فيها النار ثم رميت في الهواء وكلما احترقت بالنار تنثر شررها وصغرت حتى تنفي . ومثالها الكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات يجنونها من سندروس وأجزاء عقاقير ويشعلون فيها النار يأخذونها في أفواههم فاذا رقصوا أو تنفسوا رأيت النار تخرج من أفواههم ومناخروهم وهكذا حتى تنفي . ويقولون في ذوات الأذنان انها تظهر قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها ولا تحدث إلا في كرة الأثير وهي تدور مع فلك القمر على توالي البروج كسير الكواكب السيارة وتارة تتأخر راجحة ومادتها هي المادة المتقدمة البخارية ولكن هذه أطف فتتعد وتكون شفافة كالبلور واذا أشرقت عليها الشمس شفت من الجانب الآخر فلا يزال المذنب يشرق ويغرب حتى يمتحى من الوجود . وملخص كلام القدماء أن الدخان اعتلى في الجو واشتعلت فيه النار ككرة القطن أو كالنفط المشتعل أو كالسندروس المجهون مع غيره . وأن نجمة الذنب أشف مادة وأبقى مسدة وأطول أجلا ثم تضمحل . سبب هذا الرأي . أنهم كانوا يرون تبعا للقدماء ان الكواكب لا تنفث ولا تنكسر ولا يكون فيها شظايا لأنها باقية الى الأبد وقد علمت بطلانه

#### ﴿ آراء علماء العصر الحاضر في المذنبات والشهب والنيازك ﴾

المذنب نجم ذو ذنب فله رأس وله ذنب وهو أنواع منه مالاذنب له وهي كثيرة القلب وقد تكون روس المذنبات أجساما مستقلة . وأما الأذنان فهي أجسام كبيرة لطيفة المادة دقيقةتها ولطافة الأذنان مستنتجة من خفتها ولقد نعلم أن السيارات تسير في مدار واحد لجهة واحدة . أما المذنبات فلانظام لها في سيرها وأما كثرتها فهي كسمك البعير عدا . وذنبها يكون أكثر ظهورا كلما اقتربت الرأس من الشمس والرأس تنجذب نحو الشمس متى اقترب المذنب منها . فأما الذنب فانما يكون اندفاعه الى الجهة الاخرى ومذنب (دوناني) أول ما ظهر في شهر يونيو سنة ١٨٥٨ واختفى عن الأعين بعد قليل ونور المذنب ليس مستعارا كنور القمر وكرة هذه النجمة يسمى نواة أو لبا ورؤية ذوات الذنب لا يمكن الا في جزء من مدارها أي حين قربها من الشمس وذوات الذنب متفاوتة في المقدار والضوء فمنها ما تتسرر رؤيته ولو بالآلة . ومنها ما يشغل بسبب عظم ذنبه ثلث السماء أو نصفها بحيث يكون أعظم من ٦٠ درجة الى ٩٠ فالنجمة التي ظهرت سنة ١٨١١ افرونية كانت لا تسكاد ترى فكما قربت من الشمس صارت بخارا وأضحت جرمها شفافا وهي لا ترجع الا بعد ٣٠ قرنا ولم يتحقق العلماء من رجوع نجوم ذات ذنب مما رصدوها الا اثنتين وهما

(١) نجمة هليه التي تقطع فلكها في ٧٥ سنة ونصف وقد ظهرت سنة ١٩١٠

(٢) النجمة القصيرة الدور وهي تقطع فلكها في ثلاث سنين ونصف وقد ظهرت سنة ١٨٢٩ وفيما بعدها ومن النجوم ذوات الذنب مالا تقطع فلكها الا في عدة قرون . ومنها ما يذهب جهة النجوم الثوابت فيخفي عنا ولا يرجع أبدا

اذا رؤيت ذوات الذنب لا يحكم عليها بأنها دورية أو غير دورية وكيف يعلم ذلك وقد علم أن مدد دورة بعضها يعد بالالوف أو بمئات الالوف من السنين حتى ترجع ومن دايفمن رجوعها الشهب والنيازك . الكرات النارية . الحجارة الجوية

الشهب جمع شهاب وهو ما يرى كأنه كوكب انقض والنيازك جمع نيزك وهو معرب (نيزه) بالفارسية

ومعناه الرمح القسيرو يطلق على الشهاب تشبيها ويقال شهاب ثاقب ونجم ثاقب لانه يثقب الظلام بضوئه :

### ( الشهب )

الشهاب ما يرى في الليالي قد انقض من السماء وليس كوكبا وانما هي اجسام صغيرة ربما لا تزيد الواحدة عن حجم البلاطة وهذه الاجسام كثيرة جدا ومنها مجموعة تسمى الاسديات وهي تتم دورتها حول الشمس في شكل اهليلج في ٣٣ سنة ولا يحصى عدد هذه الشهب وقطرها ١٠٠٠٠٠٠ ميل أو أكثر . والأرض لا تخترق في سيرها هذه الاسديات الا ثلاث مرات كل مائة عام وآخر مرة كانت سنة ١٨٦٦ وفي كل مرة تضيف آلاف الآلاف من هذه الشهب أو النيازك مما ينزل على سطحها . وأما النور الذي يظهر من تلك الشهب فانما يكون من سرعتها واحتكاكها بمادة الجو كما يندفع الزناد وهي أكثر سقرطا في ليال معالومة فهي تزيد في ١٠ اغسطس و ١٣ نوفمبر وتقل في ٢٠ ابريل و ٢٧ نوفمبر و ١٨ و ٢٠ اكتوبر و ٦ و ٩ و ١٣ ديسمبر ويقال ان عدد الشهب التي تراها بالعين المجردة والمقارب المتوسطة مما يخترق جونا كل عام يبلغ نحو ١٥٠٠٠٠٠٠٠ و آلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى عليها

### ( الكرات النارية )

هي أيضا اجسام متينة تظهر وتختفي بسرعة كالشهب ولكنها أبطأ منها وتمزق غالبا بالقرب من الأرض فتحدث فرقة وقد يكون منها اهتزازات وما يقع منها على الأرض يسمى الحجارة الجوية ويدخل في تركيبها الحديد والسليس والمنيزيا والنيكل وغيره وارتفاع الشهب من ٨ كيلومترا الى ٦٠ و ١٠٠ و ٣٠٠ كيلومترا وسرعتها متغيرة كارتفاعها وقد تساوى سرعة الأرض بل تزيد عنها ويقولون ان هذه الكرات عبارة عن مادة قطعها صغيرة الجرم دائرة حول الشمس ومتى قربت الأرض منها جندبت اليها بعض تلك القطع فتسقط نحو الأرض وتشتعل في الجو على هيئة شهب أو تسقط الى الأرض على هيئة حجارة جوية اه . فتأمل تجد الفرق بين القدماء والمحدثين ان الاولين يزعمون ان تلك المذنبات والشهب والنيازك والكرات عبارة عن بخار أرضي قابل النار فاحترق . وعلماء العصر الحاضر يقولون سلمنا بالاحترق من الاحتكاك لامن كرة الأثير فنحن لا نقر بها ولكن لانسلم ان المحترق هو البخار كلا وانما المحترق اجسام وقطع صغيرة دائرة حول الشمس كما يدور سرب الحمام والتطافي الجو فتى مرت الأرض به في أيام معالومة اختطفت منها آلاف مؤلفة فطبختها بالحرارة في جوها من الاحتكاك بها كاحتكاك الزناد ثم التهمت فأكثها وكان هذه الاسديات المذكورة وأمثالها قطعان من البقر والنزلان تأكل منها الأرض اذامرت بها وقد جاعت وقد تأكل في أوقات معلومات فان للأرض كل ثلاث وثلاثين سنة مدة يقال لها الفرق بين السنين القمرية والسنين الشمسية ويكون الفرق بينهما سنة في تلك المدة وتلك المدة بنفسها هي التي تمر فيها في الاسديات فاذا كان مائة سنة يكون الفرق بين السنين الشمسية والقمرية ثلاث سنين فهكذا ستمر في تلك الاسديات لتأخذ زادا للسفر ثلاث مرات فكيف في الكون من عجب وقبل ما تلمعه تصلحه بالنار في جوها كما نفعل نحن في طعامنا وأقول لقد اطلعت على بعض تلك الأشجار التي حفظت في المتاحف المصرية والله أعلم

### ( توضيح الفرق بين المحدثين والقدماء فوق ما تقدم )

فانظر أيها العاقل للعقول الانسانية قديما وحديثا فالقدماء لما اعتبروا الأرض مركز العالم والسماء لا كسر فيها جعلوا ذوات الذنب والسهام والكرات النارية من الأرض . والمتأخرون قالوا كلا انما هي اجرام دائرات حول الشمس تنزل اليها وترمي فوق سطحها والجميع عرفوا انها تارة تكون سهاما وتارة تكون كرات وان نورها في الجو وحرارتها بالحركة والسرعة عند المتأخرين وان النار أحرق الدخان عند المتقدمين وكل من الأولين والآخريين يسمون حكماء لانهم عرفوا الحقائق على مقدار الطاقة البشرية انتهى علم الآثار العلوية . انتهى ما أردته من كتابي بهجة العلوم

هاهي ذه أيها الذكي آراء القدماء وآراء المحدثين في الشهب والنيازك التي ذكرنا معها المذنبات تيميا للبحث العلمي ، وقد علمت أن الشهب تبلغ نحو (١٥٠) مليوناً في السنة حول أرضنا كما ان المذنبات تبلغ عدد سمك البحر ، فينتج من هذا كله أن جو الأرض مملوء من تلك الشهب ومن ذوات الأذئاب ونحن لانرى منها إلا القليل ، فهل هذه الشهب التي تخترق أرضنا وهي تجرى حولها ليلاً ونهاراً هي التي تحرق الشياطين وتمنعها من صعود السماء

أقول : اعلم أن الشياطين ﴿ نوعان ﴾ شياطين الانس وشياطين الجن ، أما شياطين الانس فهم النفوس المحجوبة التي تعيش في أبدانها في هذه الأرض من بني آدم فهؤلاء الآن شياطين بالقوة فإذا ماتوا صاروا كهيئة الشياطين بالفعل ، ألم ترى قوله تعالى - فكبكبوا فيها هم والغاؤون و جنود ابليس أجمعون - إذن هم أصحاب واخوان وأصدقاء وكل ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا من مال وولد ونعمة إن هي إلا عذاب لهم كما قال تعالى - فلاتهجبك أمواتهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليذهبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون -

والانسان لا يستطيع الحياة إلا مع من هم على شاكلته فالعالم لا يعيش عيشاً يناسبه إلا في هيئة علمية واللص يفرح باللصوص وهؤلاء لا يعيشون في جو مكهرب بالعلم والمطر ينزل من السحاب ويجري في الأنهار ولكنه سرعان ما يكر راجعاً الى موطنه الأصلي وهو البحر الذي استخرجه ضوء الشمس منه فارتفع فصار سحاباً هكذا المفكرون في الحجاب في هذه الدار المحبون للحكمة يرجعون الى مقرهم عند ربهم دائماً يحنون الى ذلك المقام . وشياطين الانس الذين يعيشون في الأرض الآن لم يحجبهم عن الحقائق العلمية إلا أدران الذنوب والشهوات كما أن الأنبياء صفت نفوسهم فاطلعوا والحكام فكروا فعرفوا معرفة أقل فصاروا خلفاءهم . وللنفوس المحجوبة الشيطانية الاشارة بقوله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴿ كلا انهم عن ربهم يومئذ لجوبون ﴿ ثم انهم لصالوا الجحيم ﴿ ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون - وللنفوس الفاضلة الاشارة بالآية بعدها - كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون - إذن النفوس الشيطانية من بني آدم لها شهوات وأهواء ومعاص ونزوات منعتها من الاطلاع على الحقائق . ومن ذلك اسرافها في الماء كل والمشارب وتفانيها في طهي الطعام الذي يلد طعمه ويقل خيره وهل خيره إلا مادة الحياة المسماة بالفيتامين المتقدم كثيراً في هذا التفسير والذي سيأتي الكلام عليه في ﴿ سورة ص ﴾ عند آية - فبعضتكم لأغوينهم أجمعين - فالتفاني في التوابل وفي الطبخ بالنار التي هي القتالة لمادة الحياة في الطعام كما أظهره الكشف حديثاً والتباعد عن الفطرة من تعاطي الطعام وهو غير مطبوخ من كل ما يمكن أكله بلا طبخ فأصبح ذلك طبيعة للناس عالقة بهم لا يجدون عنها محيصاً كما لا يجد السكر محيصاً عن السكر وهو يعلم انه نار تلتظي عليه . كل ذلك مورث للأمراض وضعف الصحة ومانع عن فهم الحقائق

فلننظر إذن الى بيت القصيد وهي النفوس الشيطانية التي فارقت الأجساد من بني آدم وقلنا انهم هم اخوان الشياطين لأن القبيلين من واد واحد ، ولأذ كرك أيها الذكي بما تقدم في سور كثيرة مما نقلته عن علماء الأرواح أولاً وعن الشيخ السباع والخواص وأمثالهما سابقاً ، وتجذب بعضه في ﴿ سورة التوبة ﴾ فانك تجد هناك أن الأرواح في البرزخ قبل يوم القيامة لا تكون في الجنة الحقيقية ولا في النار الحقيقية ، فالجنة والنار الحقيقيتان تكونان يوم القيامة ، ألم ترى أن الله يقول - النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - الخ فهؤلاء هم واخوانهم الشياطين يكونون في الجو لا يرتقون الى الملاء الأعلى ، وهذا الجو مملوء بهذه الشهب وهذه الشهب كثيرة الحركات فيه وكثرة الحركات فيه تجعله ميداناً لانشغال النفوس واضطراب الأفسدة ، إذن كما اننا نعيش في أرض قد ملئت بالحرب والحرارة والبرودة والأمراض



وهكذا وذلك كما يشغل الأذهان عن الوصول للحقائق إلا قليلا من الأكابر هكذا الشياطين واخوانهم من أرواح بنى آدم الشريرة يهيشون في جوّ ملأه من الاضطراب والزلزلة المانعين من صفاء الأذهان المرسل للاطلاع على الحقائق ، إذن في الجوّ أوصاب واضطراب يمنع سكانه من معرفة الحقائق كما في الأرض ، وعلى هذا يكون قوله تعالى - ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصل - جاء على حقيقته ، فكما أن المجرمين من بنى آدم الساكنين معاني الأرض قد أضعوا حياتهم في الشهوات واللذات والحرب والضرب والقتال وهم عن معرفة الحقائق بهذه الأعمال محجوبون هكذا المجرمون من الأرواح الانسانية واخوانهم شياطين الجنّ الذين ضعفت نفوسهم فلم يجاوزوا جوّ أرضنا - لهم عذاب واصل - بضموم نحن نجهلها وهموم ومنها أخلاقهم التي اكتسبها بعضهم في الأرض ولم يظهر لنا من ذلك العذاب إلا تلك الحجارة النارية التي تجعل جوّهم خاليا من الصفاء كما نرى الناس يقتتلون في الميادين ونفوسهم مشغولة بالمدافع واليران التي تقذف منها على المتحاربين ، وكما أن المدافع والغازات الخائقة والمعمية تنزل على المتحاربين بأيدي غيرهم هكذا هذه الشهب تسقط في الأجواء بأيدي الملائكة المذكورين قبل ذلك الموصوفين بالزاجرات زجرا ، فهم كما يزجرون السحاب ويزجرون العالم العلوي والسفلي ليكون خاضعا لأمر الله وحكمه . هكذا يزجرون بتلك الشهب تلك الأرواح عذابا لها لتعجبها عن الاطلاع على الحقائق كما حجبت نفوس كثير من أهل الأرض عنها لأنها ليست أهلا لذلك والله يقول - ورحمتي وسعت كل شيء - وهذه الأرواح المحجوبة منعت معرفة الحقائق رجة من الله بها لأنها لم تستعد لها ولوعرفت لها ، فالنع الذي هو عذاب لهم قد صاحبه رجة حقيقية لأن العالم كله خلقه وهو أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين والى هنا تمّ الكلام على اللطيفة الثانية في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - الى قوله - شهاب ثاقب - انتهى صباح يوم الخميس (١٤) أغسطس سنة ١٩٣٠

### ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

( في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم \* وقفوهم انهم مسؤولون - )

أيها المسلمون : ظهر الحق واستبان السبيل . الناس طائفتان : طائفة جاهلة وأخرى عالمة . فالجاهلة تعيش وتموت كما يعيش ويموت الدود ولو كانت من قارئى الديانات والعلوم وهم في غفلة مسرذون . أما الطائفة العالمة فهي التي أدركت اليوم قبل يوم القيامة ادراكا يقينيا أن هذه العوالم كلها تجري على نظام ثابت من حيث المناسبات فكما اننا نرى الطيور في الجوّ والأنعام على الأرض والسماك في البحر بحيث لا يقدر أحدها أن يعيش في غير مكانه المعد له . وأيضا كل طائفة من الانسان والأنعام والطيور لا يجب أحدها أن تعيش إلا مع أمثاله وهو غريب بعيد عن غير نوعه . هذا أمر واضح . فهكذا سنكون بعد الموت فأصحاب الجحيم هم هنا الآن مجتمعون معا كما سيجتمعون معا هناك . وسترى الحكام الظالمين لا يحبون إلا أمثالهم واللصوص وأرباب السكباتر جميعا يألف بعضهم بعضا فالدنيا والآخرة على وتيرة واحدة

أيها المسلمون : العالم مقبل على أيام انقلاب عظيم وسوف يختلطون بالأمم عاجلا أو آجلا . والأمم المعاصرة لنا كلهم أوجلهم اخوان أو أصحاب المسيح الدجال لأن المسيح على قسمين : مسيح صادق وهو المسيح ابن مريم وأتباعه القديماء الصالحون . ومسيح دجال كاذب يظهر الصلاح وليس بصالح وهذا هو المسيح الدجال الوارد في الشريعة وقد ظهر أعوانه في الأمم المعاصرة لنا . إن المسيح الدجال الذي ورد في الحديث يظهر أنه يسعدنا بما يشبه الجنة ويهددنا بما يظهر لنا انه جهنم . فاذا دخلنا ناره أصبحنا في نعيم وبالعكس اذا دخلنا

جنته . الله أكبر : أليس هذا حاداً فعلاً حقاً وصدقاً . أم تدخل أوروبا بلاد الشرق لارتقائنا ثم هي تملأ بلادنا بالخر وأنواع المخدرات . فوا أسفاه على بلادى المصرية . واحسرتاه على عقول ونفوس ذلت وهلكت تقدم في هذا التفسير أنى نقلت عن (هنرى الفرنسى) انه قال : « إن الخيراتى يستعملها المستعمرون فى إهلاك الشعوب لم تؤثر فى بلاد الجزائر » ولكن أنا أقول متحسراً متأسفاً : « لقد نال المستعمرون ما أرادوا ودخل مسيحيوهم الدجالون بلادنا وضحكوا على العقول وملؤوا البلاد بالمخدرات والمسكرات والسموم المهلكات فانظر ماجاء فى مجلة « الدنيا الموقرة » تحت العنوان الآتى وهذا نصه » :

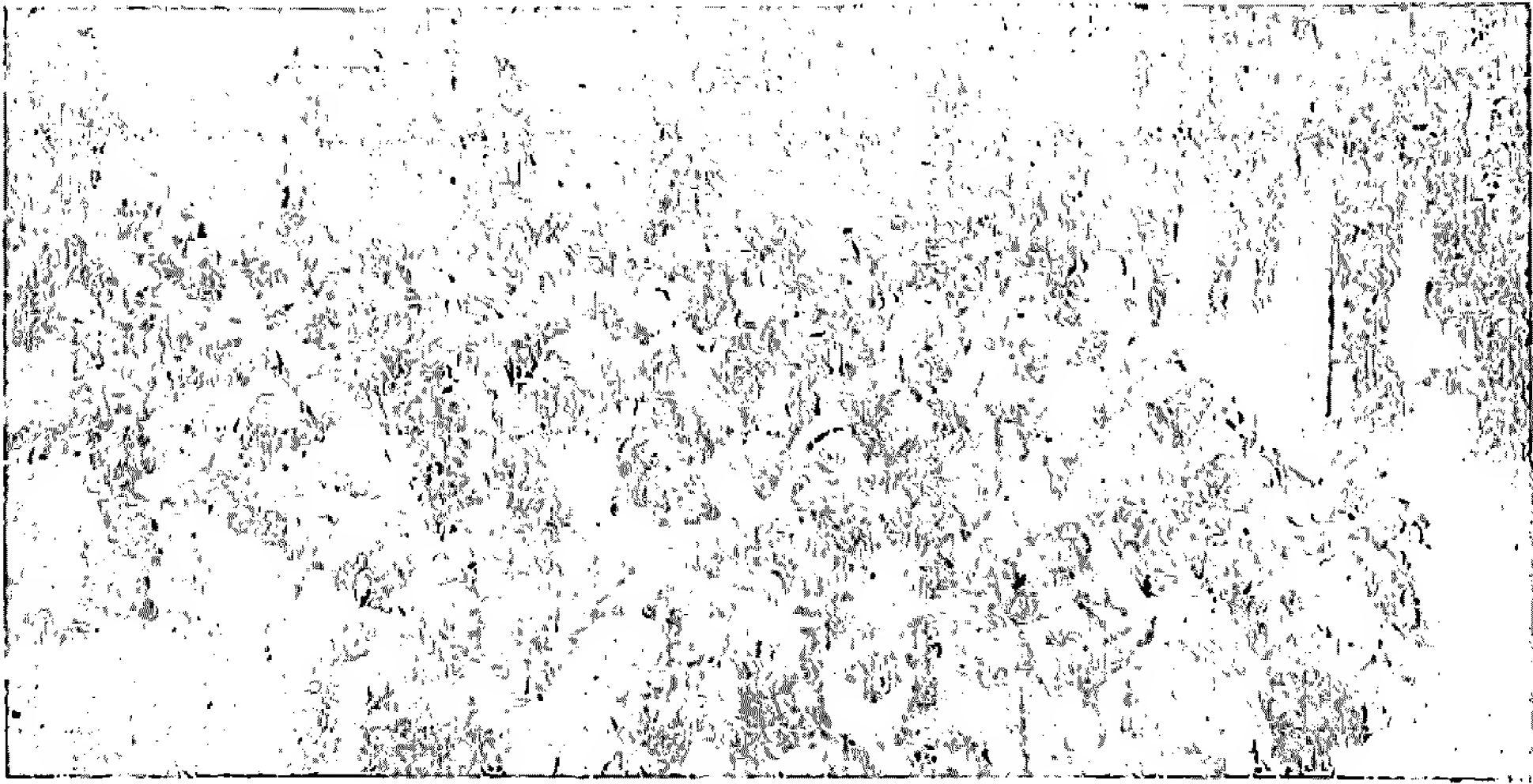
### ﴿ عبيد السموم البيضاء ﴾

﴿ أولئك الذين اشتروا الموت بالشرف والكرامة ﴾

﴿ حركة جديدة مباركة لمحاربة هذه السموم من مكتب مكافحة المخدرات بحكمداية القاهرة ﴾

اذاهم البلاد عدو قادر ينهب الأرواح ويدمر الأملاك ويعيث فى الأرض فساداً فان الواجب يقضى على جميع أبناء البلد الواحد بأن يتآزروا ويتضامنوا لدفع أذى هذا العدو السفاح وصون البلد من شره وويله . وقد ينكب العالم بالحروب . وبالجماعات . وبالابوثة . ولكنه لم ينكب من قبل بمثل نكبة المخدرات التى تفترس الأرواح قبل الأجسام وتقضى على الاخلاق والعزائم وتجعل من بنى الانسان الذين خلقوا للعمل وللجهاد جثثاً بالية وحطالاً فانياً . وقد نكبت مصر كما نكبت البلدان الأخرى بهذا الداء الويل الذى نث سموه بين طبقات فيها العمال وقتك فتسكا ذريعا وكان من حسن حظ مصر أن آلى حضرة صاحب السعادة حكمدار بوليس القاهرة أن يحارب هذا الداء الفتاك محاربة قاسية لاتعرف الشفقة والرحمة . وقد ظهرت نتيجة هذه الجهود وأثمرت ثمرا حسنا وبعد أن كانت الوسيلة التى اتبعتها الحكمداية هى وسيلة القمع والتهديد . والحكم بالسجون الطويل والغرامات الفادحة على تجار هذه السموم ومدمنيها عمدت الى وسائل الوعظ والارشاد والترغيب وكثيرا ما أفلحت الوعود حيث لا يفلح الوعيد . وهذه المخدرات أحياء خاصة تنتشر فيها كما ينتشر اللهب فى الهشيم اليابس . ومن هذه الاحياء المنكوبة حى النرعة البولاقية . طوفة واحدة فى ذلك الحى تبين لك أهوال هذه السموم وقتكها الذريع بالنفوس . فاذا جات بين الدور الحقيرة والازقة والحارات خيل اليك أنك تجول فى مقبرة انظمت أمواتها فخرجوا أشباحا مجردين من اللحم والدم يهيمون فى الطرقات وهم عظام نخرة تكسوها طبقة من الجلد الداكن الذى فقد رونق الحياة ونضرة الصحة . يفيض هذا الحى بأولئك العمال البائسين وأكثرهم من الصعايدة ، ومن الطبقة السفلى الذين أدمنوا تعاطي هذه المخدرات فأصبحوا لا يعيشون الا لأجلها فلا يهمهم أن يأكلوا أو يشربوا أو يلبسوا . وانما كل همهم أن يحصلوا على ما يشبع فيهم تلك الشهوة المفترسة . شهوة شم السموم وحقنها . ولم تكن الحكمداية تجهل مصائب هذا الحى . بل كانت لها فى كل حين هجمة على تجاره تقودهم الى أعماق السجون وبحث دقيق بين ساكنيه يؤدى عن يضبط معه شئ من هذه السموم الى الحبس . ولكن ماحيلة البوليس فى شخص تراه مهلهل الثياب زائغ البصر محطم الأعصاب مطروحا على الارض لا يقوى على الحراك وان قوى فانما يسعى للحصول على دراهم قليلة يشتري بها شيئا من الكوكايين أو الهرويين يسمم به جسده البالى . ماحيلة البوليس فيه وهو لا يحمل معه من المخدرات ما يجعله طريدة السجن ؟ لذلك قامت قوة من رجال البوليس فى الصباح المبكر من يوم الاربعاء الماضى وطافت فى ذلك الحى المنكوب . وراح أفرادها يتصيدون تلك الجثث المتحركة من الأزقة والشوارع والحوانيت . ولم يكن البوليس فى حاجة الى من يرشده الى مدمنى تلك السموم فان لهم طابعا خاصا . طابع البؤس والجوع والقدارة والجنون ! . ولم تمض ساعات قليلة حتى جمع البوليس حول ٢٥٠ شخصا من المدمنين الذين

تم مظاهرهم عليهم ثم جلهم في السيارات الكبيرة الى دار المحافظة وجلس ذلك الجيش الجرار في فناء المحافظة وهم لا يكادون يفقهون ما حولهم . وكان مشهدا مفرعا هو عبدة المهترين . وهو الدرس البليغ لمن تحدثه نفسه بأن يقضى على نفسه وعلى روحه وعلى كرامته هذا القضاء الشنيع . وراح رجال البوليس يتحققون أمرهم . واتضح أن الكثيرين منهم سجنوا صرارا لاحتزازهم المخدرات ثم أفرج عنهم بهسد أن انتهت مدة سجنهم فلم يروعه السجن بل عادوا الى شر ما كانوا عليه . و بينهم شبان في مقتبل الحياة وقد اضمحلت قواهم العقلية وظهرت عليهم دلائل البله والجنون وخارت قواهم الجسمانية فكأنهم في دور الاحتضار . واشتد بهم البؤس حتى لم يجدوا ما يسترون به أجسادهم الناحلة الاخرقا بالية واسمالا سهلة . وطاف بهم سعادة الحكمدار وضباط الحكمدارية وسار بينهم جناب الميرالاي بيكر بك يسوق اليهم النسخ ويذكرهم بأولادهم الجائعين وعائلاتهم المنكوبة وكرامتهم الضائعة وهم جود ذاهبون . ولاشك في أن أولئك المنكوبين بين جموع آلام وأحزان وشقاء فان لكل منهم قصة كاملة ملؤها الفواجع والنكبات . ويكفي أن نروي هنا قصص بعضهم حتى يدرك القارى مقدار ما تصنع تلك المخدرات بضحاياها . فهنا عامل كان يشتغل نجارا وله زوجة و ابنتان . ابتلى بداء المخدرات فما لبث أن طرد من عمله . ولم يجد وسيلة للحصول على ثمن السم الا ببيع أثاث منزله . وحاولت زوجته أن تردعه فلم يرتدع ولم يعد لديه ما يصلح للبيع فراح يأمر زوجته بأن تشتغل حتى تأتيه بالمال الذى لم يعد في وسعه الحصول عليه بعد أن خدت قواه . ولكن الزوجة كانت عاجزة عن العمل . وأرهقها الزوج التمس بطلب المال وبلغت به الحسرة أن عرض عليها أن تتاجر بهرضها الذى هو عرضه . فذهبت غاضبة الى منزل أحد جيرانها حيث لم يكن لها أهل في القاهرة . وأما البنات فقد سمى الأب حتى استطاع أن يرسل كلا منهما خادمة في منزل ويحصل لنفسه على أجرة خدمتهما . وبعد شيور قليلة فرت إحدى البنتين واختفت آثارها . ولو كان في الأب بقية من قوة تساعد على البحث لعثر عليها في دور الفجور . وغيره شيخ كبير لم يجد وسيلة للحصول على المال ليسم جسمه الا بالسرقة فسرق وسجن . وخرج من السجن فلم يجد أثرا لابنته التي كانت تعوله وقد جرفت الأقدار القاسية في سبيلها . وهذا كان «افنديا» . وكان موظفا . ثم ابتلى بهذا الداء وكان يحسبه في أول الأمر هوا بسيطا . ومالبت ذلك اللهو أن أصبح شغلا شاغلا . وطرد من وظيفته بعد أن انقطع عن أداء عمله وطلقت منه زوجته ورحلت الى أهلها . وانتقل من الشقة التي كان يسكنها الى مندرة حقيرة في حي بولاق . وعاش عالة على تجار المخدرات يوزع لهم بضائعهم المسمومة مقابل أن يمنحوه شيئا يشبع به شهوة شمه وبيع ثيابه وسار في الطرقات عارى الرأس حافى القدمين . ثم ضبطه البوليس فسجن . وقضى في السجن شهورا وخرج منه وليس في العالم بأسره من يهتم بأمره . فكان يرقد ليلة تحت الجدران في الازقة المظلمة ويسعى نهاره للحصول على قروش مهدودة بأية وسيلة . فكانت الوسيلة التي هداه اليها البحث أن يرشد طلاب اللهو الى منازل الدعارة السرية ؟ أولئك هم عبيد السموم البيضاء الذين اشتروا الموت بالشرف والكرامة . وسترى في الرسم الآتى في الصفحة التالية ( شكل ١ ) صورة طائفة كبيرة من المصريين المدمنين على تعاطي الكوكايين



( شكل ١ ) - أخذت هذه الصورة للدمنين على الكوكابين - وكان عددهم ٢٥٠ نفسا - في حوش المحافظة ويرى بجوارهم العساكر

وجاء في جريدة الأهرام في يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ مانصه

### ﴿ بيان رسل باشا في لجنة الافيون ﴾

#### ﴿ صراحة رسل باشا ووقع بيانه ﴾

جنيف في ٢٧ يناير - افتتح اللواء رسل باشا في لجنة الافيون المناقشة في منع الاتجار بالمخدرات فبسط الحالة في مصر بسطا مقرونا بالصراحة والشجاعة ، وكان لكلامه عن انشاء هذه الآفة وعن العمل السيء الذي يقوم به أصحاب مصانع المخدرات الاوربية وقع عظيم في النفوس . وقد قل ان هذه التجارة كانت قبل الحرب الكبرى متحصرة على الحشيش السوري والافيون السوداني وكانت اضرارهما محصورة في دائرة ضيقة فبعد الحرب قامت تجارة الكوكابين وتلتها تجارة الهروين وجنى المهربون منها أرباحا طائلة . وقد انتشر استعمال هذه المخدرات فتناولها جميع الطبقات حتى الفلاحين وانتشرت بين الشبان على الخصوص وأصبح الادمان على هذه السموم يشمل أكثر من نصف مليون نفس من مجموع السكان الذي يبلغ أربعة عشر مليونا . ورفض رسل باشا بعبارات مؤثرة فعل هذه الآفة وانتشار عدواها بين سكان هم من أصح الناس بنية وأعظمهم نشاطا وقال هل من العدل أن تصب اوروبا اطنابا من السموم على مصر وناشد جميع البلدان التي تصنع المخدرات أن تعاون في منع هذه الآفة التي تعمل لجنة عصبة الأمم بعزم صادق في سبيل القضاء عليها وتسكلم بليغة عن وجود التضامن الدولي في هذا الكفاح وعن ان عمل اوروبا يجب أن يكون مقرونا بشهورها بالتبعية والمسئولية . ثم كشف بصراحة وشجاعة القاب الذي يلقيه بعض ضروب الاعمال البرلمانية والادارية على أعمال القامنين بهذه التجارة في كثير من الاحيان وهكذا قدم رسل باشا للجنة الافيون مثلا حسنا في استقلال الرأي والحزم والصراحة وذكر الأعمال السيئة التي قامت بها عصابات مركزها في سويسرا وعمل بعض المصانع الألمانية والفرنسية . واستشهد بقضية مولر في بال وهي لاتزال لدى القضاء وأشار الى الفروع المنتشرة في ايطاليا وفرنسا وألمانيا واليونان وتركيا وقال ان أساليب أصحاب هذه الصناعة ومصدرى موادها قد اكتشفت في أكثر الاحيان بنضل يقظة رجال السلطة في مصر . وأثنى على ماأبداه رجال السلطة الفرنسية . والسلطة السويسرية من المعاونة فرد عليه المسيو بورجو مندوب فرنسا قائلا ان الحكومة الفرنسية مصممة على متابعة



هذه المعاونة لمنع هذه الآفة وأكد الميسيو كارير مندوب سو إسرا معاونة الحكومة السويسرية وأشار الى تلافى النقص الذي كان في التوزيع السويسري ووقع بسببه ما أشار اليه رسل باشا في بيانه وهنا رسل باشا بما أبداه من النشاط والخدم . وقد أشار رسل باشا الى التحقيقات القضائية الجارية، وستمود اللجنة الى المناقشة في جلسة خاصة وبفضل ما أبداه رسل باشا من الخزم سيفضى الأمر باللجنة الى طلب ايضاحات من بعض الحكومات عن عمل بعض المعادل الكبيرة التي تصنع العقاقير وهكذا عادت الى بساط البحث مسألة تحديد صنع المخدرات التي كانت اللجنة تتجنب البحث فيها من قبل

﴿ الافشاءات الخطيرة في تقرير رسل باشا ﴾

﴿ أقوال جريدة منشستر جارديان ﴾

لندن في ٢٧ يناير - نشرت جريدة منشستر جارديان اليوم رسالة لما كتبها من جنيف ضمنها نتيجة مقابلته اللواء رسل باشا وقد قال عنه أنه صرح له بحقيقة راهنة وهي أن الافشاءات التي بدت في تقريره تنفرع منها حقيقتان هما بمثابة تحد للبلدين المختصين وتستفز ان رفع الدعوى وقد قال رسل باشا بنفسه انه قد يكون في السجن يوم الاثنين عند ما يمثل امام اللجنة، ويقدم ادعاءين كل منهما بمثابة تحد فيما يتعلق بشؤون معمل موهاوس وكماوى بزورج . اذ يتبين من تقرير رسل باشا أن معمل موهاوس استحضرو صدر الى الخارج سنة ١٩٢٨ من الهروين ٤٣٤٩ كياوجراما وهذا يساوى أكثر من ضعف ما يلزم للعالم كله من هذه المادة للمقتضيات الطبية والعلمية ويربى على مجموع ما أصدرته فرنسا من هذا الصنف كما ورد في التقرير الفرنسي عن سنة ١٩٢٨

اما فيما يتعلق بكماوى زورج فقد علم رسل باشا من الميسيو كارير أن القانون السويسري سيعمدل بهذا الشأن ويبقى علينا أن نرى ماذا يقول مندوب فرنسا الميسيو بورجوا عن معمل موهاوس . فالميسيو روزيت رئيس مكتب المواد المخدرة الذي انشئ حديثا في فرنسا وصل أخيرا الى جنيف لمساعدة الميسيو بورجوا . ويقول رسل باشا أن أرقامه مأخوذة من دفاتر معمل موهاوس بمعرفة أحد رجال البوليس المصري الذي كان يعمل بمعاونة أرباب السلطة في موهاوس

لندن في ٢٧ يناير - أنشأت جريدة منشستر جارديان اليوم مقالا افتتاحيا قالت فيه : نعم ان مطالعة تقرير رسل باشا تحزن ولكنها تثير العواطف وتستدعى الاهتمام . فقد استطاع رسل باشا وزملاؤه أن يكشفوا عن خطوط مواصلات خفية تربط بين كبار تجار المواد المخدرة في الاسكندرية ولندن ومصانع هذه المواد في اوربا الوسطى . وقد وجهت الآن العناية الى محاربة المصانع الكيماوية التي تنتج من هذه المواد أكثر مما يجب اذ لا فائدة من الاقتصار على مقاومة الموزعين والتجار وترك المصانع وشأنها مادام مصنع واحد في الازاس يمكنه أن يستحضر من الهروين في كل عام أكثر من ضعف ما يلزم العالم منه للاغراض المشروعة فقد يتسنى لتجار المخدرات أرباب الأموال الطائلة أن يشتروا كل ما ينتجه ذلك المصنع وفي تقرير رسل باشا معاومات مختصرة وافية للجنة عصابة الأمم للنظر في خطط فعالة لتحديد منتجات المعامل من هذه المواد طبقا للمقتضيات الطبية ولكن مادام العالم يزيد من زرع القنب وشجر الكوكا أكثر مما تتطلبه الحاجات الطبية لا بد أن يستمر صنع المواد المخدرة وتجارها المحرمة . ثم أن تدخين الأفيون واصله في الشرق الأقصى يجعل الآن تحديد محصره تحديدا دقيقا غير ممكن عمليا ولكن ربما تسنى ذلك في المستقبل اهـ

## ﴿ تذكرة ﴾

( في صباح يوم الخميس ١٧ يوليو سنة ١٩٣٠ )

تأمل أيها الذكي هذه الصورة واعجب لايتنا التي نحن بصددنا - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الخ  
واذ كر قوله تعالى - فسكبكبوا فيها هم والغاؤون و جنود ابليس أجمعون - وقوله تعالى - لأملاّن جهنم  
منك ومن تبعك منهم أجمعين -

أتدري ما سبب هذا كله ؟ سببه الجهل ، لولا الجهل ما تعاطى هؤلاء المخدرات القاتلات ، وما هؤلاء  
المرسومون المساكين الذين أغراهم زبانية جهنم من الاورو بين الذين يسعون لاهلاك الشرقيين احتقارا  
لهقوبلم واستصغارا لشأنهم وقياماً بحق الاهلاك الذي سنته شرأعهم التي اتفقوا فيما بينهم عليها منذ أيام الحروب  
الصليبية ومن قبل ذلك في الحروب الأندلسية ، ذلك أنهم رأوا في أمة العرب قوّة شكيمة فهرعوا الى الخديعة  
والغدر وأجمعوا أمرهم بينهم أن لا يحاربوهم إلا بالعادات وادخال الغفلات عليهم ، وعاهدوهم على أن يكون  
التعليم حراً والتجارة كذلك ، هنالك قام رجل يقال له (ابن مصعب) فنادى في قومه قائلاً : « أيها القوم :  
سيأتي يوم ينسى أبناء العرب مجد آبائهم بما يقرؤن في كتب الاورو بين ويتنعمون وينغمسون في الشهوات  
ويسرفون في الماء كل والمشارب ويحرقون دينهم ثم يتفرقون شيعا ويدوق بعضهم بأس بعض . فقالوا :  
أنت رجل قصير النظر لا تعرف في السياسة شيئاً »

هنالك أقاموا الأفراح شهرين بعد هذه المعاهدة ورئيس الأمراء يومئذ (ابن عباد) ولبعض الملوك  
الاسلاميين جيوش فعال خيلهم من ذهب ، ولقد صدقت فراسة (ابن مصعب) وحق القول على المسلمين في  
الجزيرة (اقرأ هذا الموضوع في عادة الأندلس) وصار الشاب يلبس الحرير ويتختم بالذهب واستدانوا من  
الفرنجة بالربا وشربوا الخمر نهاراً جهاراً وذموا العرب وأخلاق العرب وتاريخ العرب وعكفوا على الشعر وتركوا  
الصلاة واتبعوا الشهوات فلقوا غيا

هنالك ذهبت الحية وافترقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وتفرقوا عشرين دولة وهم صاغرون ،  
ثم هلكوا ومن بقي منهم تنصرو ومنهم من غرق ومنهم من طرد الى فرنسا ومنهم من سار الى بلاد صراكش  
وما والاها ولله الأمر من قبل ومن بعد

وهذه النظرية التي فعلوها في الأندلس هاهم أولاء يفعلونها في بلاد الاسلام الآن ، فانظر كيف ضحكوا  
على أذقاننا وأدخلوا السم بلادنا جريا على أخلاق المسيح الدجال . دخلوا متظاهرين باسم رقينا واسعادنا ودرسوا  
السم في السم . فأما المتعلمون منا فعلموهم قشور وفضلات ، والدليل على ذلك انهم لا يعرفون من علومهم  
إلا أن ينطقوا بالفرنسية مثلاً أو الانجليزية . ويظن أكثرهم أنهم بسبب هاتين اللغتين أو بعض العلوم الأدبية  
قد ألموا بعلم الغربيين وجاهلوا انهم أصبحوا مغمورين في مخازي سفهائهم وشرور جهالهم واندجوا في  
همائم فطاحت القومية وضاعت لتفرق الأهواء . وتحاذل سفهاء الرؤساء سعيها وراء الشهوات التي اتبعوها  
باغراء القوم وازدراء للاوطان والأديان الشرقية تقليداً لأولئك الاورو بين فهم لا يلبسون إلا من مصانعهم  
ولا يفاضلون إلا النساءهم ولا ينامون إلا في فنادقهم ولا يتعاطون مشروباً ولا مأكلاً كولا إلا من أيدي خادمي فنادقهم  
والمنازل المعدة للشرب والطعام . فما أشبه الليلة بالبارحة

لقد ذكرت في الأجزاء السابقة قصة ذلك الراهب الاسباني في قرطبة الذي اشترى عنب قرطبة كلها  
وعصره وقال أنا لا أعطيه إلا لأبنائي وأحبابي تلاميذ المدارس المسلمين وهذه أر بعامة سنة والغفلة مستحكمة  
ولم يظهر في أم الاسلام عقول رابحة تفهم العمامة ماحاق بهم من النمل والظوان والجهالة واني لم أجد رجلا في

الشرق استيقظ لذلك إلا نافلة الهند وهو غاندى فنه حرم الملابس الفرنجية والخمر وكان الأجدر بهذا أمم الاسلام  
 إذن ليس هؤلاء المرسومون في الصورة المتقدمة المخدريين وحدهم . كلا . فأهم الاسلام اليوم في بلادنا  
 مخدرة لأن التخدير على قسمين : تخدير ظاهر وهو ما رأيت ، وتخدير باطن وهو تخدير المتعالمين والأغنياء  
 وأرباب الجاه ، أولئك الذين يعيشون ويموتون ولا هم يدكرون فلا يعقلون ما يراد بهم ، إن جميع أنواع التجارة  
 الاوروبية من باب التخدير ، يجب أن يجتهد أهل الشرق في المصانع والمعامل والمناسج والمزارع والتجارة حتى  
 يضارعوا أهل الغرب في كل فرع من فروع الحياة والا فهم مخدرون وصدق فيهم قوله تعالى - احشروا الذين  
 ظلموا وأزواجهم - وحشرهم في الآخرة قد ظهرت بوادره في الدنيا بأشكال هذه الصورة وباشترائك سكان  
 شمال افريقيا من مصر الى مرا كشي وسكان بعض الشرق الأدنى من أهل الشام والعراق والموصل في  
 الاستعباد للأمم الاوروبية لغفلة العلماء والأمراء السابقين بسبب استحكام الجهالة ، فنأين رأينا المرسومين في  
 هذه الصورة السابقة مسوقين الى المحاكمة عند الحكومة المصرية ليزجوههم في السجون لغير هذه الأهم  
 العربية في شمال افريقيا وغرب آسيا مسوقين لسجن الاحتلال والاستعباد واذلال أهل أوروبا يرسفون في  
 القيود وهم لا يعلمون

ومن رعى غنما في أرض مسبعة \* ونام عنها تولى رتبها الأسد

اللهم إن هذه هي نفسها صفة المسيح الدجال ، إذن المسيح الدجال المذكور في الأحاديث الآتي في آخر  
 الزمان له أمثال وأشباه هؤلاء المسيحيون الدجالون يطلق عليهم المسيح الدجال من باب الكناية لأن الكناية  
 لفظ أطلق وأريد به لازم معناه فليس المسيح الدجال الذي في الأحاديث على معناه الظاهري ولكن المقصود  
 هنا في زماننا هو المعنى الكنائى كما ذكره الامام الغزالي في حديث « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا  
 صورة » فقال هذا الحديث باق على معناه وهذا لا يمنع من المعنى الكنائى وهو ان الذين امتلأت قلوبهم  
 بالشهوات المرموزها بالصورة أو بالقوة الغضبية المرموزها بالكلب لا تتصل الملائكة بقلوبهم فهم أبعد الناس  
 عن العلم فهكذا هنا فليبق الدجال على معناه الظاهري ولكنه يرعى الى ما نحن فيه الآن ، إن المسلمين اليوم  
 دخل عليهم هؤلاء المسيحيون الدجالون فأعموهم عن الحقائق وصاروا جهالا فعمسوهم في الشهوات واللذات  
 والجهالات فأتت النفوس ، بل أكثر هذا النوع الانسانى اليوم مخدّر مخمور كهؤلاء الذين في هذه الصورة فهم  
 يأكلون ولا يعقلون كيف يأكلون ، انظر الى ما تقدم في سورة طه وسورة الشعراء وأول سورة الحجر وفي سورة  
 البقرة عند آية - أنستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - ففي تلك المواضع وضح ما يقوله الأطباء في زماننا  
 فى الذى يجب أن نأكله وفي أنواع المداواة ، ثم انظر الى ما يأتى فى ﴿سورة ص﴾ عند آية - يا داود إنا  
 جعلناك خليفة فى الأرض - وكيف تسمع أفلاطون حاكيا عن سقراط فى الجمهورية وهو يخاطب غلوكون  
 إذ يذم أبناء الجمهورية الذين يعيشون عيشة الترف وأن ذلك مضعف للأجسام مضيع للعقول ، وكيف تدهش  
 حين تسمع منه هذا الأسر العجيب الغريب وهو أن هناك علاقة تامة وصلة ثابتة بين القضاة والأطباء وبين  
 الماء والماغنى ، وأن الناس كلما أكثروا من أوان الطعام ولم يكتفوا بالبساط من الأطعمة كثرت عندهم  
 الأمراض فاحتاجوا الى الأطباء ، وأن المغانى وان كانت ملطفات لأمرجة الجيوش الذين يزاولون الأعمال  
 الرياضية (بالجناستك) لا يجوز التفتن فيها لأن ذلك يورث الفسوق والعصيان وذلك من موجبات الوقوف  
 أمام القضاة فوجب أن تكون المغانى بسيطة وكذلك آلات الطرب وكذلك الماء كل ، وعار على أبناء  
 الجمهورية أن يحتاجوا الى الأطباء إلا نادرا ولا الى نقضاء إلا فى أمور خاصة ، وأخذ يحقر من يفتخر بأنه قد  
 غلب خصومه بالحجة أمام القضاة قائلا : « إن الحياة السهلة التى خلت من القضايا ومن المشاغبات هى الحياة التى  
 تليق بالانسان »

إذن المخترون المرسومون في الصورة لهم اخوان كثيرون لم يرسموا وهم أ كثر المتعلمين نصف تعليم من الذين درسوا في المدارس النظامية ومن الأغنياء في ديار الاسلام ومن رجال السياسة ، فهم قد زجوا في نارين : نار تقليد الفرنجة وشراء بضائهم ونار الجهل في الماء كل التي توقع كثيرا منهم في المرض مع الشهوات الأخرى ككالطمع والحرص والحسد الموقعات في المشاحنات واقامة القضايا أمام القضاة ، فلئن حشر هؤلاء المخترون في السجون المصرية كما سيحشرون يوم القيامة معا هكذا حشر أولئك المتعلمون والأغنياء من أبناء العرب ونحوهم في شمال افريقيا والشرق الأدنى في حظيرة الاستعباد كما سيحشرون يوم القيامة في الدرجة التي كانوا عليها في الدنيا معا

هناك سألتني صاحبي قائلا : علام هذه الضجة كلها ، ألسنا الان في تفسير القرآن ؟ قلت بلى . قال : وهل هذا كله ينطبق على - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الخ مع انها لم ترد إلا في الكفار يوم القيامة وأنت صبت كلامك كله على المساميين في الحياة الدنيا . فأين الآية وأين ما ذكرته أنت . إن من يقرأ هذا يقول إنك أنت لك قصد تقوله فأثبت به تبع الآية والا فالآية بريئة منه . فقلت له : هو تفسير للآية حقا وصدقا ومما شلى في هذا إلا كمثل عمر رضى الله عنه في قصة الربيع بن زياد المذكورة في ثنايا هذا التفسير إذ كان أميرا من أمراء البحرين تحت رئاسة أبي موسى الأشعري إذ كتب له عمر احضرات ومن معك فحضروا جميعا ووكالوا بداهم من يقوم بالحكم مدة غيابهم ، واحتمل الربيع الذي هو أحد الأمراء أن يفعل ما يرضى أمير المؤمنين بإشارة غلام عمر المسمى (يرفأ) بأن اتخذ نهالا مطارقة أى ذات رقاع من جلد غير منتظمة ولبس أهداما بالية وأجاع بطنه يومين كاملين حتى يقدر أن يأكل طعام أمير المؤمنين الحشن وهذا الأمير ومن معه ما تعودوا الطعام الحشن ، فلما أن مدت المائدة لم يكن في الأمراء من كان أسرع إليها من الربيع اشدة جوعه فأعجب به عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ يحادثه دون رفاقه فسأله الربيع يا أمير المؤمنين هل لك أن تتخذ طعاما ألين من هذا فزجره عمر وقال ماذا تقول ؟ فقال لو انك أمرت أن يكون خبزك في يوم الأكل لكان أسهل لك فقال له أعلى هذا غرت (بضم أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه) أى أنت تريد هذا ، ثم استرسل معه فقال : يا ربيع لو شئت للمأت هذه الرحاب صلائق وسبائك وصنابا ولكنى سمعت الله يعير قوما إذ يقول - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - والمراد بالصناب ككتاب الزبيب المصنوع مع الخردل ليقوى شهوة الطعام التي تفتها أطباء العصر الحاضر ، والمراد بالصلائق أنواع اللحوم والسبائك ما يصنع من الدقيق الناعم الأبيض الذي استنكره أطباء زماننا ، إن هذه الآية وردت في الكفار ولكن عقول الصحابة وآراؤهم لم تكن كهقولنا وآرائنا فهو أدرك المقصود من الآية وهو أن الذين ينهمكون في الشهوات يعاقبون لأن الانهماك نفسه سبب للنتيجة لافرق بين مسلم وكافر فلذلك قرأ الآية ولم ينسك عليه أحد والعلماء المتأخرون يقولون في مثل هذا انه اعتبار بما في الآية فأنا أقول : الذين ظلموا وأشباههم يحشرون في جهنم . فأنا إما أن أفهم كفهم عمر رضى الله عنه ويكون كل هذا دخلا في معنى الآية وان وردت في الكفار ، وإما أن يكون ذلك أمرا راجعا للاعتبار بالآية كما يقوله علماء الاصول وكلامنا هنا كلام علمي تاريخي لامناقض ينقضه . نعم الجهل هو الذى ينقضه والجهل شوم كله . فأنا إذن فسرت الآية إما تفسيرا أصليا على طريقة عمر أو تفسيرا بالاعتبار على طريق المتأخرين والحمد لله رب العالمين

\*\*\*

واعلم انه لولا ضيق المقام هنا لذكرت لك أيها الذكي هنا قولنا جامعا في حبس الناس في عاداتهم وأخلاقهم وأحوالهم لمناسبة صور أولئك المدمنين على المخدرات ولكن اقرأه في (سورة ق) عند آية - يوم نقول



لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد - فهناك ستسمع حديث السكير الذي ما كت الخمر فؤاده فلم يقدر على التخلص منها والحديث المبكي المذكور في الجرائد المصرية وبين الحديثين أربعون سنة والحديث الثاني حديث من وقع في المخدرات المذكورة هنا وكان تلميذا في الابتدائي . فهناك وصف محزن لهذه الطائفة التي ابتليت بشم الكوكابين الذي جلبته أوروبا لنا لاهلاكنا . وهناك تبيان واسع لبيان أن هذه أمثال سابقها الله لنا واخوة تدل على ما عند هذا الانسان من العادات الموروثة والشهوات التي حصرت في أحوال خاصة منعه من الخروج منها مما يدل على أن حياتنا الدنيا في صورتها أشبه بمصفرجهنم فالتناس يريدون أن يخرجوا من شهواتهم ومن عاداتهم ولكنهم لا يقدرون كما هي الحال في أهل جهنم والحمد لله على ما علم ولا الشكر على ما أظلم

﴿ جوهره في قوله تعالى - وقفوهم انهم مسئولون ﴾ ما لكم لاتنصرون ﴿ بل هم اليوم مستسلمون - ﴾ جاء في الحديث أن ابن آدم لا تزول قدمه من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن شبابه فيم أبلاه ، وعن عمره فيم أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقته ، وماذا عمل فيما علم اعلمى أيتها الأمم الاسلامية أن سؤال الآخرة ووقوفنا بين يدي الله تعالى له مقدمات ظاهرات في الدنيا خافيات ، فنحن في تعاطي الطعام مسئولون وان كنا به جاهلين كما أنا مسئولون في نظام مدننا وفي افاضة الخير على غيرنا وان كنا غافلين ، لا عذر للجاهلين في الدنيا ، ولو كان الجهل عذرا لم نر الذين يسرفون في طعامهم وشرابهم تنتابهم الأمراض ولأولئك المسرفون في أموالهم ترهقهم الديون ولا الكسالى والمترفون يغشاهم الفقر ولا الذين يتعاطون المخدرات في بؤس وعذاب مهين في هذه الحياة وعذابهم لزام كأنهم يشربون شرب الهيم ، ولا الأمم الشرقية التي غفلت عن العلوم والصناعات قد ملك زمامها الاوروبيون - وقفوهم انهم مسئولون ﴾ ما لكم لاتنصرون ﴿ بل هم اليوم مستسلمون -

أتم مسئولون عن صغيرات الامور وكبيراتها في الآخرة كما أنكم مسئولون في الدنيا . هاأناذا في مصر بلادى أرى جهالة شائعة وأعمالا فاسدة وتقاليدظالمة والناس بها مفتونون ، اهدموا التقاليد وأزياوا الحجب وأميطوا الأذى من طرق الإصلاح ، أمرتني شوارع القاهرة فأرى شبانا وزهرات الجيل الحاضر محشورين زمرا زمرا في مشارب القهوة يتعاطون أنواع المشروبات وهم يقرؤون علم الطب في الكتب ونظام السياسة في الجرائد ولكن أكثرهم لا يعلمون

التجارة في يد الأجنبي وهو الذي يدير تلك المحال ويستنزف الثروة ويضيع شباب شبانا ويفتح لهم باب الشهوات فتقل الأمانات وهم امتيازات وتفضل على الوطني نالوه قديما ونحن نؤمن منذ نحو (٧٠٠) سنة اجتمع أساطين الأمم المسيحية مع البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا وقالوا « لاطاقة لنا اليوم بحرب هؤلاء العرب بالأندلس فلنعاهدهم على حرية التجارة والدين والتعليم ، وهؤلاء سليمان والقاب فلندخل عليهم ما نشاء من التعاليم » فاجتمعوا وعاهدوا ملوك الأندلس تحت رئاسة ابن عباد وتم ذلك والقوم كانوا عن الحقائق معرضين فأيقظهم رجل منهم يسمى ابن مصعب فتولوا عنه مدبرين ، شربت الخور في الأندلس ، زال البأس والشهامة والنخوة ، تباهى الشبان والشابات بالفسوق وعدوا ذلك مدينة حديثة ، عصر راهب اسباني عنب قرطبة كله خرا حبا في أحبابه وهم تلاميذ المسامين ، تقهقرت الأخلاق ، طاحت الأنساب ، ذات الأعقاب ، زلت الأقدام . هلكت الجيوش ، زالت العروش ، طردوا من بقي من البلاد وهم محقورون مرذولون منبذون - وقفوهم انهم مسئولون ﴾ ما لكم لاتنصرون ﴿ بل هم اليوم مستسلمون -

زالت الأندلس ولم يبق منها إلا الذكرى ، إن الذكرى تنفع المؤمنين وقفوهم انهم مسئولون ، لم يعتبر

أبناء العرب بما حلّ باخوانهم ، جهاوا أصلهم ، حقت عليهم كلمة ربهم ، ساء مصيرهم . وقفوهم انهم مسؤولون  
 نبغت أحم ودول في أوروبا ساروا سراسبانيا ، دخلوا شمال أفريقيا من تونس والجزائر ومراكش ومصر  
 والعراق والشام ، بماذا دخلوا ؟ بنفس اللرس والاسلوب الذي أسسه البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا  
 فتحوا لهم أبواب الشهوات ، زجوههم في محال القهوات . استهويهم بالفادات الحسنان . شفاوهم بالعبادات  
 بغضوهم في العبادات وفي كل ما هو شرقي . سقوهم خرمهم . وأجلسوهم في أماكنهم . أخذوا نقودهم .  
 حقروا لهم دينهم وأصلهم وما كاهم وملابسهم ومشاربهم وسير آباءهم . مقتوهم . كرهوهم . وقفوهم انهم  
 مسؤولون - وهم يتبرؤن منهم ويقولون - وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين -  
 ذلّ المصري والمراكشي والجزائري والتونسي وأقفلت الطليان زوايا السنوسيين في طرابلس وتمزقت  
 وحدة السوري لأن هذه الأمم متفرقون وأصراؤهم السابقون وعلمائهم وصلحاءهم لم يكونوا يتواصلون  
 وكل حزب بما لديهم فرحون . فذلت الأقباب وأهينت الأنساب وحلّ البطش وتفرقت أجمع - وقفوهم انهم  
 مسؤولون \* مالكم لاتنصرون \* بل هم اليوم مستسلمون -

ذلّ أجمع . واتسع الصدع . وفتق الرتق . وقلّ الجند . وذهب المجد وزال الجد (١) وقلّ الجد (٢) والمسلمون نائمون  
 - وقفوهم انهم مسؤولون -

بقيت امتيازات الأجانب في البلاد لجهااتهم لأن تجارتهم رابحة وأعمالهم رابحة . ربطت العادات على  
 قلوب الشبان فهم في تلك الأماكن يكرعون . ومن ما كاهم يتغنون . فتوطدت الامتيازات وبقي الذلّ  
 - وقفوهم انهم مسؤولون -

استيقظ بعض الأمم الشرقية كأهل الهند فنهوا الملابس الأجنبية وحاربوا الخمر لأن الأمرين نابان للفن  
 وخراب الأسرة وضياع المال وبقاء الاستعمار ولكن في بلادنا وأمناها لاسميع ولا محجب - وقفوهم  
 انهم مسؤولون -

وينشأ ناشئ الشبان منا \* على ما كان عوده أبوه

اعتاد الناس تعاطي الدخان وتغالوا في شرب الخمر وأتبع ذلك الشاي وغيره ومخدرات وسموم والناس  
 ساهون لاهون والفرنجة هم المضاون والمسلمون مهملون - وقفوهم انهم مسؤولون -  
 ليحرم علماء الاسلام أن تفتش تلك الأماكن أماكن الفرنجة التي تخالف الصحة في هواها الفاسد بكثرة  
 الأنفاس وأنواع الشراب وهكذا يتناوب الكوب الواحد في اليوم عشرات الشاربين . ويتعاطون الدخان  
 والقهوة والخمر . ولقد أصدر الأطباء حكمهم على هذه لاسما أطباء أمريكا وتقدم نقل ذلك في سورة البقرة  
 عند آية الخمر ولكن أكثر المسلمين جاهلون - وقفوهم انهم مسؤولون -

تفرقت القلوب شيئا في بلادنا وذاق بعضهم بأس بعض - وبأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى -  
 حرص على المال وغراما بالشهوات فلك الأجنبي رذل الوطني وعسى أن يزول ذلك قريبا - وقفوهم انهم مسؤولون -  
 بعض الصوفية يسيطرون على العقول وهم أنفسهم جاهلون فلا الرياضيات درسوا ولا الطبيعيات تعلموا  
 ولا الإلهيات فهموا - وقفوهم انهم مسؤولون -

قلت الصناعات وطاحت التجارات في البلاد وختل الديار وضاق الخناق وتفرقت الأهواء وكثر  
 المرء وظهر الجدل واضمححل العلم والدين ولا مفيث ولا معين - وقفوهم انهم مسؤولون -

ما ملك الفرنجة ولا أبقاهم في بلادنا إلا طموح الأفراد للشهوات السافلة في محالهم واقتنائهم بصناعاتهم  
 ولوأن الشعب عرف الحقيقة وتخلّى عنهم لخرجوا من البلاد وهم مسرعون ولكن المسلمين ساهون لاهون

- وقفوهم انهم مسؤولون -

أجسام الشرقيين قوية ، وعقولهم صحيحة ، وأنسابهم رفيعة ، الذين من بلادهم ظهر ، وكل نبى فهو من الشرق باصطفاء الله نابت ، عرفت أوروبا بقدر الشرقيين خافوا بأسهم ، حذروا أن يقرؤا علومهم ويعرفوا صناعاتهم فبردوا كيدهم في نحرهم فشغلواهم بالشهوات ، وأفسدوا بينهم العداوات ، إنهم باتباعهم فرحون ، وعن تعليمهم قاصرون ، واقتصر علماء الدين نحو ألف سنة على فروع النقب ، ونسوا أكثر ما ذكره في القرآن ونسوا آيات الله في الأكوان في الأرض والسموات فأقفلوا باب علوم القرآن - وقفوهم انهم مسؤولون -

اتحد الأطباء في اليابان وأمريكا وأوروبا على تحليل الأطعمة . أيها أطلع لنوع الانسان وأيها أضرت ؟ فأجمعوا في هذه الأيام على أن ما أنضجته النار قليل النفع وما يتعاطى بالطبخ ينفع الأجسام وينفع الأمراض ويحفظ العقول ورجعوا بالناس الى آدم وحواء قبل الأكل من الشجرة ، ولكن المسلمين قلّ منهم الأطباء فلم يدلوا دولهم في الدلاء لأن المسلمين لا يعادون - وقفوهم انهم مسؤولون -

درس الأطباء في العالم أيضا نظام الملابس والهواء والماء والفضياء فأجمعوا أن تعريض الأجسام للشمس نهارا كما يعرضها الحاج في عرفة والحياة الخلوية في الهواء الطلق منعشة للأبدان مقوية للعقول قاتلة لسكل مرض ولكل (مكروب) حيوان ذرّى ولكن هؤلاء الأطباء في المسلمين يقولون لأن أكثر المسلمين لا يعلمون - وقفوهم انهم مسؤولون -

درسوا أيضا فوائد الرياضات البدنية وتقوية الأعضاء بالأعمال الزراعية والمشى في الخلاء ودوام الحركة وحققوا أوقات النوم واليقظة كما فعل ذلك كله من قبل علماء الطب كابن سينا في كتاب القانون إذ رأيت ذكر جميع أنواع التمريبات بأوسع مما ذكره الفرنجة ، ولكن المسلمين المتأخرين هم النائمون وان قرأ بعضهم الطب وملاحقته فأنما هم للفرنجة مقادرون - وقفوهم انهم مسؤولون -

رأوا في جزيرة العرب أمراء وملوكا يحكمون أمما لا تزال على فطرتها وعقولا قوية ونفوسا شريفة تستعد لأرفع المدنيات ، وتصلح لأقوم سبل الخيرات . فهاهم الآن يريدون أن يجعلوا بأسهم بينهم شديدا ليصرفوهم عن العلم الى الحرب . فالدرس الذي تعلموه من قدماء الاسبانين لا يزالون له حافظين ولكن المسلمين عن ذلك ذاهلون - وقفوهم انهم مسؤولون -

اللهم إني أكتب هنا وأنا أعلم انك سألني عن كل ما علمته من النقص في أمم الاسلام ولقد سهلت لي سبيل العلم والنشر فأنا مسؤول وكل تقصير يقع مني في تلك السبيل أعتقد اني عنه مسؤول والجزاء عليه في الدنيا بالحرمان وفي الآخرة بالعذاب يوم أقف بين يديك ويقف المسلمون والخلائق أجمعون - وقفوهم انهم مسؤولون -

المسيح مسيحيان : مسيح صادق . ومسيح كاذب . فالمسيح الصادق هو ابن مريم ويشا كله في الصدق أناس وأمم في أزمان مضت في دهر الدهارير . وأما المسيح الكاذب وهو الدجال فله أمثال وأشكال وجيوش مستعدة في جميع الأمم شرقا وغربا وهم الكذابين الخائثون من أهل السياسة وغيرهم وعلى قدر غفلة المسلمين بالجهل سلط الله هؤلاء عليهم . وهم أصحاب السيف والنار والمدافع والغازات هكذا هم أصحاب الوظائف وتولية الأمر والوزراء وإباحة الشهوات واكثارها في البلاد سرا فتكون الشهوات مقصودة مرغوبة فنارهم من اصطلاحها نال جنة الاستقلال وجنتهم الشهوية من المطاعم والملابس والاعتزاز بالوظائف والامارة من دخلها لم يفلت منها وتنقلب عليهم نارا حامية فكأنها شراب الخمر والمخدرات يذبل شاربه وهو لا يقدر على الفرار منه وهذه الطوائف في نارهم يحترقون - وقفوهم انهم مسؤولون -

أيها المتعلمون : أيها الأحرار . أيها الملوك في الاسلام : افشوا الصناعات والعلوم وعمموا تعليمها وزنوا العقول بالقسطاس المستقيم امتحاناً في المدارس وضعوا كل امرئ فيمادل عليه استعداده من زراعة في الحقول أو صناعة في المدن أو سياسة أو علم ، فلكل امرئ شأن واستعداد يخصه والمساهمون لذلك تاركون - وقفوهم انهم مسؤولون -

استخرجوا كل قوة من قوى أفراد الشعب ، لاتضيعوا استعداد النفوس التي خلقها الله لكم ولا تذروا حقلاً ولا سهلاً ولا جبلاً ولا نهراً إلا بحثتموه وعرفتم طرق الانتفاع به ، ولا يتسنى لكم ذلك إلا بتعليم طائفة من الشبان الأذكياء العلوم المختلفة لاطهار منافع ما تملكون وتذكروا - وقفوهم انهم مسؤولون -  
اللهم إني نصحت وبذات طاقتي في إيقاظ هذه الأمة وهذا جوابي يوم أسمع النداء - وقفوهم انهم مسؤولون \* ما لكم لاتناصرون \* بل هم اليوم مستساهمون - وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثالثة . كتب في مدينة حلوان يوم الجمعة بعد العصر ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٠ والمجد لله رب العالمين

### ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

( في قوله تعالى - إني كان لي قرين - )

لقد تقدم في ﴿سورة سبأ﴾ عند قوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ كيف كان الاتباع والتقليد الأعمى في الامور الاعتقادية وسير الناس وراء القادة والرؤساء بلا عقل ولا هدى ولا كتاب منير أوقع الأمم الاسلامية في الجهل قروناً وقروناً وأفضت هناك في الكلام على محمد بن تومرت وملخص تاريخه وانه أسس دولة واستقل بها إزالة للظلم واقامة للعدل ولكن جعل نفسه معصوما الى آخر ما تقدم هناك ، وقد أبنت أن مثل هذا لا يدوم نفعه وانما دوام النفع بتعميم التعليم للذكور والاناث ، فأما هنا فان القرين لم يتبع قرينه بل فكر واستبصر وعرف سبيل الهدى ولم يكن إمعة كالذابة تسير وراء قائدها فلذلك أخذ يقول :  
- إني كان لي قرين \* يقول أنك لمن المصدقين - الخ

ومن عجب أمر القرآن جاء في ﴿سورة سبأ﴾ بالمحاوراة بين الرؤساء والمرؤسين وكل يوقع اللوم على الآخر بعد وقوع العذاب فأما هنا فكأنه يشير الى أن الناس قد احتسروا مما وقع فيه المقلدون بلا عقل فلذلك نرى القرين لا يتبع إلا الحق ولا يتبع قرينه فلذلك يقول الله هنا - تالله ان كدت لتردين \* ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين - بدل أن يقول هناك - لولا أنتم لكننا مؤمنين - الخ فهذه المحاوراة لعاقيل أراد صاحبها اضلاله فلم يعبأ به واتبع عقله وهذه خصلة أمم الاسلام في مستقبل الزمان يتعلمون ولا يتفردون تابعين في ذلك أهواء الرؤساء المضلين والشيوخ الجاهلين بل هم أنفسهم متى تعلموا أدركوا أن أمم الاسلام لاتعيش بالافتراق الذي جناه عليهم الرؤساء وانما تعيش بالوئام والمحبة العامة وقطع دابر التخاذل والتنايذ والخصام واذن يقول المسلم لمن كاد يضل - تالله إن كدت لتردين - . أكتب هذا على انه تنظير لانه نفس معنى الآية بل هو أهم مقصود القرآن

هذا وليعلم المسامون في أقطار الأرض أن الآراء التي يتلقاها الناس كبرا عن كابر قد تكون مدخولة مضلة وان كان الناس لا يعلمون :

(١) مثال ذلك مسألة النيازك وهي الصخور المعدنية (وأكثرها حديد ونيكل) التي تسقط على الارض من السماء آتية من اجرام سماوية أخرى . ففي أواخر القرن الثامن عشر أظهر بعض العلماء بناء على مشاهدات حقة أن هناك كتلا معدنية صخرية مختلفة في الحجم وفي الثقل تسقط على الارض من بعض الكواكب فقابل



أغلب العلماء هذا الاكتشاف بالعداء والسخرية وانفرد من بين هؤلاء العلامة الأشهر لافوازييه (واضع أصول الكيمياء الحديثة) فطمع أشد الطمع على هذا الاكتشاف الجديد مستندا على قانون الجاذبية العام قائلا بأن كل جرم سماوي يجذب أجزاءه اليه وأنه من المستحيل أن تسقط صخور من السماء على الأرض وقدم تقريراً جازماً إلى مجمع العلوم بباريس ساخر فيه من هؤلاء العلماء الذين ساقهم عقلهم إلى الشك في قانون الجاذبية هذا الشك الفاضح . ثم صرحت الاعوام وظهر من تكرار المشاهدات أن لافوازييه كان خاطئاً وأن النيازك حقيقة لا شك فيها وأنها تسقط من الكواكب على الأرض رغماً عن سيطرة الجاذبية

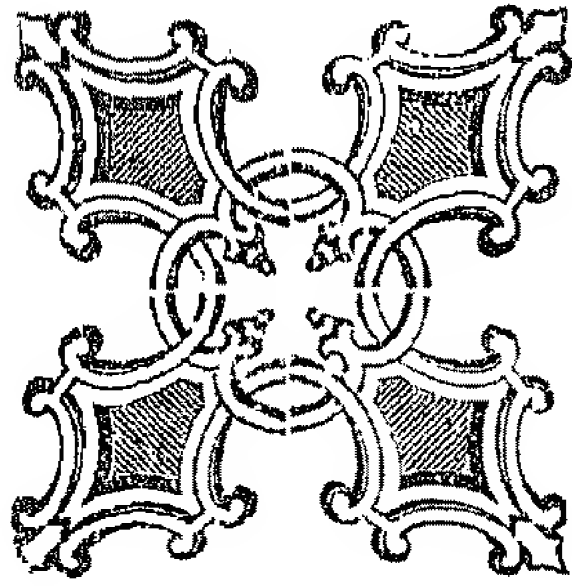
(٢) وهناك مسألة أخرى خاصة بالكائنات البحرية وتتلخص في أنه كان من البديهي عند العلماء في النصف الأول من القرن التاسع عشر أنه لا يوجد أثر للكائنات تحت عمق اربعمائة متر في البحر الملح وذلك لأن الضوء لا يصل إلى هذا العمق وأن الضغط على جسمها يبالغ عند هذا العمق عشرات أضعاف الضغط الجوي وأنها لا يمكنها أن تعيش مطلقاً تحت هذا الضغط . فن البديهي إذن أن لا يوجد كائنات حية تحت هذا العمق . ولا يخفى أن هذه البرهنة واضحة بسيطة متماسكة منطقياً فكان من المعقول أن يكتفي بها العلماء وأن يطمئنوا إلى حقيقتها ولكن أظهرت الأبحاث التالية في صيد الحيوانات البحرية على أعماق مختلفة وذلك بالآلات صيد خاصة تدل بالضغط على العمق الذي أخذت فيه هذه الحيوانات من أن هناك كائنات حية متعددة ومتنوعة من أسماك وقشريات ونجميات على أعماق بعيدة يصل بعضها إلى سبعة آلاف متر أو أكثر . وأن هذه الكائنات تتحمل ضغطاً يقدر بسبعمائة ضغط جوي وانها رغماً عما كان ينتظر منطقياً منها تخميداً بدروع صلابة تجعل أعضائها الداخلية في مأمن من العطب بل إن أغلب هذه الحيوانات هي على الضد من ذلك طرية اللبس والجدار كبعض مثيلاتها في المياه السطحية والعقل يحار أمام السر الذي تخفيه هذه الحيوانات في تحمل هذا المضغط العظيم . ولما تكرر صيد الأعماق البحرية ثبتت هذه الحقيقة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لا شك فيها الآن ودخلت في مجال العلم رغماً عن مخالفتها للنطق الذي استندت عليه الآراء القديمة

(٣) ولما ظهر دارون بكتابه «أصل الأنواع» قامت القيامة في وجهه وانتقده العلماء وسخروا به لأن آراءه الجديدة كانت مخالفة لما تهودره من التفكير ولكن لم يلبث أن خضع له الكثيرون ممن كانوا لا يؤمنون به . وإن كانت آراء دارون الأصلية قد تشقت كثير منها في مهب الريح إلا أن أثرها في تطور الأبحاث العلمية لا شك فيه ومركزها في تاريخ العلم مركز عتيق

(٤) وكذلك لما قام العلامة باستور بأبحاثه المعروفة في المكروبات وأظهر لعالم الطب الدهش أن كثيراً من الأمراض سببها تكاثر ميكروبات خاصة في عضو من أعضاء الإنسان أو الحيوان وأنه من الممكن زرع هذا الميكروب في سوائل خاصة واحداث المرض نفسه في حيوان سليم . لما فعل باستور ذلك قامت قيامة علماء الطب عليه وصاروا يطعنون أشد الطعن في هذه الآراء الجديدة ولكن كل هذا العداء من جانب علماء ذلك العصر لم يمنع نظرية الأمراض الميكروبية من التقدم والتحسين حتى أصبحت الأصل للجراحة والطب الحديثين

(٥) ولما أظهر باستور بواسطة لتجارب المتقنة المحكمة أن الكائن الحي لا يتكون إلا من كائن حي سابق وأنه من المستحيل أن تتكون الحياة في سائل عضوي معقم تعقماً كافياً أي ان نظرية التولد الذاتي مستحيلة التحقق وكانت هذه النظرية شائعة كل الشيوخ بين علماء ذلك الوقت . لما اثبت باستور ذلك احتج عليه العلماء من كل صوب مخطئين كل التجارب مستندين إلى ما تهودوا ووثيقته وكل هذه الضجة الهائلة لم تمنع آراء باستور من الانتصار

(٩) واقد شاعت نظرية دوران الشمس حول الأرض ولكن لما ظهر الحق على أيدي علماء الاسلام  
 أو كما تقدم ايضاحه في أول ﴿ سورة يونس ﴾ وأن الأرض هي التي تسير حول الشمس وعرفها علماء أوروبا  
 فاما ظهرت على أيدي بعضهم صودر وحبس وحكموا عليه بالكفر ولكن ظهر رأيه وانتشر في الأرض  
 فهذه ست مسائل مما فاز باظهاره العلم بعد أن كان الجهل به حقيقة لا يشك فيها ، أليس معنى هذا أن  
 المساهين في المستقبل غير المساهين الحاليين النائمين الذين يهيشون بنفكر غيرهم وكثير منهم أشبه بالخشرات  
 اللاتي تمتص دم الانسان وهي ضعيفة - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - ولقد قلت مرارا في  
 هذا التفسير أن أم الاسلام في المستقبل غيرها في الماضي والله هو الهادي الى سواء السبيل . انتهت اللطيفة  
 الرابعة وبها تم الكلام على سورة الصفات والحمد لله رب العالمين



## تفسير سورة ص

ويقال لها سورة داود عليه السلام

( وهي مكية )

( آياتها ٨٨ - نزلت بعد القمر )

والكلام عليها في « ثلاث فصول » الفصل الأول « في تفسير البسملة » الفصل الثاني « في تفسير الألفاظ » الفصل الثالث « في مقصود السورة »

### ﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

لما قدمت هذه السورة الى الطبع حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير فقال : لقد فسرت البسملة في السور السابقة بطرق شتى بحيث لا يسبق الى الذهن تكرار في التفسير ، فهل تريد أن نكتب شيأ في تفسير البسملة هنا . فقلت نعم . فقال : وهو يغاير ما تقدم ؟ فقلت نعم . فقال : من أي وجهة ؟ فقلت من وجهة الوحدة والكثرة ، فالوحدة في لفظ الجلالة لأن هذا الاسم لا يلحظ فيه إلا الذات وأما الرحمن الرحيم ، فهنا للرجة آثار لانهاية لعددها ، إذن هنا وحدة وكثرة ، فالوحدة للذات الإلهية والكثرة في آثار الأسماء الدالة على الصفات وأسماء الله جميعها تدل على الصفات . فقال : هذا كلام اجمالي والوحدة والكثرة ذكرها الصوفية ولكن كلامهم مجمل ، ويندكرها الحكماء في علم ما وراء الطبيعة ويقولون : « إن العالم ذو وحدة تقسم الى جوهر وعرض وكل منهما يقسم أقساما ، وهذه الأقسام هي المقولات العشرة المشهورة وهناك تقاسيم أخرى لاحاجة الى الافاضة فيها وكلها ترجع الى تقسيم وحدة العالم الى كثرة حتى ان تقسيم العلوم الرياضية والطبيعية يرجع الى هذه الكثرة المخبوءة في وحدة العالم . فقلت هذا حق ولكن الوحدة والكثرة التي سأذكرها هنا تؤخذ من المشاهدات الطبيعية فثلى في ذلك مثل علماء الهندسة إذ يعرضون على الطالب أمورا معلومة للجاهل والعالم ويستنتجون علوما لا يعرفها إلا الخاصة فهم يقولون الكل أكبر من الجزء والنقيضان لا يجتمعان واذا أضيف شيآن متساويان الى شيئين متساويين يكون الجميع متساويا واذا حذف شيآن متساويان من شيئين متساويين فالباقي متساو وهكذا ويستنتجون من هذه نظريات وراء نظريات حتى يصابوا بعد (٣٢) نظرية الى أن زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين وبعد نيف وأربعين قضية يقولون إن مربع وتر الزاوية القائمة يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين وهذا الشكل يسمونه شكل العروس ، فهذه مسائل دقيقة استنتجوها من أمور أولية بديهية ، فهكذا هنا أنا أبحث في الوحدة والكثرة في الامور المشاهدة أولا وأقفي على ذلك بما هو أعلى وأغلى . فقال : لقد شاقني وصفك فكيف يكون ذلك ؟ فقلت : مامن امرئ إلا وهو يعتقد انه واحد وهذه الوحدة مشتملة على كثرة ، فكل انسان أعضاء للاحساس وهي خمس وأعضاء للعمل وهي خمس أيضا ، اليدين والرجلان واللسان ، فاليدان لجمع الصناعات على الأرض والرجلان لانتقال الأجسام واللسان لنقل المعلومات في الهواء ومن صناعات اليدين الخط وهو مساعد اللسان في نقل علم الأولين الى الآخرين وعلم الحاضرين للغائبين ، إذن الرجلان واللسان وبعض أعمال اليدين لنقل الأجسام ونقل العلوم . ثم ان العينين من أعضاء الحس واليد من أعضاء الحركة كل منهما مركبة من أجزاء مختلفة كالشبيكية والبلورية في العين وكالجلد والعرق والعضل في اليد ونحو الجلد والشبيكية والبلورية كل من هذه يسمى جزؤه باسم كله . فقطعة من الجلد وقطعة من الشبيكية وقطعة من العضلات وقطعة من العروق كل هذه يكون شأنها شأن ما قطعت منه في التسمية . فقطعة من العظم وأخرى من اللحم لا يتغير اسمها عما

قطعت منه بخلاف الجلد اذا كسطناه عن اللحم فشكل منهما يحمل اسما يفاير الآخر . وهذه الأجزاء التي تسمى جزؤها باسم كلها مركبات من عناصر دخلت فيها وتنتهي هذه الأجزاء الى الالكترونات وهي النقط الضوئية الصغيرة جدا ، فهنا عرفنا وحدة الانسان في قوله انا وكثرته بهذه الأجزاء التي لا يعرف مدى قسمتها وتحليلها ، ولاجرم أن الوحدة هي التي جعلت هذه الكثرة وحفظتها ولذلك اذا خرجت الروح من الجسم وهي الجامعة لتفرقاته في الحياة رأينا هذه الوحدة قد تفرقت شذرمذرف في الأرض والماء والهواء إذن الوحدة لها السلطة والغلبة على الكثرة وكثرة بلاوحدة ضائعة متفرقة ، وحدة الأسرة والمدينة والأمة والانسانية جمعاء والحيوانية وهكذا الى أن نقول وحدة الكرة الأرضية ، ومثل ماقلنا في وحدة الجسم وكثرته نقول في وحدة الأسرة المركبة من أفراد لها رئيس جامع لها وكثرتها . وهكذا القرية والأمة الواحدة والأم الشرقية والغربية ثم الانسانية جمعاء فكل هذه لها كثرة ووحدة بوجهين مختلفين ، واذاعلونا الى ماهو أوسع من الانسانية اعتبرنا الحيوانية فالعوالم النباتية فالعالم الأرضي كله فالكرة الأرضية جميعها فلها وحدة ولها كثرة كجسم الانسان وبالوحدة البقاء وبالتفريق اهلاك فلا بد من وحدة تضبط الكرة ، واذاعلونا فوق ذلك رأينا السيارات مع الشمس لها وحدة نسماها المجموعة الشمسية التي نرى لها تسع سيارات باعتبار الكواكب التي وراء نبتون الذي كشف في هذه السنة ، وهناك ذوات الأذنان والنيازك والشهب الجاربات حول الشمس التي يقال ان عددها كعدد سمك البحار فهذه كلها مع الشمس معتبرة وحدة . ألا ترى الى مايسمونه الجاذبية ، تلك الحال التي تضم الأرض والكواكب السيارة وأقمارها فتجعلها لا تتحيد عن أماكنها كما لا تترك اليد ولا الرجل جسم الانسان وغيره

تباركت يا الله : لنا أجسام ذات وحدة جعلت كثرتها فاذا فارقتها الوحدة بخروج الروح تفرقت أجزاءنا وللمجموعة الشمسية وحدة كوحدة الروح مع الجسم بحيث نرى الكواكب في أماكنها ولولا الجاذبية لتفرقت وطاحت ، إذن هنا أمر عام في المجموعة الشمسية حكمه حكم الروح في جسمي اذا خرج منها تفرقت تلك الأجزاء وتناثرت وتباعدت وطاقشت في أقطار الخلاء البعيد المدى وفي المجرة الواحدة مئات الملايين من تلك المجموعات الشمسية التي نشاهدها في الليل بهيئة نجوم صغيرة جدا في رأى العين ، وحكم المجرة الواحدة مع كواكبها الثابتة التي هي في الحقيقة مجموعات شمسية لها حكم ما ذكرنا أولا من الجسم وما بعده (انظر بعض هذا في أول سورة سبأ) وليس في السماء مجرة واحدة بل هناك مجرات وسدم (جمع سديم) تعد بمئات الملايين وقد فعل بها ما فعل بما قبلها بحيث أصبح العلماء اليوم يقولون : « إن العالم كله كرة واحدة يسير النور حولها مائة ألف مليون سنة . ومعلوم أن النور يسير في الثانية الواحدة (١٨٩) ألف ميل (٣٠٠) ألف كيلو . إذن هذه العوالم جميعها جعلت كرة واحدة كما جعل الانسان الواحد جسما منظما له روح تجمع وتضم وتحفظ أجزاء جسمه كما ان في العالم معنى يحفظه وقوة تضمه يسمونها الجاذبية وهي عين الوحدة

### ﴿ نظام الجسم الانساني مع هذه العوالم ﴾

قلنا إن الجسم الانساني له حواس للعلم وله أعضاء للعمل . فأما الحواس الخمس فأولها حاسة اللمس التي تعم كل حيوان حتى السودة بل هي سارية في النبات أيضا وهذه قسطها من العوالم حولنا ما قرب منا بالاحساس بالبرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة وهكذا ويلها حاسة الذوق بالحلاوة والملوحة والمرارة والحراقة والعدوية وهكذا ثم الشم للروائح التي يحملها الهواء ثم السمع للأصوات من سائر الجهات ثم البصر لما هو أبعد حتى أقصى النجوم من القدر السادس . ثم بعد ذلك يستعين الانسان بالعلم فيصل الى معرفة أقدار النجوم وأبعادها ويعرف بالمجهر الى القدر العشرين . إذن الحواس الخمس عرفت مبدأ العوالم والعلم أغاث الانسان فرفعه فوق ما رفعت هذه الحواس . إذن الجسم الانساني من حيث العلم قد شهد العوالم بحواسه ثم بعقله وبهذا انتهى الكلام



على القسم العاشر من الجسم الانساني

أما القسم العملي فهو أعضاء العمل وهي قسمان : قسم للانتقال ، وقسم للأعمال . أما قسم الانتقال فهما الرجلان اللتان يسير بهما على الأرض وقد ساعدهما سفن البحار وقطار البخار في الأرض والآلات الجارية كالعربات وما يسمونها السيارات (الاتوموبيلات) وهكذا كل ما يتجرب على الأرض بجزء الحيوان أو بدفع البخار أو بمادة البنزين المستخرجة من الفحم أو بالكهرباء ، كل ذلك على الأرض ، ويلى ذلك الطائرات التي تطير في الجو وتحمل الناس والأثقال ، فهذه كلها قنمات مقام سبي الرجلين وبهذا تم الكلام على العضوين اللذين أعدنا لنتقلنا وسيرنا على الأرض

أما العضوان اللذان أعدنا للأعمال فهما اليدين اللتان بهما تصنع ما تحتاجه للطعم والملبس والسكن وما تفرغ منهما واستعنا على ذلك بالآلات قامت مقام عمل اليدين كما قامت الجواهر مقام العينين في بحث الكواكب البعيدة وقامت الطائرات في الهواء والسيارات على الأرض والسفن في البحار مقام الرجلين ، وهذه الآلات التي قامت مقام اليدين أو ساعدتهما إما أن تديرها اليدين أو الحيوان أو الفحم أو الكهرباء ، كل ذلك لاتمام عمل اليدين وحفظ حياتنا على هذه الأرض ، وبالجملة هذه العوالم مزرعة الانسان من وجهين : وجه العلم ، ووجه العمل وجسمنا خلق على استعداد لهما ، أما اللسان فهو رسول بين الأفراد يرصل العلم من واحد الى الآخر ويعين على الأعمال العامة فهو محركته عامل وعمله ينتج العلم . هذه هي حال الانسان بالنسبة للعوالم المحيطة به وأكثر ما ذكرناه هو عوالم طبيعية لصور خارجية في العوالم الأرضية والسموية

#### ﴿ الصور الخارجية والصور الذهنية والعلوم الرياضية ﴾

قلنا إن أكثر ما ذكرناه علوم طبيعية إذ هي ترجع الى المادة المحسوسة المشاهدة ولكن هذه العوالم المشاهدة كما قررنا لها وحدة ولها كثرة من وجهين والكثرة لاحد لها ، فاذا لم ترجع الى الوحدة في أذهاننا كما أنها واحدة في الخارج كان جهلنا بها عظيما لأن العلم لا يثبت إلا لما هو ثابت وإلا بقوانين ، أما الكثرة التي لا قانون لها ولا ضابط فهي خارجة عن الحصر وما خرج عن الحصر لا يعلم ، هنالك احتاج الانسان الى علم العدد والحساب ، ولا جرم انه كما قلنا واحد في نفسه لأن له روحا جمعت أجزاء هذا البدن وإذا خرجت هذه الروح من الجسد تمزقت تلك الأعضاء وطاحت تلك الحواس وتناثرت تلك الأجزاء وضاعت في كل فج عميق ألم يشاهد الناس أن الميت هذه حاله لا ضابط لأجزاء جسمه الممزقة ولا حافظ لأعضائه المختلفة ، فالذي جمع ذلك كله وحدة هي الروح ، فليس في الأرض امرؤ يقول في نفسه انه اثنان بل يقول أنا ، ففيه معنى الوحدة بداهة ثم ينظر في أعضائه فيجد فيها الرأس وهو واحد والعينين والأذنين والشدين والسبيلين وهكذا فهما اثنان ، ويرى في كل أصبع ثلاث مفاصل ويرى أعضاء البطش أربعة وهي اليدين والرجلان وأعضاء الحواس خمسة وأصابع اليد الواحدة خمسة وبتضعيفها تكون العشرة ثم العشرين يضم أصابع الرجلين وهكذا يضاعف العدد الى المائة والألف والآلاف والملايين وما فوق ذلك وينتهي ذلك كله بأن تقول علم العدد . إذن الانسان فعل في صورته الذهنية ما فعله بالصور الخارجية . إن الانسان كما انتقل من جسمه الى العوالم فأرجعها كلها الى كرة واحدة فعل بعلم العدد هذا العمل نفسه . فالعشرة عنده وحدة والمائة وحدة والألف وحدة والمليون وحدة وهكذا وينتهي الأمر بعد آلاف آلاف الملايين أن يقول هو العدد أو الحساب كما قال في العالم المحسوس هو الكرة التي يسير الضوء حولها كذا وكذا فيما تقدم . إذن الانسان اخترع لنفسه صوراً ذهنية هي الأعداد وهذه الأعداد لا وجود لها في الخارج وهل في الخارج إلا المعدود . والسماء والأرض والبحر والجبل ليست أعدادا كلا . بل هي معدودات . وما الأعداد إلا صور ذهنية اخترعها العقل الانساني ليكبح بها جماح الصور الخارجية التي تريد أن تفلت من يده فضمها وجمعها فقررت في يديه وحضرت لديه فعرّفها فكان بذلك قرير العين

ويلى الحساب علم الهندسة . وما علم الهندسة إلا نظام للقادير المتصلة من الخطوط والسطوح والأجسام كالخط المستقيم والمنحنى والمنكسر والزاوية والمثلث والمربع وكالكرة والمسكوب وما أشبه ذلك ، فلقوانين الهندسية التى سبق كثير منها فى ﴿ سورة الروم ﴾ عند آية - فطرة الله التى فطر الناس عليها - بها ضبطنا كثيرا من هذه الأجسام فبقيت فى عقولنا وحفظت فى أذهاننا فأرجع إليها فانك تجد هناك نسبا وصلة ورحما بين أنواع الأشكال فى مساحتها كالنسب والصلة بين ذوى الرحم من نوع الانسان . إذن الهندسة متممة للحساب فى ضبط المادة كى يعلمها الانسان ويساعد ذلك كله علم الجبر وعلم الفلك وعلوم أخرى مفرعة على ذلك . وما ذلك كله إلا صور ذهنية اخترعتها العقول الانسانية بحكمة دبرت وآيات أبدعت فى خلق الروح المودعة فى هذه الأجسام . إذن الانسان قدر أن يصنع فى نفسه نوعين من الصور : نوع له وجود فى الخارج وهى مواد العلوم الطبيعية . ونوع لا وجود له فى الخارج وهى الأعداد وعلوم الهندسة والأعداد مقادير منفصلة والهندسة مقادير متصلة إذ نرى المثلث مثلا اتصفت أضلاعه وزواياه بخلاف واحد اثنين فهما منفصلان لامتصلاان وهنا يقولون إن الوجود له ﴿ أربع مواطن ﴾ وجود فى الأذهان كهذه الأعداد ونظريات الهندسة . ووجود فى الأعيان وهى المعدودات والأشكال الهندسية الملموسة . ووجود فى اللسان وهى الكلمات الدالات على ما فى الأذهان . ووجود فى البنان وهى الكتابة الدالة على مناطق به اللسان . إذن الوجود اصالة هو الخارجى وهو المعدود مثلا ويعبر عنه العدد الذهبى ويعبر عنه اللسان وينوب عنه القلم . فأولا مرتبة الخارج يتبعها الذهن يليه اللسان فالبنان . ولكن الذى فى الخارج هو المعدود والذى فى الذهن هو العدد فهما متغيران من هذه الجهة

### ﴿ البحث فيما وراء المادة ﴾

( ومعرفة الله تعالى ونظام السياسة فى الأمم )

نظر الانسان بعد ذلك فقال : هذه علوم طبيعية وهذه علوم رياضية والآخرة حفظت الأولى ولكن ما الحافظ لهؤلاء جميعا والذى جعله على ذلك غريزته وفطرته كما ان نفس الغريزة هى التى اخترعت علم العدد . فهناك قال الانسان : « إن للعالم صانعا ولكن كيف أتصوره ؟ المادة مشاهدة . والأعداد ونحوها متخيلة مستنتجة من المشاهدات المحسوسات » هنالك أخذت الخيلة تختلق له صورا وأشكالا . وبيانه أن الانسان يتصور السماء والأرض وما بينهما فى مخيلته اذا كان بصيرا كما شاهدتهما ويتصور المسموع بصور مما يراه ويشاهده بعينه لأن المبصرات أغلب عند المبصرين وهكذا يتصور الأعداد بصور مما يشاهده بعينه . أنا منذ الصغر حفظت القرآن عن ظهر قلب بلا عقل فأنا ألاحظ الآن أن سور القرآن سورة سورة مرسومة فى ذهنى مفصلة بهيئة صور لها ألوان مما أشاهده فى العالم وهذا من المسموعات ولكن هذه الصور المخترعة فى مخيلتى للمسموع من القرآن ليست فى الوضوح كصور السماء والأرض ثم أرى صورا أخرى فى خيالى للأعداد من الواحد والعشرة والمائة وما بينها فهى مرتبة منظمة بحسب ما يشاهده بصري . وليس من العقول أن الأعمى يتصور هذه الصور كما يتصورها البصراء . إذن الانسان فى صور المحسوسات والصور المخترعة للعَدَّ يتخيلها بحسب ما غاب عليه . إذن الانسان فى تصوّره لم يلتزم طريقة بعينها فهو حُرٌّ يتصور بحسب ما غاب عليه . فاذا كانت هذه حاله فيما له صورة فى الخارج ونحوه فهو فيما ليس له صورة فى الخارج أغور فى الحرية وأعرق وأبعد مدى فى التصوير . ألا ترى الى ما يقوله الحكماء : « ان الطبيعيات هى ما تحتاج فى ادراكها الى المادة فى الذهن وفى الخارج والعلوم الرياضية ما يحتاج فى ادراكها الى المادة فى الخارج لافى الذهن والعلوم الإلهية ما تحتاج فى ادراكها الى المادة لافى الذهن ولا فى الخارج وذلك كالنخلة فى الأوّل والمائة فى الثانى والله فى الثالث ههنا أخذت عقول الناس تجول فيما حوّلها . فأخذ كل يصف الله فى خياله بما غاب عليه مما هو عظيم

في نظره من بقرة يحرت الأرض عليها وقيل هائل المنظر وحية عظيمة رقرق وشمس وقر وكواكب فالخيال هنا كان أوسع حرية بخلافه في المحسوسات، فإن صورها ظاهرة فلا داعي لسعة الاختلاف في تصوورها، ولذلك رأينا أهل هذه الأرض ماؤها بالأصنام اللاتي تصوّر لكل أمة ماغلب على طباع أهلها، وتارة يتخيلهن صانع العالم رجلا عظيما كما تخيلوه كوكبا منيرا، بل منهم من تخيله شريرا كثير الشر لما غلب على الطبع من أن الشرير يخاف كأمثال قوم يسمون اليزيدية يعبدون ابليس ويقولون إن الله رحيم فلا حاجة إلى عبادته ولكننا نعبد ابليس لأنه شرير وهكذا من الصور التي لا حد لها، ولكن الإنسان ذلك المخلوق الذي أدرك في نفسه وحدة وكثرة ووحدته حفظت كثرته رجع فقال: كلاً. الوحدة في جسمي وفي العوالم والوحدة في الأعداد كما تقدم، فالإله ليس متعددا بل هو واحد وما هذه إلا مظاهره كما إن روجي واحدة والأعضاء مظاهرها لا غير، لذلك تسمع علماء الهند يقولون: «إن الآلهة الثلاثة التي يعتقدونها ماهي إلا صفات لجوهر الحقيقي وهم براهما وسيغا وفشنو، فهم إذا ملؤا بلاد الهند بالأصنام فكألهما آلهة ثانوية ترجع إلى الثلاث والثلاثة إنما هي صفات والله واحد» وهكذا تسمع المسيحيين يقولون قولاً أخفى من هذا فيقولون: «الثلاثة واحد» ولكنهم لا يفهمون كما يفصح أهل الهند لأن هؤلاء مقلدون لهم والمقلد لا يعقل ما يعقله من عاينه فلما جاء الإسلام أعلن الحقيقة مرة واحدة فكسر الأصنام ومنع تعدد الآلهة وأنكر الأبوة والبنوة وقل الله واحد، فقوله تعالى حكاية عن الكفار في هذه السورة - أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب \* وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد \* ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق - منشؤه نظرتهم إلى الكثرة والكثرة بلاوحدة ضائعة

### ﴿ سياسة الأمم تتبع عقائدها ﴾

إن الأمم لا تلبث لها ولا دوام إلا بوحدتها، ولاوحدة لها إلا بعلم يحفظها كما حفظت الصور المحسوسات في نفوسنا وعامت بضوابط حسابية، فكما أن العلوم الرياضية رباط العلوم الطبيعية وحفاظ لها هكذا العقائد الثابتة في الأمم رباط الجماعة الإنسانية تحفظها من الطلاك والتشقق، ولذلك نجد دين الإسلام شرع الأمرين معا: وحدة الخالق، وتبعها وحدة الأمة: العرب في البادية كانوا أشقانا كل يفخر بأتمته وأسرته وعشيرته اغراقا في البداوة كما يفخر بصنمه الذي يعبده ويحقر صنم سواه، فهو بعشيرته وبصنمه مقتنون، هنالك تفرقتوا سياسة كما تفرقتوا عقيدة، فقال الإسلام لهم: «أيها الناس: لا فضل لعربي على عجمي إلا بالقوى، ما هذا التفرق، ما هذا الخذلان، ما هذا التباعد، هذه وحدات ضيقات ضائعات متفرقات متباعدات، اجعوا هذه الوحدات كلها في وحدة تجمعكم، قم يا بلال أذن في الكعبة وأتم أيها العرب اسمعوا أذانه، وإن زعمتم أنكم أولى بالكعبة من كل الأمم، أنتم بنو آدم لابنو عدنان وقطان فقط، فلتكونوا أيها الناس أمة واحدة، ألم نكسر أصنامكم المفرقة لكم، ألم نقل لكم إن إلهكم واحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق، إذن الوحدة عامة في الكون فمن أين أتيتم بالتعدد؟ وهذه الوحدة يجب عليكم أن تغدوها بالصلوات الخمس صحة لأبدانكم وقوة لإيمانكم وجامعة لمدينتكم وحافضة لسولتكم والزكاة من أعظم الروابط بينكم واشتراكم في صيام رمضان يقوى إيمانكم ودولتكم والحج يجمعكم»

هذه هي أركان الإسلام التي تجمع المسلمين على عقيدة واحدة وعمل واحد وهذا العمل يقوى العقيدة ويحفظ الوحدة، ولما ترك المسلمون الصلوات وما بعدها وتهاونوا فيها حاق بهم الدال لأن العقيدة لم تجد ما يغذيها ويقويها ويحفظها فتفرقت الوجهة وساء المصير

فقال صاحبي بعد أن سمع هذا: الله أكبر: إن هذا خير بيان في هذا المقام ولكن يتوجه اليك سؤالان

فأرجو أن تأذن لي في ذكرهما . فقلت : لك ذلك . فقال : ﴿أولاً﴾ ان اليابان عابدة الأصنام والفرنجة الذين يؤمنون بثلاثة آلهة قد اتحدوا ولا توحيد عندهم والمسامون الموحدون لرابطة لهم . إذن لاعلاقة بين العقائد ونظام السياسة ﴿ثانياً﴾ أننا الآن في تفسير البسملة في أول ﴿سورة ص﴾ والى الآن لم تبين ما في هذه السورة من الوحدة والسكرية وما تقدم كله إن هو إلا أشبه بالمقدمات . فقلت : أما كون الأمم التي لا توحيد في عقائدها قد نجحت في سياستها والأمم التي وحدت في عقائدها قد اضطرت سياستها كالأمم الإسلامية ، فهذا يحتاج الى البيان . توحيد العقائد والاشراك فيها أمر يرجع الى العلم والجهل . فهو إذن راجع لجهل الروح وعلمها . واعتقاد التوحيد قد يجرّ الى اتحاد السياسة ونظام المجموع . وقد يقف عند الايمان المجرد فاذا غدى ذلك الايمان بما يزيد يوماً فيوماً من الاجتماعات العامة في الصلوات كالصور الأولى ، وبما يؤدى الناس من الزكاة للضعفاء والمرضى ، وبما يحجون ويصومون ويتصدقون

فهذه كلها مغذيات منميات لتلك الوحدة وينتقل التوحيد من العلم الى العمل ويصبح الناس اخوانا . واذا دهمهم عدوّ تألبوا عليه وازدادت الحوادث تزيدهم اتحاداً . فأما اذا بقى التوحيد أصراً قلبياً إيمانياً أو يقينياً بالعلم ولم تسمع الأمة الى ايجاد روابط عملية بالصلوات والاجتماعات العامة في خطب الجعات والأعياد فمن أين يتمدى التوحيد العقول ويسرى الى الأجسام ويوحدها . فليس كل من وحد استوفى شرائط التوحيد ولا كل آمن بالله جديراً بنصره . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون - ولا جرم أن أركان الاسلام الخمس هي النواة والحجر الاساسى لبنيان الأمة وسلامتها وحفظ كيانها . هذا هو السبب في تخاذل المسلمين وعدم اتحادهم في القرون المتأخرة

إن اتحاد الأمم في السياسة له طرق شتى ونواح مختلفة وترجع كلها الى توحيد وجهة الأمة وذلك كما يحصل بالدين يقوم بالعصبية والوطنية والاتحاد في اللغة وفي النسب وفي الاتباع للملك جامع لهم وفي المعاهدة وفي مصاهرة الملوك وفي الاستعباد بأن تتبع الأمة من استعبدها وهكذا مما ذكره العلامة الفارابى في كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة »

كل هذه جعلها النوع الانسانى طرقاً ومسالك للاتحاد وهي درجات بعضها فوق بعض فان قاموا بشرائطها جمعهم وان لم يقوموا بها تفرقوا شذرنذر ، وبهذا تفهم كيف اجتمعت اليابان فقد جعلتها الحاجة الى الدفاع عن وطنهم واتحادهم في النسب واللغة والوطن وقد قاموا بما يجب لهذا كله والله يقول - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - فهم لما أصلحوا أحوالهم النظامية لم يكن ظلمهم بالكفر سبباً لاهلاكهم كما أن الحيوانات التي في الغابات لا تحصر لها تعيش في أمن وسلامة فليس الانسان أدنى منزلة منها لأن الله رحيم يسع في ملكه كل من أصلحوا معيشتهم في الحياة الدنيا وان كفروا باآخ الأديان إما لأنه لم يبلغهم على وجهه كما هو المعروف الآن واما للتكبر والأنانية والعظمة وهذا قليل

فقال صاحبى : لقد اجتمع أهل مصر وتونس وطرابلس والجزائر وصراكش وسوريا والعراق والموصل في اللغة والدين وتجاوز الأوطان وفي النسب فلماذا لم يتحدوا ؟ فقلت له : الجواب على ذلك ظاهر مما تقدم . فكما عجزوا عن تغذية العقيدة الدينية بالظواهر المغذية لها التي توجب اتحادهم في السياسة الدينية فضلاً عن محبة الله والسعادة الأخروية هكذا عجزوا عن القيام بحق اللغة وآدابها ونشرها وعن قراءة علم تاريخ أسلافهم وتواصل المودات بينهم والتعارف فالعجز عن مغذيات الدين بأعماله الظاهرة نظيره العجز عن مغذيات اللغة والنسب وقرب الجوارى في الوطن . كل ذلك متروك كما ترك غيره . فأما الأمم الأخرى فان لهم روابط كثيرة بل ان أوروبا المسيحية تجتمع ضد الشرق وتحاربه مراراً ويكون الدين من أهمّ روابطها لأن المدار على الاعتقاد والاعتقاد له جمعيات تحافظ عليه فاستبان بهذا وظهر ظهوراً لامرية فيه هذا الموضوع وعرفت أيها



الذكيّ أسباب اتحادهم وعاقبها وضعف أمم وسقوطها . ولا يظنّ ظان أن اتحاد التلاميذ في ملابسهم ونظامهم في الأعمال والتحرير الرياضي والدروس وهكذا قراءتهم في المدارس الثانوية علوم رياضية وطبيعية وتاريخية وفلكية لم يقصد به تلك الوجهة العامة . إن اتحاد العقول في علوم عامة واتحاد الأجسام في مظاهره ملاسها ورونتها كل ذلك ذرائع لاتحاد الأمة حتى ان الأمة الواحدة قد تتسع لأديان كثيرة ولكن كثرة المقومات للوحدة تمنع تفريق المجموع ولو بحسب الظاهر والقانون . ولا ريب أن أقوم مقومات اتحاد الأمم هو الدين اذا قام الناس بحقه . نغير ما أنزل الله للناس هو هذا الدين الذي جمع الناس عقلا وعقيدة ودنيا وآخرة . ولما أهمله حكامه أصبحوا في مؤخر الأمم . واعلم أن الانسانية لن تسعد ولن تستريح راحة تامة إلا بوحدة شاملة . كذب هذا الانسان . كذبت المدينة الحاضرة

عجبي : نسمع أن الأمة التركية قد تركت دين الاسلام أي ان الحكومة أعلنت ذلك ولكن قرأت في مجلة « السياسة الأسبوعية » في شهر يونيو سنة ١٩٣٠ ماملخصه أن جماعات أتت الى بلاد الترك من أمريكا وهم من السود المتزجين بأهل البلاد الأصليين وهؤلاء يبلغون نحو مائة أوزيدون على ما أذكر وانهم عرفوا الاسلام هناك من جمعية الرفق باليتام وانهم يقولون : « نحن آمننا بالدين المسيحي الذي أتانا به الجنس الأبيض ( وهم الاوروبيون ) ومع ذلك لا يزالون يكرهوننا ومتى رأوا من أحدنا ذنبا حقيقا من قوه شرّ ممزق واخوانهم بهذا فرحون : ونحن لما سمعنا بالاسلام وسهولته فهمناه حقّ فهمه . ولم نفهم الدين المسيحي . وهانحن هاجرنا من أمريكا الى هذه البلاد لنعيش مع اخواننا الترك المسلمين » أقول وقد قابلت أحدهم بعد ذلك بمصر وهو عالم عظيم ولا جرم أن هذا القول ينطبق على السود الذين هم في الولايات المتحدة فهم هناك يمزقونهم كل ممزق على صراى ومسمع من الشرطة في تلك البلاد . إذن الانسانية اليوم لاتزال طفلة . فالتعصب يكون للدين كما يكون للون وللوطن فالناس لا يزالون في أحضان الجهالة يتربون . عجب وألف عجب لدين الاسلام الذي لا يفرق بين أمة وأمة ولا وطن ووطن ولا لغة ولغة ولا لون ولون وأذان بلال بالكعبة شاهد صدق على ما نقول أمام العرب المتعصبين لوطنهم ونسبهم . إذن فلتخجل الانسانية الطالية فان مدينتها مدينة جاهلة سراء أ كانت بالوطن أم باللغة أم بغيرها . وخير المدينيات أن يكون جميع الناس متعاونين

إن الأمم التي عندها اجتماع ما بلغة أو بدين أو وطن كأهل أوروبا وأمريكا فهي أمة عوراء وهذا العور أفضل ألف مرة من العمى لأن أمم العرب المتجاورة لم تعن به بل بقيت منعزلة كأنها لم تسمع بالاسلام أولم تسمع باللغة أو بالوطن أو غيرهما . إذن الأمم عمياء اذا لم يكن لها اجتماع بوحدة مما تقدم . عوراء اذا اجتمعت بلغة أو بدين أو وطن وهكذا . بصيرة اذا اجتمع الانسان كله اجتماعا صادقا مع العدل وحفظ العقول والعلوم واستخراج قوى النفوس وقوى الطبيعة

فيأتيها المسلمون : نحن أمة أكثرنا لم يصل الى درجة العور فنحن في أخريات الدرجات فارتقوا درجة واتحدوا كالأمم حولكم ثم بعد ذلك ارتقوا بالانسانية الى الدرجات العالية وهي أن يكون النوع الانساني كله على بصيرة . لذلك نفهم معنى كونه <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> رحمة للعالمين . وهمل يكون رحمة العالمين تعصب أمريكا على السود والجزر أو تعصب أوروبا على سوريا وتمزيقها الى دول صغيرة وتشتيت شمل المسلمين في بلاد الجزائر وصراكش واذلالهم في عقد دارهم . كلا . فهذه ليست رحمة

الأمم الحاضرة لاتصلح لرقى نوع الانسان . واعلموا أيها المسلمون أن هذا الكتاب ستعقبه نهضة في الشرق يتلوها رجة في الغرب يعقبها سعادة الانسان . ولتعلمن نبأه بعد حين - وبهذا تم الكلام على سؤالك الأول ﴿ الجواب عن السؤال الثاني ﴾ وهو قولك اننا الآن في تفسير البسملة في أول ﴿ سورة ص ﴾ وانى لم أبين ما في هذه السورة من الوحدة والكثرة فأقول :

اعلم أن أسماء الله الحسنى دالة على صفاته وصفة الرحمة مصاحبة للعلم والارادة والقدرة لأن رحمة الله لم تعرفها إلا بالآثار ولا آثار إلا حيث كانت قدرة أظهرتها والقدرة تتبع الارادة ولا ارادة إلا حيث يكون العلم ، فالرحيم الذي لا علم عنده كالأم تكون رحمتها مضرّة ، والرحيم الذي لاقدرة له عاجز عن إيجاد ماقصده من الخير فالرحيم العالم المرید القادر هو الذي يستعان به ، ولذلك تجد للرحمة سورة بتامها كما أشرنا اليه سابقا في سورة أخرى إذ جعلت ﴿ سورة الرحمن ﴾ كلها كالتفصيل لآثار الرحمة ، بل جميع ما في هذه الدنيا والآخرة آثار للرحمة وحديث : « ان لله مائة رحمة وإن رحمة واحدة منها جعلت في الأرض بها ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه وأن هذه الرحمة تنضم الى ٩٩ رحمة الأخرى تكون لأهل الجنة » يوضح هذا المقام ، فعالم الدنيا والآخرة آثار الرحمة ، فإذا لم تكن هذه العوالم لم نعرف الرحمة . إذن الوجود آثار من الرحمة والعدم آثار الغضب ولاجزم أن القرآن من الرحمة ولذلك يقول الله - الرحمن - علم القرآن - فالقرآن من الرحمة وما في هذه السورة طبعاً من الرحمة ، وما في الدنيا والآخرة من الرحمة وهذا هو الباب الذي دخل منه سيدنا على كرم الله وجهه إذ نقل عنه انه لو شاء لسكتب وقرسبعين بهيرا في تفسير البسملة وهذا حق لأن الرحمة شمات العالم العلوي والسفلي والآخرة والدنيا وهذا هو السر في الابتداء بها في أول كل سورة ، ومعاني القرآن كلها داخلة تحت أسماء الله الحسنى الدالة على صفاته ، إذن الأمر ظاهر ولكن ليس معنى هذا أن يكون تفسير القرآن كل شيء بل القرآن يفسر بالطرق التي يراها المفسر أقرب لعقول أهل زمانه ويكتب ما يفهمونه هذا هو المقصود من التفسير لأنه يكتب كل شيء بل يكتب بحسب ما يناسب زمانه لا غير فإذا حاد عن ذلك لم يكن مفسراً بل هو ناقل وكل بعير فهو ناقل

فإذا سمعت ما يأتي في هذه السورة من قصص سليمان وداود اللذين أغدقت عليهما النعم وسمعت قصة أيوب الذي ابتلى بالنقم فاعلم أن النعمة والقيمة يرجعان لأمر واحد وهو الصبر بل الصبر على النعمة أشد على النفس من الصبر على النقم كما ذكرناه سابقاً نقلاً عما نسب الى (أرسطاطاليس) إذ أرسل الى الاسكندر يهنئه بالنصر في فارس ويذكره بأن النعم تنتقل من دولة الى دولة اذا ترك الناس في حال أمنهم فبطروا العيش وسموا الرخاء وأن الناس في حال الخوف والحرب أنشط وأسرع عملاً وفي حال الأمن هم يكسلون ويطرون ويذهب ملكهم . فهم يحتملون أيام المخافة ولا يكادون يصبرون على النعم لأنها تقيمهم وتقتلهم بالبطننة وساءت مصيراً

ومن هذا الباب ماجاء على لسان سليمان في ﴿ سورة النمل ﴾ - هذا من فضل ربي ليبارني أشكر أم أكفر - إذن سليمان عليه السلام المذكور في هذه السورة ابتلى بالنعمة بل ابتلاؤه أشد من ابتلاء أيوب على هذا القياس . فهنا أمران : رحمة بالابتلاء بين الخير والشر ووحدة فان الخير والشر وان كانا متغايرين جمعهما الابتلاء . فهنا وحدة وههنا كثرة والوحدة بها جئت الكثرة كما ان تعجب الكفار بقولهم - أجعل الآلهة إلهاً واحداً - الذي أملاه عليهم الجهل يدحضه الوحي والعقل ويرجعان الى التوحيد . إذن الوحدة في الالهية يوجبها الوحي والعقل والتفريق يوجبها الجهل . والوحدة في نظام الأمم يوجبها الوحي والعقل والتفريق يوجبها الجهل . والنظام في الأمم إما لا أساس له كالأمم الوحشية واما متوسط الأساس وهو نظام الأمم الحالية واما ثابت الأساس وهو اتحاد الأمم جميعاً والله يهدي من يشاء الى سواء الصراط . انتهى الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

## ﴿الفصل الثاني﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ \* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ \* كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ  
مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَاوَلَاتِ حَيْنٍ مَنَاصٍ \* وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سَاحِرٌ  
كَذَّابٌ \* أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ \* وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصِبُوا عَلَى  
الِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ \* مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ \* أَهَنْزِلَ  
عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِي \* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ  
رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ \* أَمْ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ  
جُنْدًا مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ \* كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ \*  
وَأَمُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ \* إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ فَحَقَّ عِقَابِي \*  
وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَأْهَلًا مِنْ فَوْقٍ \* وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ \*  
أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ \* إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ  
بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ \* وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ \* وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا  
الْخِطَابَ \* وَهَلْ أَتَاكَ نَبِيُّ الْخَمْرِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ  
خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ \* إِنَّ هَذَا  
أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِيجَةً وَوَلِي نَعِيجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ \* قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ  
بِسُؤَالِ نَعِيجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرٌ مِنْ الْخِلْطَاءِ لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَقَلِيلٌ مِمَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنْهَا فِتْنَانُهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ \* فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا  
لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ \* يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ  
الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ \*  
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ \*  
أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ \* كِتَابٌ  
أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ \* وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ

إِنَّهُ أَوَّابٌ \* إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْخِيَادُ \* فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ  
 رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ \* رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا  
 عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ \* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْزِبُنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ  
 أَنْتَ الْوَهَّابُ \* فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ \* وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ  
 وَغَوَّاصٍ \* وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ \* هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَإِنَّ لَهُ  
 عِنْدَنَا لَازِقَاتٍ لِّالْحُسْنِ مَاءٍ \* وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ \*  
 أَرِ كُضْبًا بَرِّ جِلْدِكَ هَذَا مَغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ \* وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا  
 لِأُولَى الْأَلْبَابِ \* وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّنا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ \*  
 وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ \* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى  
 الدَّارِ \* وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ \* وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ  
 الْأَخْيَارِ \* هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ \* جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَعَةٍ لَهُمُ الْأَبْوَابُ \* مُتَّكِنِينَ  
 فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ \* وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ \* هَذَا مَا تُوعَدُونَ  
 لِيَوْمِ الْحِسَابِ \* إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَّعَادٍ \* هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَّآبٍ \* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا  
 فَيَسْسُ السَّيِّئَاتِ \* هَذَا فَلْيَذوقوه حَيْمٍ وَغَسَّاقٍ \* وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ \* هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ  
 مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ \* قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجِبَاءٌ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُوهُ لَنَا فَيَسْسُ  
 الْقَرَارُ \* قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ \* وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا  
 نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ \* أَخَذْنَا هُمُ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ \* إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ  
 النَّارِ \* قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
 الْوَزِيرُ الْعَفَّارُ \* قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ \* أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ \* مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّائِلِ الْأَعْلَى إِذْ  
 يَخْتَصِمُونَ \* إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ  
 طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَّعُونَ \*  
 إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي  
 اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ \* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ \* قَالَ  
 فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ \* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ \* قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ \*  
 قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ \* قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ



مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ \* قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ \* لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ \* قُلْ  
مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ \* إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ  
بَعْدَ حِينٍ \*

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ص) تقدم في سورة آل عمران والعنكبوت والروم ويس بعض أسرار الحروف وتخصصها بالكلام في الفصل الثالث لتعرف أنها مغزى السورة كلها والمقصود الملم منها (والقرآن ذي الذكر) أي أقسم بالقرآن ذي الشرف والبيان انه لمعجز وان محمدا صادق (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) أي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه ، وانما ذلك الكفر لعزة أي استكبار عن الحق وشقاق أي خلاف لله ورسوله ، واذا ثبت أن القرآن معجز وأن هؤلاء معاندون لم يبق إلا انذارهم ولذلك قال (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب فأجابتهم الملائكة قائلين (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين مناص أي نجاة لأن وقته فات (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي بشر مثلهم (وقال الكافرون) فيه وضع الظاهر موضع المضمحل للتشنيع عليهم بالكفر (هذا ساحر) فيما يظهره معجزة (كذاب) فيما يقوله على الله (أجعل الآلهة إلها واحدا) بأن جعل الالهية منحصرة في واحد (إن هذا شيء عجاب) بليغ في العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا (وانطلق الملائم منهم) أي انطلق أشرف قر يش من مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ قائلين بعضهم لبعض امشوا واثبتوا على عبادة آلهتكم فلا تنفعكم مكالمته وهذا قوله (أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا الشيء يراى) أي إن هذا الشيء من ريب الزمان يراى بنا فلا مرد له (ماسمنا بهذا) أي بالذي يقوله (في الملة الآخرة) في الملة التي أدركنا عليها آباءنا (إن هذا إلا اختلاق) كذب ثم أخذوا ينكرون اختصاصه بالوحي وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرياسة فقالوا (أ أنزل عليه الذكر من بيننا) ثم أضرب عن انكار ذلك الى ذكر سبب انكارهم وهو الشك ليلهم الى التقليد ثم أضرب عنه أيضا الى أنهم الى الآن لم يدوقوا العذاب ومتى ذاقوه فانهم يلجئون الى التصديق وهذا قوله تعالى (بل هم في شك من ذكرى بل لما يدوقوا عذاب) ثم أخذ يتهم بهم قائلا (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أي بل عندهم خزائن رحمة وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شأوا ويصرفوها عن شأوا فيتخبروا للنبوّة بعض صناديدهم (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أي بل لهم ملكهما أي ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء من خزائنه تعالى وان كان لهم ذلك فايصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى عرش هذا الملك حتى يستوا عليه ويدبروا أمر هذا العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهذا قوله تعالى (فليرتقوا في الأسباب) الارتقاء الصعود ، والأسباب المعارج والطرق التي يتوصل بها الى الاستيلاء على العرش ، ثم وعد بنصر نبيه ﷺ فقال : هؤلاء الذين يقولون هذا القول (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) الكفار المتحزبين على المؤمنين مغلوبون في الوقائع هنالك في مصارع بدر وغيرها فأني لهم تدبير الامور الإلهية والتصرف في الخزائن الربانية وما في - جند ما - مزيدة للتقليل ، أخبر الله نبيه ﷺ وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين وهذا عجيب لأنه وهو بمكة لا جند له جاء تأويلها يوم بدر ونحوها وهذه من أعظم المعجزات ثم عزى الله نبيه ﷺ فقال (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالأوتاد) أي ذوالملك

ولقد غنوا فيها بأنهم عيشة ✦ في ظل ملك ثابت الأوتاد

(وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) وأصحاب الفيضة وهم قوم شعيب (أولئك الأحزاب) يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم كالأحزاب الذين تحزبوا عليك ، ثم بين سبب انهزامهم وعقابهم فقال (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) يعني أن أولئك الطوائف والأمم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين إذا نزل بهم العذاب (وما ينظروا هؤلاء) أي وما ينتظر كفار مكة (إلا صيحة واحدة) وهي النسخة الأولى (ما لها من فواق) أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين ، أو ما لها من رجوع ، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة ، ويقال فواق الناقة أيضا ساعة يرجع السر إلى ضرعها وهو بالضم والفتح (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذي توعدنا به وهو من قطه إذا قطعه ، ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس أي عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها (قبل يوم الحساب) وهذا الاستعجال على الوجهين منهم استهزاء (اصبر على ما يقولون) فيك واحذر أن تهين في مصابرتهم وتحمل أذاهم (وإذا كر عبدنا داود) أي قصته ليعلموا أنه مع عظم شأنه وبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن ، فلتعذر أنت حتى تصون نفسك أن تزل وقوله (ذا الأيدي) أي ذا القوة في الدين (إنه أواب) رجع إلى مرضاة الله ✦ روى أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (إننا سخرنا) ذلنا (الجبال معه يسبحن) أي مسبحات بتسبيحه إذا سبح والمضارع اختير للتجدد (بالعشي والاشراق) العشي وقت العصر إلى الليل والاشراق هو حين تشرق الشمس أي تضيء وهو وقت صلاة الضحى كما فسره ابن عباس ، وأما الشروق فهو الطلوع تقول شرقت الشمس ولما تشرق بضم التاء (والطير محشورة) أي أي وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية (كل له أواب) أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجع إلى التسبيح مع المداومة على ذلك (وشددنا ملكه) وقويناه بالهيبه والنصرة وكثرة الجنود ✦ روى أن رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البينة فأوحى إليه أن اقتل المدعى عليه فأعلمه فقال صدقت انى قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فعظمت هيئته بذلك (وآتيناه الحكمة) النبوة وكال العلم واتقان العمل والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل ، ثم ابتداء سببجانه نبأ عجيبا من أنبائه وشوق إلى استماعه بالتعجب منه فقال (وهل أتاك نبأ الخصم) أي خبر الخصم وهو يطلق على الواحد والجمع (إذ تسوروا المحراب) أي صعدوا وعلاوا سور الغرفة التي كان يشتغل فيها داود بالطاعة (إذ دخلوا على داود) متعلق بتسوروا (ففرغ منهم) ذلك أن ملكين بعثهما الله إليه في صورة انسانين طلبا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فنههما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففرغ من ذلك لدخولهما في وقت الاحتجاب لأنه كان يجزئ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته (قالوا لا تخف) نحن (خصمان) متخاصمان (بني بعضنا على بعض) وهذا من باب الفرض (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر في الحكومة (واهدنا إلى سواء الصراط) أي وسطه وهو العدل (إن هذا أخى) بالدين والنصيحة (له تسع وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة) هي الأثني من الضأن (فقال أكفنيها) ملكنيها (وعزني في الخطاب) وغلبني في مخاطبته إياي (قال) داود قبل أن يسمع كلام المدعى عليه للمدعى (لقد ظلمك) المدعى عليه (بسؤال نجتك إلى نعاجه) أي والله لقد ظلمك بذلك ، ثم استطرد فقال (وإن كثيرا من الخلقاء) الشركاء (ليبغى) ليتعدى (بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) أي وهم قليل وما مزيدة للإبهام والتعجب من فعلتهم ، فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه وضحك وصعدا إلى السماء فعلم داود أن الله ابتلاه إذ قال له الخصمان - احكم بيننا بالحق ولا تشطط

واهدنا الى سواء الصراط - حكم المدعى بدون أن يسمع كلام خصمه (وظن داود) أي أيقن (أما فتناه)
 ابتليناه وامتنحنا لحكمه للمدعى قبل أن يسأل المدعى عليه (فاستغفر ربك) لذنبه (رخز راكمه) للسجود
 مصليا كأنه أحرم بركته الاستغفار (وأنا ب) ورجع الى الله بالتوبة (ففغرنا له ذلك) أي ما استغفر عنه
 (وإن له عندنا لزلزنى وحسن ما ب) أي لقربة بهدالمفطرة وحسن مرجع في الجنة ، وأما ما روى أن بصره
 وقع على امرأة فعشقها فأوحى الى رئيس الجيش أن يقرب زوجها أوريا بين يدي العدو فيقتل وأنه تزوجها
 بعد ذلك فان ذلك من كلام القصاصين . ولقد روى عن علي رضي الله عنه انه قال : « من حدثكم بحديث
 داود على ما رويه القصاص جلدته مائة وستين » وكيف يليق ذلك بمن يخاطبه الله قائلا (ياداود إنا جعلناك
 خافية في الأرض) أي استخلفناك على الملك فيها (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الحق (ولا تتبع الهوى)
 ما تهوى النفس من المبادرة الى تصديق المدعى قبل سؤال المدعى عليه (فيضلك عن سبيل الله) دلالة التي
 نصيها للحق (إن الذين يضاون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بسبب نسيانهم
 وهو ضلالم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومحاربة الهوى ومن الهوى الاسراع الى تصديق أحد
 الخصمين لجودة إلقائه وحسن بيانه وما أشبه ذلك من استئجار المحامين الذين هم أقدر على البيان في هذا
 الزمان ، فالقاضي بسبب ذلك معرض للزلل كل حين . ولما كان آدم وبنوه خلفاء الله في الأرض يقوهون
 بالعدل والنظام على مقدار طاقتهم وقياهم بالعدل تابع للنظام العام كما قال تعالى - ووضع الميزان - ألا تظفوا في
 الميزان - ناسب أن يذكر عدله وحكمته في السموات والأرض فقال (وما خلقنا السماء والأرض وما
 بينهما باطلا) مبطلين عابثين أولالباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى العدل (ذلك ظن
 الذين كفروا) أي خلقهما باطلا ظنهم (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظن وذلك لأنه حكم
 بالادليل كما يحكم القاضي لأحد الخصمين قبل سماع الآخر كما تقدم . واذا كنا فتنا داود في القضاء وعلم انه قد
 فتن بسبب اصغائه لأحد الخصمين دون الآخر فنتن هذا الانسان على وجه الأرض وامتنحناه في نظامنا
 فنهم من يرى أن إمانتنا واحياءنا واحداث الأمراض والأرزاء في الأرض والوباء والحروب والأكاذيب
 والأراجيف والفتن كل ذلك باطل لامعنى له فيعيش الانسان ويموت وهو يقول : لِمَ هذا كله ؟ وهلا خلق
 الله الناس في راحة وطمانينة وسعادة لا يمرضون ولا يشقون ولا يحاربون ولا يخاصمون ولم أصرا الآساد أن تأكل
 الطباء والأرانب وحدد أنياب الآكلات ومنع المأكولات السلاح والمقاومة . والناظرون في هذا على قسمين
 قسم ينكر ذلك انكارا قلبيا فنهم من يظهره كبعض الذين تعاموا في العصر الحاضر تعليما سطحيا . ومنهم من
 يخفيه وهم كثير من المتدينين بأى دين . وقسم يقرأ علوم الحكمة ويستوعبها وهذا يشعر بأن هذا النظام
 جميل وأن كل ذلك فيه مقدمة لحال أعلى من هذه وقد أوضحناه في هذا التفسير ايضا كثيرا . إن من يحكم
 أن نظام هذا العالم باطل أشبه بمن يحكم لأحد الخصمين . فاذا أراد أن يحكم بالحق فليقرأ علوم الحكمة التي
 تبحث في نظام هذا الوجود وهذا هو الذى يبين قضية الخلق وكيف خلقه الله ؟ فكأن الانسان اذا نظر فيها
 قد أصغى أيضا الى المدعى عليه وفهم حجته وسجته هو هذا النظام البديع ومتى أدركه الناس بطالت الفكرة الأولى
 وهي ان هذه الدنيا مبعثرة غير منظمة الى آخر ما تقدم . وما يشير الشكوك في نظام هذا العالم أن الظلم فيه
 مجسم ولا سيما في هذا الانسان ، كيف لا ونحن نرى أن المصلحين والصالحين في الأرض مغبونون لا ينالون
 جزاء أعمالهم في الدنيا ، ونرى كثيرا من المفسدين متمتعين بالنعمة والعافية ، فأى عدل وأى نظام هذا
 ولكن اذا أدرك الناس أن هذه الحياة ستعقبها حياة أخرى ترجع فيها الامور الى حقائقها كما دل عليه علم
 الأرواح المنتشر حديثا في أوروبا وأجمعت عليه الديانات . فانهم يعرفون أن النظام عدل لذلك أعقبه بقوله
 (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) هذا انكار للتسوية

بين المؤمنين والكافرين ، ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم فان من يسوي بين هؤلاء يكون سفيها هذا ( كتاب أنزلناه اليك مبارك ليتدبروا آياته ) أي ليتدبروا ويتفكروا فيها ( وليتذكروا أولوا الألباب ) أي وليتفظ بالقرآن أولوا العقول السليمة ، ويستحضروا ما هو مركز في عقولهم من تمكنهم من المعرفة بالدلائل الكونية والهجائب الخلقية . روى عن الحسن انه قال : « قد قرأ هذا القرآن شهيداً وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيحوا حدوده » اهـ

وهذا القول منطبق على أكثر المسلمين في هذا الزمان ، إن الأمة اليوم لا تقرأ القرآن غالباً إلا للتعبد وأما التفكير فلا وهذا هو السبب في ضياع ملك الاسلام وعظمته ووقوعه نهبا مقسما بين دول أوروبا ولكن هذا هو الزمان الذي أذن الله فيه اذنا حقاً ببعث هذه الأمة من مرقدها وتقوم بواجبها كما قال تعالى - ليظهره على الدين كله - وهذا هو الزمن الذي سيظهر فيه وهذا أمر حتم سيكون قريباً

### ﴿ قصة سليمان عليه السلام ﴾

قال تعالى ( ووهبنا لداود سليمان نعم العبد ) سليمان ( إنه أوأب ) رجاع الى الله بالتوبة ( إذ ) ظرف لأوأب ( عرض عليه بالعشي ) بعد الظهر ( الصافنات ) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر ولا يكاد يكون ذلك إلا في العراب الخالص ( الجياد ) جمع جواد وهو الذي يسرع في جريه ( فقال ) لما عرضت عليه فأجروها أمامه وذلك لاستعدادها للفرز ( إني أحببت حب الخير ) آثرت حب المال ومنه الخيل المعروضة ( عن ذكر ربي ) أي اني لأحبها لأجل الدنيا ونصيب الغنى وانما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه ثم أمر بأجرائها واعدائها حتى توارت تلك الخيل بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهذا قوله تعالى ( حتى توارت بالحجاب ) ثم قال ( ردوها علي فطفق ) يمسح ( مسحاً بالسوق والأعناق ) أي يمسح سوقها وأعناقها شمريتها لها لكونها للجهاد والجهاد من أعظم الأمور وليباشرا الأمور بنفسه ليقتمدى به الوزراء ورجال الدولة كما كان يفعل صلاح الدين الأيوبي إذ كان ينقل الأشجار بنفسه في بناء الأسوار أيام الحروب الصليبية وليكشف عن أمراض الخيل وعلاؤها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض

### ﴿ فتنة سليمان عليه السلام ﴾

روى صرفوعاً أن سليمان عليه السلام قال : « لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل ، فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا » فهذا قوله تعالى ( ولقد فتنا سليمان ) ابتليناه ( وألقينا على كرسيه جسداً ) وهو شق الطفل المذكور جيء به على كرسيه فوضع في حجره ( ثم أناب ) رجع الى الله مما فعل وهو أنه لم يقل ان شاء الله والأنبياء يحاسبون على ما لا يحاسب عليه سواهم لشدة قربهم من ربهم ، وأما حديث الخاتم والشیطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فن أباطيل اليهود وذلك أنهم قالوا ان زوجته كانت تسجد لصورة أبيها ودام ذلك أربعين يوماً وهو عليه السلام لا يعلم فلما علم كسر الصنم وعاقب المرأة ، ثم إن الله عاقبه بأن سلط شيطانا يسمى صخرأ فأخذ خاتم الملك فصار الشيطان في صورته عليه السلام أما هو فأصبح منكراً لا يعرفه أحد فتكذب أربعين يوماً ثم طار الشيطان ووقع الخاتم في البحر فالتقطته سمكة واصطادها صياد فوَقعت في يد سليمان نحرّاً ساجداً لله . هذه هي الأباطيل اليهودية ويكون صخر هو الجسد الذي ألقى على كرسيه ( قال رب اغفر لي ) ذنبي ( وهب لي ملكاً لا ينبغي ) لا يصلح ( لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ) تهب الملك والنبوة لمن تشاء وذلك لأنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالانه الحديد وعيسى باحياء الموتى ، ولذلك روى انه عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين قال ان عفريتاً من الجن تفلت على البارحة



ليقطع صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه  
 كماكم فذكرت دعوة أخي سليمان - رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي - فرددته خاسئا  
 ثم قال تعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) لينة ليست بمصافة (حيث أصاب) حيث أراد (و) سخرنا  
 له (الشياطين كل بناء) يبنون له (وغواص) وآخرين مقرنين في الأصفاد) فاذن الشياطين منهم بناؤن  
 ومنهم غواصون يستخرجون اللؤلؤ من البحر ، ومنهم هرمة الشياطين يقرن بعضهم مع بعض في القيود  
 والسلاسل للتأديب والسكف عن الفساد ، والصفد القيد ، وربما كانت الأصفاد تمثيلا لسكف شرهم وحبسهم  
 حبسا يناسب أجسامهم النارية (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فأعطاه  
 ماشئت من المنة وهي العطاء (أو أمسك) عن العطاء ، وقوله (بغير حساب) حال من عطاؤنا أي جفا كثيرا  
 لا يكاد يقدر على حصره (وان له عندنا لزلفى) في الآخرة مع هذا الملك العظيم في الدنيا (وحسن ماآب)  
 وهو الجنة

### ﴿ قصة أيوب عليه السلام ﴾

قال تعالى (واذ كر عبدنا أيوب) وهو ابن عيص بن اسحق (إذ نادى ربه) يدل من عبدنا (أي  
 مسنى الشيطان) أي بأنى (بذصب) تعب (وعذاب) ألم ومرض وبلاء وانما نسب المس الى الشيطان لأنه  
 بسبب وسوسته أعجب بكثرة ماله فسه الله بالمرض لأجل ذلك فأرسل الله له جبريل فقال له (اركض برجلك)  
 الأرض فضرب فنبهت عين فقيل هذا مغتسل أي ماء يغتسل به ويشرب منه فيبرأ ظاهره وباطنه وهذا قوله  
 تعالى (هذا مغتسل بارد وشراب) ثم قال تعالى (ووهبنا له أهله) بأن جعلناهم عليه بعد تفرقتهم (ومثلهم  
 معهم) حتى كان له ضعف ما كان (رحمة منا) أي لرحمتنا عليه (وذكرى لأولى الألباب) تذكيرا لهم ليفتظروا  
 الفرج بالصبر أولا والالتجاء الى الله ثانيا فيما يحقق بهم ، وعطف على - اركض - قوله (وخذ بيدك ذنبا)  
 حزمة صغيرة من الخشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحنث) . ذلك أن زوجته رجلة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت  
 حاجة فأبطأت خلف ان برىء ضربها مائة ضربة فخلل الله يمينه بذلك ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة  
 من المائة وهذه الرخصة باقية على شرط اصابة المائة للمضروب كما عرفت (إنا وجدناه صابرا) على ما أصابه في  
 نفسه وأهله وماله وليس شكواه الى الله من الشيطان جزعا (نعم العبد) أيوب (إنه أوأب) مقبل على الله  
 (واذ كر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار) أولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين  
 (إنا أخاصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخالصة خالصة لا شوب فيها هي (ذكرى الدار) ذكرى الدار  
 الآخرة دائما فاننا نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخاصناهم بحب الآخرة وذكراها (وانهم عندنا  
 لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الأخيار) جمع خير وخير بالتحديد والتخفيف (واذ كر  
 اسماعيل واليسع) لام التعريف دخلت على يسع (وذا الكفل وكل) أي وكلهم (من الأخيار) يقال ان  
 ذا الكفل هو ابن عم يسع أو هو ابن أيوب ويقال انه فرأ اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فأواهم  
 وكفلهم . ثم ان أول السورة - ص - والقرآن ذى الذكر - وقد ذكر قصص الأنبياء وصبرهم وأعمالهم  
 الشريفة . ولما أمم الكلام عليهم قال (هذا ذكر) كأنه يقول هذا ذكر مما اشتمل عليه القرآن المذكور  
 في أول السورة أي الذي يتلى عليكم شرف وجليل تذكرون به

### ﴿ وصف الجنة ﴾

قال تعالى (وان للمتقين لحسن ماآب) مرجع ثم عطف على حسن ماآب عطف بيان فقال (جنات  
 عدن) حال كونها (مفتحة لهم الأبواب) متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وبعندهم  
 قاصرات الطرف أتراب) مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة ومتأخيات لا يتباغضن

ولا يتحاسدن ، ومعنى قاصرات الطرف أى قصرن أطرافهن على أزواجهن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى لأجله فإن الحساب عملة الوصول الى الجزاء أى قيل للمؤمنين - هذا ما توعدون - الخ ويقول أهل الجنة (إن هذا لرزقنا ماله من نقاد) انقطاع بل هو دائم كما قال تعالى فى سورة أخرى - أكلها دائم - (هذا) أى هذا الأمر كما ذكر

### ﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (وان للطاغين لشر مآب \* جهنم يصلونها فبئس المهاد) المهد والفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالنم تقديره جهنم (هذا) مبتدأ وقوله (حجيم وغساق) خبر وجلة - فليذوقوه - اعتراض والغساق هو ما يغسقى أى يسيل من صديد أهل النار والحجيم الماء الحار . وقال ابن عباس : الغساق هو الزمهرير يحرقهم بيرده كما تحرقهم النار بحررتها ، وعذاب (آخر من شكله) من مثل العذاب المذكور فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر أى أجناس وأصناف ، ثم يقول الخزنة للقادة اذا دخلوا النار ودخل بعدهم أتباعهم (هذا فوج) جمع كثيف (مقتحم معكم) أى دخل النار فى صحبتكم ، والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة والقحمة الشدة (لامرحبا بهم) أى الأتباع تقول لمن تدعوله مرحبا أى أتيت رحبا من المكان لاضيقا وتدخل عليه لا فى دعاء السوء ، وهذه الجملة من كلام الرؤساء (إنهم صالوا النار) أى داخلوها (قالوا) أى الأتباع (بل أتم لامرحبا بكم) مخاطبين رؤساءهم الذين دعوا عليهم (أتم قدمتموه لنا) أى قدمتم العذاب لنا أى دعوتهمونا الى الكفر فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) النار (قالوا) أى الأتباع أيضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) مضاعفا (فى النار) وقالوا (أى رؤساء الكفرة) (مالنا لانرى رجالا) هم فقراء المساكين (كنا نعتهم) فى الدنيا (من الأشرار) من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى (أخذناهم سخرى) ينكرون على أنفسهم ويؤنبونها على استسغارهم منهم فى الدنيا (أم زاغت عنهم الأبصار) أى مالت فلانراهم ، ومعنى ذلك أن الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لانرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرى لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم ترهم حين دخلوها (إن ذلك) الذى حكينا عنهم (لحق) لا بد أن يتكلموا به هو (تخاصم أهل النار) فى النار وذلك لأن قول القادة للاتباع والاتباع للقادة لامرحبا بكم من باب الخصومة (قل) يا محمد للمشركين (إنما أنا منذر) أنذركم عذاب الله (وما من إله إلا الله الواحد) الذى لا شريك له (القهار) الغالب وفى ذلك رهبة لهم ثم أعقبه بما يدل على الرجاء فقال (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) فهو مهرب والترية احسان وكرم وجود وهو غفور للذنوب وان عظمت وكل هذا دال على الرجاء (قل هو) أى القرآن (نبؤ عظيم \* أتم عنه معرضون) لانتمفكرون فيه فتعلمون صدقى فى نبؤتى

### ﴿ قصة آدم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ما كان لى من علم بللأ الأعلى) يعنى الملائكة (إذ يختصمون) فى شأن آدم فهذه فى صورة الخصومة والمناظرة والافاللة لا يخاصم يعنى انما علمت هذه الخصومة بوحى من الله تعالى (ان يوحى الى إلا إنما أنا نذير مبين) أنذركم وأبين لكم ما تأتون وتجتنبونه بلغة تعالونها ، ثم بين الخصومة فقال (إذ) بدل من - إذ يختصمون - (قال ربك للملائكة إنى خالق بشر من طين) يعنى آدم (فاذا سوّيته) أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) أضاف الروح الى نفسه للشريف والاضافة للملك كما تقول بيت الله ، وأيضا الروح جوهر شريف قدسى (فقعوا له ساجدين) وقد تقدم هذا الموضوع فى البقرة (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس استكبر) تعظم (وكان) وصار (من الكافرين) بسبب استكباره واستنكافه عن المطاوعة (قال يا ابليس مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى خلقتة بنفسى من غير توسط كآب وأم ، وفى تثنية

اليد اشعار بما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل (أستكبرت أم كنت من العالمين) أي أتعظمت بنفسك عن السجود أم كنت ممن عملا واستحقق التفوق ، فأجاب ابليس (قال أنا خير منه) يعني لو كنت مساويا له في الشرف لقبح السجود له فكيف يكون الحال اذا كنت خيرا منه ؟ ثم بين ذلك فقال (خاقتني من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه ، ففضلني بشرف عنصري الذي خلقت منه ألا ترى أن النار تغلب الطين وتعرقه (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات (فانك رجيم) مطرود من الرحمة (وإن عليك لعنتي) عذابي وسخطي (إلى يوم الدين) يوم الحساب (قال) ابليس (رب فأنظرنى) فأجبنى (إلى يوم يبعثون) من القبور (قال) الله (فانك من المنظرين) المؤجلين (إلى يوم الوقت المعلوم) إلى النفخة الأولى (قال فبئزتك) فبساطتك وقهرك (لأغوينهم أجمعين) إلا عبادك منهم المخلصين) الذين أخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة (قال) الله (فأخى) يعني أوقسى ، وقوله (والحق أقول) جملة اعتراضية وجواب القسم قوله (لأملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (ومن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أي لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين لأترك منهم أحدا (قل ما أسألكم عليه من أجر) أي على القرآن أو على تبليغ الوحي (وما أنا من المتكلفين) المتصنعين بما ليسوا من أهله على ما عرفتم من حالي فأنتحل النبوة وأتقول القرآن (إن هو إلا ذكر) عظة (للعالمين) ولتعلمن نبأه) وهو ما فيه من الوعد والوعيد وصدقه (بعد حين) عند ظهور الاسلام أو ظهور العاوم التي تضمنها ولم تكن معروفة من قبل . انتهى التفسير اللفظي

### ﴿ الفصل الثالث في مقصود السورة ﴾

أي في معنى - ص - وفي قوله تعالى - واصبروا على آهتكم - وقوله - اصبر على ما يقولون - وقوله - وهل أتاك نبؤا الخصم - وقوله - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا - وقوله - وألقينا على كرسيه جسدا - وقوله - إنا وجدناه صابرا نعم العبد - الخ وقوله - هذا ذكر - وقوله - فسجد الملائكة - كلهم - الخ وقوله - قل ما أسألكم عليه من أجر - وقوله - إن هو إلا ذكر للعالمين \* ولتعلمن نبأه بعد حين -

لقد عرفت ما للمحروف التي في أوائل السور من المعاني الشريفة في سور كثيرة ولكن لها خواص في كل سورة بحسبها فتأمل في لفظ - ص - فانها فضلا عن صفتها العامة لها مقاصد سامية في هذه السورة ، إن في السورة تحليلا لشمال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليقضى بها ، ولقد جاءت الصاد في لفظ - اصبر على ما يقولون - وفي لفظ - واصبروا على آهتكم - وفي - إنا وجدناه صابرا - وهكذا تجد معنى الصبر واضحاً في مسألة الخصمين إذ دخلوا على داود فانه لم يصبر حتى يسمع كلام الخصم فحكم وفي قصة سليمان إذ عزم أن يدخل على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بولد ذكر يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله ، ولقد عوقب على هذا ، فكأنه عليه السلام لما لم يكمل الأمر لله بذكر المشيئة عد كانه غير صابر ، هكذا كل كافر يظن أن السموات والأرض خلقتا باطلا بلا نظام فان هذا الزعم منه ناشئ من تسرعه وعدم صبره على المشقات في سبيل البعث في الحكمة حتى يعرف كيف كان العالم منظماً وهكذا ابليس تكبر واعتز بأصله ولم يسجد لآدم وهذا لأنه لم يصبر على تحمل مكارم الأخلاق . صبر أهل مكة على آهتهم وتواصوا بالصبر على ذلك وتحمل كل مفضل في سبيل ابقاء العقيدة الموروثة عن الآباء ونبد كل برهان معقول ومغالبة الأدلة المحسوسة . كل ذلك لحفظ العقائد الموروثة فأمر الله رسوله أن يقابل صبر هؤلاء المبطلين بصبر الصادقين فقال : - اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود - وقص قصص الخصمين وذكرا انه قد لأمه الله على تسرعه بالحكم لأحدهما

قبل سماع الآخر هكذا أنت يا محمد قد قاومتك قومك وصبروا على مقاومتك فإياك أن تملى وتصبر ولا تستهجل  
واعلم أنك منصور ولقد امتحنناك بهم كما امتحننا داود بالخصمين فاصبر على الامتحان فبه يكرم المرء أو يهان  
إنا امتحننا داود في الحكم بين الخصمين فأسرع ولما فرج الله إليه فرجاً بذكر قصصه نذكر ونحذر كل  
مؤمن أن يحكم قبل التحقيق والياتسون من نصر الله عند الصدمات والشدائد لا ينالون المعالي لأنهم ليسوا  
صابرين . وإذا صبر المبتلون فما أحرى الصادقين أن يصبروا لأن الصادقين منصورون ، هما صابران أحدهما  
مغلوب والثاني غالب ، وإذا كان المغلوبون في العاقبة يصبرون فأجدر بالذين لهم العقبي أن يكونوا أديم صبرا  
وأقدر على المقاومة ، فليثابر كل مؤمن على الأعمال الصالحة فإنه منصور وليتقوا - أن امشوا واصبروا على  
آهتكم - ويقرأ معها - واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود - وايحسب كيف كان آخر الصبرين أبقاهما  
وأنتههما وأدومهما ، ثم لينظر كيف كان لفظ - ص - في أول السورة يتضمن هذه المعاني الجليلة ، ولما كان  
الصبر أهم الأمور في الحياة الدنيا والمداومة على الأعمال والثقة بالله تعالى في إنجازها أهم الأمور كلها إذ لا عمل  
في الدنيا ولا الآخرة إلا بالصبر ، ابتداء السورة بقوله - والقرآن ذي الذكر - وختمها بأنه ذكر للعالمين ،  
وقال بعد قصص الأنبياء في وسط السورة - هذا ذكر - وقال أيضا - كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدتبروا  
آياته وليتذكر أولوا الألباب - فهذه كلها تشير إلى أن السورة مسوقة للصبر على المشاق والأعمال وأن المدار  
على العمل لأعلى ألفاظ القرآن بل الأمر كله في الصبر ومقاومة الصعاب

حتم الله الصبر على من أصابته البأساء ومن منح النعماء فأيوب صبر على بلائه وسليمان وداود قد  
عوقبا على عدم الصبر في بعض عملهما . يقول الله انى تمتحن جميع عبادى لافرق بين الملوك وغيرهم ، لم  
أخل سليمان في ملكه ولا داود في قضائه ودولته من الامتحان في الصبر وهكذا أيوب المبتلى . كل من هؤلاء  
وهؤلاء مبتلون ، ابتلى الله من هم في بجموحه النعيم والملك العظيم ومن هم في البلاء والبؤس يألمون ،  
وهذا معنى قوله تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - ولذلك قال الله على لسان سليمان عليه السلام - هذا  
من فضل ربى ليبلونى أشكر أم أكفر - كما تقدم ، ومعلوم أن الشكر ملازم للصبر فمن عمل برًا فقد صبر عن  
الشر الذى هو قادر عليه في مقابلته ، فمن نظر فى المصحف فهو فى الوقت نفسه قد صبر على غض طرفه عن  
النظر للمحرمات عليه ، ومن تلا القرآن والعلم فهو فى الوقت نفسه صابر عن توجيه همته من هجر القول والنم  
والضحك وما أشبهها إلى القول النافع المفيد . ألا تعجب كيف كان لفظ - ص - رمزاً إلى مقصود السورة  
وكيف جمع صبر المبتلين من الكفار وصبر نبينا ﷺ وصبر أيوب وأن هؤلاء الأنبياء مثني عليهم وغالبون  
فائزون ، وكيف كان ذلك أيضا رمزاً إلى اللوم على من لم يصبر ولم يتم عمله فكأنه قيل : فكروا فى الصبر  
واحترسوا من الاسراع ، وكيف كان من لم يفكر فى نظام هذه الدنيا حتى يقف على الحقائق وأسرع بالحكم  
على نظام هذا العالم وأنه باطل أشبه بمن أسرع فى الحكم لأحد الخصمين قبل سماع الآخر ، وكيف كان ذلك  
رمزاً إلى أن المقصود من الحياة إنما هو الحكمة والعلم ، فأما القضاء ونحوه فأنما هو لنظام نوع الانسان فى  
الحياة الدنيا ، ولعمري ما أبعد الفرق بين المقامين مقام القضاء بين العباد ومقام معرفة الحقائق والوقوف على  
الدقائق فى نظام السموات والأرض . ان أولهما مقدّمة وثانيهما نتيجة ، لذلك تجد قضاء داود تبعه ذم الذين  
يظنون أن السموات والأرض خلقتا باطلا . إن فى هذه السورة حثاً على حسن القضاء بين العباد لحفظ الدولة  
ونظام الأمة وبهذا النظام وقيامه يقدر الناس أن يفكروا ويفقهوا فأما اذا لم يكن قضاء ولا نظام فلامفكرين  
ولا حكماء لأنهم لا يجدون أمناً فى البلاد فلا يقدرّون على التفكير ولا العلم

يقول الله فى آخر السورة - ولتعلمن نبأه بعد حين - وهذه الآية شرحها طويل ، فمن نبأ القرآن هذه  
الأمة الاسلامية المترامية الأكتاف التى تبلغ الآن نحو (٣٥٠) مليوناً من المسلمين ، أفليس هذا من أعظم



أنبأها ، ومن نبأ القرآن العلوم التي كشفها الناس حديثا . وكيف جاء علم الأرواح الحديث مطابقا لهذا القرآن وأن الأرواح بعد الموت أحياء وأن من الأرواح من هم مغرمون بالمادة والمال والحياة والصيت والذكر في هذه الدنيا وهؤلاء يكونون بعد الموت مجذوبين الى المادة معدّين بذلك ومنهم من يكونون أرقى علما وحكمة وأخلاقا ، وهؤلاء يتباعدون عن المادة ويقربون من ربهم وأن أعلى الأرواح والظنهم وأعاهم وأرقهم من يتخلص من المادة ويقرب من الله ويراه وان من الأرواح من هم في غاية الصفاء واللطف ومنهم من هم في ظلمة وكشافة فلا تقدر الأرواح العالية أن تلهمهم ، وان من الناس في هذه الأرض من لطف نفوسهم فلا تقدر الشياطين على الوسوسة اليهم كما لا يقدر الصعاليك على مقابلة الملك كما قال تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - أفلا ترى أن هذا معجزة للقرآن ، أفلا ترى أن هذه الامور المذكورة في هذه السورة قد أصبحت تتال في الجامع النفسية علنا وهذا هو نفس القرآن (وبعبارة أخرى) هو ما في هذه السورة من ذلك ان يظن أن نبأ بقاء الأرواح بعد الموت وحسابها يظهر في الدنيا قبل يوم القيامة .

### ﴿ حكاية عجيبة ﴾

هل لك أيها الذكي أن تسمع ما أروي به لك عن حال نفسي : كنت أيام مجاورتي بالجامع الأزهر نائما به إذ رأيت كأنني في قريتنا ( كفرعوض الله حجازي ) وكان قائلا يقول لي : انظر انظر ! فنظرت فرأيت كرة بيضاء تميل الى الحرة وسط زرقاء الجو تعاو عن المقابر قليلا مقدار خمسة أمتار فقال هذه هي الروح ، وكان ذلك ليلة الخميس فاستيقظت وقت مع اخواني المجاورين لتتوجه الى قصر النيل وما جاوره للرياضة فوجدت عند أحدهم كتاب ابن مسكويه في علم الأخلاق ولاعلم لي بهذا الكتاب ولا بهذه العلوم فددت يدي الى الكتاب فقرأت في أوله مسألة الروح والاستدلال على وجودها ففجبت كل العجب وصرت مغرما به و بغيره ، ثم تمادى الزمان حتى هذه الأيام الأخيرة أي بعد هذه الحادثة بأربعين سنة فاطلعت على علم الأرواح فوجدت انهم لما سألوهم في الجامع النفسية أي لما أحضروا بعضها قالت : « إن الأرواح بعد الموت ترتفع في الجو على مقدار خلاصها من المادة وكلما كانت أجل أخلاقا وأغزر علما كانت أبعد عن الأرض » ففجبت كل العجب من موافقة تلك الرؤيا لأقوال الأرواح التي خاطبوها وأنا الآن لست أقول ان هذا تحقيق المقام بل أقول ان الموافقة هي العجب العجيب ، وأعجب من هذا انها توافق آراء ابن سينا والفلاسفة القائلين هذا القول وأن الانسان على قدر انجذابه الى المادة يبعد عن الله وبقدر بعده عن الله يقرب من المادة ولعل مرتبة الروح في الفلاة عند صهودها دالة على مرتبتها في جهنم . أليس هذا قول الله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا منهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون \* ثم انهم اصالوا الجحيم \* ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون -

يقول علماء الأرواح : « إن النفس بعد الموت اذا كانت متردية رداء الذنوب جلالتها وزميتها وحجبتها عن الأرواح العالية حتى لا تقدر على تعليمها » ويقولون أيضا : « انه كلما كان الانسان أشد انكارا للبعث كانت روحه عند الموت أشد عذابا لأنه يتنازعها عاملان : عامل الانجذاب الى المادة والياس من حياة أخرى وعامل خروج الروح الذي قضت به النواميس الإلهية في الأرض ، وكلما كان الانسان أكثر صلاحا كان أكثر سهوارة في انفصال روحه من جسمه . قالوا : وأرواح الأشرار بعد الموت الظاهر تبقى متصلة بجسمه مدة حتى يحس المنتحرون برعى الدود في أجسامهم ويحكم عليهم بعد الموت بامور فظيعة لأنهم لم يصبروا على ما أصابهم فيضطرون لعذاب عظيم لا يطاق هناك »

وقالوا : « إن النفس متى خرجت من الجسد اطلعت على جميع أعمالها مسطرة في جسمها كأنها تشاهدها لا تحتاج في التعريف ، الى شيء آخر ، وهناك تعرف مقدار ما عملت وتعرف الثواب وتعرف مقدار

العقوبات التي ستناها ، وكل نقص في النفس يتبعه ألم هناك ، وهناك يكون العذاب والنعيم الذي أصاب النفس مقبلا حول الروح فهو هناك كالمواء هنا ، فهم إما في إطار من شقاء أو من نعيم «  
 يا عجباً كل العجب ، جاء في الحديث : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وهذا هو الذي جاء في العلم الحديث اليوم ، ويقول الله - اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسبياً - وهو عين ما تقدم

انظر كيف يقولون أيضا : « إن عواطف المحبة والبغضاء والحسد والغيرة والندامة والاشفاق وما أشبه ذلك تكون لها سوائل روحانية محيطية بالنفس فهي كروائح الزروع المختلفة في جسم الانسان . إن علم النبات يفهمنا ذلك ففيه الروائح العطرية المختلفة وفيه الروائح الكريهة الكثيرة والانسان يميزها بشممه ، فإذا امتنا ميزنا سوائل الفضائل المختلفة كما يميز روائح النباتات المتميزات واذن يظهر للراء قوله تعالى - كفي بنفسك اليوم عليك حسبياً - فيعرف الانسان كل شيء بنفسه كما يميز في بعض الأوقات حبيبه من عدوه مما يشهر به في نفسه من الميل ومن النفور »

ويقولون أيضا : « إن كل خلق ذميمة تتأذى به هناك له عقاب ، وكل ما يصيبنا من آلام الدنيا ومصائبها يزيل عنا بعض هذه العيوب ويبقى منها ما يلزمنا بعد الموت ، والروح في حال البرزخ يعذب عذابا ماديا أو معنويا على مقتضى ذنوبها حتى ان المتكبر يقاسى الآلام لا تطاق في حال البرزخ »

وقالوا : « إن المعرم بالمال والحشم والخدم والشهوات يصاب بألم نفسي لأنه يطلع فيرى الناس اقتسموا ماله وأخذوا ثروته وهو يراهم ولا يقدر على منهم وهذا عذاب لا يطاق »

ويقولون : « إن القتلى والسفاهة الذين تطاردتهم أشباح من أمواتهم فلا يهدون ولا يقدر على الاحتجاب من هذا العذاب ، وهؤلاء وأمثالهم لا يطلعون على بعض أحوال مستقبلهم للظلمات المتركة عليهم »

ويقولون : « إن الأرواح العالية ترى مالا عين رأت بعد الموت وتطير الى العلا جماعات جماعات ويتهجون بالجمال الإلهي واحكام الصنعة البديعة في السموات وبقون سكرى آمادا وآمادا وهم يسرون زمرا متحابين كل جماعة في درجاتهم الخاصة التي ماتوا عليها وهم متحابون متجاذبون كتجاذب المواد الأرضية وتظهر على أيديهم العجائب في عالم الأثير البهيج البديع ، والذي يجمعهم انما هو انخلاعهم من الكبرياء واتحادهم في الفضائل وتكون أجسامهم خفيفة لطيفة غلبت روحانيتها »

ويقولون : « انهم يوقعون في طبقات الأثير ألقانا بديعة وقد يجتمعون حول روح أعظم منهم فيعطيم تعاليم ترقبهم ، ثم إن أجسامهم لا تعرض كأجسامنا للطافتها وخفتها »

ويقولون : « انهم يقيمون أفراحا وأعيادا باجتماع الأرواح العالوية من أقطار الكون كله وكل منها يتلأأ بسناه اللطيف الدال على صفاته ودرجاته في الرقي »

هذا هو الذي أحببت أن أتقله لك الآن من كتب الأرواح المسطورة أممي ، إياك أن تظن أني أجعل هذا القول المنقول عن المجامع النفسية قولا لا يحتاج الى دليل انما المقام مقام تفسير قوله تعالى - ولتعلمن نبأه بعد حين - فنقول نعم ياربنا عرف عبادك بعض ما جاء في كتابك فهاهم أولاء عرفوا أن الأرواح لها نعمات وموسيقى في اجتماعها وهذا هو الذي قاله بعض المفسرين في قوله تعالى - إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون - فعدوا من ذلك النعمات الموسيقية وعرفوا انهم نزع ماني صدورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين وهذا لا يكون إلا للأرواح الخالصة من شوائب الحسد والغل الخ وعرفوا أن الروح تقرأ أعمالها في شكل جسمها الروحي وغير ذلك مما أوفضته في هذا المقال ، فليس المقام مقام تحقيق صدق هؤلاء وكذبهم بل المقام في أنه طابق مافي القرآن ، ولست أيها الذي ملزما أن تبحث عن كون قولهم حقا أو باطلا

فأما لك القرآن نصّ عليه فإن أردت البحث فأقرأ طرق تحضير الأرواح من كتابي المسمى « الأرواح » واستحضرها بالطرق الواضحة هناك وكن مختصا في البحث لأجل العلم والعرفنة لا لأجل الدنيا فستعرف الحقائق بنفسك لا بأهل أوروبا الذين أخبرونا أن أرواح القديماء الصالحين هذا شأنهم وهكذا الطالحون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين . انتهى الفصل الثالث في مقصود السورة

### ﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (١) في بعض أسرار - ص - وسورتها
- (٢) في قوله تعالى - ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض -
- (٣) في قوله تعالى - رب اغفر لي وحب لي ملكا - الخ
- (٤) في قوله تعالى - قال فبهزتك لأغوينهم أجمعين -

### ﴿ اللطيفة الأولى في بعض أسرار - ص - وسورتها ﴾

( كتب صباح يوم الجمعة ٢٤ يناير سنة ١٩٣٠ )

استيقظت الليلة بعد نصف الليل وكنت نمت قبل أن أصلي العشاء فصليتها وفي ركعات الوتر قرأت آيات من ﴿سورة ص﴾ وفيها - ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض - الخ فرتت نفسك ببعض عجائب هذه السورة وبعض عجائب الأرض والسماء وذلك أن (ص) كما قدمنا جاءت في أول حروف الصبر وأول كلمة في السورة جاءت الصاد في أولها - واصبروا - واهمة فيها للوصول ، ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يصبر في آية - اصبر على ما يقولون - في مقابلة قوهم - امشوا واصبروا على آلهتكم - إذن الكفر عند أهله لا يتم إلا بالصبر والنبوة عند أهلها لا يتم إلا بالصبر ولكن يابعد ما بين الصبرين ، وهنا أعقبه بقوله - واذكر عبدنا داود - الخ فإذا نرى ؟ نرى أنه ذكر داود وسليمان وأيوب ثم إبراهيم واسحق الخ ، فهنا رأينا داود وسليمان ملكين وأيوب ابتلى بنقم الدنيا مرضا وفقرا ولكن هذان النبيان مع هذا الملك قد ابتليا بما يشبه المعصية وهذا يحزنهما كما حزن موسى بقتله القبطي . إذن الألم عند الأنبياء ﴿نوعان﴾ نوع يرجع إلى الألم الروحي الديني الذي يورث الندم ، ونوع يرجع إلى الألم الجسمي والمالي ونحوهما ، فالنوع الأول ظاهر في أمر موسى وداود وسليمان ، والثاني ظاهر في أمر أيوب وإبراهيم واسحق وإسماعيل ، فالأول بيدنه وماله وأهله والثاني بالنار وبذبح ولده والثالث والرابع بذبحه هو فصبر الجميع ففازوا ونجوا . إذن في الملك امتحان وفي الجسم امتحان وفي الفقر امتحان وهذا كله لم يقصد منه في القرآن أن يعزم الله الأنبياء كلا والله بل قصد منه تعليمنا نحن ، ومعنى هذا أنني أجد في نفسي خزيا وحزنا من أمور سبقت إذا تذكرتها دلت على أنني كنت غير كامل الخلق ولا ممتازا بالصبر كأن أنطق بقول لا قيمة له أو أفعل فعلا غير جيد فيقول الله لي إن موسى لم يمنع قتل القبطي الذي أورثه الندم أن يكون نبيا ورسولا وأن داود وسليمان اللذين ابتليا بما ظاهره أنه ذنب فندما ولكن هذا الندم ليس معناه انهما أدلا نفسيهما طول الحياة وقعدا عن الأعمال . كلا . بل إن الندم مظهر يدل على أن النفس به ترقى وربما تكون بعد الذنب خيرا منها قبله فإن معصية توجب ذلا وانكسارا خير من طاعة توجب عزا واستكبارا ، وهكذا قد يهترى أحدنا نقص في الأموال والأنفس والثمرات فيقول الله له إياك أن تقف فكما صبر أيوب على النقص في ذلك وصبر إبراهيم واسحق ويعقوب على ما ابتلوا به ففازوا جميعا هكذا أنت اصبر تنل ، إذن يكون هذا تطبيقا على آية البقرة - وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - فذكر البشارة

والصلوات والرحمة والهداية لهم هو الذي ظهر مثله هنا بنور داود وسليمان وأيوب وأمثالهم بعد أصابهم جميعاً بمصائب روحية دينية أو مصائب جسمية ومالية إذ يقول الله يا محمد إذ ذكر عبدنا داود الخ فهؤلاء جميعاً ابتلوا بأنواع من البلاء في أنفسهم وأهلهم وأنت ابتليت بأهل مكة إذ كذبوك وقد صبروا على كفرهم فاصبر على إيمانك وصابرهم وستفوز كما فاز من قصصهم عليك من الأنبياء ، فهكذا أنا وقرءاء هذا التفسير يقول الله لنا كل ما يصيبكم لا يخرج عمادكم فهو إما مصائب من أذى الناس وإما من ذنوب تقدمت وإما من نقص الأنفس والأموال والثمرات وقد صبر نبينا ﷺ على الأول وبعض الأنبياء على الثاني وبعضهم على الثالث ففازوا جميعاً وأنت تفوز كما فازوا إذا تعلمت الصبر وهذا هو بعض سر (ص) في أول السورة إذ ظهر أن المداير جميعه في هذه السورة على شيء واحد وهو الصبر

أقول : ثم بعد أن خطر لي هذا الخاطر تذكرت أمراً عجيباً وهو قوله تعالى - كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب - فقلت فما الذي يتذكره أولوا الألباب ياترى في هذه الآيات ؟ هنالك وجدت رابطة وثيقة بين الصبر المتقدم بجميع فروعه وبين صبر القضاة على القضاء بالحق لأنهم معرضون لسخط الناس وسخط الملوك الذين ولوهم ، والله يقول هنا - فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى - وهذا لا يكون إلا بالصبر . فهذا أيضاً من سر (ص) فهناك ما جاء في كتاب «العقد الفريد ، للملك السعيد» من صبر القضاة على العدل وقول الحق ثم فوزهم ، وفي هذا المقام عشر قضايا وهذا نصها :

### ﴿ خاتمة لهذا الركن ﴾

من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقاد وقاب الى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على القواعد السكينة في المقاعد العلية والمقاصد المرعية لاسيما في المرصد الشرعية أن يتطاع الى الوقوف على شيء من جزئياتها ويتوقع معرفة شيء من أحوال سالكي طرقها ليكون على بصيرة من التفاروت بين الجامعين أصناف صفاتها القارعين وصيد صفاتها وبين القانعين منها بمجرد أسماء شبهاتها التابعين أهواء نفوسهم الأمارة في ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جماعة من القضاة المتقدمين القاميين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للتوسمين وإدكار نافع والذكرى تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاة الشريعة هذا وضعها وولاية أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة يبعد جمعها وفي ذكر بعضها تبصرة يعين نفوسها ويعظم وقعها وقد وقع الاقتصار من أحكامها على ذكر عشرة لاجابة معها الى زيادة تذكره

### ﴿ القضية الأولى عن عدل محمد بن عمران الطلحي ﴾

قال أمير المدنى قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحي متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكروه فأمرني أن أكتب الى المنصور بالحضور معهم أو الصافهم فقلت له تعفينى من ذلك فانه يعرف خطي فقال اكتب فكتبت وختمت فقال والله ما مضى به غيرك فضيت به الى الربيع حاجبه وجعلت أعتمر اليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم انى دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يبداًنى بالسلام ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه وهو فى ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي ﷺ فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم الجالين ثم دعا بالمنصور فدعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فاذا قام القاضي من مجلسه فادعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال



له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسابك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت بك بمسرة آلاف  
صلة لك فأقبضها فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فما أبرك ساك السن القويم واتباع  
الصراط المستقيم

### ﴿ القضية الثانية عدل عاقبة بن يزيد القاضي ﴾

نقل أن عاقبة بن يزيد القاضي كان يلي القضاء ببغداد للمهدي فجاء في بعض الأيام وقت الظهر للمهدي وهو  
خال فلستأذن عليه فاما دخل عليه استأذنه في من بسم اليه القمطر الذي فيه قضايا مجلس الحكم واستمعناه من  
القضاء وطاب منه أن يقيله من ولايته فظن المهدي أن بعض الاولياء قد عارضه في حكمه فقال له في ذلك وأنه  
ان عارضك أحد لننكر عليه فقال القاضي لم يكن شئ من ذلك قال فما سبب استعذائك من القضاء قل  
يا أمير المؤمنين كان تقدمت الي خصمان منذ شهر في قضية مشككة بكل يدعي بينة وشهودا ويدي بحجج تحتاج  
الي تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يصدلحووا وأن يظهر النصل بينهما فسمع أحدهما أني أحب الرطب  
فعمد في وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطبا لايتبأ في وقتنا جمع مثله لأير المؤمنين ومارأيت أحسن  
منه ورشا بواني بدراهم علي أن يدخل الطبق علي ولايبالي أن يرد عليه فلما أدخله علي أنكرت ذلك  
وطردت بواني وأمرت برد الطبق فرد عليه فلما كان اليوم تقدمت الخصمان الي فاساويا في عيني ولاقاي  
فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالي لو قبلت ولا آمن أن تقع علي حيلة في ديني وقد فسد الناس  
فأقاني يا أمير المؤمنين أقالك الله واعفني عفا الله عنك

### ﴿ القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة ﴾

روى عمر بن هياج بن سعد قال أنت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم  
فقلت أنا بالله ثم بالقاضي قال من ظلمك قالت الامير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين كان لي بستان علي  
شاطئ الفرات فيه نخل ورثته عن أبي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطا وجعلت فيه رجلا  
فارسيا يحفظ النخل و يقوم به فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وساروهني ورغبني فلم أبعه فلما  
كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام رفاعل فاقتلوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شياً واختلط بنخل  
اخوتي فقال يا غلام أحضر طينة فأحضر نخمها وقال امض الي بابي حتى يحضر بك فجاءت المرأة بالطينة  
المختومة فأخذها الحاجب ودخل علي موسى فقال قد أعدي القاضي عليك وهذا ختمه فقال ادع لي صاحب  
الشرطة فدعاه فقال امض الي شريك وقل ياسبحان الله مارأيت أعجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح  
أعديتها علي قال صاحب الشرطة ان رأي الامير أن يعفني من ذلك فقال امض وياك نخرس وقال لغلامه  
اذهبوا واحلوا لي الي حبس القاضي بساطا وفراشا وما تدعو الحاجة اليه ثم مضى الي شريك فلما وقف بين يديه  
أدى الرسالة فقال لغلام المجلس خذ بيده فضعه في الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبسي  
فقدمت ما أحتاج اليه الي الحبس وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدى رسالة أي  
شئ عليه فقال شريك اذهبوا به الي رفيقه الي الحبس فحبس فلما صلي الامير موسى العصر بعث الي اسحق  
ابن الصباح الاشعبي والي جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك وقال لهم أبلغوه السلام وأعلموه  
أنه استخف بي واني لست كالعامية فضوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما  
انقضى كلامهم قال لهم مالي أرا كم جثموني في غيرة من الناس فسكتموني من ههنا من فتيان الحى فأجابه  
جماعة من الفتيان فقال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الي الحبس ما أتم الافتنة وجزاؤكم الحبس  
قالوا له أجاد أنت قال حقا حتى لا تعودوا لرسالة ظالم فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليلة الي باب السجن

وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجنان فأخبره فدعا بالقطر  
نفسه ووجه به الى منزله وقال لغلامه اطلق بثقلى الى بغداد والله ما طلبنا هذا الاصر منهم ولكن اكرهونا  
عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد وبلغ الخبر الى موسى  
ابن عيسى فركب في موكبه فلحقه وجعل يشده الله ويقول يا أبا عبد الله تثبت انظر اخوانك تحبسهم دع  
أعوانى قال نعم لأنهم شوا لك فى أمر لم يهز لهم المشى فيه ولست ببارج أو يردوا جيها والا مضيت الى أمير المؤمنين  
المهدى فاستغفيتة مما قلدنى فأصر موسى بردهم جيها الى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجنان فقال  
قد رجعوا جيها الى الحبس فقال لأعوانه خذوا بلجام دابته بين يدي الى مجلس الحكم فرأوا به بين يديه  
حتى أدخل المسجد وجلس فى مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال هذا خصمك قد حضر فقال موسى  
وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر أنا قد حضرت أولئك يخرجون من الحبس فقال شريك أما الآن فنعم  
أخرجوهم من الحبس فقال ماتقول فيما تدعيه هذه المرأة قال صدقت قال ترد ما أخذت منها وتبني حاطها سرى ما  
كما كان قال أفعل ذلك قال لها أبقى لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسى ومناعه قال موسى بن عيسى  
ويرد ذلك كله بقى لك عليه دعوى قالت لا وبارك الله عليك وجزاك خيرا قال قومي فقامت من مجلسه فلما فرغ  
أخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه وقال السلام عليك أيها الأمير أنا سر بشئ فقال أى شئ أمر وضحك  
فقال له شريك أيها الأمير ذاك الفعل حتى الشرع وهذا القول الآن حق الادب فقام الأمير وانصرف الى  
مجلسه وهو يقول من عظم أمر الله أذل الله عظماء خلقه

### ﴿ القضية الرابعة عدل القاضى شريك أيضا ﴾

قال عمر بن خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضى شريك فأتيته يوما فى منزله باكرًا فخرج الى  
فى رداء وليس تحته قيص وعليه كساء فقلت له قد أصبحت عن مجلس الحكم فقال غسلت ثيابى أمس ألم تجف  
اجلس فجلست فجلنا ننذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مواليه قال ما عندك فيه وما تقول فيه وكانت الخيزران  
قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكتبت الى موسى بن عيسى أن لا يعصى له أمر بالكوفة وكان  
مطاعا بالكوفة فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق ومعه جماعة من أصحابه وعليه جبة خزوطيلسان وتحته بردون  
فاره واذا بين يديه رجل مكشوف وهو يصيح واغوثاه أنا بالله ثم بالقاضى واذا فى ظهره آثار السياط فسلم على  
شريك وجلس الى جانبه فقال الرجل انا بالله ثم بك أصلحك الله أنا رجل أعمل هذا الوشى أجزى كل شهر  
مائة أخذنى هذا منذ أربعة أشهر واحتبسنى فى طراز يجرى على القوت ولى عيال قد ضاعوا وهلكوا وأقبلت  
اليوم نحوهم لأراهم فلحقنى ففعل بظهيرى ما ترى فقال القاضى قم فاجلس مع خصمك يا نصرانى فقال أصلحك  
الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة صر به الى الحبس قال قم وياك واجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال  
ما هذه الآثار التى يظهر هذا الرجل من أثرها فقال أصلح الله القاضى انما ضربته أسواط بيدى وهو يستحق  
أكثر من ذلك صر به الى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج سوطا ثم ضرب بيده الى مجامع  
ثوب النصرانى وهو يقول لا تضرب والله بعدها المسلمين فهم أعوانه أن يخلصوه فقال شريك لفتيان الحى  
خانسوا هؤلاء الى الحبس فهرب الاعوان وبقى النصرانى فصر به أسواطا فحمل يبكى وهو يقول ستعلم فلما  
فرغ من ضربه ألقى السوط فى الدهليز وقال لى يا أباحفص ماتقول فى العبد يتزوج بغير اذن مواليه فأخذنا فيما  
كننا فيه كأنه لم يصنع شيئا وقام النصرانى الى البردون ولم يكن له من يسكه فجعل النصرانى يضرب البردون فقال  
له شريك أرفق به وياك فإنه أطوع لله منك ثم قال خذ فيما كنا فيه قال حمر فقلت له مالنا ولهذا لقد فعلت  
اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكرهة فقال لى أعز أمر الله يهزك الله خذ فيما كنا فيه فذهب النصرانى الى

موسى بن عيسى فقال شريك فعلى بن كيت وكيت فقال له والله ما تعرض لشريك القاضي النصراني الى بغداد ولم يبد بعد هذا الى الكوفة

### القضية الخامسة عدل عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقبة

قال الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب قال كان عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقبة وكان الرشيد اذا ذاك بها جاء رجل الى القاضي فاستعدى اليه علي عيسى بن جعفر فكتب اليه القاضي ابن ظبيان اما بعد ابقى الله الامير وحفظه واثم نعمته اثنى رجل فذكر انه فلان بن فلان وان له على الامير ابقاء الله تعالى خمسمائة ألف درهم فان رأى الامير يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلًا ينظر خصمه أو يرضيه فعل ودفع الكتاب الى رجل فأتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه فقال له قل له كل هذا الكتاب فرجع الرجل الى القاضي فأخبره فكتب اليه ابقاك الله وأمتع بك حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقا فسر معه الى مجلس الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عوين من أعوانه فحضر باب عيسى بن جعفر ودفع الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب اليه حفظك الله وأمتع بك لا بد أن تسير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان أبيت أنهيت أمرك الى أمير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه فقعدا على باب عيسى بن جعفر حتى طاع فتأما اليه ودفعوا اليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به فعادا فأبلغاه ذلك فختم قطره وأغلق بابه وقعد في بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعا وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفني من هذه الولاية فوالله لا أفلح قاض لا يقيم الحق على القوي والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من إقامة الحق فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لابراهيم بن عثمان سر الى دار عيسى بن جعفر واختم أبوابه كلها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل اليها أحد حتى يخرج الى الرجل من حقه أو يسير معه الى مجلس الحكم فأحاط ابراهيم بداره خمسمائة فارس وأغلق الابواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأى في قتله ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب وارتنع الصراخ في منزله وضح النساء فسكتن ثم قال لبعض الاعوان من غلمان ابراهيم ادع لي ابا اسحاق لأكلمه فأعسود فجاء حتى وقف على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بخبر القاضي ابن ظبيان فأمر باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت وأمر أن تدفع الى الرجل فجاء ابراهيم الى الرشيد فأخبره فقال اذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه وعرفه أن القاضي من عمل حكمه فيك ما رأيت فإياك ومعارضته

### القضية السادسة جراءة عمر بن حبيب القاضي

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوما فجرت مسألة فتنازعاها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم أبو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقالت أنا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة صحيح النقل صدوق القول فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلي فلم ألبث أن جاءني غلام فقال أجب أمير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك أن يظعن على أصحابه فسأمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصرتي قال يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرات علي فقال يا أمير المؤمنين ان الذي قلته ووافقت عليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به فانه اذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض في الأحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود

مردودة غير مقبولة فالله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصنى إليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله  
 ﷺ قال أحبيتي يا عمر بن حبيب أحيالك الله أحييتني أحيالك الله وأصركم بهشرة آلاف درهم

### ﴿ القضية السابعة عدل حفص القاضي ﴾

قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جمالا على مرزبان المجوسى وكيل أم جعفر بثلاثين ألف  
 درهم فظله بثمنها وعوقبه عن سفره فطال ذلك على الرجل فأتى الى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب  
 الى مرزبان وقل له أعطني ألف درهم وأحل عليك بلال الباقي وسافر الى خراسان فاذا فعل فعرفنى حتى  
 أشير عليك ففعل الرجل وأتى الى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع الى الرجل فأخبره فقال له عد اليه وقل  
 له اذا ركبت غدا فاجعل طريقك على القاضي حتى أوكل رجلا يقبض المال منك فى دفعات وأروح أنا الى  
 خراسان فاذا جاء وجلس الى القاضي فادع بمالك كله فاذا أقر حبسه القاضي وأخذت مالك منه فرجع الخراسانى  
 الى مرزبان وسأله ذلك فأجابه وقال غدا انتظرنى بباب القاضي فلما ركب من الغد قام اليه الرجل وقال ان  
 رأيت أن تنزل الى القاضي حتى أوكل يقبض المال وأروح فنزل مرزبان فتقدم الى القاضي وكان حفص بن  
 غياث فقال الرجل أصلح الله القاضي لى على هذا تسعة وعشرون ألف درهم وادعى عليه فقال له حفص ما تقول  
 يا مجوسى قال صدق أصلح الله القاضي قال قد أقر لك قال يعطيني مالى والا الحبس فقال للمرزبان يا مجوسى  
 ما تقول قال هذا المال على السيدة أم جعفر قال له حفص يا أحمق تقرم ثم تقول هذا على السيدة ما تقول يا رجل  
 قال ان أعطاني مالى والا حبسته فقال حفص يا مجوسى ما تقول قال المال على السيدة قال حفص خذوا بيده  
 الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فغضبت وبشت الى السندى وقالت وجه بمرزبان الى وعجل فأسرع  
 السندى فأخرجه من الحبس وبلغ الخبر الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ويخرج السندى  
 والله لا جلست للقضاء أو يرد مرزبان الى الحبس وغلق باب بيته فسمع السندى ذلك فجاء الى السيدة أم جعفر  
 فقال الله الله فى فان حفصا من لاناخذ فى الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لى بأمر من  
 أخرجه رديه الى الحبس وأنا أكلم حفصا فيه فأجابته وردته الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا  
 أحمق حبس وكيلى واستخف به اكتب اليه ومره لا ينظر فى الحكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصا ذلك فقال  
 للرجل أحضرنى شهود الاسجل لك على المجوسى بلال وجلس حفص وسجل على المجوسى فجاء خادم السيدة  
 ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن فى حكم شرعى حتى تفرغ منه  
 فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه  
 وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأته وقد أنفذت الحكم عليه فقال الخادم قد  
 عرفت والله ما صنعت أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لأخبرن أمير المؤمنين بما  
 فعلت قال له حفص قل لى ما أحببت فجاء الخادم وأخبر هارون الرشيد بذلك فضحك وقال للحاجب صر لحفص  
 ابن غياث بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصورا عن مجلس الحكم فقال أيها القاضي  
 قد سررت أمير المؤمنين اليوم وقد أمر لك بثلاثين ألف درهم فما كان السبب فى هذا فقال حفص تم الله سرور  
 أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلايته ما زدت على ما أفعل كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم الا أننى سجلت  
 على مرزبان المجوسى بمال وجب عليه فقال يحيى فن هذا سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام  
 بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة



### ﴿ القضية الثامنة عدل القاضي أبي حازم ﴾

قال أبو الحسن عبد الواحد الحصببي حضرت القاضي أبا حازم وقد جاءه طريف الخالدي من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال يقول لك أمير المؤمنين لنا على فلان مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك الفلاس وقد قسطت لهم ماله فاجعلنا كأحمدهم وقسط لنا فقال أبو حازم قل له أطال الله بقاءه إذا كرر لما قل لي وقت أن قلدي القضاء قد أخرجت الأمر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال رجل المتع إلا بينة فربيع طريف وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني رجلين جليين من أعيان الدولة كانوا في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل عنهما فإن زكيا قبات شهادتهما والا أميت ما ثبت عندي فامتنع أوائله من الشهادة فزعا أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتضد شيئا فيمكن أن يكون القضاء السديد

### ﴿ القضية التاسعة نادرة في عدل أبي حازم عبد الحميد القاضي ﴾

ذكر وكيع القاضي قال كنت أتقصد لأبي حازم عبد الحميد القاضي وقوفاً في أيام المعتضد بالله منها وقف الحسن بن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالخلافة أدخل فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذي تحت يدي وانظري وهو مجاور القصر وبلغت السنة آخرها وقد جيت مال الوقف إلا ما أخذه المعتضد فجئت إلى القاضي أبي حازم فعرفته اجتمع مال السنة واستأذنت في قسمته في سبيله على أهل الوقف قال هل جيت ماعلى أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر يطالب الخليفة فقال والله لا قسمت إلا رتاع أو تأخذ ماعليه والله لأن لم ترح إليه لاوليته عملائهم قال امض إليه الساعة وطالبه فقلت ومن يوصلني فقال امض إلى صافي الحرمي وقل له أنك رسول أنفذت في مهم ليستأذن لك فاذا وصلت إليه فعرفه فقلت لك فجئت فقلت لصافي ذلك فاستأذن لي وأدخلني وكان آخر النهار فلما صرت بين يدي الخليفة ظن أن أصراعظما قد حدث فقال هيه فقلت اني أتولى لعبد الحميد قاضي أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين إلى قصره ولما جيت مال هذه السنة امتنع من تفرقة إلى أن أجبي ماعلى أمير المؤمنين وأنفذني الساعة فأصدا بهذا السبب وأمرني أن أقول اني حضرت في مهم لاصل اليك قال فسكت المعتضد ساعة متفكراً ثم قال أصاب عبد الحميد ياصافي أحضر الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قال قلت أر بعائة دينار قال أفتعرف النقد والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزاناً ثم قال أترن أر بعائة دينار فقبضتها وانصرفت إلى أبي حازم فعرفته ذلك فقال أضفها إلى ماعندك من الوقوف وفرقه غدا في سبيله ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبرأ ذمته

### ﴿ القضية العاشرة عدل اسماعيل القاضي ﴾

قال الدار قطني سمعت عبد الرحيم ابن القاضي اسمعيل بن اسحاق يقول كان في حجر أبي يقيم فبلغ وله أم وأختها في دار الخليفة المعتضد بالله فقالت أم اليتيم لأختها كلي أمير المؤمنين حتى يرفع اسمعيل القاضي الحجر عن ولدي فسكامة فدعا المعتضد عبيد الله بن سلمان بن وهب وزيره وقال له قل لاسمعيل القاضي يفيك الحجر عن فلان فقال له الوزير ان أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يخبر عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والدة الصبي إلى أختها وسألته أن تعاد أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يعاود لخشونته فعاودته فقال أليس قد أمرت فقالت لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيد الله ثانياً وقال أمرتك أن تأمر اسمعيل القاضي بأن يرفع الحجر عن فلان فقال قد كنت قلت له عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع الحجر عنه فدعا الوزير ثانياً وقال له وأمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فأطرق القاضي

ساعة، ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئاً وختمه فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتاباً ولم يقل له شيئاً لمحل اسمعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه فأخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم أن هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تعاوده في هذا فأخذ عبيد الله الوزير الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ياد اود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

فهذه سيرة القضاة المتصفين بما سبق من الاوصاف المقتفين في أعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم وشكرت أيامهم ولم تعثر بهم آثامهم اه

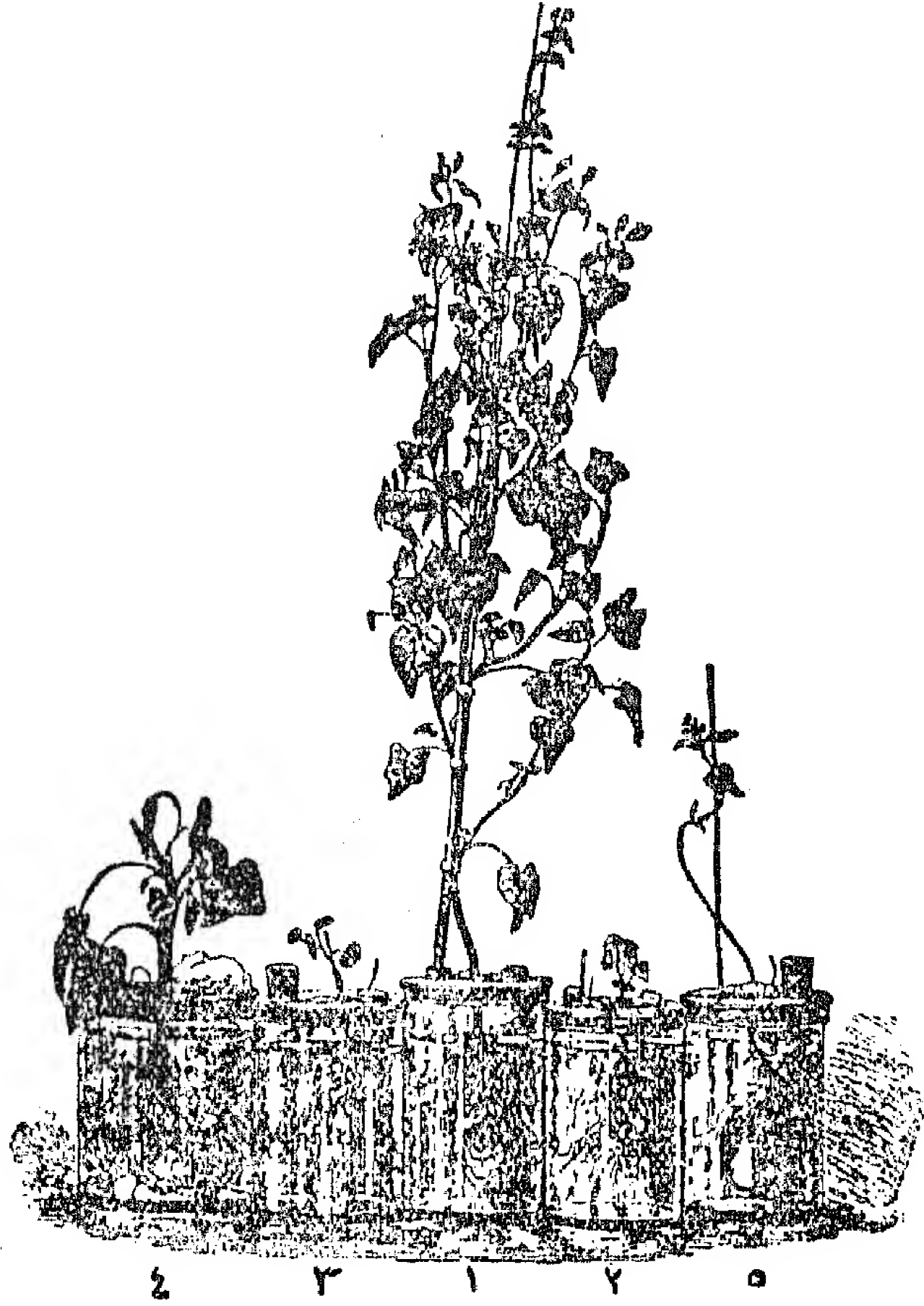
هنالك أخذت أفكر في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار - الخ ههنا يتذكر أولو الألباب المناسبة بين خلق السموات والأرض وبين العدل في القضاء وليس من الميسور أن يعرف الناس تلك المناسبة بقراءة علوم السموات والأرض وهنا يكون العجب من الأمم الاسلامية المتأخرة ، حرمت علوم السموات والأرض غفراً عليهم السقف من فوقهم ولكن الأمم الاسلامية في العصور الأولى كانوا يفهمون هذه الامور بعقولهم وهكذا الأمم الذين بعضهم في زماننا وبعضهم بعد مفارقتنا هذه الدار سيفهمون هذا حق الفهم ويقولون إن الله يقول لداود - فاحكم بين الناس بالحق - ثم أعقبه بأن السموات والأرض لم يخلقها باطلاً وفي آية أخرى قال - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق - ثم يقولون فلننظر عسى أن نجد في علم النبات هدى فيجدون أن العناصر التي تدخل في تركيب النبات بتجزئته تحليله تحليلات كيميائية هي :

الكربون . الاوكسجين . الايدروجين . الاوزون . الكبريت . الفوسفور . البوتاسيوم . الكالسيوم  
الحديد . المغنسيوم

ويحصل النبات على الكربون من الهواء وعلى معظم الاكسوجين والايديروجين من الماء ، أما بقية العناصر فيحصل عليها من الأملاح الذائبة في التربة

﴿ اثبات ضرورة العناصر السابقة للنبات ﴾

إذا عمل محلول من ماء أذيت فيه أملاح تشتمل على العناصر الآتية الذكر فإن النبات ينمو فيه بحالة طبيعية (شكل ٢ - ١) وإذا أنقص من المحلول أحد هذه العناصر فقد ينمو النبات الى حد ما (شكل ٣) ولكنه يضعف ويموت بعد ذلك ، وقد يحتوي النبات النامي في التربة عدا ما تقدم على عناصر السليس والصوديوم والكالور إلا ان هذه العناصر ليست ضرورية جداً ويمكن للنبات أن ينمو بدونها بحالة طبيعية . والنبات لا يمتص المواد الضرورية له بنسبة واحدة فهو يحتاج مثلاً الى مقدار قليل جداً من الحديد في حين أنه يحتاج لكميات أكبر من الاوزون كما أن نسبة كل من العناصر الموجودة في النباتات تختلف باختلاف النباتات نفسها (انظر شكل ٣ في الصفحة التالية)



( شكل ٢ )

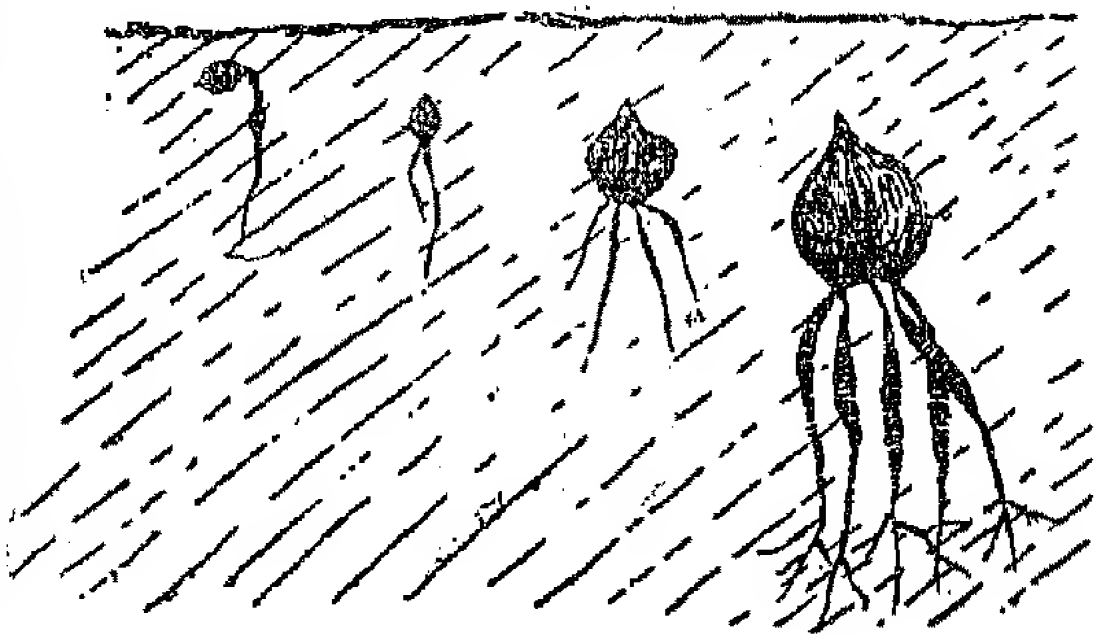
- (١) نبات نام في محلول يحتوي على جميع العناصر الضرورية  
 (٢) نبات نام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم  
 (٣) نبات نام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم الذي استبدل بها الصوديوم  
 (٤) نبات نام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا الكالسيوم  
 (٥) نبات نام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا الازوت

فاذا رأوا ذلك قالوا هذا مثل من أمثلة السموات والأرض وانهما لم يخلقا عبثا ولا لعبا بل خلقا بالحق كما قال تعالى - ما خلقناهما إلا بالحق - وذلك الحق كالحق المذكور في آية داود - فاحكم بين الناس بالحق - الله حق وفعله في تغذية النبات حق بحيث اذا نقص النبات في (شكل ٢) السابق البوتاسيوم فقط كان صغيرا جدا واذا نقص الازوت كان أكبر وهكذا ، أما اذا كان تام التغذية فانه يتم كماله . هذا هو الحق في نظام النبات وهو فعل الله ، وليس هناك اختلاف في هذا القانون ، فلم يسمع الناس أن نباتا نقص أحد هذه العناصر ثم كان تاما في شكله غير منقوص وهذا هو نفس الحق الذي تقدم في القضايا العشر التي نقلتها لك عن القدماء ، وأى فرق بين عدل محمد بن عمران الطلحي إذ يكتب الى المنصور فيحضر فيحكم عليه وبين نقص النبات أمامنا اذا نقص عنصرا من عناصر التغذية ، واذا كنا نحن خلفاء الله في الأرض على رعايانا من الأعضاء والحواس والأسرات والممالك فوجب أن نتبع من استخلفنا ووزن الامور على مقتضى وزنه لتصح لنا الخلافة في الأرض وبهذا نستحق أن نكون - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فهذه العنصرية تقتضى ذلك الحق فيعدل محمد بن عمران ويحكم على الخليفة ويعدل شريك ويحكم على الأمير موسى بن عيسى وهكذا فهذا الفعل مناسب تمام المناسبة لما رأينا من العدل في أمر تغذية النبات كإلا ونقصا ، فن وفي من الزرع

بالعناصر وفيت له ومن نقص نقصت له بقدر لازيادة ولا نقص وهذا عين قوله تعالى - أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار - الخ أى كما لم نجعل ناقص التغذية من النبات الذى خلقناه بالحق ليس ككامل التغذية ، فالناقص كالمفسدين فى الأرض والكامل كالمؤمنين

فاذا عرف هذا أهل العلم من المسلمين فى زماننا والذين بعدنا يزدادون علما بالله عز وجل وعلما بمصنوعاته وحكمته وتكون لهم سعادتان : سعادة روحية ، وسعادة جسمية ، أما السعادة الروحية فهو الحب الحقيقى لصانع العالم ، واذا كان الانسان يهيم شوقا ويحجب أيما عجاب بشريك القاضى ومن معه لاحقاقهم الحق فى القضايا فبالك بمن قضايه لانهاية لهددها وكهاحق وأصبح الناس يشاهدونها بعقولهم ، وأما السعادة الجسمية فهى ازدياد ثروة الأمم الاسلامية بازدياد العلم والحكمة ومعرفة حقائق الأشياء ، إن الأمم التى يكثرفيها المحبون للعلوم على هذا النمط الذى فى هذا التفسير وهم طبعيا يحبون الله تعالى ويحبون عباده بالاجتهاد فى ترقيةهم ترقى سريعاً وخواصها المذكورة أوصافهم يكونون فى سعادة وازدياد علم لا يعرفه سواهم لأن حب العلم وحب الله وحب رقى الناس متى اجتمعت فى امرئ ترادفت عليه أنواع السعادات العلمية وانشرح الصدر وكان الله فى عونته - والله يحب المحسنين -

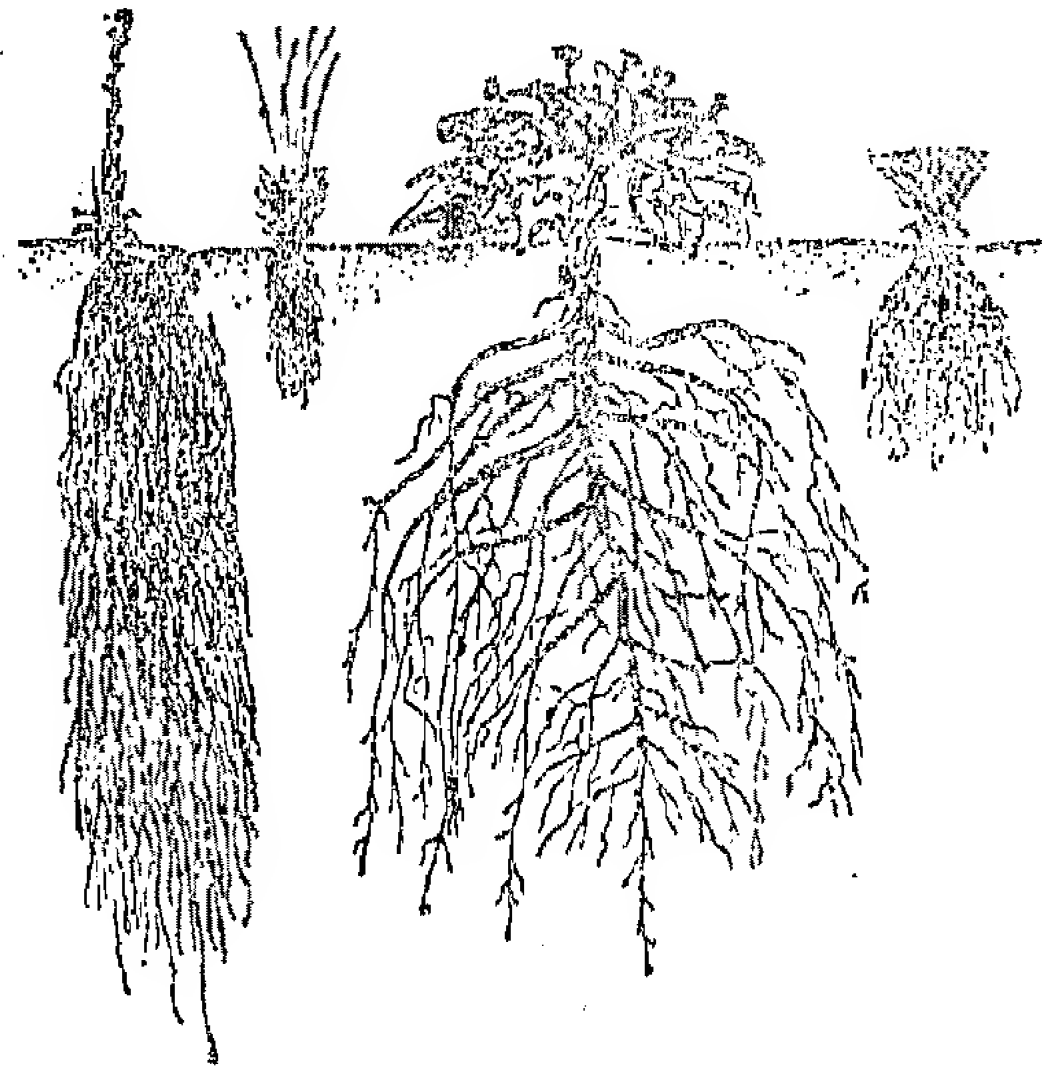
فهؤلاء الذين يزدادون علما بعدنا لا يقفون عند حد فيه فيرون أن جذور الأنواع المختلفة لا يتزاحم بعضها مع بعض فى مستو واحد من التربة بل تمتد الى أعماق مختلفة ( شكل ٣ ) بخلاف جذور النباتات الحولية إذ تمتد وتتفرع فى العادة بالقرب من سطح الأرض ، أما جذور النباتات المعمرة فانها تمتد الى أعماق أبعد ولكل منها عمق خاص تنمو جذوره فيه فاذا اقتلعت إحدى الأبدال وزرعت فى مستو أعلى من مستواها الطبيعى تتكوّن عليها جذور خاصة تعرف بالجذور الشاذة تلتوى كالبرية فتجذب البصلة الى أسفل حتى تصل بها الى لمستوى المناسب ( انظر شكل ٤ )



( شكل - ٤ )

المستويات التى توجد عليها البصلة الواحدة فى سنوات متتالية بعد انبات البذرة لاحظ الجذور الشاذة التى

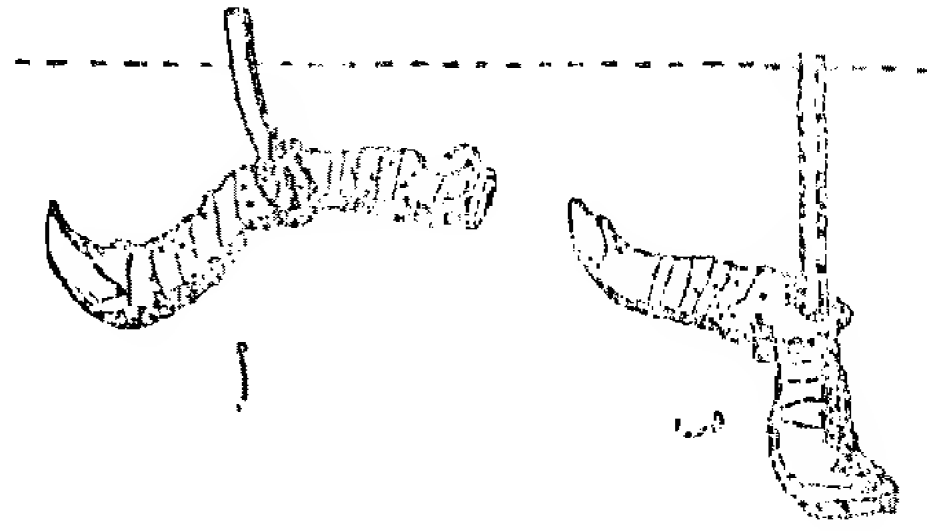
تجذبها الى أسفل



( شكل ٣ - نمو جذور النباتات الصحراوية فى مستويات مختلفة )

وكذلك اذا زرع أحد النباتات ذات الريزومات الأرضية فى مستو غير مستواه الطبيعى فان الريزوم يتجه الى أسفل أو أعلى حسب الظروف حتى يصل الى العمق الخاص المناسب لذوّه وبعد ذلك يسير موازيا لسطح الأرض ( انظر شكل ٥ ا، ب فى الصحيفة التالية )





( شكل ٥ )

( أ ) ريزوم زرع في مستوى أعلى من مستواه الطبيعي فاتجه الى أسفل  
 ( ب ) ريزوم زرع رأسيًا في مستوى أعظم من مستواه الطبيعي فاتجه الى أعلى متخذًا وضعًا أفقيًا

وفي السنوات التي يقل فيها سقوط الأمطار عن المعتاد يشاهد أن الشجر المزروع في هذه الأراضي يقف نموّه تدريجيًا ثم يجف في حين أن النباتات البرية لا تتأثر كثيرًا ، وذلك لأن جذور الشجر توجد كلها في مستوى واحد وتزاحم بعضها مع بعض فلا تجد المقدار الكافي من الماء ، أما النباتات البرية فإن ترتيب جذورها على درجات مختلفة المستوى يمنع تزاحمها فيتمكن كل منها من الحصول على الماء اللازم له . وبما يلاحظ أن الأمطار تسقط بكثرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ويقل سقوطها شيئًا فشيئًا كلما بعدت عن الشاطئ فيقل عدد النباتات النامية وتتحول الأراضي الى صحار قاحلة بالتدريج . انتهى ما أردته من كتاب علم النبات إذن يرقى المسلمون الذين يزدادون علمًا في زماننا والذي بعده فيدرسون ويقولون هذا الشجر اذا جف الماء ضعف كله وهكذا القمح وجميع النباتات التي نزرعها لأنها جذورها في منطقة واحدة من مناطق التربة الأرضية ، أما النباتات الصحراوية فإن جذورها تمتد في مناطق مختلفات وكل منطقة فيها تربة خاصة يتغذى بها نبات خاص ، ذلك لأن الزارع لها هو الله وهو عدل ومن عدله أن أعطي كل نبات منطقة خاصة يعيش بغنائها ولكن لو كانت كلها في منطقة واحدة لأهلك أقواها أضعفها ، فأما أمثال الشجر والقمح فإن الله جعل الانسان قائمًا عليها ليسقيها واذا نبت معها نبات يشاركها في منطقتها الطينية فإن الانسان نفسه هو الذي يحافظ على زرعه كما ان حيوان البرية لا أمراض تلحقه والحيوانات التي مع الناس تلحقها الأمراض والناس يداوونها

## ﴿ تذكرة ﴾

أفلا ترى أيها النكبي أن المسلمين الذين يقرؤون هذه العلوم هم الذين تكون لهم سعادة في الحياة الدنيا والآخرة ، ألا ترى كيف اجتمع هنا علم النبات وعلم القضاء وأخبار القضاة العادلين الجيلة ، ألسنت ترى أن عدل الله في النبات قد طلب من الانسان أن يسير على منواله ، أليس هذا هو نفس قول المسلم - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم - والصراط المستقيم هو صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض فهذا هو صراط الله ، أواست ترى أن الانسان كلما أوغل في هذه العلوم حصلت له ملكة بها يكون رجالا نافعا وهاهم أهل أوروبا قد سبقونا في هذه العلوم ولهم دول عظيمة وأهل أمريكا واليابان والصين ففاقونا بهذه العلوم إذا كسبتهم ملكة التفكير والاختراع ونحن من ذلك محرومون . أليس هذا بعينه هو قول الله تعالى - أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور -

## ﴿ عبرة في التاريخ ﴾

لقد ذكرت في سورة يونس اني أرسلت خطابا (وهناك نصه) الى المجلس النيابي المصري في أول حياته

والى رئيس الوزراء والى وزير المعارف وقلت فيه « إن الأمة المصرية كانت عندها العلوم قبل الاحتلال فى المدارس الثانوية . وفى زمن الاحتلال أصبح التاميز يجهل تشرح جسمه ومعرفة دابته التى يركبها والسما الذى فوقه وطبقات الأرض تحته فسيصبح القاضى والوزير والمهندس كل هؤلاء جاهلين بهذا الوجود ، فأنا أقترح أن يجعل التعليم الثانوى خمس سنين كما كان ويرجع علم المواليد الثلاثة وعلم الفلك وطبقات الأرض كما كان قديما » هذا هو الذى كتبته منذ بضع سنين ، وبعد ذلك قرروا خمس سنين ، وقرروا علوم النبات والحيوان ، أفلا أجد الله إذ يكون ما نقلته اليوم من الكتب التى ألفها الشبان فى أيامنا هذه فى المدارس المصرية . إذن رقى الأمم الإسلامية سيكون سرهما كما ذكرناه من قبل وبرهانه ما أقوله الآن ، والذى مهمنا فى هذا المقام أن نقول : « ومن الدليل على أن ترك هذه العلوم مضعف للأمم أن المحتلين لبلادنا منعوه أيام سلطتهم وهامى ذه رجعت لنا بعد سلطتهم ، وإنما كتبت الخطاب المذكور لمجلس النواب وللحكومة لأنى أعلم أنهم تهاؤوا فى زمن الاحتلال وأكثرهم لم يعرفوا هذه العلوم إلا قليلا ، كما انى كنت فى أيام التدريس بالمدارس أؤلف كتابا للمسلمين وأقول فى نفسى اذا كان المحتلون منعوا هذه العلوم من البلاد فهأنذا أكتب مجملها فى كتبى لتكون تذكرة للمسلمين جميعا »

أما الآن فانى أجد الله إذ رجعت العلوم لبلادنا مع الاستقلال النوعى الذى ينتظر أن يتم فى المستقبل . وأقول إن هذا التفسير كتاب دينى والذى شيقروءه إن شاء الله المسلمون ويحمدون فيه هذه العلوم مبسوطه مشروحة ، فهم إذن لا يقف فى طريقهم عائق يصدهم عن قراءة هذه العلوم لأن الذى يمنع العلوم الكونية من أرضية وسماوية عن المسلمين شيطانان : شيطان داخلى ، وشيطان خارجى . أما الشيطان الداخلى فهو ما يدعيه الجهلاء فى الدين أن هذه العلوم تنافى الدين ، والشيطان الخارجى هم المحتلون لأى بلد من بلاد الاسلام فانهم قد يمنعون العلم عنهم كما حصل فى بلادنا قبل تأليف هذا التفسير ، فهؤلاء حين يرون أمثال ما أكتبه الآن لا يرجعون عن هذه العلوم مهما كلفهم ذلك ، وعليه أقول : إن أمم الاسلام بعد هذه النهضة الحالية سيكونون خير أمة أخرجت للناس

#### ﴿ وصية المؤلف ﴾

وانى أوصى كل من يقرؤن هذا التفسير أن يذيعوا بين الناس كل ما يعرفونه لأن اذاعة العلم بين الناس ونشره يرجع فى نفس الحياة الدنيا على الناشر بازياد العلم لأن دورة العلم تمر بالناس ثم ترجع اليه وفيها ازدياد فيزداد هو علما كما اتفق لى فان تقرير هذه العلوم فى البلاد المصرية كان سببا فى أن الحكومة أمرت بعض الشبان فبحثوا فى النباتات المصرية كلها ونشروها فى الكتب ومنها بعض ما كتبناه فى هذا المقام ، فلولا أن هؤلاء الشبان قرؤوا هذا وبحثوه ورسوموه ما نشرت شيأ منه ولا عرفته ، ألا ترى أنى كنت أنقل لك ما كتبه الانجليز ورسوموه فى كتبهم ، ولما قرأت كتب أهل بلادى فى الحركة الحديثة كتبت ما تقدم من كتبهم ، فلتكن كل أمة دارسة نبات بلادها وحيوانه وكل شىء فيها والا كانت فى الأذلين . انتهت اللطيفة الأولى

#### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

( فى قوله تعالى - يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب - )

#### ﴿ كيف نرى قضاة الأمم الإسلامية وحكامها وخلفاؤها ﴾

أحمدك اللهم على نعمك ، وأشكرك على ما أهدمت من العلم وحبوت من الحكمة ، نزل القرآن ومضت

أجيال وأجيال والأهم الإسلامية ساكنة نائمة بعد الصدر الأول وبقى القرآن مهجورا والعلم محبوسا حتى انبجس في أمم أخرى بعيدة عن الإسلام . إن كتابك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . إنك لم تنزله للناس لتحبس عقولهم وتسكب أفهامهم كما يظن الجاهلون . كلا . بل أنزلته هدى وتبصرة وذكرى وقلت فيه - لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة - وقلت - ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا - وقلت - قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقلت - أفلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها - . أفلم يأن للمسلمين اليوم أن يسمعوها ويعقلوها؟ نعم آن ذلك فأقول :

### ﴿ تربية الأمة وقضائها وحكامها ﴾

لقد قرأت في « جمهورية أفلاطون » عجبا في ذلك فلاذكره أولا ثم أقفي على آثاره بما يناسبه من الكتاب والسنة : « يعلم المسلمون أن القرآن لا يزال بكرا وأنه يستحيل علينا أن نعقل ما فيه ونعرفه حق معرفته إلا بمقدار ما نعرف من علوم الأمم . إن القرآن بلاعقول مفكرة تعقله ولا نفوس قيمة تفهمه لكتاب مهجور متروك ، الحفظ وحده وفهم المعاني اللفظية لا يفينا قتيلا ، أليس من العجب أن نسمع أفلاطون وأستاذه سقراط قبل نزول القرآن بنحو عشرة قرون يقول : « إن من العار علينا أن يكثري بلادنا صنفاً من الناس وهم القضاة والأطباء ، فكثرة القضاة في البلاد دليل على سوء التربية وقلة الأدب والجهالة . ويقول : نعم نحن أبخنا بعض الموسيقى البسيطة ولكننا لا نبيع الايفال فيها والتفنن ، إن التفنن في الموسيقى يجر إلى الفضول والفضول والفسوق يجران إلى المشاحنات الموجبات للتقاضى عند القضاة »

وهكذا أخذ يذم كثرة ألوان الطعام والتغالي فيه فذلك موجب للأضرار المختلفة وهذا يسبب طلب الأطباء . إذن الأمة يكون فيها جيشان وهما عائلة على الأمة ، وهذان الجيشان أكبر دليل على نقص الأمة وقلة تربيتها ، وعليه يجب أن تربي الأمة كلها على القناعة لحفظ الصحة وعلى التهذيب الأخلاقى الذى يبعد النفس عن الخلاعة فيقل القضاة والأطباء

ولما قرأت هذا القول دهشت أشد الدهش من أمة الإسلام ، تلك الأمة التى يتهافت بمجموعها على المحاكم وعلى الأطباء لاسما في زماننا بمصر فان الحمامة صناعة رائعة في بلادنا ، وعندنا ثلاثة جيوش جواراة : قضاة ومحامون وأطباء ، وهؤلاء أكبر دليل على نقص فى الأخلاق وفى الصحة وأن الماء كل غير منتظمة والأحوال غير حسنة وحسبنا الله ونعم الوكيل

وما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد نقلت عن الامام الغزالي سابقا أن علماء الإسلام أكبروا على علم الفقه لأنه يوصلهم الى كراسى القضاة وأخذ يذمهم ويقول : « يقوم هذه فتنة . ما الفقه إلا علم واحد والمسلمون يحتاجون الى علوم كثيرة » وقد تكرر هذا فى التفسير . إذن علماء الإسلام السابقون كانت حياتهم وشرفهم وعظمتهم تتوقف على أمر واحد وهو جهل الأمة وقلة تربيتها . ومتى شاع الأدب فى البلاد قلت القضايا فقلت القضاة وهكذا متى صحت الأبدان قلت الأطباء

لما كتبت هذا اطلع عليه صاحبي فقال : أحب أن أسمع بعض أقوال (أفلاطون) فى هذا . فقلت هذا نصه فى المحاوره بينه وبين غلاكون :

(س) وهل تنكر على الاثنيين تأتقهم فى صنوف الحلوى

(غ) بشدة أنكره

(س) فليس من الخطأ موازنة نظام المعيشة بنظام الموسيقى والغناء المستعمل فى مختلف الأوزان

(غ) لاشك فى انها موازنة صحيحة

(س) أوليس صحيحا أيضا انه كما يولد التنوع الموسيقي فجورا في النفس تولد الأظعمة عللا في الجسد .  
أما البساطة في الألعاب الرياضية فانها تولد الصعقة كما انها في الموسيقى تولد العفاف

(غ) بلاشك

(س) واذا انتشرت في المدينة الأمراض وصور الفجور أفلا تضطر لانشاء المستشفيات والمحاكم ؟ أولايته  
الطب والحقوق عجبا متى وقف كثيرون من الشرفاء حياتهم على هذه المهنة بوافر الرغبة

(غ) وماذا عسانا أن نتوقع غير ذلك ؟

(س) فأية حجة على سوء تهذيب المدينة وانحطاط سكانها أقطع من افتقار أهاليها الى نطس الأطباء  
وأساطين القضاة ؟ ليس فقط بين طبقات العمال الدنيا بل أيضا بين من يدعون شرف النبوة ،  
أولتراه انحطاطا أدبيا ودليل نقص وتهذيب اضطرارنا الى شريهة يسنها الأجانب كسادة وقضاة  
لنا بسبب فقر الوطن ؟

(غ) لا اهانة أعظم من ذلك

(س) أو أظن انها إهانة أخف على الانسان أن يقضى الجانب الأكبر من حياته في المحاكم بين مدع  
ومدعى عليه ، بل انه زاد على ذلك انه جهلا منه يفتخر بأنه حرّيف في ارتكاب الكبائر وأستاذ  
في الحيل والمواربة والدهاء والمكر بملصه من قبضة العدالة والنجاة من براثن العقاب ، وكل ذلك  
لقاء أشياء طفيفة تافهة جاهلا بأفضلية الحياة المنظمة المستقيمة وجاهلها على مثوله أمام قاض خامل

(غ) تلك إهانة أعظم مما سبق ذكرها

(س) أو لا تحسب الاحتياج الى المعالجة الطبية هيبا ، اللهم إلا ما كان لجرح أو لمرض موسمي وافد ؟ أعني  
به احتياجنا الى المعالجة بسبب كسلنا ونوع معيشتنا فتملانا الرياح والأخلاق كما تملأ المياه القنطرة  
الجمأة فيلزم أبناء اسكولا بيوس أن يستنبطوا أسماء جديدة للأمراض كتطبل البطن والزكام

(غ) حقا إن هذه أسماء جديدة غاية في الغرابة .

(س) اذا مرض النجار مثلا تناول من طبيبه علاجا لافراز مرضه بالقيء أو بالاسهال أو بالسكى أو بعملية  
جراحية . أما اذا أشار عليه طبيب بالمعالجة الدائمة كالامساك عن الطعام والأربطة على الرأس ونحو  
ذلك من أساليب العلاج نفرحالا وأجاب مشيره الطيب أن لا وقت عنده للامساك الفرائش وأن الحياة  
على هذا النظام لا تستأهل عناء الآلام الدائمة والخاوف الشديدة مهتما بمرضه مهملا عمله فيودع  
طبيبه ويعود الى حياته العادية فلما أن يستعيد صحته ويستمر في عمله أو اذا لم تحتمل بنيته ذلك  
أراحه الموت الزؤام من شقائه

(غ) نعم ذلك ما يظن انه نفع المعالجة الطبية لرجل في مثل هذه الحال

(س) صحيح أن الأطباء بحرزون مهارة عظيمة اذا قرنوا منذ الحداثة درس الطب بمعالجة عدد وافر من  
شرّ الحوادث المرّضية واختبروا في أشخاصهم كل أنواع المرض ولذلك لا تكون لهم صحة جيدة  
لأنى لا أظن أن جسد الطبيب هو الذى يشقى أجساد الآخرين والا لما جازله أن يكون ذا علة  
أو أن يمرض ولكن عقله هو الذى يشقى . فاذا أصيب فى عقله تعذر عليه أن يكون طبيبا ماهرا

(غ) انك مصيب

(س) ولكن القاضى يا صديقى يحكم العقل (١) بالعقل فلا يجوز أن ينشأ عقله منذ نعومة أظفاره فى بيئة  
فاسدة العقول ويأثف معشرها ويترف كل أنواع الشرور اقتداء بها لكي يختبر فى نفسه ماهية

(١) وردت فى بعض الترجمات (النفس) بدل العقل فلا ينس القارى ذلك



الأجرام فيتمكن بهذا الاختبار من زلات الآخريين بقياسهم على نفسه على نحو تصرف الطبيب في الأمراض الجسدية بل بالعكس يجب أن يكون الحاكم منذ الحداثة حرا من هذا الاختبار ويعزل عن عوامل الشر والفساد إذا أريد أن يتصرف بالكمال الفائق ويحسن رعاية العدالة وهذا هو السبب في سهولة انخداع الصالحين في شديبتهم إذ ليس في نفوسهم مثل يقيدون شرور الأرياء به

(غ) نعم وهم معروضون كثيرا لهذا الانخداع

(س) ولذا لا يكون أفضل القضاة شابا بل شيخا عرك الدهر وخبر البطل لا كشيء استقر في نفسه بل كأمر خارجي أدركه ودرسه درسا طويلا مدققا في حياة الآخريين ﴿وبعبارة أخرى﴾ انه يقاد بالمعرفة لا بالاختبار الشخصي

(غ) حقا إن ذلك أشرف نوع في الحكم

(س) وهو صالح أيضا ، هذه هي نقطة البحث لأن ذا النفس النقية صالح ، أما القاضي المريب الذي اقترف كثيرا من موبقات الآثام وهو يزعم انه بارع لكونه عاشرا أمثاله من الشبان فيبدي شديد الحذر قياسا على ما في داخله من نماذج الشر وهي نصب عينيه كل يوم . على أنه متى اجتمع بالشيخ والأبرار ظهر بازائهم غرا أحق بريته الشاذة وجهله السجية الكاملة لفقده مثلا لها في نفسه وانما لأن علاقته بالأشرار أكثر منها بالأبرار لاح له ولأمثاله انه حاذق لا أحق

(غ) غاية في الصواب

(س) فلان نشدنا حاكما الصالح في هذا الصنف بل في سابقه لأن الرذيلة لا يمكنها أن تعرف نفسها والفضيلة معا . أما الفضيلة في الكامل التهذيب فانها بمرور الزمن تتمكن من معرفة الأسيين : نفسها والرذيلة . فالقاضي الحكيم في مذهبي هو هذا الفاضل لاذك الرذيل

(غ) أو افقك في ذلك

(س) أفلا تنشئ في مدينتك ادارتين : طيبة وقضائية . تتصف كل منهما بما ذكرناه من الأوصاف ؟ فتسبغان بركات خدمتهما على أصحاب الأبدان والعقول مع اهمال سقماء الأبدان فيموتون واعدام الأشرار الفاسدين غير القابلين اصلا

(غ) نعم وقد تبرهن أن ذلك خير للدولة ولأولئك السقماء

(س) وواضح أن الشبان يحترسون من افتقارهم الى هذه الشريعة ماداموا يمارسون الموسيقى البسيطة التي قلنا انها تنشئ رزاة النفس

(غ) دون شك . انتهى ترجمة الاستاذ حنا خباز

فقال صاحبي عندئذ : عجبا ! هانحن أولاء في هذا القول رأينا ﴿عجيبين : العجب الأول﴾ في سورة يس إذ تقدم هناك أن علم الموسيقى والشعر وعلم الفلك كلها من واد واحد واتضح لنا هناك إذ ظهر أن حساب الفلك يرجع الى دوائر منتظمات مكررات كما في السنين الكبيسة والبسيطة ومثلها في ذلك نظم الشعر ونغمات الموسيقى والطير ﴿العجب الثاني﴾ هنا فقد أصبح الطب والقضاء توأمين في أن كثرة كل منهما دليل على سقوط أخلاق الأمة وآدابها . ولقد اضطرت حكومتنا المصرية في هذه السنة أن توسع مستشفى القصر العيني وهي تبني بناء عظيم يسع (٤٨٠٠) سرير للرضى . إذن هذا دليل على الجهل المطبق في هذه الأمة وهكذا كثرة القضاة والمحامين شرعيين وأهلين . كل ذلك دليل على سوء تربية الأمة وعلى سوء ملكة أهلها . فقلت نعم حق ما تقول وذلك السوء ليس من طبيعة بلادنا بل ذلك أمر يتبع احتلال الأجنبي لبلادنا . ومن أقبح

ما اطلعت عليه بنفسى انى منذ أربع سنين قبل كتابة هذا الموضوع ذهبت الى وليمة وقد كانت بلادنا أخذت استقلالاً جزئياً فسمعت الموسيقى تصدح في تلك الولاية اذا هي موسيقى الحكومة المصرية فكان دهشى عظيماً إذ سمعت كل الأشعار من أقوال الجهال والسخفاء وأحقر الطبقات وكلها تنطق بالفسوق والجهالة والعمى فسألت الرئيس فبكى بكاء مرّاً وقال إن السطة للرئيس الأجنبي ولما عارضنا في ذلك عاقبونا فأرغمنا أن نغنى هذا الفناء الحقير . فسلمت بهذا وبغيره أن الأمم التي تتدهور أخلاقها كما حصل لأمتنا إنما يكون ذلك أكثره من الأجانب المحتلين للبلاد

فقال صاحبي : عرفنا تربية الأمة على سبيل الاجال فنريد أن نعرف تربية الأمراء والقضاة ونحوهم . فقلت : لقد تقدّم في ﴿سورة يس﴾ عند الكلام على الموازنة بين الموسيقى والفلك أن أفلاطون يحتم أن يقرؤا الرياضيات من الحساب والهندسة والجبر والفلك وأن يمارسوا النضائل وتكون دراستهم لتلك العلوم موجهة في ظواهرها الى منفعة العموم العملية وفي باطنها الى أن تتلمس الروح من الحساب البديع المنظم مبدع العالم فتعرف من استقرار الحساب وجريه على وتيرة واحدة في الأحوال الفلكية وغيرها أن وراءها قوّة ثابتة وعاما وحكمة ورحمة وهناك تتصل نفوس الأمراء والقضاة والملوك بتلك الذات القدسية فيحسّ هؤلاء بأنهم خلفاؤه في الأرض وانهم هم آباء الناس والناس أبناؤهم . وكما نراه أرجب الرياضة البدنية والعفة على العامة أوجبها على الجيوش وعلى الأمراء . إذن القاضى والأمير والملك يجب أن يكون أكلهم وشربهم بسيطين وأن يكثروا التمرين الجسدى والعقلى بالعلوم الرياضية . وأن يفكروا في منظم الكون بحيث يقتربون منه بعقولهم حتى يحسوا بأنهم خلقوا أشبه بخلقة الذهب في المعادن . فاذا استحقّ الذهب أن يكون حاكما في معاملات الناس وله السيادة على المعادن فهكذا يجب أن يعلم القضاة الحقيقيون أنهم خلقوا لذلك

فقال : أنا الآن فهمت غوى كلام أفلاطون الناقل عن سقراط فأين هذا القول في القرآن وفي الحديث كما وعدت أنت ؟ فقلت : يقول الله تعالى في ﴿سورة البقرة﴾ يصف الملك - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم -

فقال : هذا كلام اجالى فأين التصيلي كما فصل سقراط . فقلت : اقرأ القرآن . ألم تر أن هذا الملك نفسه هو الذى أمر قومه أن لا يشربوا من النهر وأن من شرب منهم لم يقدر على المقاتلة ومن لم يشرب أو شرب قليلا حارب والذين لم يشربوا كانوا قليلا والذين شربوا كانوا كثيرا ولم يحارب إلا أولئك الأقولن فانتصروا . وهل هذه القصة موجهة لأحد إلا الينا معاشر المسلمين الآن وذلك أن نعلم الشعب الاسلامى العفة لتم الصحة والعافية والشجاعة ويقل الاحتياج للأطباء . أفليس هذا يكون سببا في قوّة البدن المذكور في الآية وهو قوله - وزاده بسطة في العلم والجسم - . فقال : زدنى من هذا . فقلت : يقول الله تعالى - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون - ويقول - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميرا - ويقول - نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

أفلا يكفيك هذا في أن ما قاله أفلاطون وسقراط قد وضع في القرآن . فقال : هذا في علم الحقوق فماذا في الطب . فقلت : يقول الله سبحانه - وكانوا واشربوا ولا تسرفوا - ويقول - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - فاقرأ معنى هاتين الآيتين : الأولى في سورة الأعراف والثانية في سورة البقرة . فقال : أين التمرينات العضلية التي ذكرها أفلاطون . فقلت : انها في «السبق والرحى» الآتى الكلام عليهما قريبا هنا فقال : أين مقابل الموسيقى . فقلت : هي الصلاة فالصلاة التي جاءت بالوخى هي التي تحفظ كيان الأمة وتهذب أخلاقها . والبرهان على ذلك أن الصلاة عاشت بها أمم وأمم وفتحوا بلادا وبلادا وعمروا أرض الله . أما

نعالم أفلاطون فلم نجد لها أمدا دامت عشرات السنين . فقال : حسن هذا كاه . فأريد الآن أن تفيض  
القول فيما جاء في السنة (١) من حيث بساطة الطعام والشراب (٢) ومن حيث التمريينات العضلية . فقلت :  
جاء في كتاب «رياض الصالحين» تحت عنوان «باب فضل الجوع» مانعه :  
عن عائشة رضي الله عنها قالت : «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض»  
متفق عليه (١) . وفي رواية «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض»  
وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول «والله يا ابن أخي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال  
ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في آيات رسول الله ﷺ نار . قالت : يا خلة فما كان يعيشكم ؟ قالت  
الاسودان التمر والماء إلا انه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم مناجح وكانوا يرسون  
الى رسول الله ﷺ من ألبانها فيستقينا» متفق عليه . وعن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه  
انه صرّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل وقال خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع  
من خبز الشعير . رواه البخاري . مصلية بفتح الميم أي مشوية \* وعن أنس رضي الله عنه قال : «لم يأكل  
النبي ﷺ على خوان حتى مات وما أكل خبزا مرققا حتى مات» رواه البخاري . وفي رواية له «ولا  
رأى شاة سميطا بعينه قط» \* وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : «لقد رأيت نبيكم ﷺ وما  
يجد من الدقل ما يملأ به بطنه» رواه مسلم . الدقل تمر ردي \* وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :  
«ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل : له هل كان لكم  
في عهد رسول الله ﷺ مناخل ؟ قال ما رأى رسول الله ﷺ منخلا من حين ابتعثه الله تعالى حتى  
قبضه الله تعالى فقيل له كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال كنا نطحنه وننفعه فيطير ما طار وما  
بقي ثريناه» رواه البخاري . وقوله النقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الخبز الحواري وهو  
الدرمك وقوله ثريناه هو بشاء مثناة ثم راء مشددة ثم ياء مثناة من تحت ثم نون أي باللناه وعجناه \* وعن  
أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أوليلة فاذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله  
عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني  
الذي أخرجكما قوما فقاما معه فأتى رجلا من الأنصار فاذا هوليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا  
فقال لها رسول الله ﷺ أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر الى رسول الله  
ﷺ وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيفا مني فانطلق فجاءهم بعنق فيه بسر وتمر ورطب  
فقال كلوا وأخذ المدينة فقال له رسول الله ﷺ إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العنق  
وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده  
لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم . رواه  
مسلم . (قوله) يستعذب أي يطلب الماء العذب وهو الطيب ، والعنق بكسر العين واسكان الذال المعجمة  
وهو الكباشة وهي الغصن والمدينة بضم الميم وكسرها هي السكين والحلوب ذات اللابن والسؤال عن هذا النعيم  
سؤال تعديد النعم لسؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم ، هذا الأنصاري الذي أتوه هو أبواهيتيم بن التيهان كذا  
جاء مبينا في رواية الترمذي وغيره \* وعن خالد بن عمر العدوي قال خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميرا على  
البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صباية  
كصباية الاناء يتصاها صاحبها وانكم منتقلون منها الى دار لازوال لها فانتقلوا بخير ما يحضركم فانه قد ذكر  
لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا والله لتعلا أن أفحجتهم ولقد ذكر لنا

(١) معنى هذه أن البخاري ومسلم اتفقا عليه

أن ما بين مصرعين من مصارع الجنة مسيرة أر بعين عاما وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام ولتسد رأيتني سبع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشسداقنا فالنقطت برودة فشققها بيني وبين سعد بن مالك فانزرت بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرا على مصر من من الأمصار واني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا . رواه مسلم . قوله آذنت هو بمد الألف أي أعلنت وقوله بصرم هو بضم الصاد أي بانقطاعها وفنائها وقوله وولت حذاء هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة ثم ألف ممدودة أي سريعة والصبابة بضم الصاد المهملة وهو البقية اليسيرة وقوله يتصاها هو بتشديد الباء قبل الهاء أي يجمعها والسكظيظ الكثير الممتلي ، وقوله قرحت هو بفتح القاف وكسر الراء أي صارت فيها قروح . وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء وازارا غليظا قالت قبض رسول الله ﷺ في هذين (متفق عليه) . وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « إني لأول العرب رمي بسهم في سبيل الله ، ولقد كنا نغزومع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الخبلة وهذا السمر حتى ان كان أحدنا ليضع كفا تضع الشاة ماله خلط » متفق عليه . الخبلة بضم الخاء المهملة واسكان الباء الموحدة وهي والسمر نوعان معروفان من شجر البادية . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » متفق عليه ، قال أهل اللغة والغريب معنى قوتا أي ما يسد الرمق . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال والله الذي لا إله إلا هو ان كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وان كنت لأشد الحجر على بناني من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فرأيت النبي ﷺ فتبسم حين رأني وعرف ماني وجهي وماني نفسي ثم قال أباهر قلت ليبيك يا رسول الله قال ألحقى رمضى فأتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخلت فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهدها لك فلان أو فلانة قال أباهر قلت ليبيك يا رسول الله قال ألحقى إلى أهل الصفة فادعهم لي قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، وكان اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا ، واذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فاذا جاؤا أمرني فكنت انا أعطيهم فقلت وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال أباهر قلت ليبيك يا رسول الله قال خذ فاعطهم قال فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد عليّ القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ثم يرد عليّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال أباهر قلت ليبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال أقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا أجده له مسلكا قال فأرني فأعطيته القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة . رواه البخاري . وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لتسد رأيتني واني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة رضي الله عنها مغمشيا عليّ فيجئ الجأئ فيضع رجلاه على عنقي ويرى أني محنون وماني من جنون ماني إلا الجوع . رواه البخاري . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير » متفق عليه . وعن أنس رضي الله عنه قال « رهن النبي ﷺ درعه بشعير ومشيت إلى النبي ﷺ بخبز شعير واهالة سنخة ، ولقد سمعته يقول ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمسى وانهم لتسعة أبيات » رواه البخاري . الاهالة بكسر الهمزة الشحم الذائب والسنخة بالنون والحاء المعجمة وهي المتغيرة . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما



أزار وأما كساء قدر بطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكهين فيجعله بيده كراهية أن ترى عورته . رواه البخاري \* وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان فراش رسول الله ﷺ من آدم حشوه ليف » رواه البخاري \* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا جالوسا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار فسلم عليه ثم أدبر الأنصاري فقال رسول الله ﷺ يا أبا الأنصار كيف أخي سعد بن عبادة (١) فقال صالح فقال رسول الله ﷺ من يهوده منكم فقام وقتنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلائس ولا قص نمشي في تلك السباح حتى جئناه فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه . رواه مسلم \* وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران فما أدري قال النبي ﷺ مرتين أو ثلاثا ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » متفق عليه \* وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شرا لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح \* وعن عبيد الله بن محسن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافى في جسده ، عندة قوت يومه ، فسكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذي وقال حديث حسن . سربه بكسر السين المهملة أي نفسه وقيل قومه \* وعن عبيد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا وقعه الله بما آتاه » رواه مسلم \* وعن أبي محمد فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح \* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح \* وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخرّ رجال من قانتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال : لو تعلمون مالكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة . رواه الترمذي وقال حديث صحيح . الخصاصة الفاقة والجوع الشديد \* وعن أبي كريمة المقداد بن معديكرب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلاث لطعامه ، وثلاث لشرا به ، وثلاث لنفسه . رواه الترمذي وقال حديث حسن . وقوله أكالات أي لقم \* وعن أبي أمامة إياس بن نعلبة الأنصاري الحارثي رضي الله عنه قال : « ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوما عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ ألا تسمعون ألا تسمعون ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان يعني التقحل . رواه أبو داود . البذاذة بالباء الموحدة والذال المجمعتين وهي رثانة اهلثة وترك فاخر اللباس ، وأما التقحل فبالقاف والحاء قال أهل اللغة المتقحل هو الرجل يلبس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه \* وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه تلتقى عبر القريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فسكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة فليل كيف كنتم تصنعون بها قال فمصها كما يصص

(١) « فائدة » سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه هو سيد الأوس كنيته أبو عمرو وهو الذي ثبت في

الصحيح أن رسول الله ﷺ قال فيه « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » وفيه أنشدوا :

وما اهتز عرش الله من موت هالك \* سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

انتهى من هامش بعض النسخ منقولاً من خط المصنف رحمه الله تعالى اه

الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتسكفينا يومنا الى الليل وكنا نضرب بهصيدنا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله قال  
وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم فأتيناه فاذا هي دابة تدعى العنبر  
فقال أبو عبيدة ميته ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فاكلوا فأقننا عليه  
شهرًا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأينا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ونقطع منه القدر كالشور أو كقدر  
الشور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقدهم في وقب عينه وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم  
رحل أعظم بهير منها فرم من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا  
ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا فأرسلنا الى رسول الله ﷺ منه  
فأكله . رواه مسلم . وقوله الجراب وعاء من جلده معروف وهو بكسر الجيم وفتحها والكسر أفصح ، وقوله نهمها  
بفتح الميم ، والخبط ورق شجر معروف تأكله الابل ، والكثيب التل من الرمل ، والوقب بفتح الواو واسكان القاف  
وبعدها باء موحدة وهو تقرة العين ، والقلال الجرار ، والقدر بكسر الفاء وفتح الدال القطع ، وقوله رجل  
البعير بتخفيف الحاء أي جعل عليه الرجل ، والشائق بالشين المعجمة والقاف اللحم الذي اقتطع كيقدر منه  
والله أعلم \* وعن أسماء بنت يزيد رضی الله عنها قالت كان كم قيص رسول الله ﷺ الى الرصغ . رواه  
أبو داود والترمذي وقال حديث حسن . الرصغ بالصاد والرسغ بالسين أيضا هو المفصل بين الكف والساعد  
\* وعن جابر رضي الله عنه قال : « إنا كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجأوا الى النبي ﷺ  
فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقا  
فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كتيبا أهيل أو أهيم فقلت يا رسول الله ائذن لي الى البيت فقلت  
لا امرأتى رأيت بالنبي ﷺ شيئا ماني ذلك صبر أفعدك شيء فقالت عندي شعير وعناق فذبحت العناق  
وطحننت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي ﷺ والمجبن قد انكسر والبرمة بين الأثافي  
قد كادت تنضج فقلت طعيم (كذا) لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان قل كم هو فذكرت له فقال كثر طيب  
قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى فقال قوموا فقام المهاجرون والأنصار فدخلت عليها فقلت  
ويحك قد جاء النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم قال ادخلوا ولا تضاعطوا  
فجعل يكسر الخبز ويحسل عليه اللحم ويحمر البرمة والتنور اذا أخذ منه ويقرب الى أصحابه ثم ينزع فلم يزل  
يكسر ويعرف حتى شبعوا وبقى منه فقال كلي هذا وأهدى فان الناس أصابهم مجاعة « متفق عليه وفي رواية  
قال جابر « لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خصا فانكفأت الى امرأتى فقلت هل عندك شيء فاني رأيت  
برسول الله ﷺ خصا شديدا فأخرجت الى جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داخن فذبحتها وطحننت  
ففرغت الى فراغي (كذا) وقطعتها في برمتها ثم وليت الى رسول الله ﷺ فقالت لا تضعني برسول الله ﷺ  
ومن معه فجئت فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحننت صاعا من شعير فتهال أنت ونفر معك  
فصاح رسول الله ﷺ فقال يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سوفا فخيرلا بكم فقال النبي ﷺ لا تنزق  
برمتكما ولا تخبزن عجينةكم حتى أجيء فجئت وجاء النبي ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت بك وبك  
فقلت قد فعلت الذي قلت فأخرجت عجينا فبسط فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبسط وبارك ثم قال ادع خابزة  
فلتخبز معك واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لا كلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا  
لتفط كما هي وان عجينا لخبز كما هو « وقوله عرضت كدية بضم الكاف واسكان الدال وبالياء المثناة تحت  
وهي قطعة غليظة صلبة من الأرض لا يعمل فيها الفأس ، والكثيب أصله تل الرمل والمراد هنا صارت ترابا  
ناعما وهو معنى أهيل ، والأثافي الأشجار التي يكون عليها القدر وتضاعطوا تراجوا والمجاعة الجوع وهي بفتح  
الميم والنقص بفتح الحاء المعجمة والميم الجوع ، وانكفأت انقلبت ورجعت ، والبهيمة بضم الباء تصغير بهيمة

وهي العناق بفتح العين ، والداجن هي التي ألفت البيت ، والسور الطعام الذي يدعى الناس اليه وهو بالفارسية  
وحبلا أي تمالوا وقولها بك وبك أي خاصته وسبته لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم فاستجبت  
وخفي عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه المعجزة الظاهرة والآية الباهرة ، بسق أي  
بصق ويقال أيضا بزق ثلاث لغات وعمد بفتح الميم أي قصد . واقدحى أي اغرفى ، والمقدحة المفرقة . ولفظ أي  
لغليانها صوت والله أعلم . وعن أنس رضي الله عنه قال قال أبو طلحة لأم سليم قد سمعت صوت رسول الله  
ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟ فقالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخذت خارا  
لها فلفت الخبز ببعضه ثم دنتي ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت  
رسول الله ﷺ جالسا في المسجد ومعه الناس فقامت عليهم فقال رسول الله ﷺ أرسلك أبو طلحة  
فقلت نعم . فقال أطلعكم ؟ فقلت نعم . فقال رسول الله ﷺ قوموا فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى  
جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يأم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما يطعمهم  
فقلت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا  
فقال رسول الله ﷺ ها هي ما عندك يأم سليم فأنت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت  
عليه أم سليم عكة فأدتمته ثم قال فيه رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم  
فأكلوا حتى شبوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى  
أكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا أو ثمانون متفق عليه . وفي رواية « فما زال يدخل عشرة  
ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ثم هيأها فاذا هي مثلها حين أكلوا منها »  
وفي رواية « فأكلوا عشرة عشرة حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت  
وتركوا سورا » وفي رواية « ثم أفضلوا ما بلغوا جيرانهم » وفي رواية عن أنس قال جئت رسول الله ﷺ  
يوما فوجدته مع أصحابه وقد عصب بطنه بعصاة فقلت لبعض أصحابه لم عصب رسول الله ﷺ بطنه ؟ فقالوا  
من الجوع فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان فقلت يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ  
عصب بطنه بعصاة فسأت بعض أصحابه فقالوا من الجوع فدخل أبو طلحة علي أي فقال هل من شيء فقالت  
نعم عندي كسر من خبز وتمرات فان جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه وان جاء آخر معه قل عنهم  
وذكر تمام الحديث . انتهى ما أردته من كتاب « رياض الصالحين » والحمد لله رب العالمين

فلما سمع ذلك صاحبي قال : لقد أصبحت موقنا أن دين الاسلام في المستقبل سيفهم فهما غيره بالأمس  
فقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ كان يجوع هو وأصحابه ، وأن خبزه لا ينخل ، وأن أهمل بيته يمر عليهم  
اللال واللال واللال فلا يوقدون نارا ، ومعنى هذا انهم عاشوا عيشة الصحة فان العلم اليوم أثبت أن الخبز بدون  
النخالة والسق كانه ضرر كما تقدم في هذا التفسير ، فترك النخالة والسق اليوم جهالة تورث الأمراض والشقاء  
والذل وأثبت أيضا أن القوة لا تكون إلا فيما لم يطبخ ، أما الطعام المطبوخ فان قوته قد ذهب أكثرها . إذن  
عدم طبخ الطعام أيضا صحة جيدة أثبتته الطب الحديث . إذن النبوة المحمدية في واد والمسلمون في واد ،  
فلمسلمون ينخلون الدقيق ويكثرون الطبخ ويتقانى علماءهم وصلحاءهم وملايكتهم في ألوان الطعام جهلا منهم  
فلاهم أطاعوا النبي ﷺ ولاهم قرؤوا العلوم الطبية الحديثة المشروح مقصودها في هذا التفسير فيما تقدم  
ولقد نجد السيدة فاطمة رضي الله عنها كافي حديث البخاري تطلب منه ﷺ أن يعطيها جارية من السبي  
لتساعدتها في طحن الدقيق بالرحى فأبى وأمرها بالعبادة علما منه أن الطحن يعطى الجسم قوة فقد جمعت  
إذن بين العفة وتمارين العضلات فزادت قوتها واذا ظهرت هذه الحقيقة ووضحت فأرجو أن تذكر ما وعدت  
به من « السبق والرمي » فقلت جاء في كتاب « تيسير الوصول . لجامع الأصول » تحت العنوان الآتي مانصه

## ﴿ كتاب السبق والرمى ﴾

( وفيه فصلان )

### ﴿ الفصل الأول في أحكامهما ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل » أخرجه أصحاب السنن . والمراد بالخف الابل وبالحافر الخيل وبالنصل السهم . والسبق بفتح الباء الجمل وباسكانها مصدر سبقت أسبق سبقا . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يضم الخيل يسابق بها » أخرجه أبو داود . وعنه رضي الله عنه قال : سابق رسول الله ﷺ بين الخيل وفضل القرع في الغاية « أخرجه أبو داود . وعنه رضي الله عنه قال : « أجرى رسول الله ﷺ ما ضم من الخيل من الحفياء إلى نزية الوداع ومالم يضم (بتشديد الميم) من الثانية إلى مسجد بني زريق » أخرجه الستة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فليس بقمار ، ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد آمن أن يسبق فهو قار » أخرجه أبو داود .

وعن أنس رضي الله عنه قال كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء لا تسبق جفاء إعرابي على قعود فسبقتها فشقي ذلك على المسلمين فقال ﷺ حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه » أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي

وعن فقيم اللخمي قال : قلت لعقبة بن عامر رضي الله عنهما تختلف بين هذين الفرضين وأنت شيخ كبير ويشق عليك فقال نولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه سمعته يقول : « من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا ، أو قد عصي » أخرجه مسلم ومسانة الشيء مقاساته وملاسته .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله لي يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب في عمله الخبير ، والرامي به ، والممد به » وفي رواية « ومنبله فارموا واركبوا وأحب إلى أن ترموا من أن تركبوا ، كل طوباطل ، ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة : تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله ، فانهن من الحق ، ومن ترك الرمي بعد ما علمه فانها نعممة تركها أوقال كفرها » أخرجه أصحاب السنن ، وهذا لفظ أبي داود ، والنبل الذي يناول الرامي النبل ليرمي به وهو الممد به وقوله كفرها أي جحدتها

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على نفر من أسلم ينتضون بالسوق فقال ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بني فلان فأمسك أحد القرينين بأيديهم فقال مالكم لا ترمون ؟ فقالوا كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال ارموا وأنا معكم كالكم . أخرجه البخاري اه

فلما أتممت ذلك قال صاحبي الآن حصحص الحق . لقد استبان الآن أن كثيرا من عاوم الأمم مفصلات ومبينات ومشيرات لمعاني القرآن والافكتاب السبق والرمى يقرؤه المسلمون في جميع أقطار الاسلام ولا يعمل كثير منهم به فوجب على طلاب العلم جميعا وأكثر العامة أن يكون لهم ساعة في كل أسبوع ليتقنوا هذا الفن لأنه يعطي قوة بدنية وصناعة حربية وشجاعة . والمحافظة على الصلاة تؤلف بين القلوب لاسما إذا كانت في جماعة وهذا قوله ﷺ « الصلاة ومملكك إيمانكم » للإشارة إلى أن الصلاة أثرا فعالا في المعاشرة وهذا سر قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر -

إن سقراط يقول « الموسيقى تهذب الخلق ولكن لها شروط فاذا فقدت فسدت الأخلاق واحتاج الناس إلى القضاء » فأما الصلاة فانها اذا زادها الانسان فانه يقرب من ربه وقد دلت التجربة على أنها تنهى عن الفحشاء



والمسكر كمنص الآية . وقد تقدم قول بنتام أن النظافة تحسن الأخلاق ولم يذكر الصلاة وعدة هذه النظافة من محاسن الدين الاسلامي ونسي هو أن يذكر الصلاة لأنها ليست من دينه فهو يتجاهلها . وعليه يجب على الأمم الاسلامية

(١) أن تذيب الصنائع اليدوية بين المتعاضدين لأنها تنقى البدن والعقل

(٢) وأن تذيب السبق والرمي

(٣) وأن تعمم تعليم الجندي بقدر الامكان

(٤) وأن يكون القضاة من أفضل هؤلاء وأعلمهم

(٥) وأن يكون الأصرار والملوك أعلى من الجميع أخلاقا وعلما وصحة واستقامة فيكون علمهم أكمل وأجسامهم أصح وآراؤهم أعلى ، فأما الاتسكال على نسبتهم لأبائهم وحدها فانه ضرر ومخالف للدين الاسلامي ، فليكن الملوك والقضاة أصح أجساما وأرقى عقولا وعلوما من جميع الأمم المحكومة بهم

وإذا وجدنا أن النحل تربي خشرمها أي الملكة التي تحكمها وهكذا الأرضة فلماذا لا تربي الملوك والقضاة تربية خاصة كما فعلت هذه الطوائف من الحشرات . ألم تر أن النحل تجعل عسلا أبيض خاصا بالملكة التي تربها فيكون جسمها أكمل وتميزها أتم ، وهكذا نجد ملكة الأرض أكبر حجما وأقوى تميزا من جميع محالها كما تراها مرسومة فيما تقدم في ﴿سورة سبأ﴾

فإنه الذي ألهم بعض الحشرات أن تربي رؤساءها تربية خاصة هو نفسه الذي يقول في القرآن - وزاده بسطة في العلم والجسم - والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم -

فليعلم المسلمون ذلك وليعملوا به والله هو الولي الجيد . كتب ليلة الأربعاء بعد نصف الليل ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٠ بشارع زين العابدين بقسم السيدة زينب بمصر المحروسة . تمت اللطيفة الثانية

### ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

( في قوله تعالى - رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب \* )

فسخرنا له الريح - الخ )

اعلم أن الناس بالنسبة للنعم على ثلاثة أقسام : عامة ، وخاصة ، وخاصة الخاصة . فأما العامة فانهم يفرحون بظواهر النعم مثل روائحها العطرية ولذاتها المختلفة وبهجة زينتها والافتخار بكثرتها وازدحام مخازنهم بها وتحبب الناس بغنائمها واعظمتهم في المجالس لكثرة أموالهم . وأما الخاصة فانهم لا يقفون من النعم عند ظواهرها وإنما يغنيهم من الأغنية ما يفيدهم الصحة ويعينهم العافية ويزدرون ما وراء ذلك من اللذات التي يفرح بها العامة ، ولا يقفون في الموسيقى عند ظواهر نعماتها ، ولا في الفلك عند ظواهر حساب الشهور والسنين الذي ينفعهم في نظام الحياة بل يرتقون الى ما فوق ذلك من التعجب من القوانين البديهة المحكمة التي تظهر في الأشعار والموسيقى ونعمات الطيور وعلم الفلك وحساب الأوزان في علم الكيمياء مثل ما في تركيب الماء من الأكسوجين والاودروجين . فهذه كلها نسبها منظمة موسيقية لأن نسبها كلها هندسية على وتيرة واحدة فهناك تصبح العلوم كلها عندهم عاما واحدا ونظاما واحدا ويحسون في نفوسهم بسعادة عامة . وأما خاصة الخاصة فهم يرتقون فوق هؤلاء درجة ولا يكتفون بهدايا الملك ونعمه واحسانه والنظر في ملكه وسياسة دولته بل يشعرون بقرابهم منه ولطفه وعطفه عليهم ومؤانسته لهم . وهناك يجدون لذة فوق الطائفتين السابقتين (انظر هذا المقام من روحاني ﴿سورة يس﴾ عند آية - والشمس تجري لمستقر لها - الخ ) فههنا نقول اذا كان سليمان عليه السلام طلب أن يعطيه الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فلن يكون إلا من الطبقة الثالثة

بل هو في أعلى طبقات هذه السرجة وليس يريده لجرد ظواهر الطيارة الطائفة في الريح على سبيل المعجزة ولا لجرد عظمة الملك وسلطوته ولا لجرد حفظ ملكة بني اسرائيل وأنها بل هو يريد ما هو أعلى من ذلك وهو أن يفرح بالمنعم من حيث هو منعم لا بالنعمة فالنعمة وسيلة لا غاية . فإذا فرح العامة بالنعمة لأجل لذاتهم هم وحدهم ربهم على ذلك . وإذا فرح الخاصة بالنعمة من حيث أنها صادرة من الله تعالى وانهم أهل لرعايته واختصاصه خاصة الخاصة إنما يفرحون بالمنعم نفسه من حيث هو منعم . فالملك الذي طلبه سليمان عليه السلام الذي لا ينبغي لأحد من بعده هو المذكور في الآية وهي تسخير الريح وما بعده . وهذا الملك لم يشاركه فيه أحد ألا ترى أن الريح لم تسخر لموسى ولا إيسى ولا لنبينا صلى الله عليه وسلم وإذا ظهرت الطيارات في الجوّ اليوم فلم تكن إلا بالصناعات العلمية والحذق والدرية والمران في تلك الصناعات ولم تسخر الرياح لأحد منا وإنما التسخير هناك بلاصنعة صانع ولا حكمة حكيم فهي هناك معجزة وهنا صناعة كما ان الجهال قد يعرفون بعض المستقبل بطريق الرؤيا ولكن الأنبياء يعرفون بعض المستقبل بالوحي فهما وان كانا من عالم واحد قد اختلفا وأحدهما أقل من الآخر (٤٥) صرة وليس يطلب سليمان الملك من حيث هو ملك كالعامة بل طلبه من حيث أنه وسيلة للانتقال من النعمة الى المنعم وهناك يصل الى الغاية المطلوبة والنعمة المحبوبة ويرتقى من الأدنى الى الأعلى في لمح البصر وهو أقرب ويكون ظواهر الملك هنا أشبه بالنفقات اللواتي ترجع بالنفس الى عالم الجمال والكمال و بظواهر الجمال المذكورات بالبدع الحكيم

أما نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه أعطى الكوثر وهي النعم الكثيرة وأعطى المقام المحمود الذي يحمد فيه الأولون والآخرون فالجهتان منفكتان ، سليمان طلب نعمة الملك الدنيوي ليكون القرب من هذه الناحية ، فأما موسى فبالكلام ، وأما عيسى فبالروحانية العامة ، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فبأمور كثيرة من مقام الحمد والكوثر وهكذا . انتهت اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

### ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

( في قوله تعالى - قال فبهرتلك لأغوينهم أجمعين - )

عزّ الله وتعالى وتنزّهه أن يطلع على جماله وبهاء كماله وحسن اتقانه وعجيب نظامه إلا أولوا الألباب ، أما أكثر الناس فإن لهم في بدوهم وحضرتهم ومدنهم وقراهم وجهلهم وشهواتهم في ما كلهم وملبسهم واقضارهم بجاهلهم وما لهم وأحسابهم وأنسابهم ، وفي أضغانهم وأحقادهم على أعدائهم وتنافسهم وتكاثرتهم اشغالا شاغلا وغمرات هم فيها ساهون

قديمًا غوى ابليس آدم ، وسديثًا غوى ذرّيته ، والتاريخان متطابقان ، ألا ترى رعاك الله أن بني آدم فوق الأرض قد مثلوا نفس القصص الذي ذكره الله في آدم ، آدم أغواه ابليس فأكل من الشجرة فبدت له هو وزوجته سواتهما فواريا عورتاهما بورق الشجر وأخرجا من الجنة وأصبح الأبناء أعداء وأخذوا يسعون للرزق ليلا ونهارا

هذه قصة آدم فانظر في قصة بنيه ولا ينبغي عنك منها إلا الجغرافية الأرضية عند تفصيلها ، فهناك قوم في خط الاستواء عثر عليهم السائحون قريبا لا يجعلون بينهم وبين ضوء الشمس سترا ، فهم يعيشون عراة ويموتون عراة كما أثبتته الرحالة (ستانلي) وتمرّ على القوم عشرات السنين فلا يسمع الناس عنهم بفاحشة ولا خنا ولا زنا وهم من هذه المفاسد آمنون . ثم انظر بعد ذلك الى ما تقدّم في آخر ﴿سورة يس﴾ في آية - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا - وكيف رأيت ذلك الشكل المرسوم فيه صورة الرجل الذي تحلى بمالبس في بعض جزائر المحيط وكأها من ورق الموز . أليس أولئك العراة يقابلون آدم قبل الأكل من الشجرة وذلك

الرجل الذي لبس ورق الشجر الذي رأته يمثله وزوجته بعد أن ارتكبا الخطيئة . وسوس الشيطان لحواء وهي ساعدته على اغواء آدم فنبذا عيش البساطة والسهولة وأخذنا يتفننان في طرق الحياة ويزاولان حياة جديدة ما كان أغناهما عنها لولا القدر المقدور . ونفس الشيطان وسوس لأبناء آدم كذلك فأخذ يدخل بين رجال القبائل ونسائهم ويهطاد العقول في أقاصى السودان وجزائر المحيط ويقول لأولئك العراة الذين يجهلون الحنا والزنا ويعيشون في بحبوحة الهناء والرخاء يقتاتون من الفاكهة ويشربون من سلسبيل العيون ولا يصيبهم في حياتهم نصب ولا يحلّ بساحتهم طيبب ولا جراح أريب إذ لا مرض يزورهم ولا بؤس يصيبهم وهم في جنة الأرض التي هم بها آمنون . فلا تزال الوسوس تتغلغل في قلوبهم والهواجس تتابع في أفئدتهم حتى يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . وهل الأدنى إلا التباعد عن الحياة الطبيعية رويدا رويدا والتهافت على ماتنتب الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدمسها وبصاها وقطنها وتيلها وحرير دودها من كل ما لا ينبت إلا بشق الأنفس ولا يحصل إلا بكبد الرجل ووجد المرأة ومزاولة الطبخ والحرت والسقى والحصد والخزن ومقاومة الأعداء ودفع ضرائب الحكومات والغزل والنسيج والخياطة والغسل والتنظيف وإظهار الزينة والتغالى في إبداء المحاسن والتبجح بأنواع الصبغ والتلوين والتطريز وما أشبه ذلك من كل ما استغنى عنه الفريق الأول الذين هم في جنات الحياة يسعدون ، إذن تاريخ الانسان الحاضر في كرتنا الأرضية اليوم أعاد لنا تاريخ آدم المذكور في القرآن ، ياسبحان الله ، لماذا يكرر الله لنا قصة آدم في بضع مواضع في القرآن ؟ ولماذا يعيدها تكررارا مع قصة ابليس ؟ أما الجهلاء وصغار العلماء في كرتنا الأرضية فهؤلاء يقرؤون ولا هم يذكرون ، فأما الحكماء وأما أولوا الألباب فهم الذين يذكرون ويقولون : « لقد تكررت قصة آدم واغواء ابليس له تذكيرا لنا نحن فلم يكن الله بالقرآن ليعلم آدم ولا بنيه ولا حواء وزوجه وإنما يريد أن يعطينا النموذج الذي ظهر لنا باتساع العلوم في زماننا ، فأدم لم نره ولكننا رأينا آثار القصة فينا ، فبينما العراة الأظهار كآدم في أول أمره وفيما الذين خصفوا ورق الشجر على أجسامهم ، وفيما فئة ثلاثة نسيت فوا كه الجنة الأرضية ما كلا وأوراقها ملبسا وأخذت تجدد في استنبات الأرض لتسد الحاجة في مطعمها وملبسها ، فنظر الله للناس نظر الأب الشفيق لطفله الصغير - ولله المثل الأعلى - إذ يلح في الطلب فيجاب لما طالب فأكثر لهم الماء ككل والملابس وعلى مقدار تقننهم أعطاهم ما سألوا وذلك رحمة منه لأنه يعطى بقدر ويمنع بقدر وهؤلاء هذه هم تبتم من الوجود وهذا استعدادهم في الحياة

هذه هي قصة الانسان الموافقة لقصة آدم . فهذه قصة جغرافية وافقت القصة التاريخية الأثرية . والعلم إن لم يثمر العمل ضائع . والكلام إذا لم يفد سامعه فوائد فلماذا يقوله . ومن أجلّ مقاصد هذا التاريخ الذي استوى فيه آدم وبنوه أن نفكر نحن معاشر المسلمين في زماننا ونقول : « التاريخ للعبارة أما مجرد القراءة أو التعبد فانهم مبدآن لانهايتان وهذا التاريخ يعلمنا أن هذا الانسان كاه استعبده الشهوات وأفسدته البيئات وأخذ في طعامه وشرايه ولباسه يخبط خبط عشواء ويمشى على غير الصراط السوى حتى أصبحت أنواع الحذرات وأصناف الملابس الصناعية يستعملها المستعمرون شبكة يصطادون بها الضفءاء من الأمم ويسترقون الغافلين . إذن هذه الشهوات الطارئة اتخذها الانسان وسائل لاذلال أخيه بالتجارة كما اتخذها الشيطان قديما وسيلة لاستدراجه فأخرجه من الجنان . إذن لا ثقة بما عليه حال هذا الانسان الآن في جميع ضروب الحياة . وليس اسباغ النعم وتراكم الخيرات واللذات بدليل على أن هذه سعادات للانسان . فاذا حرمتنا من نعمة الحياة الأولى التي خلقت من ذل السكدة والكدمج ومن ذل الفواحش التي فيها عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولا سبيل للرجوع اليها فهلينا أن نبحث ضروب هذه الحياة من جديد . ولكن ليس معنى ذلك اننا نترك الأمم حولنا وشأنها . كلا . بل علينا أن ننظر ماذا قال العلماء في عصرنا في هذا الموضوع ولأى حد

وصلوا . فاذا عرفنا آراءهم وجب علينا أن ندقق في أحكامهم وننظر في آرائهم ونمتحنها ونساعد في رقي نوع الانسان لأن الناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وأن لم يشعروا بخدم

والذي وصل الينا الآن من آراء الأمم في هذا الموضوع أى موضوع اللباس شذرات تصالح للبحث فيها والنظر والتأمل وتلك الشذرات ترجع الى مسألة (الفيثامين) أى مادة الحياة التي لم يعرفها الناس إلا في قرننا هذا وهو القرن العشرون . يقولون إن ضوء الشمس هو القوة التي نستمد منها الحياة . فالحب والفاكهة تعطينا قوة وهي التي اكتسبتها من نور الشمس والطعام المطبوخ والمحفوظ في العلب والمغلي وما أشبه ذلك كما قد ماتت منه تلك القوة فليس مفيدا لنا . ونظريه النوع الانساني في حرارة النار التي يخبز بها الخبز ويطبخ بها الطعام نظرية خاطئة كاذبة . ولا معنى لطبخ الطعام بالنار إلا إماتة الحياة منه . ولا معنى لعله في العلب أمدا طويلا إلا أنه يفقد خواصه وتزهق منه روح الحياة ، وهذه الملابس الحريرية والقطنية والسكتانية ماهي إلا موانع من سعادة الحياة وسد حصين وسور يفصل ما بين أجسامنا وحرارة الشمس التي بها الحياة ، وإذا كنا نحتاج الى الحياة بتعاطي الحبوب والفواكه التي خزنت فيها أضواء الشمس فندخلها في أجسامنا لتعطينا قوة الحياة الشمسية المخزونة فيها فأولى ثم أولى أن نلقيها بأجسامنا مباشرة فنلامسها كما تلامس كل نبات وكل حيوان فتدخل في منافذه وتتصل بعروقه وتساعد دورته الدموية فتعطي النشاط

#### ﴿ اعترض على المؤلف وجوابه ﴾

بينما أنا أكتب هذا إذ حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير فقال : ما أجل قولك وما أيدنه وما أحسن هذا الاستنتاج ولكن هناك أسر جدير بالذكر وهو أنك بهذا خالفت أصول الدين وبنيت سلوك سبيل المؤمنين ، أتريد أن الناس يصلون وهم عراة ؟ أم تريد أن يتجرد الرجال والنساء من الملابس ومن حلال هذا فقد كفر والعياذ بالله تعالى ، أنت لست كسقراط إذ يحدث تلاميذه ولادين له . كلا . إنك الآن في تفسير القرآن فلتكن المباحث غير خارجة عن الشرائع الاسلامية . فقلت : أيها الأخ : هل رأيتني لوحت أو صرحت بما تقول ؟ فقال : كلا . ولكنك عممت القول وهذا ربما يأخذه جاهل أو حاسد فيؤولاه الى ما ذكرته . فقلت : أذكرك بأني قلت في أول هذا المقال اننا نريد أن نقرأ مباحث الأمم ثم نبحت فيها لا اننى أتممت البحث وهل الانسان يستغرق في الطعام طول نهاره ؟ قال : كلا . بل يكون وقتا دون وقت . قلت فليكن هكذا استنشاء أكثر الجسم بضوء الشمس وقتا دون وقت مع مراعاته الشرع ، أنا أذكرك بقصة آدم في ﴿ سورة الأعراف ﴾ ألم تر أن فيها خصف الورق على جسمه وجسم زوجته ليواريا سواتهما . قال بلى . قلت : ألم أقل لك ان الحال الأولى لاسبيل للرجوع اليها . قال بلى . قلت : أنت ذكرت ذلك في أول هذا المقال تريد بذلك أن هنا أحوالا جديدة يجب البحث فيها . قلت : ألم يقل الله في هذه الحال الجديدة - يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - فأباح لنا كل ما أعطانا ولكنه أعلننا بأنه لا يجب المسرفين منا ، وقال - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير - فجعل المدار على التقوى ورفع النفس ، فأما اللباس الظاهري فالشرع يراعى فيه الأحوال الطارئة على الانسانية إذ - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - وليس في سعة الناس التخلي عن عاداتهم في الملابس ، فالأنبياء لا يكفون الناس مالا يطيقون فيقولون كونوا عراة كأبيكم آدم بل ينظمون بأسر الله أحوالهم التي هم عليها ، والنظام هو الاعتدال وعدم الاسراف ولكنه ذكرنا فقال : السترا الظاهري ليس أجل مقصود بل المقصود الأهم لباس التقوى فأحسنوا الظواهر فمضى أن تسلمح البواطن . إذن هو أباح لنا كل طعام ولباس على شرط عدم الاسراف . فقال : وهل للاسراف من قواعد ؟ فقلت قد قدمت بعض تلك القواعد في ﴿ سورة الأعراف ﴾ فقال انك لم تذكر هناك مسألة (الفيثامين) بل انك لم تكن تعلم



عنها شيئاً فالمقام يحتاج الى ايضاح . فقلت اقرأ ما تقدم في سيرة النبي ﷺ وكيف كان آل محمد ﷺ لا يروقد في بيتهم نار الهلال والهلال والهلال ، وكيف كانوا لا ينخلون الدقيق . أليس هذا يكفيناك فتعرف أن النبوة قد أوضحت ما أجله القرآن من نبد الاسراف . فقال ولست اكن اذا ظهر أن آثار النبوة المحمدية قد ظهرت في زماننا وأن الأطباء أخذوا يرجعون النوع الانساني عن عاداته الرديئة ويقرّبونهم من الأخلاق النبوية بخديرك أن تسمهني مقالا في الاصلاح الحديث وان لم يكن تاما حتى اذا وافق الأخلاق النبوية والسيرة المحمدية ورأينا أن النبي ﷺ قد وافقه العلم الحديث في الطعام فهناك يكون أمر عظيم ﴿أولاً﴾ انه معجزة جديدة لم تظهر إلا في قرننا هذا ﴿ثانياً﴾ ان المسلمين يرجعون للسيرة النبوية ويعرفون ماصحّ ومالم يصحّ في طعامه وشربه ثم يدرسون العلوم الحديثة في الطعام ثم هم أنفسهم بالاصرية سيفيرون طرق ما كاهم متى عرفوا الحقيقة . فقلت لقد قدّمت في هذا المقام كلاما في ﴿سورة البقرة﴾ عند آية - أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - وفي ﴿سورة الأعراف﴾ عند آية الاسراف ، وفي ﴿سورة الحجر﴾ في النصف الأول منها عند الإشارة الى قصة آدم ، وفي ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم في آخرها ، وفي ﴿سورة الشعراء﴾ عند قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - وهناك مواضع أخرى . فقال ولست ازال أقول ان العلم في زماننا سريع الترقى فاذ كر لي آخر ما زقت عليه في أمر الطعام . فقلت : سأسمعك « مقالين » الأول « هو ما جاء في كتاب « دستور التغذية » لصديقنا الاستاذ محمد فريد وجدى » فسأذ كر هنا لباب ما ترجم من آراء الدكتور الأربعة وهم : هيج الانجليزي ، وكنتاني التلياني ، وسوبرسكي الفرنسي ، وكوهن الألماني . هؤلاء وغيرهم الذين يريدون من الانسان الرجوع الى حال الفطرة في الطعام كما دم قبل الأكل من الشجرة وهذا من أسرار القرآن التي لم تظهر إلا في هذا الزمان ، ثم أقفي على آثار ذلك بضرب مثل لآراء هؤلاء العلماء بنهر النيل والمزارع المصرية مع الجسد وما فيه من الهم الخ فيكون ذلك « فصلين » وأتبعهما بفصل ثالث في ست فوائد طبية عن علماء عصرنا

### ﴿ الفصل الأول فيما ترجمه المؤلف من آراء أوائك الدكتورة ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين ، ﴿أما بعد﴾ فان الانسان بتطوراته المتوالية في المدنية ، وذهابه في الابداع الصناعي كل مذهب ، وبما استتبع ذلك من اخلاجه الى معيشة الترف ، واغراقه في طلب الملاذ البدنية ، قد أخرج مسألة التغذية عن حقيقتها فبعد أن كان يأكل طلبا لاقامة حياته وحماية جثمانه من العطب أصبح يفعله طلبا للذة المججلة حتى دفعته هذه العاطفة الى تناول الأغذية الضارة المبيدة لجثمانه وهو يعلم ذلك ويشعر به ، إلا أنه قد شعر بأن خروجه هذا على القوانين الطبيعية كان له أسوأ تأثير على جسده وعقله معا ، وأن هذا المتاع الحيواني سريع الزوال ثم يعقبه دور من الآلام والأعراض يطول أمده عليه ولا يزال به حتى يصرعه على أبشع الأحوال بعد أن يحرمه من جميع الطببات الجسدية والعقلية

عنى العلم منذ عهد الأول بسن سنن مقررة للتغذية ، وما زال العلماء والفلاسفة يجعلون هذا الموضوع من أهم مباحثهم حتى يومنا هذا بل استحال أمره في العهد الأخير الى اعتباره أولى بالناية من الوجهة الصحية والعلاجية من كل المسائل التي لها علاقة بالحياة الجسدية لما ثبت أن الغذاء هو العامل الأكبر في الصحة والمرض ، وفي طول الحياة وقصرها حتى قال العلامة البكتريولوجي (متشنيكوف) مدير معهد باستور بباريس « ان الانسان خلق ليعيش ثلاثمائة سنة (١) وإنما هو يقتل نفسه بسوء سيرته في تغذيته » وأقرّ

(١) الذي يقوله الجمهور غير هذا وهو أن الانسان يعيش مائتي سنة بناء على أن مدة نموه (٢٥) سنة

بهذه الحقيقة جمهور الباحثين والمتقنين ، وجاءت العلوم الكيماوية فأيدت أقوالهم بالتحاليل إذ بينت ما يحويه كل نوع من أنواع الأغذية من المواد المختلفة وما يحتاج اليه الجسد كل يوم من كل منها ، وحدثت بجانب هذه الفتوحات الكيماوية فتوحات أخرى طيبة أثبتت بالتجليل أن أدواء القلب والسرطان والروماتيزم والبول السكري والزلالي وتصاب الشرايين والشلل والامساك المستعصي الى ما اليها مما يطول عدده كلها متولدة من سوء التغذية وعدم تخير صنوف الطعام فأصبحت هذه المسألة والحالة هذه في عداد المسائل المحسوسة الممكن تجربتها تحليلا وتركيبا ، فهب الفيورون على الانسان في أوروبا الى وضع المؤلفات في هذا الصدد حتى صار لا يمكن إحصاء ما صدر منها في هذه الجسين السنة الأخيرة

### ﴿ مذهب الطب ﴾

للطب اليوم مذهبان أحدهما يرى أن الجسم يحتاج أحيانا الى العلاج بالمواد المختلفة مع استخدام التدابير الصحية ويرى الآخر أن العلاج قديفيد العضو المريض فيحوله من حال الى حال ولكن في الوقت ذاته يوجب مرضا على عضو آخر قد يكون فيه هلاك الشخص . فالطب في نظر هؤلاء يجب أن يقتصر على استخدام قوى الطبيعة من هواء طلق وغذاء جيد صحي خال من اللحم والمهيجات وعمل جسمى معتدل واستحمام بالماء الفاتر أو البارد وغير ذلك من التدابير التي تعين الاعضاء المريضة على مكافحة المرض الذي حل بها . ان هؤلاء يقولون ان العلاج لا يشفى المصاب ولكن الذي يشفيه هي القوة الحيوية في جسمه ، تلك القوة تظهر للحس بفعلها على الجراح . ألم تر أنه لو أصابك جرح أخذ بعد حين في الاندمال من نفسه فلا يزال سائرا في طريقه حتى يصح العضو الجروح ويصير كأن ليس به شيء وتعود اليه جميع وظائفه ولم يبق للجرح عين ولا أثر . هذا الاثر المحسوس للاندمال والشفاء التدريجي هو أثر القوة الحيوية التي خلقها الله لتحفظ لنا وجودنا الى حين . فاذا أصاب أحد الاعضاء مرض لاهم لنا لقانون الصحة تولته القوة الحيوية بالعناية والعلاج كما تولت الجرح فلا يجوز أن يكون لنا إذ ذاك من عمل الامساعدة فعمل القوة الحيوية باتباع قوانين الصحة وصراعاة الحمية والعناية باستنشاق الهواء النقي وغير ذلك فتعمل القوة الحيوية عملها في ذلك العضو ولا يمر غير قليل حتى يشفى المريض . أما لو أعطى علاج وهو في تلك الحالة ازدادت حالته سوءا وتفاقم مرضه فان نجاحه فلا يكون ذلك الا ببذل مجهود كبير من قواه الحيوية تهيئه لمرض مزمن . قالوا وقد جاءت شهادات كبار الأطباء في ضرر العلاجات تؤيد ذلك

قال الدكتور (غراينشتان) وهو من أقطاب الطب بألمانيا وقد نقله عنه الدكتور بلز في كتابه الطب الطبيعي : « الضعف في درجاته وأشكاله التي لا تحصى ليس هو على وجه عام النتيجة العلاج بالعقاقير سواء أ كانت جيدة أم رديئة . العلاجات ان استعملت كما ينبغي تغلبت على المرض الاصلى ولكنها تترك دائماً في الجسم بقايا تظهر آجلا أو عاجلا وتكون نتائجها غير قابلة للشفاء . وعليه فلناس الحق في تسمية هذا النوع من الضعف بالضعف العلاجي . ثم قال : « من عهد ماجادت علينا الكيمياء بالمركبات المختلفة للزئبق والانتوان وقشر الكنكينا ( كذا ) وحض البروسيك والرصاص والزرنيخ والسكريت الخ ومن عهد السماح بتعاطيها بنوع من الجرأة المتناهية باعتبارها علاجات قوية التأثير ضد الآلام التي كانت مجهولة في العصور السابقة ، من ذلك العهد انتشر الضعف بحالة يؤسف لها وانتقل من الآباء الى الأبناء . فالذي يلقي به القدر مرة واحدة تحت كلا كل هذا المرض يكون قد رقف حياته على التردد على الصيد لات

وقال الدكتور ( كيسر ) كما نقله عنه الاستاذ بلز في كتابه المتقدم ذكره « ان الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء ، والطبيب شرا من المرض ، هي صحيحة في كثير من الاحوال . ان عددا

كثيرا من الأمراض تشفى بتقوى الطبيعة وحدها وأمانى الأمراض كافة فالشيء الوحيد الذى يجب على الطبيب عمله ويستطيعه هو حصر وابعاد المؤثرات القاتلة عن المريض ، وإبطال الحركة غير الطبيعية لبعض أجهزته وأعضائه . فان فعل أكثر من هذا ليرضى المريض المحب للدواء ويحقق نظريته الوسواسية وشهوته النفسية فقد أضرمه كل الضرر . على هذه الطريقة كثيرا ما يولد الاطباء الامراض الصناعية ويمكن القول بأنه فى كثير من الامراض التى يعالجها الاطباء عدد كبير من الامراض المزمنة منها ما قد سببه الأطباء أنفسهم . وفى الحالة الحاضرة للطب العملى يجب أن يجعل المريض بمنزل عن كل طبيب كما بهزل عن كل سم قتال . هذا ما يشهده تاريخ الطب ، فان كل نظرية طبية خاصة استدعت عددا من الضحايا البشرية لم يتوصل الى الفتك بمثلها أنسكاً الاوبئة ولا أطول الحروب »

وقال الاستاذ (سقيفسن) استاذ الكلية الطبية بنيويورك كما نقله عنه الاستاذ بلز . « كلما تقدم سنن الاطباء قل اعتقادهم فى تأثير الادوية وزادت ثقمتهم فى قوى الطبيعة . مقال : رغما عن كل المخترعات الحديثة التى أحيطت بالتهليل فان المرضى لا يزالون يشكون الامراض كما كانت حالتهم قبل أربعين عاماً . مقال : ان سبب بقاء تقدم الطب ناتج من ان الاطباء بدلا من أن يدرسوا الطبيعة درسوا كتابات من تقدمهم »

وقال الاستاذ الدكتور (سميث) كما نقله عنه الاستاذ بلز : « كل العلاجات التى تدخل فى الدورة الدموية تسمم الدم بعين الطريقة التى تسمم بها السموم الجالبة للأمراض . الادوية لا تشفى أى مرض كان بل الذى يشفيها هو الخاصة الطبيعية ليس الا مقال . ان الديجيتال قد قتل ألوفا من الناس وحض البروسيك كان يستعمل بكثرة فى أوربا وأمريكا ضد السلس الرئوى وقد عاجوا به ألوفا من المرضى فلم يشف منهم واحدا بل انه قتل مئات منهم انتهى وقد نقل الاستاذ بلز عن أكثر من ثمانين عالما من علماء الطب الرسميين مثل هذه الاقوال التى تؤيدها المشاهدة فثبت من ذلك كله ان أثر العقاقير فى شفاء الامراض أثر مهلك وجدير بالانسان اذا أصابه مرض ان يحتمى عن الاسككل وان يعنى بأمر الصحة مستخدما الوسائل التى ذكرها الاطباء الطبيعويون من الاستشفاء بالماء والهواء ذلك خير من التعرض لآخطار العلاجات المختلفة : لم يكن العالم الى اليوم من الطب من فائدة غير تخفيف الآلام بالمسكنات وكلها سام قتال واقد كثرت الاطبات والصيدلات ولا تزال الامراض والمرضى آخذين فى الازدياد وقد طرأت أمراض ما كان يعرفها آباؤنا ولا تعرفها الآن الأمم الخالوية التى لا تعرف طبيا ولا علاجيا فما أثر الطب بعد ذلك ؟ يظهر لنا ان علم الطب سيضمحل ويحل محله علم قانون الصحة وسيزول كل ما يعزى للعلاجات من التأثيرات والخواص لظهور أثر الغلوف فيها ولن يبقى الا علم الجراحة فهو العلم النافع الذى لا شك فى نفعه . هذا ما يقوله أنصار الطب الطبيعى

### ﴿ أساليب العلماء فى معالجة الأمراض ﴾

ويقولون أعجز الاطباء معالجة أقل الامراض خطورة فلم يتوصل طبيب الى ازالة فقر الدم وضعف الاعصاب وغيرهما مما يهترى الناس من جراء أعمالهم بمحض خواص العقاقير فأكثر الناس يشكون الضعف وفقر الدم وقد صرفوا السنين فى تعاطى العلاجات المقوية بدون فائدة . هذا بالنسبة للضعف وفقر الدم أما بالنسبة لغيرهما من أمراض القلب والرئتين والكبد والمعدة والمخ فحدث ولا حرج وان قلت ان واحدا ممن يصاب بهذه الامراض لم ينل خيرا من العلاجات الطبية وانتهى أمره الى اليأس لما كنت بعيدا عن الواقع . هذا العقم الظاهر من العلاجات دفع كثيرا من فضلاء الاطباء الى تلمس وسائل جديدة لشفاء الامراض فأطالوا البحث وصرفوا العمر فى التجارب فاهتدوا لنتائج ان لم تكن هى الواقع بعينه فقد أدت خدما جلية . نذكر من هؤلاء العلماء الاطباء هيج الانجلىزى وكنتانى الايطالى وسوبرويسكى الفرنسى . وقد أحدث كل من هؤلاء

حوادث من الشفاء عزت على الطب والاطباء وطارت شهرتها الى أقصى المعمور

### ﴿ أسلوب الدكتور هييج في علاج الاضرار ﴾

يقول الدكتور هييج ان أسباب الأمراض هي الحوامض السامة التي تضاف الى الدم من سوء التغذية أكبرها خطراً حمض البولييك (اسيدأوريك) وحمض الاوكساليك والنظرون وصرح بأن لاسبب للنوراستانيا وهو مرض ضعف الاعصاب الذي ينتشر اليوم انتشاراً مريعاً بين جميع الطبقات الاحض البولييك ، وكذلك هو من الاسباب للإصابة بالنقطة والروماتيزم وآلم الرأس والصداع والصرع والجنون وضعف القلب ووقوفه والربو والتهاب الشعب وسوء الهضم والبول السكري وأمراض القلب . ليس هييج أول من عرف ضرر حمض البولييك ولكنه أول من حدد دائرة نفوذه الضار من الوجهة المرضية . قال هييج ، وهذا القول أساس مذهبه ، ان السميات التي تتخلف من المواد الغذائية تثبت في تفرعات الاوعية الدموية وتسد الاوعية الشعرية فتقل قوة سريان الدم ويشتد ضغطه على القلب ويكون سبباً لضعف عام للبنية واختلال جميع الأعضاء فاذا أبطأت الدورة قلت تغذية الاعضاء ومتى اشتد الضغط على القلب يحدث له مرض ثم تنتشر سموم الاغذية بتوالي تواردها في سائر الاعضاء فتمرضها أيضاً . فيشكو صاحبها العوارض المختلفة ويمرض نفسه على الاطباء فيشخصه كل منهم على ما تسمح له به نظرياته فتارة ينصحونه بتعاطي المقويات وأخرى بأخذ المنومات ومرة يأمرونه بالسياسة وأخرى بالراحة وحيناً يمزقون جلده بابر الحقن وهم في ذلك كاه بعيدون عن حقيقة الداء فلو علموا انه ناشئ عن سموم الاغذية وعنوا بمعرفة مقادير السموم منها وأشاروا بحموية صحيحة لشفى المصاب ولكنهم يعتمدون على العقاقير الطبية فتتضم الى كمية السموم وتزيد فعلها . يقول هييج ان تراكم حمض البولييك في أوعية الدم يسبب انحرافاً في العقل واضطراباً في الحياة وهي أخص أعراض النوراستانيا فاذا سهل خروج حمض البولييك تغيرت حالة العقل حالاً كأنها حادثة سحرية وتقلب الحياة في نظر صاحبها سارة حتى ان الانسان ليحدث نفسه باتيان الاعمال المستحيلة . وقال هييج ان جميع الامراض تزول بازالة حمض البولييك فاحذفوا هذا الحمض تعيشوا مائة سنة ولا يوجد هذا الحمض غير الغذاء . بالتفصيل وجد أن هذا الحمض يوجد في اللحم والفول والعدس والباذلة والفاصولياء واللوبياء الجافة والشاي والقهوة والسكاكو . ثم قال وعليه فيجب الاكتفاء بأكل النباتات . وخصوصاً الاسفاناخ والخبازي والسكرنب والقرنبيط والفواكه واللبن والجبن والامتناع عن اللحم والفول والعدس والباذلة والفاصولياء واللوبياء الجافة . اذا سار المصاب بأي مرض على هذه الحمية مدة تحلت السموم وتسربت من الكليتين والجلد وغيرها وطهر الجسم منها وزايلته جميع الاعراض المرضية

### ﴿ أسلوب الدكتور كانتاني ﴾

قاعدة الدكتور كانتاني غير قاعدة هييج وان كانت النتيجة واحدة فانه قال بأن حمض البولييك هو سبب كل مرض في جسم الانسان ولكنه ليس هو العلة بل العلة قلة الاوكسيجين في الجسم لتحويله الى بول وزوله مع الفضلات . قال والنبي يوجب نقص مقدار الاوكسيجين في جسمنا انه يستهلك باكثرنا من تناول الاغذية الايدراتية السكر بونية ( كالسكر والنشا ) والدهنية . فان لم يتناول الانسان هذه الاغذية بقي الاوكسيجين في دمه فحول حمض البولييك الى بول فأبقى الجسم شره كلما تكوّن . وعلى ذلك فالدواء الوحيد لجميع الأمراض عند الدكتور كانتاني هو اتباع حمية فلاياً كل الانسان فيها الدهنيات ولا السكر والنشا ويمتنع عن الخل والمخللات واللبن والجبن والامراق والعجينيات والرز والبطاطس والحلوى والتوابل ويكتفي بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق .



### ﴿ أسلوب الدكتور سو برويسكى ﴾

يقول هذا الدكتور ان سبب جميع الامراض فساد تركيب الدم ومافساده الا كونه حامضا غير محتو على قلوبات فصلاحيته أن يكون قويا حلو ، وعدم صلاحيته أن يكون حامضا . والدليل على أن سبب الامراض هو خلو الدم من القلوبات انك لا تجد في الدم ولا في البول املاحا قلوبية في جميع الامراض الحية وهذا برهان على أن هذه الأملاح حرب لتلك الأمراض فقد ثبت أنها تقتل الميكروبات البدنية وتلاشى سمومها كما يقتلها السليمانى فالأفضل للمرضى أن يعطوا أغذية كثيرة القلوبات فان المرض يزول مهما كان نوعه حتى تسالغ الدم بالقلويات فالقواكه والليمونادة تشفى أكثر مما تشفيه الخجور غالية الثمن ولا يسقط سرياض بضعف القلب اذا أعطى قلوبات كافية فاذا انكؤن سم في السم انقز حالا بفعل تلك القلوبات . ولما كانت الوظائف الحيوية تسرع الحيات فتستهلك القلوبات فيجب إعطاء المريض أغذية قلوبية . أما المرق فلاحتوائه على البوتاس يضعف القلب والقواكه أولى منه بالعناية . الامراض المزمنة تشفى باعطاء الدم قلوبات ويذوب الرمل الصفراوى تحت تأثيره ويشفى البول السكرى والنقطة . وعدم وجود القلوبات في الدم يوجد الهرم الباكتر

وقال الدكتور سو برويسكى . كل تاكسد يبطىء التغذية والتصرف فلا يصل للاعصاب غذاء كاف فيبطل نشاطها فيعترى الانسان ما لا يحتمسب من أمراضها وكل الذين عاشوا كثيرا كانوا قنوعين جدا . فبالافراط فى الاكل تبقى فضلات كثيرة وعلى قدرها يستهلك الجسم القلوبات من الدم . لا يوجد للدم نقاهة وزيادة قلوباته الا النباتات من القواكه والاعشاب وأفضلها ما كانت قلوباته أكثر . الامراض كثيرة وسببها واحد وهو اختلال أعضاء التصريف فتم تختل فلامرض وتلك الأعضاء المصرفة هي الرئتان والسكيتان والجلد والامعاء فان مرضت احداها وقع الجسم فى المرض لاحالة . ان مرضت الرئتان يبقى فى الدم كثير من حمض السكربون وهو سم ، وان تعبت السكيتان بقيت البولينا (الاورية) وحمض البوليك فى الدم وناهيك بهما من غولين للصحة ، وان انسدت مسام الجلد تبقى فى الجلد السموم التى يجب أن تتصاعد منه بالتبخير الجلدى ، وان تعبت الامعاء بقيت الفضلات فى البدن . فالذين يقعون مرضى كانوا مرضى من قبل بأحد هذه الأعضاء فأهمواها ثم أخذ الدكتور سو برويسكى يفصل فى قيمة الأغذية من الوجهة القلوبية فقال النباتات التى تحتوى على القلوبات الشكوريا والراوند والاسفاناخ والكمثرى والحماض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل أما النباتات التى لها خاصية طرد حمض البوليك فهى الاسفاناخ والكرنب والقرنبيط وكرنب بروكسل والبالزة الخضراء لان بها حوامض تعيق افراز حمض البوليك (الاوريك) . هذه أساليب الدكاترة الثلاثة فسكلها ترمى الى غرض واحد وهو العناية بأمر الغذاء وعدم ادخال شئ الى المعدة بغير حساب . فالطب كل الطب أن يعتدل الانسان فى غذائه وأن يكون نباتيا معتمدا فى تقويم جسمه على النباتات والقواكه الناضجة فان أصابه مرض فعليه أن يعتمد الى الطرق الطبيعية من استنشاق الهواء النقي وتعهد الجلد بالنظافة والحمية التامة والله الشافى . هذا رأى رجال من أقطاب الطب المصرى وهو رأينا أيضا ولكل انسان بصيرة يتعجى بها الصواب والله يهديننا الى سواء الصراط . ولابأس من تعزىز هذا البحث بايراد رأى عالم ألمانى كبير فى أسباب الامراض فاليك :

### ﴿ العلامة ( كوهن ) الالمانى يرى أن لجميع الامراض سببا ﴾

( واحدا وعلاج واحد )

تنقل مذهب العلامة ( كوهن ) الالمانى المشهور عن الاستاذ بلز فقد نشره فى المجلد الاول من كتابه الطب الطبيعى صحيفة ( ٩٣٣ ) فنقول : يرى كوهن أن الأمراض كلها لها سبب واحد وعلاج واحد كذلك

فهو يقول انه لا يوجد الا مرض واحد يظهر بمظاهر مختلفة . والملة الحقيقية لهذا المرض هي اجتماع اجسام غريبة في جسم الانسان ليس لها دخل في تركيبه وحفظه ، فهي اجسام غريبة وان شئت فقل جراثيم مرضية لم تستطع الأعضاء المفرزة وهي الامعاء والكليتان والجلد والرئتان افرازها . هذه الاجسام الغريبة يرى ( كوهن ) أنها تنسرب الى ابداننا من تعاطينا اكثر مما نحتاج اليه من الاغذية ، ومن تناولنا اغذية ضارة ومضادة للشروط الفيزيولوجية للحياة الانسانية كاللحوم والتوابل والاشربة السكرولية المخدرة من النبيذ والبيرة والعرق والقهوة والشاي الى غير ذلك فهي من جهة ليس فيها قيمة غذائية ومن جهة أخرى تحدث تهيبجا للجسم يعقبه الضعف لاحالة . ومن الاجسام الغريبة التي تسبب لنا الامراض في رأى ( كوهن ) السموم الصيدلانية التي تناول باسم علاجات والتبغ والسعوط (النشوق) وسم تلقيح الجدري الذي اذا دخل الجسد قل أن يخرج منه ويكون مصدر جراثيم مرضية له : وما يوجد الاجسام الغريبة في البدن ما يحمله معه الهواء الفاسد والابخرة المتصاعدة من الاصطبلات والغازات التي تستعمل للتطهير في البيوت ، وما يتصاعد من عرق الغير والعثير الثائر في الطرق الخ كل هذه تنسرب الى ابداننا وتمكث فيها فتسبب لنا الامراض المختلفة . ثم ان مما يحدث المواد المرضية التعب فانه يهلك عددا عظيما من خلايانا فتمكث في ابداننا بسوء نوع معيشتنا بدل أن تنصرف في الدم ومنه تخرج الى الجو بواسطة الاعضاء المفرزة للسموم . هذه المواد الغريبة المرضية المختلفة من الاغذية يحاول الجسم بخضوعه للقانون الطبيعي الذي يدبر كل حياة ان يعده عنه باعتبار أنه غير نافع له أضراره . ولكن أعضاءنا المفرزة لا تستطيع نظرا لكثرة المواد ان تفرزها كلها في آن واحد فتراكم ما يبقى منها في الجهة السفلى من البطن . ومن هنالك تتجه رويدا رويدا الى الأطراف وتلبث هناك تبعا لناموس الثقل وتبعا للوضع العام للجسم إما ذات اليمين أو ذات الشمال أو أمام أو خلف . فتبقى هذه المواد غير محسوس بها أو تصيب صاحبها قشعيرات واضطرابات لا يمكن التعبير عنها وقاق عام . وبالجملة تصيبه جميع الاعراض التي تسبق الأمراض الحادة أو الحية . تلك المواد التي تتخلف في الجسم هي مواد عفنة أو متخمرة . والتخمر نوع من التعفن سببه التحلل الواقع في بعض المواد العضوية فاذا حدث سبب داخلي أو خارجي أو برودة أو حرارة أو انفصال تحيا هذه المواد المرضية وتتخمر ثم تبعث لها عن مخرج فتتحرك على موجب مواضعها والمراكز اللينفاوية للجسم متجهة الى أعلى الجسم وإلى الجلاء أولا . فاذا وجدت مانعا يحول بينها وبين الخروج تحدث تمدا في الجهة التي تتحلل فيها فتولد وربما ظاهرا أو باطنا : وقد يحدث ان هذه المواد المرضية تسقط الى الاطراف السفلى فتمكث في الساقين والقدمين . هذه المواد تندفع على الدوام للبعد عن مستودعاتها على قدر الامكان والتمسك الى الاعضاء البعيدة عنها كالرأس والعنق والايدي والارجل والاصابع وابهام القدم . وهنالك تقف لأنها لا تستطيع ان تخرج من مسام الجسم لعدم العناية بصحة الجلد ولأن العيشة ضد الطبيعة جعلت المسام الجسدية كأنها لم توجد أو قليلة الفائدة . وقد يكون الجلد على مايرام من نادية وظيفة ولكن تدفق تلك المواد عليه فجأة لا يمكنه من تصريفها بمسامة دفعة واحدة . فاذا كان نشاط الجلد ضعيفا أو مهدوما . والامعاء والكليتان والرئتان لا تؤدي وظائفها على ما ينبغي كما هي الحالة العامة الآن تسبب عن تلك المواد الغريبة في الانسجة الجسمية تغيرات مرضية تفسد الشكل الطبيعي للجسم رويدا رويدا فتجمد الانسجة وتتوتر العضلات بهدآن كانت لينتة في اللس ويكون توترها ظاهرا محسوسا في أثناء تحركها . وفي أحوال أخرى يسبب وجود المواد الغريبة في الجسم تمدا فيه . ويمكن التحقق من صحة هذه الاحوال . ويكفي أن نلاحظ أصحاب الاجساد السمينتة الذين تمددت ابدانهم بترام كم المواد السمية الغريبة فيها أو ان تتأمل في الاشخاص النحفاء الذين نجد أنسجتهم متوترة على درجات مختلفة . قلنا ان المواد الغريبة تميل على الدوام أن تتجه الى الاطراف . والرقبة تكون كضيق بين الجزع والرأس فتظهر تلك المواد الغريبة فيها متراكمة على الخصوص

هذا سبب الامراض فما هو الدواء؟ قال (كوهن) لما كان سبب جميع الامراض واحدا كما رأيت وهو تراكم المواد الغريبة في أجسادنا من جراء تعاطينا أغذية لا توافق تركيبنا وتعرضنا لتعب المفرط واستنشاق الغازات الضارة. فليس لها الادواء واحد وهو ينحصر في الامرين الآتين اللذين نتيجهما قطع الامداد عن تلك المواد السمية وتسهيل خروجها.

(أولا) الاقتصار في الغذاء على النباتات

(ثانيا) استعمال الحمامات الجذعية والحمامات الجلوسية مع ذلك الجسم بفضة خشنة مبتلة والحمامات البخارية. الحمامات الجذعية هي أحواض يغمر الانسان فيها جذع جسمه فقط أي من عنقه الى فخذه. والحمامات الجلوسية هي أحواض تغمر فيها المقعدة مع جزء من الظهر والبطن. والحمامات البخارية هي احاطة الجسم بالبخار. جميع هذه الحمامات تباع في محل التجارة.

﴿ ملخص هذا المقام ﴾

هذه هي الأساليب الثلاثة لهؤلاء الأطباء الثلاثة الاول، فالسبب عند (هيچ الانجليزى) هو أن يكون البول حضا بمواد لا تلائم الجسم، وهذه المواد تقف في فروع العروق فتسدتها فيحصل الضغط على القلب وتكون أمراض مختلفة يعطى لها الأطباء أدوية مختلفة قتالة والدواء عندهم (الاكتفاء بالنباتات والفواكه) وترك اللحم وبعض الحبوب المذكورة كالقول الح والشاي وما عطف عليه. والدكتور كاتناني كلامه مثل كلام هيچ ولكنه أشبه بمن يقول: « يجب أن يكون في شوارع القاهرة زبالون لجمع الكناسات من البيوت» فالدكتور هيچ أشبه بمن يقول: « قذارة البيوت سببها بقاء الكناسات فيها» والدكتور كاتناني يقول: « نعم قولك صحيح ولكني أقول: إن عدم الزبالين هو السبب فالزبال لرفع الكناسات من المنازل والذي يكون سببا في إيجاد هذا الزبال لازالة القمامات من المنازل (هو النباتات الخضراء والفواكه والبيض مع ترك الخلل والمخللات والجبن والمرق والمجينات والأرز والبطاطس والحلوى والتوابل)

والدكتور (سوبر ويسكى) يقول: « إن هذه الزباله تخلت رائحتها جميع طبقات المنزل. وذلك أن المادة الضارة اذا كانت في الماء فهي في الدم والعلاج هو أكل النباتات»

إذن أكل النبات متفق عليه للشفاء من جميع الأمراض عند الثلاثة الاول وقد اختلفوا في اللبن وما تفرع منه وكذا البيض ونبذوا ما يتعاطاه الناس من التبغ ونحوه. وكوهن الألماني جعل السبب أعم وهي أجسام غريبة تتخلل البنية والمعنى واحد. فهو متحد مع من قبله اجمالا والدواء واحد وهو الأغذية النباتية أيها النكي: خذ النتيجة التي ساقها الله لنا. كل النبات والفواكه ودع اللحم والقهوة والشاي والخمر والتبغ والسكر وما اشتق منه من الحلويات

هذا ملخص ما تقدم. أما اللبن ففيه خلاف سببه أن البهيمه ربما كانت مريضة فينتقل المرض اليها من لبنها. هذا ملخص هذا المقام. انتهى الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثاني ﴾

( في ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذائها وأمراضها بالأرض المصرية ونيلها (والفرين) وهي المواد التي تجعل لونه قريبا من الحجرة وهي أهم أغذية النبات والسود التي تمنع الماء أن يصل الى بعض الأرض )

اعلم أن كثيرا من الناس يقرؤون كلام الأطباء فيتحذرون ويصعب عليهم الفهم. فاعلم رعاك الله أن أجسامنا كالأرض ودماءنا كماء النيل (والفرين) الذي فيه وهو المسمى بالطمي في بلادنا أشبه بالمواد الغذائية

التي تجرى مع الدم ليوصلها للأعضاء الباطنة والظاهرة . النيل وفروعه كالعروق الصغيرة والكبيرة والتمثيل صحيح وأعضاؤنا كالزروع والأشجار التي يسقيها ماء النيل . فلواننا سدنا ماء النيل من أى مكان بسد أو سدنا أى فرع من فروع النيل فإن الماء يرجع الى الورا وهناك يحصل ضرران كبيران وهما حرمان ما بعد هذا السد من السقى فيحصل تلف في الزرع من جهة قلة الماء . وهلاك الزرع الذي قبل ذلك السد بطفيان الماء عليه هكذا في الجسم اذا سد عرق كبير أو صغير بمواد لا توافق الصحة حصل افراط فيما قبل هذا السد وتقر يط فيما بعده فتحصل أمراض مختلفات في الجسم على حسب استعداده . وكما أننا اذا أردنا تلافى اهلاك زرعنا في حقولنا فتحنا تلك السدود سدًا سدًا . هكذا اذا أردنا الصحة أزلنا الحواجز التي في تلك العروق وفروعها . وماتلك الحواجز إلا المواد الغريبة

هذا ملخص كلام هؤلاء الأطباء الأربعة . فاذا سمعت قول هييج الطبيب الانجليزي أن حض البوليك وحض الاوكساليك والنظرون وغيرها هي أسباب (النورستانيا) والنقطة والرووماتيزم وألم الرأس الخ فما خرج عن انه نظير قولنا ان ماء النيل اذا سد في أى بقعة اختل نظام النبات فهلك أكثره إما بقله الماء وإما بكثوته والنبات مختلف وألنا عليه يكون على مقدار نفعه هكذا هنا فانها تحصل أمراض مختلفات يسبب عنها بعبارات مختلفات كما يقال في النبات قد هلك القمح والبرسيم والبطيخ وهكذا ولكل واحد من هذه النباتات منزلة عندنا تتألم لنقده بسببها ، واذا سمعت قوله أيضا : « إن تراكم حض البوليك في أوعية الدم يسبب انحرافا في العقل واضطرابا في الحياة » أوقوله : « إن السميات التي تتخلف من المواد المغذية تثبت في نقرعات الأوعية الدموية وتسد الأوعية الشعرية فتقل قوة سريان الدم » فانه كقولنا « إن وقوع الحجارة والطين في مساق النيل يمنع الماء عما خلفها ويضر بكثرة الماء ما أمامها من الزروع »

واذا سمعت هييج يقول : « أزيلوا حض البوليك تعيشوا مائة سنة » فهو كقولنا « أزيلوا السدود من المساق يشرب زرعكم ويدر زرعكم وتعيشوا الى حين »

واذا سمعت هييج أيضا يقول : « دع الفول والعدس والبازلة والفاصوليا واللوبيا الجافة والشاي والقهوة والسكاكو » فهو أيضا كقولنا : « امنعوا الحشائش من مجرى الماء لنسقى الزرع في الأرض »

واذا سمعت أن البلاد المصرية من قبل حكم المغنور له (محمد على باشا) لم يكن بها مهندسون فكان الماء يجرى بلاقانون فكثير الجفاف في وقت وكثير الماء في وقت آخر فاضمحت مصر لقله زرعها ، هكذا نقول في مزرعتنا ومساقها وهي أجسامنا ، فنحن اذا أكلنا السكر والنشا والدهنيات والحل والمخللات ولبن البهائم المجهولة صحتها وجبنها والمرق والججيفيات والارز والبطاطس والخلوى والتوابل من كل ما ذكره (كانتاني) الايطالى أو أفرطنا في الأكل كما قال الدكتور (سوبر ويسكي) الفرنسى ، أو تعاطينا اللعوم والتوابل والأشربة الكحولية المخدرة من النبيذ والبيرة والعرق والقهوة والشاي ، أو تدأوينا بالسموم الصيدلية ، أو استعملنا السعوط (النشوق) أو أكثرنا الوقوف في الأماكن التي فسد هواؤها وتصاعدت أبخرتها مثل الاصطبلات أو كان فيها غازات للتطهير في البيوت ، أو جلسنا مع القوم الذين عرقهم له راحة ، أو سمرنا في الطريق ذات الغبار ، فهذه كلها تدخل أجسامنا وتضعفها كما قاله كوهن الألماني

أقول : اذا فعلنا ذلك كله أو بعضه كما قاله هؤلاء الأطباء فان أجسامنا تكون سعادتها وصحتها على حسب المصادفة كهيئة الأمة المصرية قبل أيام (محمد على باشا) فقد كان سكانها نحو مليونين فقط لأنهم كانوا يعيشون بالمصادفات . فأما اذا أكلنا النباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق كما قاله كانتاني المذكور وفصله الدكتور (سوبر ويسكي) الفرنسى وقد ذكر بعضها وهي المحتوية على القلويات مثل الشكوريا والراوند والاسفاناج والكثيرى والحماض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل



فهذه وأمثالها هي القلوبيات وهناك نباتات أخرى تضارعها في فائدتها ولكن من طريق طرد ما يضر الجسم مثل حمض البولييك كالاسفاناج أيضا والكرونب والقنبيط وكرونب بروكسل والبازلة الخضراء التي بها حوامض تعيق افراز حمض البولييك

أقول : اذا سرنا على هذه الطريقة وأضفنا اليها ما يقوله الدكتور كوهن الألماني وقفينا ببعض تجاربه كالحمامات الجذعية والحمامات الجاوسية مع ذلك الجسم بفوطة خشنة مبتلة والحمامات البخارية أقول : اذا اتبعنا هذا الصراط في حياتنا ( لاسيما اذا قرأت أيها الذكي تمام الكلام على تلك الحمامات ونحوها وفوائد أخرى في ﴿ سورة الشعراء ﴾ عند آية - واذا مرضت فهو يشفين - وآخر ﴿ سورة طه ﴾ عند قصة آدم فانك تجد هناك تفصيلا وشرحا كافيا لتلك الحمامات وغيرها ، وهكذا نظائر أخرى في ﴿ سورة الحجر ﴾ عند الاشارة لقصة آدم في أولها وهكذا في ﴿ سورة الأعراف ﴾ عند آية - ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - وهكذا عند آية - أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - ففي هذه المواضع كلها ملخص علم الصحة وشذرات جيلة في علم الطب) فاننا نكون في صحتنا أشبه بالمصريين من حيث نمو السكان في هذا القرن إذ صلحت الترع والمجاري بعناية المهندسين وصار السكان (١٤) مليوناً بعد مليونين قديماً

### ﴿ تذكرة ﴾

أيها الذكي : هاأناذا مثلت لك أجسامنا بالأراضي المصرية والنيل كالدم والسودوفيه كالأحماض الضارة والأجسام الغريبة فيه ، فأنت بين « أمرين اثنين لا ثالث لهما » إما انك تعيش كما يعيش أغلب نوع الانسان الذين أشبهوا آدم حين أكل من الشجرة ولم يتعضوا بقصته ولم يعلموا مقاصد الكتب السماوية من انزال هذه القصة وأمثالها وتكرارها في القرآن ، فاذن كل كما يأكل الناس مقلدا لهم ، واما انك تنظر في هذه الحياة وتسلك سبيلا آخر بحسب الطب الحديث على مقدار طاقتك ، فهناك ترجع لحال آدم قبل الأكل من الشجرة . ويظهر لي أن النوع الانساني مقبل على زمان أجل وأبهج ، فاذا سلكت هذه السبيل الحديثة فاعلم انها هي التي تؤخذ من قصة آدم . فالناس جميعا آكلون ما يشتهون من هذه العوالم الأرضية وهم غافلون عما يضر وينفع . وهاهو ذا زمان ظهور عجائب القرآن . فأنت اذا أكلت النباتات والفواكه وهكذا فان هذه النباتات نفسها تفتح سدود جسمك ولا تحتاج الى ما يحتاج اليه النيل من المهندسين . واذا أكلت الأطعمة الأخرى كاللحم أو المخمل أو السكر وكل ما اشتق منه فانك تحتاج الى مهندس يفتح سدودك وهذا المهندس هو الطبيب يعطيك مركبات سمية وينزل عليك بالابر فيملا جسمك سما زعافا مع تقطيع الجلد ودخول الحقن السامة . الله هدانا النجدين فلنتبع أسهل النجدين . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني وهو ضرب مثل بالنيل وفروعه للجسم ودمه الخ

### ﴿ الفصل الثالث ﴾

( في نصائح عامة من كبار الأطباء وهي ست نصائح منقولة من ذلك الكتاب )

#### ﴿ النصيحة الأولى ﴾

( رأى الاستاذ هندهيد فيما يأكله الانسان في اليوم )

أهم ما يجب أن يدقق فيه من يريد لنفسه دوام الصحة هو مسألة التغذية فان عليها مدار الحياة والخطأ في وجوهها الطبيعية يؤدي الانسان الى أشنع الأمراض المسببة لأشد الآلام . لذلك عنينا في هذا الكتاب بالافاضة في هذا البحث وسنفيض فيه ما وجدنا للإفاضة موضعا . وقد اطلعنا على بحث جليل لأحد أطباء الانجيز نشرته إحدى الجرائد نقلها عنها المقطم فرأينا أن ننقله لقراء كتابنا هذا فان فيه فوائد جلية وقواعد قيمة

قال «المقطم» في عدد ٨٣٨٩ الصادر في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ ما يأتي :

« وقد طالعتنا مقالة لأحد أطباء أوروبا يتبين منها أن الذين اعتادوا أكل اللحم والبيض وما يدخل في حكمهما من الأطعمة يفرطون في الاكثار منها فيؤذون أنفسهم أذى كبيرا من حيث لا يدرون . وهذه المقالة مفهومة بالفوائد فآثرنا اقتطاف أهم ما ورد فيها ونشره عملا بما جرينا عليه من نشر المقالات المفيدة في حفظ الصحة . استهل الطبيب الكاتب مقالته بهذا السؤال وهو : كم يحتاج الجسم البشري من البروتين (الالبومين) لكي يؤدي وظائفه حق الأداء ؟ والبروتين اسم جنس للأطعمة المتروجينية أو الالبومينية وهو العنصر الجوهري في اللحم الطير والبيض واللبن والأجزاء الالبومينية في بعض البقول . والموضوع من أهم مواضيع حفظ الصحة فان الأمراض الناشئة عن الافراط في أكل البروتين كثيرة والوفيات بها تزيد على الوفيات بسواها فان أمراض القلب والسكيتين والسكبد ناشئة عن سوء تمثيل البروتين . فحرفة ما يجب أكله من اللحم والبيض واللبن ونحوها من الامور التي تعد أساسا لحفظ الصحة وإطالة العمر . ثم إن أعظم الأطباء مجمعون على أن بعض الأمراض الأخرى العضالة كالسرطان ناشئة عن الخطأ في تعيين مقدار (البروتين) في الطعام وحسبنا هذا وذلك دليلا على وجوب افراغ العناية في هذا البحث . وأول من بحث في هذا الموضوع الدكتور (هندهيد) النمركي فظهر له من أبحاثه أن (٢٥) غراما من البروتين في اليوم تكفي الشخص العادي وتحفظ صحته . وكان المظنون قبلا أن المقدار اللازم يبلغ أربعة أضعاف هذا القدر . وقد قال هذا الطبيب : « إن زيادة هذا المقدار في الطعام مضر للجسم »

ولا يخفى أن أكلة البروتين كاللحم والبيض هي أغلى الأطعمة وأن الفقراء والمتوسطين يتعبون كثيرا في تدبير أمانها ولكن متى ثبت لنا أن الناس يدفعون الأثمان الغالية لشراء الضرر والأذى وقصر العمر غلب علينا الضحك لولا أن المسألة من المبكيات . وقد دقق الدكتور هندهيد في تجاربه توصلا الى النتيجة التي استنتجها فكان يختار رجلا من الذين يعملون الأعمال اليدوية العنيفة ويكيل لهم الأطعمة ويزنها ويدقق في وزن مفرزات أجسامهم ويفحص قوتهم وأعضائهم . وبين التجارب التي جرّبها انه جاء برجلين اقتصر في اطعامهما عاما كاملا على البطاطس والمرجرين (الزبدة النباتية) وكان يجنس الطعام يوميا بحيث يكون أقل ما يصب الواحد منهما كل يوم ما لا يقل عن (٢٠) غراما الى (٢٥) غراما من الالبومين بدلا من (٨١) غراما وهو المقدار الذي عين من قبل بالتجارب العلمية . والمعروف أن البروتين قليل جدا في البطاطس . فاستخلص المقدار المطلوب من الالبومين في البطاطس يقتضى ثلاثة أرطال منه فكان الطبيب النمركي يطعم كلا من هذين الرجلين هذا المقدار من البطاطس كل يوم مع ست أوراق (٥٤) درهما من المرجرين ويمنعهما من أكل اللحم والبيض واللبن فكانت صحتهما في آخر العام من أجود ما يكون وحاضر أحدهما مع العدائين فقطع (٢٦٤) ميلا في (٩٩) ساعة أي في أقل من الوقت المفروض . وهذا بعض ما استنتجه الدكتور هندهيد من أبحاثه وتجاربه :

(١) إن الالبومين الموجود في الأطعمة النباتية يغني في الجسم عن الالبومين الموجود في الأطعمة الحيوانية كاللحم والبيض واللبن وأن مقدار الالبومين الذي يحتاج الجسم اليه أقل من المقدار الذي كان يظن لازما له

(٢) إن الأطعمة التي يقل الالبومين فيها تزيد قوة الجسم على احتمال المشقة والتعب فقد قال الطبيب المذكور : « لا أعرف واحدا من الذين يكثرون من أكل اللحم أحرز قصب السبق في محاضرة طويلة

(٣) إن عدد الوفيات بأمراض السكبد والسكيتين والامعاء يبلغ بين سكان المدن المترفين نحو أربعة

أضعاف ما يبلغه بين الفلاحين الذين معظم طعامهم من الخبز والبطاطس والأدهان (الزيوت) وقال « إن العرب الذين يأكلون الخبز والتمر فيهم من صلابة العود وشدة الصبر على التعب ما يدعش الاوروبيين وأن جراية جنود السخ الهنود وهم من أشد جنود الدنيا عبارة عن كأسين من اللبن و٢٥ أوقية من الخبز وأوقيتين من الزبد وأربع أواق من الفاصوليا وخمس أواق ونصف أوقية من البطاطس وهم لا يأكلون اللحم إلا مرتين أو ثلاثة في الشهر ونعم ما يفعلون »

ويلاحظ استنتاج الدكتور هندهيد بقولنا أن قيمة الالبومين النباتي أفضل من قيمة الالبومين الحيواني ولكن يجب الاعتدال جدا في استعماله وبكميات مهينة وانه يجدر بالناس أن يقلوا من أكل اللحم وأن لا يكون أكله مع القلة مستمرا بل أن يؤكل في فترات متباعدة

قال الطبيب الدكتور : « ولو كانت تجارب الدكتور هندهيد فريدة في بابها لما أعرناها هذا الاهتمام فقد اتفق غير صرة للعلماء أن أخطوا في البحث مدفوعين بعامل الحاسة الى استنتاج ما يتوقون الى تأييده . وأعظم التجارب تدقيقا قد لا يخلو من الخطأ فيؤدى الى نتائج مغاظة . ولكن التجارب المذكورة تطابق ما توصل اليه باحثون آخرون . فمن ذلك أن الأستاذ تشندن تعمق في مثل هذا البحث فافتنع هو وأنصاره بأن تنقيص البروتين في الطعام هو سبيل الصحة وأن السواد الأعظم من الناس ينكب عن هذا السبيل عمدا وقد جرّب الأستاذ تشندن هذه التجارب بنفسه وبجماعة من زملائه وتلاميذه وبينهم نفر من لاعبي الألعاب الرياضية فأثني أن صحته تحسنت وقوته زادت بانقاص ما يأكل ولا سيما من أطعمة البروتين وواقفه على ذلك آخرون فكانوا يقوون وتجدد صحتهم اذا نقصوا مقدار الطعام الذي يأكلونه

ومما يبعث على الاستغراب في هذه التجارب أن نتائجها كانت متماثلة في لاعبي الألعاب الرياضية وفي الذين يعيشون عيشة ساكنة هادئة فان قوتهم ازدادت بانقاص ما يأكلون من اللحم والبيض عما ألفوه قياسا على ما يطلبه قابليتهم . وقد تبين للأستاذ تشندن أن هذه القابلية التي نحسبها طبيعية ونعتمد عليها في الدلالة على مقدار ما يجب أن نأكله ليست دليلا مأمونا بل هي نتيجة عادات سيئة في الأكل حادت بالانسان عن جادة الصواب فان القابلية اذا كانت طبيعية لا تسمح للمرء أن يأكل من الطعام إلا نصف القدر الذي يأكله الناس عادة أو ثلثه »

الى أن قال : « ولكن الأمر المهم في مسألة الطعام هي عدم الافراط في شئ منه ولكن الخطر كل الخطر ناشئ عن الافراط في أطعمة البروتين أي اللحم والبيض واللبن . ويجب ملاحظة الفرق بين الآكلين فالذي يعمل أعمالا بدنية عنيفة يجب أن يعطى من الطعام أكثر مما يطعم من كان قليل الحركة أو كان شغله من الأشغال العقلية . وختم الطبيب مقالته ببعض الوصايا العامة التي يجدر بالمرء مراعاتها في طعامه وهي :

- (١) الاعتدال في الأكل من جميع أنواع الطعام التي تقدم على المائدة ولأننا نأكل من طعام واحد مرتين
- (٢) اترك المائدة وأنت شاعر بأنك تستطيع أن تأكل زيادة عما أكلت
- (٣) وزن جسمك مرة بعد مرة وقابل بين أوزانه وعدل طعامك بحسب ماترى من نقص الوزن أو زيادته فان لم تهتم هذا الاهتمام القليل وتعن هذه العناية اليسيرة بجسمك فلا يحق لك أن تشكو اذا اعتلت صحتك ولا ينتظر أن تكون من طويلى العمر » انتهت النصيحة الأولى

#### النصيحة الثانية

#### ضرر الافراط في الأكل

( مترجمة من كتاب « صناعة إطالة الحياة » للعلامة الدكتور جاستون دورفيل )  
قال الدكتور دورفيل : « الافراط في الأكل جرح دام في جسم الانسانية . واني لأستطيع أن أوكد

بأنه يقتل يوميا أكثر مما يقتله السلّ والسرطان مجتمعين وأنه غالبا سبب هذين الداءين . وقد قال المفكر الكبير تولوستوي وأصاب : اننا لنا كل ثلاثة أضعاف ما تتطلبه أجسامنا فنصاب بأصراض لا عدد لها تقطع الحياة قبل بلوغها أقصى حدّها »

وقال الفيلسوف سنيك : « الحياة ليست بقصيرة ولكننا نقصرها بأيدينا » وقد كان الدكتور المشهور (هيكه) يمزح قائلا لطهاة صرّاة الأغنياء : « أنا مدين لكم بالشكر أيها الأحباب على ما تؤدّونه من الخدم الينا معاشر الأطباء » وكان الفيلسوف سنيك المتقدم ذكره يقول : « إنكم تشتكون من كثرة الأصراض فاطردوا طهااتكم » وقد ذكر الدكتور كارتون في كتابه « الثلاثة الأغذية المميّنة » المصارعين الذين تراهم ممتلئين عضلا ودما من كثرة ما يعمنون بالأكل . ثم قال : إن دولة قوّة هؤلاء الأقوياء قصيرة الأمد وأن قوتهم المفرطة هذه ليست إلا كمنار القش لأنهم كالفلّات الطبيعية أو النباتات المدفوعة لا فرط في النموّ المعرضة لان تحترق في يوم من الأيام بحرارة السماد الشديدة الذي هو سبب نموّها غير الطبيعي »

قال الدكتور جاستون دورفيل بعد إيراد هذه الآراء : « بعض المفرطين في الأكل ليسوا ممتلئين شعما ففهم من يكونون على العكس نحاف الأجسام ، ويستوى القسمان في الهلاك بسرعة وان جهل كل منهما ما يؤديه اليه سم الأغذية من سوء المصير ، فترى الناس يحسدون الأولين (السمان) ويرحون الآخرين (النحاف) فيظنون أن بهم ضعفا أو فقرا دمويا ويزيد الأطباء حالتهم سوءا باعطائهم المنبهات والمقويات ، فياحسرة على هؤلاء الضعاف الذين يصف لهم الأطباء اللحووم النيئة المهلّكة وزيت كبد الحوت الذي لا تستطيع أن تهضمه أشدّ الامعاء ، فكّم من الزمن يجب علينا أن نقضيه في الصباح ليعلم الناس أن الرجل الضعيف لا يفقد دمه كراته الحمراء إلا لأن سم الأغذية يبيدها ويسدّها ، فاعطاؤه اللحم يزيد في تسممه الذي هو سبب هلاكه ويقربّه من حفرة القبر ، من الناس من يفرط في الأكل ولا يصيبه أذى بل تظهر عليه علامات الصحة الكاملة ، فترى وجهه موردا ومحيا متلألئا فيعيش السنين الطوال لا يشتكي بأقلّ وجع ثم لا تلبث أن تسمع بأنه قد مات وهو في عنفوان القوّة فتدهش لذلك ولا موجب للدهش فان هذا الأكل لم يكن له في جسده مراقب عتيد يعاقبه على كل إفراط وتفرط فتدّى في شأنه فتراكت عليه السموم فقتلته ولا كرامة ، ولكن من المفرطين في الأكل من لا ترايلهم الأعراض المرضية فنزكهم الى دمل الى نزيف الى مرض جلدي ، وما هذا كله إلا أدلة على أن جسمه يقاوم السموم فيصرفها كلما تراكت فيه بهذه الأمراض المتوالية وهو عندي أفضل من الأول الذي يعيش صحيفا محسودا سنين معدودة ثم يصعق فجأة ، وترى الأطباء يرون الضعيف المفرط في الأكل مصابا بدمل أو بمرض جلدي أو بنزيف أو بغير ذلك فلا يسألونه عن كيفية معيشته ولا مقدارا كاه ولا أنواع غذائه بل يسعون في مكافحة الأعراض المرضية فتزداد حالته سوءا وربما هلك بين أيديهم » انتهت النصيحة الثانية

### النصيحة الثالثة

#### ضرر الأغذية المركزة

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « اذا كان الإفراط في الأكل من الأخطار الكبيرة فان تناول الأغذية المركزة كالسكر واللحم بقصد التقوي أو تحسين التغذية أشدّ خطرا على الصحة ، نعم إن تلك الأغذية التي نعتبرها مقوية توجد لنا قوّة فنحس بسعادة جسمية ولكنها سعادة مؤقتة إذ تنقلب الى ضعف وانحطاط ، فهذه الأغذية التي نخيل للناس أنها مقوية هي كضربة سوط تنزل على الحصان المعبي فتجعله يجري قليلا ثم ينحط انحطاطا لا يقيم له منه . فمن من الناس فخاها هذا القرن الذي يقال انه قرن النور ؟ لم يتناول الأغذية المركزة من خلاصات اللحم ومستخرجات اللحم والبيتون والأنبذة والفوسفاتات والدقيق المشحون بالازوتات والبرشامات المملوءة



بالمهيجات والسكريات والشكولاتات الخ مما لا يمكن استيعابه ؟ قليل من علم الفسيولوجيا يفهمك نتيجة فعل الأغذية المركزة على خلايا أجسامنا . ذلك ان الأغذية التي تتعاطاها قسمان : قسم يعوض أنسجة أجسادنا وهي المواد الزلايية . وقسم أعد للاحتراق فباحتراقها بفعل الاوكسوجين الذي في الدم تعطينا قوة تسرى في عضلاتنا وأعصابنا وتحفظ حرارتنا

« للأغذية وظيفة ثالثة وهي تهيج خلايانا الجسمية . من هذا التهيج ينتج التبادل الذي يميز حياتنا . فاذا كان الغذاء الذي تتعاطاه ذاتيا كان تهيجه لطيفا بطيئا متوقيا ولكن اذا كان الغذاء مركزا كان تهيجه قويا فجائيا . فلنفرض أن غذاءنا مكون من الخبز والبطاطس بمقادير مناسبة ومن النباتات الخضراء والفواكه فان خلايانا بعد انضمام هذه الأغذية تأخذ منها الزلال بمقادير صغيرة ضرورية لتعويض مادتها الحيوية المستهلكة . وأما المواد الاحتراقية فتأتي بكمية مناسبة أيضا وذائبة من البطاطس والخبز والفواكه فتتأثر خلايانا بتهيج لطيف أي فسيولوجي . ولكن اذا كان الغذاء مؤلفا كما هي عادة معاصرنا من مرق اللحم والحلاوات المشبعة بالسكر والشكولاتا والكحول مهما كان مقداره صغيرا اتجهت هذه المواد الى خلايانا مجتمعة فأحدثت فيها اضطرابا غير فسيولوجي بتوهم انه قوة بدنية ولكنه في الحقيقة ليس إلا خطوة نحو الصدمة النهائية »

قال الدكتور (باسكولت) في كتابه « التهاب المفاصل والافراط في التغذية » ما يأتي : « التهيج اللطيف للخلايا يحفظ الحياة بتسهيله تمثيل الاصول المغذية ، والتهيج القوي يختصر الحياة بحملها على الاسراع في عملها بحيث يهترى بها النهب والانحلال قبل مواعده الطبيعي »

وقال الدكتور (بول كارتون) في كتابه « الثلاثة الأغذية المميتة » مانصه : « حين تصل الى خلايا الجسم أغذية شديدة الركن تتسبب تلك الخلايا هجوما عنيفا يميتا مضادا لحياتها الطبيعية وهذا التهيج المضاد للفزيولوجيا يقتضي رد فعل فجائيا شديدا من الخلايا الجسدية يفرح به صاحبها في حينه ولكنه مع الادمان ينقلب مضعفا هادما مولدا للمرض ، وهذه الجهود المفرطة التي يجب أن تعملها خلايانا لتساوي مع شدة التهيج الغذائي تخيلها دائما مظهرا كاملا من مظاهر الحياة والصحة ، فكما لغت الآلة وارتعدت تحت تأثير الحرارة المفرطة افتخر صاحبها وارتاح ، وكما صار الأولاد أكثر توردا وسمنا تحت تأثير اللحم والسكر ازداد أهلهم سرورا بهيم ومع ذلك فلاشئ أكثر خدعا من هذه الظواهر الغشاشة ولاشئ أكثر خطرا من هذه النتائج الجيلة التي يتعمسون لرؤيتها غاية التعمس لأن عقابها التي لامناص منها الانحطاط والفساد والمرض والموت الباكر لجسم استنفدت جميع ذخائره الحيوية » انتهت النصيحة الثالثة

﴿ النصيحة الرابعة ﴾

( ضرر السكر الصناعي وفوائده الطبيعي )

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « السكر أحد الأغذية المهلكة لأجسادنا فالتناول منه كعادة معاصرنا من أربعة الى ست قطع فوق الغذاء المفرط يكون بمثابة الحسك على الجسم بزيادة الحركة زيادة مرضية مميتة ، لقد كان آباؤنا منذ ثلاثة أجيال يجهلون السكر الصناعي وكانوا أبطأ منا انحطاطا في قواهم ، تقدم الينا الآن الأغذية السكرية فنتناول منها بافراط ونعطي منها لأولادنا ، وقد شوهد أن كثيرا من أحوال الأرق لاسبب لها غير الافراط في تعاطي السكر ، وذلك سهل التفسير فان السكر أقوى الأغذية الاحتراقية يعطينا ميلا شديدا للعمل فكيف يمكن النوم مع هذا الميل ، ولقد عالجت حالات أرق مستعص بمنع المصابين من تناول السكر مساء ، هل معنى هذا الامتناع عن تعاطي السكر بتاتا ؟ لا ولكن الواجب معرفته أن السكر الصناعي علاج كالعلاج يضر وينفع ، فهو نافع لأهل الأعمال الجسدية كالزراع والصناع ، وضار لنوى الحياة الجلوسية

كالمؤلفين والسياسيين فلا يجوز لهم أن يتناولوا منه أكثر من قطعتين في اليوم ، ويجب عليهم الامتناع عنه وعن كل الأغذية الاحترافية مساء كالنشا والجينيات أيضا ، ثم إن من الاضرار بالأطفال إعطاءهم السكريات فان السكر الطبيعي يكفي لجميع حاجتنا وهو موجود في الفواكه حيا وطي حالة ذوبان ، ولكن السكر الصناعي محروم من الحياة أي من قواه المغناطيسية فهو غذاء ميت . إننا لنعلم الفائدة العظيمة لأجسامنا من تناول الأغذية المتمتعة بحركتها الحيوية ، وقد كان الناس يضحكون من أهل القرون الوسطى الذين كانوا يعتقدون في القوة الحيوية ولكنهم اضطروا اليوم لأن يرجعوا عن غيرهم ، فقد دانتنا الفزيولوجيا التجريبية على أنه من العبث إعطاء الضعفاء الحديد لتقويتهم لأن الحديد اذا لم يعط حياة لا يمثله الجسم بخلاف الحديد الطبي المشهور في النباتات فانه مقوٍ عظيم للكوات الجراء للدم

وماقلته عن السكر أقوله عن الكحول فان المشروبات الروحية خطيرة جدا ، يقول لنا الدكتور كارتون في كتابه « الثلاثة الأغذية المميتة : » إن المقادير التي تستهلك من اللحم قد بلغت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل ثلاثين سنة فلانفس انه بجانب هذه الزيادة المضافة الى زيادة مقادير الكحول والسكر نشاهد أن السل الرئوي يحتاج سنويا أكثر من ١٠٠٠٠٠٠ والسرطان أكثر من ٣٠٠٠٠٠ نسمة الضرر لم يقف عند هذا الحد المادى بل تناول العقول أيضا ، وحسبي أن أقول بأن عدد المجانين كان سنة ١٨٦٥ نحو ١٤٠٠٠ فبلغ ٧١٥٤٦ في سنة ١٩١٠ وزاد كذلك عدد المنجدين حتى بلغوا أكثر من ثمانية أضعاف ما كانوا عليه منذ بضع سنين « اتهمت النصيحة الرابعة

﴿ النصيحة الخامسة ﴾

( متى وكيف وماذا يأكل الانسان ويشرب )

( مترجمة من كتاب « الطب الطبيعي » للأستاذ بلز )

قال الاستاذ (بلز) مامعناه تحت عنوان « متى وكيف وماذا نأكل ونشرب ؟ » في كتابه « الطب

الطبيعي » مايتى :

« أريد أن أعطي نصائح فيما يخص هذه المسائل وهي : متى وكيف وماذا يأكل الانسان ؟

(١) - ﴿ متى نأكل ﴾

العادة أن الناس يأكلون ثلاث مرات في اليوم حتى تستطيع المعدة أن تستريح في خلالها ، ولكن مما يجب ملاحظته هنا أن العشاء لايجوز أن يكون كثيرا ولا متأخرا لأن الأعصاب المعدية والنخية تزيد عمل المخ فينتج منها نوم غير هادئ ، ومثل هذا النوم لا يكفي في تعويض ما فقدته الانسان . وتنتج عين هذه النتيجة أيضا ان دخلت السرير عقب اتعابك المخ بشئ من الاشتغالات العقلية كالمطالعة والتفكير والمجادلة والبحث في السياسة لأنك بذلك تسكون وجهت التيار الدموي نحو المخ ويكون النوم أقل تقوية للجسم لما يتخلله من الأحلام الكثيرة

(٢) - ﴿ كيف يجب أن يأكل الانسان ؟ ﴾

الشرط الأولى في ذلك أن تمضغ اللقمة جيدا وفي مدة أطول ما تستطيع وذلك بالنسبة لجميع الأغذية على السواء ، وهذا لسببين : أولهما لأن إجادة المضغ وإطالة أمدده هما العاملان الوحيدان في خلط اللعاب بالمواد الغذائية واللعاب ضروري للهضم بل هو العامل الأول فيه ، وثانيهما لأن عمل الأسنان يهيء عمل المعدة وبغير ذلك لا تستطيع المعدة أن تستخرج من الأغذية كيموسا كافيا ولكن لأجل أن يؤدي الانسان هذا الواجب لجسمه يجب أن يكون لديه أسنان كفاء للمضغ وهو الأمر النادر في جيلنا الحاضر ، فاذا أردت أن تحفظ أسنانك صحيحة حافظ على نظيفها وابتعد عن الأشربة وعن الأغذية الساخنة فان في ذلك ضررا عظيما على الأسنان

وعلى الخلق وعلى المعدة أيضا ، ثم يجب على الانسان أن لا يداول في الأكل أو الشرب بين ساخن وبارد لأن ذلك يضر بالطلاء البراق الموجود على الأسنان فيتلفه ويكون من وراء تلفه تأكل الأسنان وسقوطها . ولا يجوز الاكثار من الشربة أو المرق . وينبغي أن يكون الخبز جافا وغير مغموس في الماء فقد خلقت الأسنان للمضغ فيجب عليك أن تعملها فيما خلقت لأجله فقد ثبت أن الأسنان التي تؤدى وظيفتها كما يجب تقع في المرض والانحلال . ويمكنني هنا أن أقول بأن الانسان في ظروف مساعدة يمكنه أن يحفظ أسنانه سليمة حتى يموت . نعم ان الذي له أسنان ضعيفة بالوراثة لا يستطيع تقويتها وارجاعها سليمة ولا يتم ذلك في نسله إلا بعد أجيال ولكن من المؤكد أن الناس لو نجحوا في تحسين حالة أسنانهم أتى عليهم وقت بطلت فيه شكواهم من مرض الأسنان . ألا ترى أننا قلنا أن نصادف في عالم الحيوانات أفرادا منها لها أسنان مريضة

يوجد مثل قديم يقول : « كل على قدر ما تشتهي » هذا المثل صحيح ويستحق الاعتبار نظرا للاحوال الحاضرة المضادة للطبيعة التي يعيش فيها الناس . فهو صحيح من الوجهة الطبيعية لأننا لا نتصور أن الطبيعة تعطي للانسان شهية في الوقت الذي فيه معدته لا تستطيع القيام بوظيفتها ، ولكن مما يوجب الأسف أن صاحب الشهية اليوم يتناول من الأشرطة والأغذية أكثر مما يلزم لجسمه ولا يتفق مع صحته فيضرب نفسه ضرا بليغا فيجب أن ينظر الى هذا باعتباره حالة من الأحوال المضادة للطبيعة لا الموافقة لها ، ألا تنظر للطيور والحيوانات الأخرى فهل رأيت فيها ما يتبرم عقب الأكل من الإفراط فيه

رغمما عما يقوله الناس اليوم من أنه لا ينبغي لمن أكل وملا معدته أن يضطجع ، أنصح بالاضطجاع عقب الأكل مدة من (٣٠) الى (٤٥) دقيقة فان الأعضاء الأخرى متى ارتاحت انصرفت دورة الدم كلها الى المعدة فتم هضمه على مايرام ، وما يجب العناية به أن يتنفس الانسان تنفسا طويلا جلة مرات عقب كل أكل في الهواء الطلق ليخلط المقدار الكافي من أوكسوجين الهواء بالدم ليتم الهضم على أحسن حال

(٣) - ماذا ينبغي للانسان أن يشرب ويأكل ؟

يجب على الانسان أن لا يتناول إلا الأغذية السهلة الهضام الحالية من الاصول المضارّة ، وهذه الأوصاف تنطبق على جميع الفواكه والحبوب وخصوصا القمح ، فهو فضلا عن وفرة أصوله المغذية يحتوي على جزء عظيم من الفوسفور وهو العنصر الضروري لحفظ سلامة المخ ، فقد قال مولخوت : « اذا لم يكن فوسفور فلا فكر » ويجب أكل النباتات الخضراء والفواكه ، واذا كان الانسان اليوم لا يكتفي بها وحدها فقد كانت في الأزمان السالفة هي الغذاء الوحيد لكثير من الناس . واقد كثير اليوم مبدأ الإفراط في العمل وهو أمر مضاد للطبيعة . وانا لثري أن هذا الإفراط ليس ضروريا بل هو ناشئ من سوء النظام . وفي نظرنا أن نصف هذا العمل يكفي لاقامة أمر الحياة كما يجب واذ ذلك لا يحتاج الانسان أن يتناول الأغذية الثقيلة الدسمة كما هو حاله اليوم

فلقد أثبت لنا الدكتور (ناتار) و(سوكسى) بصيامهما ورياضتهما أن الانسان يكفيه قليل من الغذاء والذي نراه انه لا يجوز أن تخلو المائدة من الفواكه يوما واحدا لأنها مرطبة ولها دخل عظيم في حفظ الصحة . أما اللحم فيجب أن يعتبر في الأطعمة من توألمها لاغذاء قائما بنفسه فان له تأثيرا مهيجا ضارا بالبدن وليناخذ الانسان دليلا على ضرره وتوبيخه من اجماع الأطباء على تحريم تعاطيه للمصاب بالحمى . والأغذية التي تضر المرضى الأضحاء لا محالة وان يكن الأضحاء لا يحسون بضررها بسرعة على . أن القيمة الغذائية للحم ليست بالقدر الذي يظنه الناس عادة فان الرطل من الحنطة أو من الحبوب الأخرى أو من النباتات الخضراء الخ يزيد في القيمة الغذائية عن رطل من لحم البقر الجيد . وهنا ننبه على أن أكثر الناس يخطئون خطأ عظيما في اعتقادهم أن اللحم يزيد أجسادهم قوة ويملأهم حياة وفتوة . بل الأمر بالعكس فان الاكثار من أكل

اللحم ضارّ للدرجة القصوى . وأما النباتات فهي الغذاء الجيد الصالح لحفظ قوّة الانسان الجسدية والعقلية وتوفير سعادته البدنية ، فكما أن الطبيعة تهيد في كل فصل شبابها وتستدعي بذلك اعجابنا ، كذلك تفعل النباتات في أجسادنا فانها تهيد اليها قوتها وتملؤها حياة ونشاطا بخلاف سواها من الأشربة والأطعمة كالقهوة والشاي والبيرة واللحم والتبغ . أما التوابل فانها تهيج المعدة وتنشطها حتى قد تبلغ بها ضعف قوتها ولكنها تنتهي باضعافها فلا يهود الانسان قادرا على الهضم ، وكما أنس الانسان بالأشياء المضادة للطبيعة بعد عن الموافقة لها ولا يسترد سببرته المعقولة في موافقة الطبيعة إلا بالتعود ، قد يتبرّم الانسان من اخلاف عاداته حيناً من الزمان ولكن متى زال أثر العادة السيئة حلّ محلها أثر العادة الطيبة بما يستتبعه من راحة وصحة وهناء وعليه فاني أنصح بعدم أكل التوابل والاكتفاء بتعاطي الأشياء مجردة فان كل صنف تابله فيه . أما ما يشربه الانسان فلا ينتظر من مثلي أن ينصح بتعاطي الأشياء الضارة ولو كان في الناس من يعزّ عليه أن يقلع عن عاداته فليصر عليها حتى الممات ولكني أخاطب أولاده وأحاول أن أفنهم بما يجب عليهم أن يتعدوا عنه . أنا لا أستطيع أن آذن لأحد بتعاطي البيرة والاعرقى ولا النبيذ ولا القهوة ولا الشاي . فاذا لم تكن لتستطيع أن تقلع عنها بتاتا فقلل منها ما استطعت . أما المشروب الوحيد النافع للانسان الملائم لصحته فهو الماء الصافي العذب فاشرب منه ماشئت . والذين لا يستطيعون إساعة الماء القراح فهم مرضى ولا يزالون مرضى حتى يستطيعوا إساعته دون سواه

أنا لا أريد أن أرجع بالانسان الى دور الوحشية الأولى ولكني أريد أن يستفيد الناس من مزايا الاخشيشاب في الأكل وهي المزايا التي يتمتع بها دوننا المتوحشون . ولا أريد كذلك أن أتخذ من حال الهنود المتبربرين مثلا نحتديه في حياتنا فانهم أيضا قد أصابتهم هديوى مدنيتنا فأصبحوا عن الصراطنا كبين يظهر من حال طبيعتنا اننا لم نخلق إلا لأكل النباتات دون سواها . فاذا تأملنا في تركيب أجسادنا رأينا أنه ليس فينا ما لأكلة اللحوم من الحيوانات من القابلية لتعاطي اللحم فليس لنا أنياب الوحوش ولا مناسر الكواسراخ وقد أحكم الله كل ما وضعه فلا يصح أن نفرض انه غلط أو حاد عن جادة الابداع وعليه فلا أدل للانسان في أمور عيشه وسعادته من القانون الطبيعي فهو لا يهدينا إلا لما فيه المصلحة ولا يزعنا إلا عما في تعاطيه المضرّة . فاذا خرج الانسان عليه ولم يخضع لارشاداته عاد أمره عليه بالوبال . وذاق من جراء عصيانه أسوأ الأحوال

فاذا كان الله جلّ شأنه خالق لكل كائن استعدادا خاصا لأنواع الغذاء لا يجوز له أن يتعداه ساغ لنا أن نجزم هنا بأنه تعالى خلق الانسان نباتيا صرفا . واذا كان الأمر كذلك فلا يعقل أن انسانا يستعيد صحته وينال سعادته إلا اذا عاد للأغذية النباتية وترك ما سواها سواء أكان ذلك طفرة أم تدريجا ، ولا عجب اذا كان الانسان وهو أكرم المخلوقات وأشرفها يقتصر من غذائه على أكرم الأطعمة وأطهرها وهي الفواكه الناضجة اليانعة ، وقد دلتنا الطبيعة أيضا أن الانسان اذا اقتصر من الأغذية على ما يناسب استعداده وهو الأطعمة النباتية دون سواها عاش عمرا طويلا مهنا في نفسه مهافي في بدنه بخلاف ما لو تعاطى ما يخالف استعداده كالعرقى والبيرة والقهوة والتبغ الخ

ومما يؤسف له أن نحو من (٩٠) في المئة من الناس يعيشون في شروط معيشية تناقض الطبيعة ، وليس بعد ما قدّمناه حجة في أن هؤلاء متعزّون بهذا السلوك السيء لأفدح المصائب وأكبر الآلام الانسان يعيش اليوم مقودا لتقليد الجمهور محتملا في هذا السبيل الآلام المختلفة وصنوف الضعف والذبول فما أجدره بقراءة المؤلفات الموضوعة في الطب الطبيعي ليتشغل نفسه من وهدة هذا السقوط . نعم إن من يريد أن يتبع نصائحي يجب أن تكون له ارادة من حديد . وبما آسف له أن هذه الارادة صارت اليوم أعزّ من



## أمن أنواع الجواهر

إن الطبيعة لترينا ، وحال آدم في الجنة شاهد علينا ، بأن ليس الحيوان وحده هو الذي خصه بوجدان غذائه حاضرا أينما سار ، بل أنعم الله على الانسان أيضا بهذه المزية وكفاه مؤنة هذه المشاق التي يحملها نفسه في تحضير الغذاء ، فضلا عن أن الانسان قضى على نفسه بنفسه أن يكون غداؤه بعيد المنال كثير التكليف أوجب على جسده أيضا حاجات مصطنعة وهمية تمد جيش آلامه وتزيد في ويلاته على غير جدوى . انتهت النصيحة الخامسة

## ﴿ النصيحة السادسة ﴾

( إراحة المعدة وأعطائها زمنا كافيا للهضم )

( مترجم عن كتاب سرّ الصحة تأليف الاستاذ دو فورست )

« أولا » يجب اعطاء المعدة زمنا قليلا ترتاح فيه بين ساعات عملها فان مضى خمس أو ست ساعات من بعد انتهاء الأكلة الى ابتداء ما يابها فليس بالوقت الطويل فان الهضم المعدي يتطلب من (٤) الى (٥) ساعات في أغلب الأحوال

« ثانيا » كل الأغذية يجب أن تكون خارج المعدة قبل ساعة النوم لأن النوم يضرب الهضم ضررا بليغا « ثالثا » اذا كانت الأكلات مستوفاة وتعوطيت في الأوقات التي تكون قوى الجسم فيها على أتم ما يكون (أى في الساعة ٨ صباحا و٣ ونصف بعد الظهر مثلا) فان أكلتين في اليوم تكفيان أكثر الناس وخصوصا من كانت حياتهم جلوسية فاذا كانت الساعات التي عينها لتوافقهم فالأولى أخذ ثلاث أكلات في اليوم بشرط أن تكون الأخيرة خفيفة وتؤخذ بين الساعة (٦) و (٧) للصائين بالجمى أو بأمراض أخرى ممن يخضعون لنظام الأغذية السائلة وكذلك الأفراد الطاعنون في السن والضعاف والأطفال ممن دون السنة يستثنون من هذه القاعدة

## ﴿ الضلالات الغذائية ﴾

( عن الاستاذ دو فورست أيضا )

« أولا » الأكل بين الأكلات : اذا استسلم الانسان لهذه العادة أفسد عليه نظام معدته فان الجهاز الهضمي معد للعمل بطريقة منتظمة ولايستطيع أن يعمل في كل وقت ، مثله في ذلك كمثل كل عضلة من العضلات الجسدية فيجب أن لا يدخل شئ الى الفم بين أكلة وأكلة ولو كان تفاحة

« ثانيا » الأكل بسرعة : اجتنب هذه الضلالة بأخذ الأغذية الجامدة فان حفظ الحياة لا يكون بقدر الأغذية المزودة بل بقدر الأغذية التي يمثلها الجسم ، ولأجل الحصول على تمثيل تام يجب أن تكون الأغذية التي تؤخذ جافة تستحيل الى عجينة بواسطة الأسنان واللعب

« ثالثا » الأغذية الحارّة جدا تضعف المعدة وكذلك السوائل الحارّة جدا

« رابعا » الأغذية التي تدخل المعدة باردة تقتضى من جهة الجسم صرف قوة حيوية لا يصلها الى درجة الحرارة الجسمية قبل أن يبتدىء هضمها

« خامسا » الأغذية الدسمة (المقاوة على الخصوص) المركبة تهيج الشهوة ولكنها تصعب الهضم جدا ولا تعطى دما جيدا

«سادسا» الفلفل والخردل والقرنفل والقرفة وجميع التوابل ليست من الأغذية لأنها تهيج المعدة والمجموع العصبي وتحدث نزلات وأمراضا عصبية معدية (بكسر العين) وعلاا أخرى وتفسد الشهوة بتقوية الطعم الطبيعي للأغذية

«سابعاً» الجبن والمحفوظات في الخلل من الأغذية أى المخلات واللحم وما يستعمل نقلا من الأجسام الدسمة المركبة وخصوصا اذا أدخل اليه من بيكربونات الصودا وقشدة التاوتر (وهي تتخذ مما يرسب في براميل التبيد الخ) لا يجوز بأى وجه من الوجوه أن تدخل الى المعدة الانسانية ولا يجوز أن تكون جزءا من غذاء انسان يريد أن يستعيد صحته أو يحفظها في حالة جيدة ، والمنبهات من السوائل والمشهيات والخمر والشاي والقهوة والشكولاتا هي أكثر ضررا أيضا ، أما التبغ فلا يجوز أن يدنس جسم الانسان الذى يحب حياته وصحته . انتهى الكلام على النصائح الست والحمد لله رب العالمين

### ﴿ المقام الثانى ﴾

فيما ذكره أحد الأطباء في بعض المجلات العامية تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

### ﴿ الفيتامينات ﴾

( موارد الحياة )

تعددت أبحاث العلماء في الفيتامينات وأنواعها فنشرت الصحف والمجلات في أوروبا عنها صفحات عدة فا ثرت تلخيص أهم ما عرف عنها لقرءاء « مجلة النهضة » الغراء وفي نشرها فائدة لا تخفى على حضراتهم إذ طبقوا هذه الماومات على غذائهم

إن العلماء عرفوا الفيتامين كما يستدل من اسمها بمورد الحياة وقسموها لأقسام : (ا) و (ب) و (ج) و (د) وقد كشفوها في مواد الغذاء الطازج النقي وهو على حالته الطبيعية ، ومصدر الفيتامين في هذه الأطعمة هي أشعة الشمس التي لا حياة ولا غذاء بدونها وهذه الفيتامينات تفقد وتزول في الغذاء متى قدم بتأثير النار والتعفن الخ

إن هذا الاكتشاف يدلنا على منافع الغذاء الطبيعي بدون تحضير كالخضر النيئة والفواكه الطازجة التي لا تدخل النار واليك البيان : إن أنواع الفيتامينات لا توجد في صنف واحد من الغذاء بل هي في أنواع عديدة من الماء كل فيجب على الانسان أن يعدد أصناف ما كاه حتى يستفيد من موارد الحياة هذه لأنها ضرورية ولا يستغنى عنها ونقصانها من الجسم أوفقدانها منه تسبب أمراضا عديدة خطيرة على الحياة كما ثبت ذلك من التجارب الآتية

حبس بعض العلماء بعضا من الحيوانات في مكان مظلم ومنعوا عنها الغذاء الطازج المحتوى على الفيتامين وهي بعيدة عن نور الشمس فأصبحت هذه الحيوانات بالكساح كما أن صغارها أصيبت بوقوف النوت تماما وضعفت قوة بصرها وهزلت وهذا تماما ما يحصل للانسان ويعرف بداء (أفيتامينوس)

ولما أعادوا هذه الحيوانات الى نور الشمس وأطعموها غذاء طازجا يحتوى على الفيتامين خلاف الغذاء الأول الذى أعطى لها مدة وجودها بالظلمة استعادت قوتها وشفى صغارها من الكساح ، ثم عاد العلماء الى التجربة في الانسان فعمدوا الى ركاب البحار الذين يأكلون الأطعمة المحفوظة في العلب والتي فقدت الفيتامين فوجدوا أن هؤلاء جميعا معرضين لمرض الاسقربوط ولفساد الدم وللين العظام عند الاحداث فعالجوهم جميعا باعادة الأغذية المشبعة بالفيتامين وبأشعة الشمس الطبيعية اذا وجدت أو الصناعية (فوق البنفسجية) فشفوا تماما في مدة وجيزة ، وقد كانوا قبلا يعالجون السنين الطوال دون أقل أمل في الشفاء ، مثال ذلك الاسقربوط الذى يشفى بعصير الليمون المالح والبرتقال والخضر النيئة ولا يشفى بمالح الليمون أو شربات البرتقال أو الخضر المغلى على النار ، فثبت عاميا أن فى الماء كولات الطازجة النيئة فيتامين أو موارد حيوية لاغنى للانسان عنها فى غذائه كما ثبت أن لبعض الزيوت النيئة فائدة كبيرة فى شفاء الكساح ولين العظام عند

الأطفال فجرّبوا استعمال هذه الزيوت نفسها بعد غليها على النار أو وهي قديمة فلم تأت بفائدة مطلقا فثبت لديهم أن فيها مواد حيوية وهي الفيتامين ، ووجدوا أن الحبوب كالقمح والبقول والذرة إذا استعملت نيئة وطازجة ( كالفريك ) تعطي قوّة عضلية عظيمة كما هي الحال في آكلها من الحيوانات كقوّة الثور على جرّ الأثقال الخ ومتى طبخت أو خبزت تفقد قوتها الحيوية بنسبة اتلاف النار للفيتامين فيها ، ولقد دلت التجارب في الانسان والحيوان معا حتى استعملوا أعضاء الحيوانات السليمة لشفاء الأمراض التي تصيب مثل هذه الأعضاء في الانسان فاستعملوها نيئة وأتت بفوائد حجة ، منها استعمال خلاصة المبيض والغدد السكرية والدرقية والخصيتين والثديين الخ

وأخيرا ظهر دليل قاطع حديث وهو : عالجوا فقر الدم الشديد الذي يصيب الاحداث من الناس عند بلوغهم وعلى الأخص النبات بجميع أنواع الحماقير والعلاجات فلم يجد نفعا حتى وفق العلم الحديث الى اكتشاف خطير وبسيط جدا ، فقد عالجوا هذا الداء المسمى الكوروزا وفقر الدم الشديد بالكبد النيء الطازج المأخوذ من حيوان سليم وعلى الأخص كبد الحمل يأتي بفائدة مذهشة عدوها في العلم معجزة ، ولكن اذا عولج الكبد بالنار فلافائدة فيه لأن النار تفقد الفيتامين

وبعد كل هذه التجارب أذاع العلماء قرارهم هذا النهائي القاضى بتعديل طرق الغذاء علميا انتهى من مجلة « النهضة النسائية »

ولقد جاء تفراف في الصحف أن حكما روسيا قضى ( ٢٠ ) سنة في التجارب أثبتت له أن الانسان يمكنه أن يعيش ( ١٦٥ ) سنة اذا اقتصر على أكل النبات الذي لم يطبخ

فلما سمع صاحبي ذلك قال : إنك أثناء إلقاءك هذا الموضوع تبينت لى في وجهك آثار آراء تختلج في قلبك ؟ فقلت نعم . فقال فماذا رأيت في هذا ؟ فقلت : الفيتامين في العلم والدين كالفيتامين في الغذاء ، إن الذي جاش بخاطري في أثناء إلقاء هذا المقال هو أن الأمم الاسلامية التي ظهرت بعد القرون الثلاثة الأولى . فعلت في الدين ما فعله الناس في الطعام من التجاني عن الحقائق والتباعد عن الاصول والاستغراق في مباحث القشور وظواهر الامور اللهم إنك أنت العليم بما جناه الناس على أنفسهم في طعامهم إذ أماتوا مواد الحياة بطبخه ونبتد قشوره وما يسمونه السن في القمح ، وما يسمونه النخالة ( وبعبارة أخرى ) ان ما يستلذه الناس من ما كلفهم التي اصطلعوا عليها هو المفسدة العظمى لصحتهم ، هكذا فعلوا في الدين ، ذلك انهم لما تمبؤوا العلم والابحاث أخذوا يفعلون في الدين ما فعلوه في الطعام واللباس ، فكما أن حجب الجسم عن ضوء الشمس ولفه لفا وثيقا يحجب عنه الهواء والشمس وهكذا زج الطعام في النار كل ذلك مضعف لصحته هكذا تهافت الناس على كتب المتأخرين وتركهم نفس كتاب الله تعالى وابعادهم عقولهم عن المباحث الشريفة أضعف أهمهم وأنزلهم في الخفيض ، وما الاتكال على الكتب الموروثة التي كانت نتائج انصهار العقول الكبيرة في الأمم الاسلامية الغابرة وعدم تعرض عقولنا نحن الى نفس كتاب الله تعالى وكتاب رسوله ﷺ ومناظر المشاهد الطبيعية إلا كالاتكال على ما أوقدنا عليه النار وطبخناه من الطعام ( كالعلوم المطبوخة بنار العقول الكبيرة الاسلامية بعد القرون الأولى ) وكالاتفاء بالملابس التي حجبت أجسامنا عن نور الشمس وهي لا تغني عنه فتبلا ، فليكن عمدة المسلمين من بعد الآن كتاب الله تعالى وكتاب الطبيعة ودراسة علوم الآفاق والأنفس وهذه الطائفة هي التي تتولى قيادة الأمم الاسلامية بعدنا وهم هم الذين يفهمون كلام الله ، وكيف يفهم كلام الله إلا بدراسة فعله . القرآن كلام الله والعالم فعله فلندرسه دراسة تامة وبها نفهم كلامه وغير هذا لا يفيد فقال : لقد نطقت بحكمة وأفدت بعلم ولكن لازلت أحب أن تفيض في هذا الموضوع بعض الافاضة لتبيان الموازنة ما بين آراء المذاهب والفرق المتشاكسة وما بين الطعام المطبوخ . فقلت : لاجرم أن النار التي بها نطبخ طعامنا ما هي الأثر من آثار الشمس . ألا ترى رعاك الله أن الفحيم الحجري المذكور المشروح في أول سورة

سبأ ﴿ وهكذا الخشب وغيره كلها قد خزن فيها ضوء الشمس تصلح لاتقاد النار فيه . والشمس هي المنضجة للحبوب والنفوا كه . فاما رأى الناس ذلك قديما ظنوا أن للنار في الطعام آثارا كآثار الشمس من حيث الاصلاح فأوقدوا النار على طعامهم والنار ما هي إلا ابنة الشمس والفرع ينوب عن الأصل كما عبدوا الأصنام النابتة عندهم من السكواكب كما هو موضح في أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند آية - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم - الخ هكذا فعلوا في الديانات ، ففي كل أمة متدينة علماء لهم مذاهب مختلفة صهرتها عقولهم وأوقدوا عليها نيران ذكائهم كما أوقد الناس النار على طعامهم ، وهؤلاء العلماء انما استمدوا آراءهم من دينهم مع اضافة تفكيرهم بعقولهم كما ان الخشب والفحم استمدتا الحرارة من الشمس وقد دخلت صناعة الناس فيهما وأوقدوهما نارا بطبخ طعامهم ، وهل تريد لهذا بيانا أكثرهما في كتاب « الفرق بين الفرق » وكيف ظهر أن هناك نحو (٧٣) فرقة كل فرقة ترى الحق معها وتدعى جهل جميع المسلمين ، أولاترى مذاهب الباطنية الموضحة في ﴿ سورة الكهف ﴾ عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وهكذا مذهب البهائية في الفرس والأجدية في الهند وغيرهم ، فهؤلاء جميعا أشبه بمن يأكلون الطعام الذي أذهبت النار قوته الحيوية إذن فيرجع الناس الى كتاب ربهم والى فعله في العوالم ، وهذا هو الأمر الواجب اليوم على المسلمين جميعا في أقطار الأرض

أيها المسلمون : لاجل حياة لكم بعد الآن إلا بان يكون القائمون بأمركم من علماء وحكماء وأمرء وملوك أحوص الناس على العلوم الرياضية والطبيعية والتمكن منها ومن دراسة القرآن وأصح الأحاديث مع المحافظة على أركان الاسلام المعروفة ، فهناك حقا تتجلى لهم هذه المذاهب الاسلامية في الفروع وفي الاصول وهناك يظهر للاسلام رونق فوق ما نحن عليه الآن

وكما أن مادة الحياة ضعيفة في المطبوخ من الطعام كما قدمنا بسبب إيقاد النار عليه وان كانت النار ربيبة الشمس وابتتها ، هكذا الحياة العلمية والدينية في بلاد الاسلام تبقى خامدة جامدة مادامت قاصرة على دراسة الآراء المستنبطة في المذاهب المختلفة والفرق المتشاكسة والاقتصار على ذلك ، بل هذه المذاهب كلها يجب أن يضم اليها دراسة نفس القرآن وما صح من الحديث وجميع العلوم الطبيعية

إن المسموع اذا خلا من المنظور كان قاصرا على التقليد المحض وهو ناقص المعلومات ، هذا ولتجب أيها الذكي من أن هذا المقال كله يدخل في حق قوله تعالى - وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء - الآية وقال - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - فانظر الى الترتيب على وتيرة واحدة في الآيتين . فلمسلم يسمع القرآن والتاريخ المنتشر بين الأمم والعلوم الكثيرة . فاذا سمعها ووقف عند سماعها فهو غبي فلذلك أعقبه بذكر البصر الذي يشاهد به العلوم الطبيعية وهي تجرّه الى العلوم الرياضية ليدرس نظام الفلك وغيره . ولن يتم ذلك كله إلا بالعقل فلذلك أعقبه بذكر الأفئدة . فانظر الترتيب محكم في الآيتين . ثم انظر لأمة الاسلام الحالية والسابقة كيف ناموا على ماسمعوا وانسكلوا على الشيوخ السابقين وداءهم مسموع من المسموعات فالقرآن مسموع وكلام العلماء مسموع فلماذا لا يفكر المسلم في المحسوسات التي حوله لتوضح ماسمعه ؟ ويجمع هذا كله من وجه آخر ﴿ آيتان : الأولى ﴾ - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - ومثلها آية - ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدكر - ﴿ الآية الثانية ﴾ - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - . فالأولى لتدبر المسموع والثانية لتدبر المنظور والتدبر لا يكون إلا بالعقل

إذن المسلمون بعدنا سيتجلى الله عليهم بقراءة علوم السمع وعلوم البصر وعلوم العقل وهذه تجمع القسمين وهم هم الذين يعقلون كلام الله تعالى ويفهمونه أكثر من الأمم السابقة بعد الصدر الأول - والله



فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد شفيت صدري وشرحت به هذا البيان . فقلت الحمد لله رب العالمين

### ﴿ بهجة العلم والحكمة ﴾

( في قوله تعالى أيضا - قال فبعضك لأغوينهم أجمعين \* إلا عبادك منهم المخلصين \* قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وعمن تبعك منهم أجمعين \* قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفنين - الى آخر الآيات وتمام السورة )

هذه القصة الآدمية الإبلية جاء في أولها كبر إبليس وعظمته وتكبره على السجود لآدم وامتناعه عن التواضع كما امتنعت الآساد والنمور والسباع عن الخضوع للإنسان وتناست في البراري والقفار والأودية وتعالى بما أحس في نفسه من القوة النارية التي خلق منها ، فاستوجب اللعنة وأخذ يفوى كثيرا من بني آدم ليطيحوه في أخلاقه فيتكبرون ويفعلون المعاصي كالقتل والحرب والحسد والعداوات ، فكل هذه من آثار النيران المتأججة في القلوب التي تمت بصلة الى طبائع الشيطان ، ثم إن بني آدم زادوا معاصي أخرى على إبليس وهي المعاصي التي جاءت لهم من جبلاتهم وظهرت على أيديهم بسبب أصل خلقتهم وهي الحرص والبخل والشح والطمع والاسراف في المأكل والمشرب وما أشبه ذلك ، فهذا النوع من المعاصي سببه ناجم من أصل خلقته وهي المادة الطينية ، إذن المعاصي كلها « قسمان » قسم جاء من طريق الغواية وهي آثار القوى الغضبية مشاكلة لأخلاق الشياطين ، وقسم يرجع منشؤه الى جلبة الانسان وهي القوى الشهوية ، وهاتان القوتان مركوزتان في أنواع الحيوان ، فما كان منه من أنواع البهائم مثلا وبعض الطيور الاثني لانا كل اللحوم وانما تغتذى بالثمار والحشائش وما أشبهها ، فهذه تغلب فيها القوة الشهوية ، وما كان منه من أنواع السباع والنسور وكل حيوان كاسر فقد غلبت عليها القوة الغضبية ، والانسان جمع القوتين وزاد عليهما قوة الحكمة والعلم والعقل وكان فيه الحكماء والعلماء ، والانسان الأول سارمع الفطرة قبل أن تفسد غريزته وتقتله بطنته وتذله شهرته وتستهو به هاويته ويذوق العذاب الأليم ، وقصة آدم كررت في القرآن لتذكيرنا بما كان عليه أسلافنا القدماء من الهناء وراحة البال والسعادة الدنيوية قبل أن تنزل بنا الرزايا والبلايا والمصائب وحلول الداء وذهاب الهناء ومن سار في كرتنا الأرضية يجد لهذه القصة الآدمية بعض الآثار من بعض الوجوه ، ألم تر الى أن بعض العوائد التي لاتزال عند بعض أهل السودان ، فقد جاء في بعض المجلات التي تصدر في دار الهلال بمصر في زماننا مانصه :

### ﴿ ماذا في السودان من غرائب العادات ؟ ﴾

للسودانيين الأصليين عادات غريبة ولاسيما القاطنين منهم في أعالي النيل وماجاور خط الاستواء فانهم أقرب الى زنوج أفريقيا منهم الى أهالي الخرطوم والسالكين في شهاها الذين يشبهون في كثير من عاداتهم وأخلاقهم أبناء الوجه القبلي من المصريين ويحبون أن ينتسبوا اليهم ويكرمون النازلين منهم في ديارهم . ولكن مما يمتاز به السودانيون القاطنون في الجنوب عن اخوانهم أهل الشمال الجرأة والشجاعة الكبيرة التي يكافون بها الطبيعة والوحوش السكاسة القاطنة في بلادهم كالاسود والفهود والقردة الوحشية والنمور العادية والثعابين القاتلة ذات الحجم الهائل والشكل الخيف وهذه الشجاعة تسكاد تكون هي السلاح الوحيد الذي يستطيعون به مغالبة هذه الحيوانات الشديدة البأس حتى ينتصروا عليها ويدفعوا شرها عنهم وعن أطفالهم

على أن كثيرا منهم يخرج للصيد في الصحراء فاذا مالت فيلا أو ثعبانا عظيما أخذ يطارده حتى يتغلب عليه

و يصطاده ثم يقوده الى داره ليكون طعاما له وان عنده من زوجته وأولاده . وقد أخبرني أحد الضباط انه كان سائرا ذات مرة مع ضابط من السودانيين الأصليين وكان الليل قد نشر أجنحته والظلام ضخما على الطريق وهما في وسط غابة مزدهجة بالأشجار والادغال ، وبينما هما كذلك اذا بهما يحسان تحت أقدامهما بلحم طري فالتفت الضابط المصري الى زميله السوداني وسأله : ماهذا يا فلان ؟ فنظر الضابط السوداني الى الأرض و بعد أن تحقق منه قال له : هذا ديب ، والسودانيون يسمون الحية عندهم ديبيا ثم أمره بالابتعاد وسل سيفه وضرب الحية ضربة قوية جعلتها تنز من مكانها فزا فاتحة فيها تريد قتله والقضاء عليه ولكنه أسرع فضربها ثانية وثالثة وهوثابت في مكانه لا يتزحج حتى قضى عليها وصارت جثة هابطة . و بعد أن تحقق من موتها قطع رأسها ثم حملها معه . ولما وصل خيمته قطعها قطعا وشواها كلها وأخذ يلتهمها التهاما

ومن عادة السودانيين أن يأكلوا الفيل أيضا فيصطادونه ويجعلونه طعاما لذيذا لهم . وليس ذلك لقلة ما عندهم من الحيوانات المستأنسة كالخراف والبقر والجاموس والابل بل إن عندهم من هذه الأنواع كثيرا ولا سيما أن هناك قبائل ليس لهم من عمل غير رعاية الإبل والبقر وتربية الخراف . وقد سمعنا من بعض الذين زاروا تلك القبائل أن الخروف الواحد يمكن شراؤه هناك بتسعة قروش أو عشرة . ولبعضهم طريقة خاصة في شئ الخروف أو غيره من الحيوان فانهم بعد أن يقطعوه قطعا يدهنون تلك القطع قبل دخولها النار بالفلقل . و بعد تمام شويها يأخذون في أكلها حارة ويضيفون فوقها أثناء الطعام بعض التوابل مما يزيد في حرارتها وحرافتها . ولا تطيب لهم لذة الطعام إلا اذا كانت مضافا اليه جانب من الفلفل والتوابل ويعتقدون أن في ذلك صحة وعافية وقوة

و اذا تزوج شخص عملت له عملية « البخور » وهذه العملية خاصة بضعيف البنية . ولكن بعض الأقوياء يعملونها عند ابتداء زواجهم بل وبعده . وطريقتها أن ينام الرجل على سرير من ليف مصنوع على هيئة شبكة وهو عاري الجسم تماما ثم يوقد تحت السرير موقد تضع فيه المرأة بخورا خاصا يتصاعد دخانه حتى يشمل جسم الرجل مدة من الزمن ثم يقوم فيلبس ثيابه ويتناول بعض الأطعمة المغذية كالقراخ أو الحمام ويمكث على ذلك بضعة أيام يكتسب بعدها قوة ونشاطا

وبمناسبة الزواج نقول إن بعض القبائل يجرون الزواج عند شيخ القبيلة ويسمونه في عرفهم (سلطان القبيلة) وتجري صيغة العقد بين الزوج والدة الزوجة بواسطة سؤال السلطان عن رغبة كل منهما في المصاهرة ثم يدفع الزوج قدرا من المال الى والد الزوجة فيأخذه ويشتري به حديدا يحفظه عنده حتى اذا حصل بين الزوج والزوجة ما يوجب الانفصال دفع والد الزوجة هذا الحديد الى الزوج وأخذ ابنته

وتعدد الزوجات منتشر في قبائل السودان . ولكن لا يجد الرجل في ذلك ما ينقص عيشه بكثرة منازعات الزوجات فانهم كثيرا ما يكن على وفاق ووثام . والرجل السوداني يحب أهل زوجته حبا يقرب من العبادة وأهل هذا في الأثر هو السبب الذي ينتظم به شأنه وتزداد راحته خصوصا ان من طبائع السودانيين التعاون في الشدائد والقناعة التي تجعلهم يرضون بالكسرة اذا رأوا أن في غيرها ما يوجب النزاع . ومعظم أكلهم الذرة العويجة أو الدخن يصنعون منه (المريسة) وهي طعام محبوب عندهم . وهناك يتعففون عن سرقة بعضهم بعضا وقليل ما تقع حوادث سرقة كبيرة بل إن الرجل منهم قد يترك متاعه في الطريق ويذهب لقضاء حاجته من مكان بعيد ثم يعود فيجد حاجته كما هي لم ينقص منها شيء . وفي المواسم الشهيرة كعاشوراء ونصف شعبان يتدون طعامهم أمام منازلهم ويسهونه عشاء الميتين والغرض منه اطعام الفقراء وغيرهم بمناسبة هذه المواسم رجاء الرحمة من الله على موتاهم السابقين . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والحمد لله رب العالمين اذا عرفت هذه القصة عجت كيف كانت هناك القناعة والأخلاق الفاضلة المفقود أكثرها في الأمصار

العاصرة والمدن العظيمة في بعض بلاد الاسلام ومنها بعض بلادنا المصرية وهناك تفهم ما تستسهله من « اخوان الصفاء » في المحاورات بين الانسان وأنواع الحيوان وبه تفهم أن علماء الاسلام منذ ألف سنة كانوا قد بلغوا شأوا عظيما في العلم والحكمة وأدركوا بعض أسرار هذه القصة وأخذوا يذكرون النوع الانساني بما وقع فيه من الانهماك في الشهوات الذي كان هو السبب في ذلهم ذلا لا يختص بالحياة الأخرى في جهنم بل إن العذاب أخذ يحيط بالناس في هذه الحياة الدنيا وان كان أكثرهم لا يفهمون اليوم انهم قد عجل لهم العذاب الآن ، إذن هنا ذنوب لحقها العذاب في نفس هذه الحياة الدنيا وسيستمر الى آمامد وآمامد بعد الموت وهذا نصه :

« قال الملك : يا معشر الانس قد علمتم وسمعتهم ما قال وفهمتم ما أجب ، فهل عندكم شيء آخر ؟ فقام انسى آخر أعرابي وقال نعم أيها الملك لنا خصال ومناقب تدل على أننا أرباب وهم عبيد لنا . قال الملك هات واذكر منها شيئا . قال نعم . قال وما هي ؟ قال طيب حياتنا ولذيذ عيشتنا وطيبات مأكولاتنا من ألوان الطعام والشراب والملاذ مما لا يحصى عددها إلا الله تعالى وما هؤلاء معنا شركة فيها بل هم بمنزل عنها وذلك ان طعامنا لب الثمار ولها قشورها ونواها وحطبها ، ولنا لباب الحبوب ولها تبنا وورقها ولنا شيرجها ودبسها ولها كنسها وخشبها ولنا بعد ذلك ألوان الخبز والرغفان والأقراص والجرادق من السميد والمتاون والكعك وغيرها ولنا ألوان الطبخ من الكباج والاسفيداج والمضائر والطرانس والجواذيت وألوان الكواميخ وغيرها من الرواصين وألوان الأشربة وألوان الشوى والحلوى والحليص والقطائف واللوز بيح ، ولنا ألوان الأشربة من الخمر والنبيذ الخالص الجيد والقارص والسكنجيين والجلاب والفقاع ، وألوان الألبان من الحليب والرائب والماسن والسوغ والسمن والزبد والجبن والكشك والمصل وما يعمل منها من ألوان الطبخ والملاذ والطيبات والمشتهيات ولا يحصى كثرة ذلك إلا الله تعالى وكل ذلك هم بمنزل عنه وخشونة طعامهم وغلظها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها دليل على قلة لذتهم منها وهذه الخصال للعبيد وتلك حال أرباب النعم الأحرار الكرام ، وكل هذا دليل على أننا أرباب لهم وهم عبيد وخول لنا أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

فناطق عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزارداستان وكان قاعدا على غصن شجرة يتنم فقام وقال الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القديم الأبد ، الدائم السرمد بلا شريك ولا ولد ، بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلو الموجودات ومسبب الكائنات من الجمادات والنباتات وبارئ المسبرات مركب السموات ومولد المولودات كيف شاء وأراد

واعلم أيها الملك الكريم أن هذا الانسى افتخر بطيب مأكولاتهم ولذيذ مشروباتهم ولا يدري أن ذلك كله عقوبات لهم وأسباب للشقاوة وعذاب أليم إذ في حرامها عذاب وفي حلالها حساب وهم فيما بينهما من الخوف والرجاء . قال الملك وكيف ذلك ؟ بين لنا ؟ قال نعم وذلك انهم يجمعون ذلك ويحصلونه بكذب أبدانهم وتعب نفوسهم وجهد أرواحهم وعرق جبينهم وما يلقون في ذلك من الشقاوة والهوان مما لا يعد ولا يحصى من كد الحث والزرع واثارة الأرض وحفر الأنهار وسد الشق وعمل البريدات ونصب الدواليب وجذب الغروب والسقى والحفظ والنظافة والحصاد والحمل والجمع والدياس والتنرية والكيل والقسمه والوزن والطحن والحجن والخبز وبناء التنور ونصب القدور وجمع الحطب والشوك والسرقين ووقود النيران ومقاساة الدخان وبناء الديكدان ومما كسبه القصاب ومحاسبة البقال والجهد والعناء في اكتساب الأموال والبراهم وتعلم الصنائع والمكاسب المتعبة للأبدان والأعمال الشاقة على النفوس والمحاسبات والتجارات والنهاب والمجيء في الأسفار البعيدة في طلب الأمتعة والحوائج والجمع والادخار والاحتسار والانفاق بالتقدير مع مقاساة البخل والشح فان كان جمعها من حلال وأنفقها في وجه الله فلا بد من الحساب وان كان من غير حل وانفاقه في غير وجه

الله فالويل والحساب والعذاب اذ لا بد من القوت والثياب مثل ما لا بد من الموت والحساب ونحن بهزل من هذه كلها وذلك ان طعامنا وخذاننا هو مما يخرج لنا من الارض من أمطار سماءها من ألوان البقول الرطبة والخضرة النضرة اللينة والحشائش والعشب ومثل ألوان الحبوب اللطيفة المسكونة في غلافها وسنبليها وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال وأنواع الطهوم والروائح الذكية والاوراق الخضرة النضرة والأزهار والرياحين في الرياض تخرجها لنا الارض حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كد ولا تعب من أبداننا ولا عناء من نفوسنا ولا نصب من أرواحنا ولا يحتاج الى كد حراث ولا عناء ولا سقي متعب لأرواحنا ولا يحتاج الى بذل ولا حصاد ولا دياس ولا طحن ولا خبز ولا طبخ ولا شواء وهذه كلها علامات الكرام الأحرار وأيضا اذا أكلنا قوتنا يوما بيوم تركنا ما يفضل عننا مكانها لا يحتاج الى حفظه ولا يحتاج الى خازن ولا ناظر ولا حارس ولا احتسار الى وقت آخر بلا خوف اص ولا قاطع طريق تنام في أماكننا وأوطاننا وأوكارنا بلا باب ولا غلق ولا حصن آمنين مطمئنين مودعين مستريحين وهذه علامات الأحرار وأتم عنها بهزل وأيضا فان لكم بكل لذة ذكركم من فنون ما كولاتكم وألوان مشروبكم فنونا من العقوبات، وألوانا من العذاب مما نحن بهزل عنها من الأمراض المختلفة والاعلال المزمنة والاسقام المهلكة والحيات المحرقة من الفب والربع والثانية والثالثة والرابعة والتخيم والجشأ الحامض والهيضة والقوانج والقرس والبرسام والسرسام والطاعون والبرقان والديلان والسل والجذام وذات الجنب والبرص والسكتة والصداع والسكررة والرمل وعسر البول والجرب والجدرى والثآليل والدماميسل والخنازير والحصبة والحراجات وأصناف الاورام مما تحتاجون فيها الى أنواع عذاب المعالجات من السكى والبط والحقنة والسعوطات والحجامة والفضد وشرب الأدوية المسهلة الكريمة الرأحة ومقاساة الحية وترك الشهوات المركوزة في الجيلة وماشا كل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمة للانفس والأرواح والاجساد كل ذلك أصابكم لما عصيتم ربكم وتركتم طاعته ونسيتم وصيته فان أول الناس أول الناس - وعصى آدم ربه فغوى - ان الانسان كان ظلوما جهولا - ونحن بهزل عن هذه كلها فن أين زعمتم أنكم أرباب ونحن عبيد لولا الوقاحة والمكابرة وقلة الحياء وأتم مادتم في الحياة صحیحى البدن ففي تعب وكد لتحصيل الالتماسات والمشتريات وما دتم مرضى ففي عقوبة وحسرة و بعد الموت في العقاب والعذاب والخطاب ووقوف الحساب ونحن فارغون من هذه الجلة فن الموالى ومن العبيد منا ومنكم قال الانسى قديصيكم يامعشر الحيوان من الامراض مثل ما يصيبنا ليس هو شئ يخصنا دونكم . قال زعيم الطيور انما يصيب ذلك من يخالطكم منا من الحمام والديك والدجاج والبهائم والأنعام أو من هو أسير في أيديكم ممنوع عن التصرف برأيه في أمر مصالحه فاما من كان منا مخلى برأيه وتديره لمصالحه وسياسته ورياضته لنفسه فقل ما تعرض له الامراض والوجاع وذلك انها لا تأكل ولا تشرب الا وقت الحاجة بقدر ما ينبغي من أجل ما ينبغي من لون واحمد قدر ما يسكن ألم الجوع ثم تستريح وتنام وتروض وتمنع من الافراط في الحركة والسكون في الشمس الحارة أو في الظلال الباردة أو السكون في البلدان الغير الموافقة لطباعها أو أكل الماء كولات غير المألوفة لمزاجها فاما الذي يخالطكم من الكلاب والسنابير ومن هو أسير في أيديكم من البهائم والأنعام فهي ممنوعة من التصرف برأيها في مصالحها في أوقات ما تدعوها طباعها المركوزة في جبلتها وتطم وتسقى في غير وقته أو غير ما تشتهي أو من شدة الجوع والعطش تأكل أكثر من مقدار الحاجة ولا تترك أن تروض نفسها كما يجب بل تستخدم وتتعب أبدانها فتعرض لها بعض الامراض من نحو ما يمرض لكم وهكذا حكم أمراض أطفالكم وأوجاعهم وذلك ان الحوامل من نسائكم وجواربكم المرضعات يأكلن ويشربن بشرههن وحرصهن أكثر ما ينبغي من ألوان الطعام والشراب التي ذكرت وافتخرت بها فتتولد في أبدانهم من ذلك اخلاط غليظة متضادة للطباع فيؤثر ذلك في أبدان الاجنة التي في بطونهم وفي أبدان أطفالهم من ذلك اللبن الرديء ويصير سببا للأمراض والاعلال والوجاع من الفالج والقوة والزمانة واضطراب



البنية وتشويه الخلق وسماجة الصورة وما ذكرت من اختلاف الاوجاع والامراض مما أتم صرتمهنون بهامعرضون لها وما يعقبها من موت الفجأة وشدة النزع وما يعرض لكم من ذلك من الغم والحزن والنوح والبكاء والصراخ والمصائب وكل ذلك عقوبة لكم وعذاب لأنفسكم من سوء أعمالكم وراثة اختياراتكم ونحن بمهزل من هذه كلها وشئ آخر ذهب عليكم أيها الانسى تأمله وانظر فيه قال ماهو قال ان أطيب ماتا كلون والأدماشربون وأنفع ماتتداوون به هو العسل وهو لعاب النحل وليس منكم بل من الحشرات فبأي شئ تفتخرون علينا وأما الملبوسات الجيدة التي لكم أيضا فهي من لعاب أضعف حيوان وأما أكل اب الثمار واب الحبوب فنحن مشاركون لكم فيها عند ادراكها رطبة ويابسة فبأي شئ تفتخرون به علينا وقد كان آباؤنا مشاركين فيها لآبائكم بالسوية أيضا أيام كانوا في ذلك البستان الذي بالمشرق على رأس ذلك الجبل كانا يا كلان من تلك الثمار والحب بلا كد ولا تعب ولا عناء ولا عداوة بينهم ولا حسد ولا استتار ولا جنى ولا ادخار ولا حرص ولا بخل ولا خوف ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا رصية ربهما واغترا بقول عدوهما وعصياربهما واخرجا من هنالك عريانين مطرودين ورميا من رأس ذلك الجبل الى أسفله فوقها في بركة قفر لاماء فيها ولاشجر ولا كنف فيها جاثمين عريانين يبكيان على ما فاتهما من النعم التي كانا فيها هناك ثم ان رحمة الله نذرتهم فتاب عليهما وأرسل اليهما من هناك ملكا يعلمهما الحرث والزرع والحصاد والدياس والطحن والخبز واتخاذ اللباس من حبشيش الأرض والقطن والكتان والقصب وبناء وتعب وجهد وشقاء لا يحصى عددها الا الله مما قد ذكرنا طرفا منها قبل فلما تولدت وكثرت أولادهما وانتشروا في الأرض برًا وبحرا وسهلا وجبلا وضيقوا على سكان الأرض من أصناف هذه الحيوانات أما كنفها وغلبوها على أوطانها وأخذوا منها ما أخذوا وأسرروا منها ما أسروا وهرب منها ما هرب وطلبوها أشد الطلب وبقيتم وطفيتم عليها حتى بلغ الأمر الى هذه الغاية التي أتم عليها الآن من الاقتحار والمناظرة والمنازعة والمخاصمة وأما الذي ذكرت بأن لكم مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور وما ليس لنا من الأعراس والولائم والرقص والحكايات والمضحكات والتعجيبات والتهنئات والمدح والثناء والحلى والتهيجان والاسورة والخلاخيل وماشا كنفها مما نحن بمهزل عنها فان لكم أيضا بكل خصلة منها ضروبا من العقوبات وفتونا من المصائب وعذابا ألما مما نحن بمهزل عنها فن ذلك ان لكم بازاء الأعراس الماتم وبدل التهنئة التعزية وبدل الاكلان والثناء النوح والصراخ وبدل الضحك البكاء وبدل الفرح والسرور الغم والحزن وبدل المجالس والايوانات العالية القبور المظلمة والتوايت الضيقة المظلمة وبدل الحصون الواسعة الجوس والمطامير الضيقة المظلمة وبدل الرقص الدسندان والسياط والعذاب والضرب والعقاب وبدل الحلى والتهيجان والخلاخيل والاسورة القيود والاغلال والسوامير والمقاطير والنكال وماشا كل ذلك وبدل المدح والثناء الهجو والشتم وسوء الثناء وبدل كل حسنة سيئة وبدل كل لذة ألم وبدل كل نعمة بؤس وبدل كل فرح غم وهم وحزن ومصيبة مما نحن بمهزل عنه وهذه كلها من علامات الاشقيا وان لنا بدلا من مجالسكم وصحوناتكم وايواناتكم ومناداتكم هذا الفضاء الفسيح وهذا الجو الواسع والرياض الخضرة على شطوط الانهار وسواحل البحار والطيران على رؤس انبساتين والاشجار والتعلق على رؤس الجبال نسرح وزرع حيث نشأ من بلاد الله الواسعة ونأكل من رزق الله الحلال من غير تعب وكد وألوان الحبوب والثمار نجدها من غير أذية أحد ونشرب من مياه الغدران والانهار بلا مانع ولا دافع ولا محتاج الى حبل دلا الى دلو ولا الى كوز ولا قربة مما أتم مبتلون بها من عملها واصلاحها وبيعها وشراؤها وجمع أثمانها بكد ونصب وتعب ومشقة من الابدان وعناء النفوس وغموم القلوب وهموم الأرواح وكل ذلك من علامات العبيد الاشقياء فن أين ثبت لكم انكم أرياب ونحن شبيد لكم انتهى من اخوان الصفا

## ﴿ تذكرة ﴾

عما يناسب هذا المقام أن أذكر ما اتفق لي في أوّل شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ م عند طبع هذه السورة ذلك أني أصابني زكام وامسك وسعال في آن واحد ، وقد قرأت في الكتب الطبية القديمة أن الزكام ينفعه أن يترك الانسان الطعام والشراب يوما وليس له ويصب الماء الحار الذي يطيقه على رأسه ويسرع بلفها في كساء حالا ، فتركت الطعام والشراب يوما وليلة ولكني سمعت قبيل القيام من النوم قائلا يقول : « ليكن ذلك ٣٩ ساعة » فأخرت الطعام والشراب كما سمعت ، ثم شربت ماء دافئا مع عصير الليمون ، ثم تعاطيت الطعام وأخذت أستعجم بالماء المسخن كل يوم ثم أتبعه بالماء البارد فذهبت الأمراض الثلاثة متتابعة ولم يظهر لها أثر ولا أعراض ، وقد كنت لأجل السعال أشرب كل يوم فنجالا واحدا مملوا بالزيت الحار الدفي صباحا قبل الأكل ، فلا حمد الله على صحة هذه التجربة ، وهأنذا أعيش على الخضير والفاكهة مدة سنتين قد أحسست فيهما بصحة جيدة والحمد لله رب العالمين

## ﴿ حكاية عصرية تناسب هذا المقام ﴾

جاء في مجلة « الدنيا المصورة » مانصه

## ﴿ رجل وامرأة في جزيرة مقفرة ﴾

من أبناء برلين ان الدكتور بول ريتز كان يمتنى نفسه مثل الكثيرين من أرباب الخيال الواسع بأن يطرح مظاهر المدنية ويتجرد من أسبابها ويعيش عيشة الفطرة الاولى في مكان قفر لم تطأه أقدام بني الانسان . واسكن ما لبث أن حقق هذه الأمنية وراح يعيش في جزيرة مقفرة وهي جزيرة شارلز داروين احدي جزر أرخبيل جالاباجوس على بعد سبعمائة كيلومتر من سواحل اكوادور في أميركا الجنوبية ولم يهبط حبه معه في منفاه الاختياري الا امرأة واحدة من صديقاته . وصرت الأيام بآدم وحواء الجديدين وهما بهيدان عن العالم لا يعرفان عنه شيئا ولا يعرف العالم عنهما خبرا حتى « اكتشفهما » المستر اوجين ماكدونالد رئيس احدي البعثات الاميركية في جزائر المحيط الباسفيكي . وكان الدكتور ريتز ورفيقته الفراهلدا كروين قد غادرا هامبورج في شهر يونيو الماضي ووصلا الى ميناء جواياكيل في جمهورية اكوادور في اكتوبر الماضي ومن هناك اشترى زورقا شراعيا وأقلعا فيه الى تلك الجزيرة النائية حتى وصلها فعاشا فيها كما كان يعيش آدم وحواء في جنة الفردوس . وقد نفذوا مشروعاتهما بدقة . وكان الدكتور ريتز قد عود نفسه على الحياة البسيطة من قبل . فكان في أيامه السابقة عند اقامته في برلين يعيش في منزله عاريا مجردا من ثيابه واذا خرج من منزله خرج في ثوب خشن مكون من قطع من القماش أوصلها بنفسه في بعضها البعض . وراض نفسه على أن يعيش على الفاكهة وغلال القمح والخضروات . وكانت زوجته لا تستطيع هذه الحياة فلم يستطع أن يقنعها بأن تترك نعيم المدنية وأطايها بل هجرته وراحت تعيش في فيلا منعزلة في بادن حيث أقامت مع أهل زوجها . وإذذاك اتصل الدكتور ريتز بامرأة أخرى وهي الفراهلدا كروين وكانت تشكو من اضطرابات عصبية وقدمت الى الدكتور ليعالجها فتعارف بها وشفاهها من مرضها بأن جعلها تعيش عيشة الطبيعة والفطرة الاولى . وكانت هذه السيدة متزوجة وسعيدة في زواجها . ولكن الدكتور مالبت أن فتنها بآرائه ومذهبه واستولى على لبها بحديثه الخلاب وأغراها على أن تطالع كتب نيتشه الفيلسوف الالماني ولقنها تعليمات البوذية ومالبت أن أصبحت صريده مشغولة بمحبته تطيعه طاعة عمياء . ولما أخبر زوجته بأنه راحل عن أوروبا وعن العالم المتمدين في صحة

امرأة أخرى لم تعارضه في ذلك بل طلبت له التوفيق في رحلته . وكان قد قرأ في بعض قصص الاسفار شيئا عن جزيرة شارلز داروين فقرر أن يعيش فيها وقضى بضعة أسابيع فيها يجمع الجهازات والادوات العلمية التي تلزمه في رحلته حتى صرف كل ما يمكنه في شراء هذه الاشياء واقتراض مبلغا من المال على حساب الميراث الذي بناله بعد وفاة أبيه . ولم يكن يخشى الاشيئا واحدا وهو مرض الاسنان ولذلك اقتلع كل أسنانه ووضع بدلها طقما صناعيا . وسافر الاثنان بعد أن أخبرا أصدقاءهما أنهما سيغيثان عرايا مثل آدم وحواء في هذه الجزيرة التي ستصبح لهما جنة عدن . ثم اختلفت أخبارهما الى أن اكتشفتهما أخيرا رئيس البهثة الاميركية عائشين في سعادة وغبطة وهناك . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

اللهم إني أحمدك جدا كثيرا على نعمة العلم والحكمة ، وعلى انك علمتنا ما لم نكن نعلم وشرحت صدورنا الى تطبيق آي القرآن على الحوادث الانسانية والحيوانية ، وكررت قصة آدم وابلis في سور كثيرة لتذكركنا بما انتاب هذا الانسان من الضعف والوهن والأصراض بسبب مجاوزته لفطرته التي فطرته أنت عليها . فيعجبا : كيف نرى هذا الانسان يفرح ويفتخر بما هو مهلك له ، وكيف أصبحت لذته منوطة بذلته . اللهم إن هذه اطال لها بعض الشبه بشمال المسيح الدجال الذي من دخل جنته فهو في النار ومن دخل ناره فهو في الجنة ، الناس جميعا مغرمون بكل مالد وطاب ، وهم جميعهم إلا قليلا منهم يرون ذلك هو عين السعادة مع انهم يرون بأعينهم العقاب العاجل لكل بطنة ولكل شهوة . اللهم إن هذه الحياة كلها على سنن واحد لا اختلال فيه . الناس جميعا مستلدون بما العذاب نتيجه ، فاذا استلذ الشرهون بكثرة الماء كل فالعذاب واقع ماله من دافع في هذه الحياة ، واذا كثرت الاسراف في الملابس وحفلات الزواج أعقبه الخراب العاجل أو الآجل ، واذا جاءت الأمم المستعمرة وقالت للناس : « هانحن أولاء جئنا لتفريقكم ونسعدكم » كانت نتيجة ذلك إكثار الجهل واذاعة الفسوق والعصيان وشرب الخمر ، لافرق في ذلك بين أهل الهند ومصر وغيرهما من البلدان . ألم تر الى ما حدث في زماننا أيام كتابة هذا الموضوع من أن المتطوعين المتبعين لغندي زعيمهم يقفون على أبواب الحانات ومعهم زوجة ذلك الزعيم لمنع الشاربين من الشرب وعلى أبواب حوانيت البزازين ليمنعوا الناس من شراء الملابس الأجنبية ، فيرى هؤلاء المتطوعون الجند أمامهم شاكي السلاح ليمنعوهم ويأخذوهم الى السجن . إذن المستعمرون يظهرون لهم انهم نافعون لهم ولتكنهم يريدون لهم الشر والعذاب فما دخل المستعمرة قرية إلا عجمها سائر المعاصي والمعاصي محبوبة للنفس ، إذن هي في ظاهرها جنة وفي باطنها نار ، فالمسيح الدجال وان لم يظهر لنا بهيئته فقد ظهرت لنا آثاره بل آثاره ملازمات لهذا الانسان ، فالانغماس في اللذات سواء أكانت ما كل أو مشارب أو ملابس أو وعودا برساق بالرقى من الأمم المستعمرة ، كل ذلك نتيجه الهلاك والسمار والعذاب

اللهم أنت جبتنا في هذه الأرض لنقص نفوسنا ، وأنزلت في القرآن قصة آدم وابلis لتذكركنا بفطرتنا وهانحن أولاء نطق أنفسنا اننا أرقى من المتوحشين في نظرنا مع انهم هم على الفطرة ونحن عاصون بهوائنا وأحوالنا وجهلنا . اللهم ألهم المسلمين أن يفكروا في نظام أرقى من هذا النظام الحالي فيكون الناس ألفة واحدة نظيفة من الغش والحداع والبطنة والسرقة وما أشبه ذلك فتحسن العقول والمدنيات ويقل المرض والطلب والتضاي والقضاة - إنك سميع عليم - انتهى صباح يوم الأحد ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٠

## ﴿ نور النبوة في هذا الزمان ﴾

( في الفيتامين والطيارات )

وفي قوله تعالى أيضا - قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين -

جاء في الحديث الشريف : « مثل المؤمن في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أخرجه الشيخان . وقال صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم » أخرجه مسلم وأبوداود والترمذي ، وهذا الحديث والذي قبله من كتاب « تيسير الوصول » المتقدم ذكره وجاء في الجزء الثالث من ذلك الكتاب مانصه : « أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله » أخرجه الترمذي وصححه . وإنما ذكرت هذه الأحاديث في هذا المقام ليتفكر فيها المسلم

أيها المسلمون : إن انتشار الطيارات في الأمم يوجب على المسلمين تعلمها والارتقاء فيها حتى ينتظم البريد الجوي بين مساهمي مصر وبلاد شمال إفريقيا ومسامي الهند والصين والهرب وهذا آت قريباً ، ومتى تواصلوا ظهرت عجائب النبوة . ألا ترى أنهم في الأزمان المتأخرة لم يكن هناك ذلك التواد بينهم ولا ذلك التألم . ألم تر أن المسيحيين لما هجموا على بلاد الاسلام أيام الحروب الصليبية كانوا متحدين ، أما المسلمون فإن الذين جاهدوا وصبروا هم أهل الشام ومصر ومن حوطم من بلاد الاسلام ، أما المسلمون في شمال إفريقيا فانهم أبوا أن يعينوا اخوانهم ، ألم تر أن المسيحيين في اسبانيا اجتاحتها بلاد الأندلس ولم يحرك المسلمون الآخرون ساكنها ! أين الاسلام إذ ذلك ؟ أفلم تستر أن هذا الزمان أي زمان الطيارات التي ستعم بلاد الاسلام هو المراد بالحديث الشريف وأن المراد بالمؤمنين هم السكاملون ، أما المؤمنون الذين ليس عندهم هذا الشعور فهم ناقصون . ولا جرم أن المسلمين في المستقبل أولئك الذين يعرف بعضهم أخبار بعض ويهينهم على ذلك الطيارات بالرحلات والجولات في الأقطار وأنواع البرق والتلغراف ذي السلك والذي لاسلك له ، فهؤلاء هم المرادون بهذا الحديث إذ يتأثر المسلم في الصين بما يصيب أخاه في السودان عند سماع أخباره ، وهذه الطيارات كما تكون هي وغيرها سبب معرفة الأخبار الاسلامية في الأقطار النائية تكون أيضاً سبباً لتبادل المنافع بين الأمم الاسلامية خاصة والأمم كلها عامة ويصبح أهل الأرض كأنهم كأنهم أمة واحدة ويعمرون الأرض ويستخرجون كنوزها ويكون الناس إذن أشبه بالطير من وجوه ﴿ أولاً ﴾ أن كل طير يأخذ رزقه الخاص به مما نتج من الأرض بغير طبخ ولا خبز لا كما يفعل الانسان ﴿ ثانياً ﴾ ان الانسان صار يطير كما يطير الطير ﴿ ثالثاً ﴾ اذا استخرجت منافع الأرض سهل على كل امرئ أن يأخذ منها رزقه فهو ليس في حاجة الى مد يده لغيره ، فكثرة المعاونة جعلت الرزق موفراً للجميع ، وأوليس هذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتروح بطاناً »

ولا جرم أن هذا هو الذي يظهر من أسرار الفيتامين ، فالطيور تقتم بالحلب الذي لا ضرر فيه والانسان بكثرة الصناعة فيه قتل مادة الحياة فابتلى بالأمراض فاحتاج زيدي الى عمرو فشرعت الصدقات ، فأما هذه الحال العالية للأمم الاسلامية فهي التي أشار لها حديث الصدقة إذ قال صلى الله عليه وسلم كما في الجزء الثاني من كتاب « تيسير الوصول » لجامع الاصول « في الفصل الثاني في الحث على الصدقة إذ قال صلى الله عليه وسلم « تصدقوا فيوشك الرجل أن يمسي بصدقة فيقول الذي يعطاها لوجئنا بها بالأمس قبلتها أما الآن فلا حاجة لي فيها فلا يجد من يقبلها منه » أخرجه الشيخان والنسائي

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه

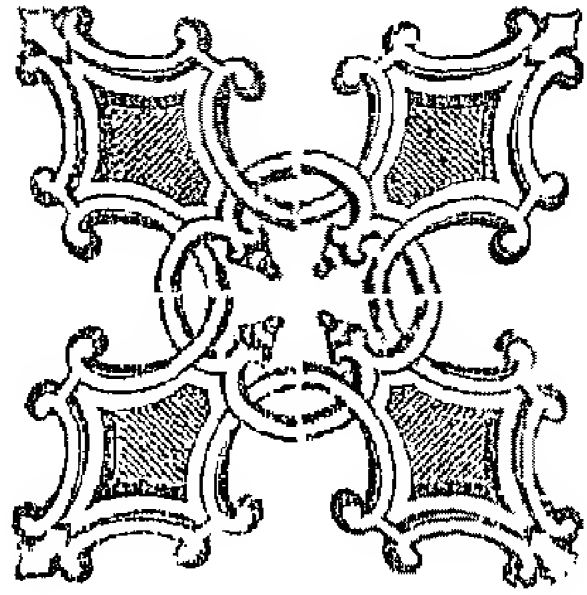


بالصدقة من الذهب فلا يجرد أحدا يأخذها منه» أخرجه الشيخان  
في آيات شعري . أيتها الأمم الإسلامية : لم نزلت هذه الأحاديث ؟ إنما نزلت لنشير في المسامحة الحية حية  
الاسلام فنجعل هذه الحوادث نصب أعيننا ونسهي ونجهد لبابغ هذه المنزلة الرفيعة . نحن المسلمين قد تفرقتنا  
في بقاع الأرض ، فنحن في كل قطر من أقطارها . فنحن في أمريكا وآسيا وأفريقيا وأوروبا وأستراليا .  
فلنهمم الطيارات بيننا مصداقا لحديث التواد والتراحم . ولنعم أرض الله مع الأمم حتى نعم البركات والسلام  
ومتى عم ذلك لم يكن للصدقة معنى وهناك يظهر سر التوكل وتصح الأجسام بالمحافظة على الفيتامين . وبالجملة  
فأمام أم الاسلام ما يأتي :

- (١) تعميم الطيران كالطير والبرق السلكي والذي لاسلك له
- (٢) وهذا يترتب عليه أن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد من حيث سرعة وصول الأخبار في الجسد  
بالأعصاب وفي الأمم الإسلامية بطرق المواصلات
- (٣) فاذا عمروا أرض الله مع الأمم بذلك السبب كثر الرزق فأخذ كل امرئ قوته من غير ادّخار كالطير
- (٤) هنالك ترد الصدقة ولا تقبل
- (٥) ولما كان الطير لا يمس الطعام بنازكا الفيتامين فيه موفرا فهكذا ستكون الأمم المستقبلية . أيتها  
الأم الإسلامية : هذا هو الذي فهمته في حديث التوكل ومن حديث الصدقة
- (٦) اذا فهمنا هذا عرفنا سرّ حديث الترمذي المتقدم الذي شبهت الأمة فيه بالمطر لا يدري آخره خير  
أم أوله ، فهناك تفهم سرّ هذا الحديث لأن الأمم الإسلامية التي ستظهر بعد انتشار هذا التفسير  
وأمثاله ستعرف نعم الله وتفهم هذه الدنيا ، ومتى اتصفوا بالصفات الخمس المتقدمة كانوا خير أمة  
أخرجت للناس . فهم يكونون كالصدر الأول من الصحابة والتابعين الذين ملؤوا الأرض نورا وعاما  
وهؤلاء سيكونون رسل السلام بين الأمم . فهناك ست محجزات نبوية أقيمت عليها الأمم الإسلامية  
وهذا التفسير جعل مقدمة هذه الحال الشريفة
- (٧) وهناك معجزة سابعة وهي ان المسلمين متى شاركوا الأمم في بحث الفيتامين وصاروا موقنين بسبب  
البحث العلمي أن الماء كل الذي تؤكل على فطرتها كما يأكلها الطير أصح من التي دخلتها الصنعة  
وأكثر تقوية لأجسامهم وإطالة لأعمارهم فانهم حينئذ تحصل عندهم القناعة فلا يحتاجون الى  
التغالي في طهي الطعام الموجب الادّخار . واذن يتركون أخذ الصدقة لاسما اذا صارت الكرة  
الأرضية كلها على وتيرة واحدة في استخراج الخيرات وكان لكل امرئ عمله الخاص به كالطير
- (٨) ولست في حاجة أن أذكرك أيها الذكي بما تقدم كثيرا في هذا التفسير من أن هذه الحال هي  
التي ستأتي في قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وهي الحال العيسوية التي فيها تكون الأمم  
كلها في حال سلام كما قاله المفسرون
- (٩) فهذا هو التوكل الذي أشارت له النبوة . وهذه هي الإنسانية الصادقة في هذه الأرض .  
ولما كان الصحابة رضوا الله عنهم قد أمروا أن ينشروا الدين وكانت الأمم الأرضية إذ ذاك غير  
صالحة للسلام العام أنزل الله آيات الجهاد وأباح الغنائم للمجاهدين . ولاجزم أن الغنائم قد أعانتهم  
على اصلاح الأمم على مقدار الطاقة في زمانهم ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا  
الشهوات وجعلوا تلك الغنائم موقوفة على الشهوات فانحطت تلك الأمم وظهر سرّ حديث « إن  
أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ » وتراه في تفسير ﴿ سورة الأنفال ﴾  
وغيرها . إذن للأمم الإسلامية التي جعلت الغنائم مقصدها والشهوات رائدها وأخذوا يتقاتلون

بالسيوف بعد العصور الثلاثة الأولى على الامارة والملك ليسوا متوكلين على الله حق توكاه وستكون  
 الأمم التي تفهم ما ذكرنا هنا من بعدنا خيرا منهم وأحسن أملا وأشرف مقاما وأعلى كهبا في  
 الاسلام ومن يهش يره

(١٠) إن الأمم التي ستصنف بهذه الأوصاف التسعة تكون سببا فيما يشبه حنث إبليس في حلقه في هذه  
 الآية إذ يقول - قال فبجزتك لأغوينهم أجمعين - إذ يكثرفيها عدد المستثنى ويقل عدد المستثنى  
 منه . إن الجهالة المحيطة بكرتنا الأرضية كلها (أ) يعبر عنها باغواء إبليس - الشيطان يهدكم  
 الفقر ويأسركم بالفحشاء - وعدته الناس بالفقر تحملهم على الحرص والطمع والجمع والادخار والحسد  
 وهذا يفتح باب العداوات والشرور والحروب (ب) ويعبر عنها بتزيين الشيطان - وزين لهم  
 الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل - (ج) وبالازلال - فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما  
 مما كانا فيه - وههنا خرج الناس في مطالعهم ومشاربهم وملابسهم عن السنن الطيبى فانتابتهم  
 الأمراض والفقر والحيوانات قد برئت من هذه الأوصاف . أما هؤلاء فانهم أرغموا أن يعيشوا  
 عيشة كاهضتك وضيق بسبب العادات الموروثة في طعامهم الذي يتأقنون فيه ومساكنهم وملابسهم  
 وعاداتهم وهم جميعا يريدون أن يخرجوا من نار هذه الأحوال وماهم بخارجين منها وهم عذاب  
 النذل المقيم بها في الحياة وبتأججها بعد الموت ولكنهم سيخرجون فرحين بعد انتشار هذا التفسير  
 وأمثاله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى تفسير سورة ص والحمد لله رب العالمين



## تفسير سورة الزمر ( هي مكية )

( إلا قوله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - الى قوله تعالى - من قبل أن يأتكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون - فدية )

( آياتها ٧٥ - نزلت بعد سبأ )

( هذه السورة ثلاثة أقسام )

« القسم الأول » في تفسير البسملة

« القسم الثاني » من أول السورة الى قوله - نقوم يؤمنون - وفيه التوحيد والاستدلال بمجائب السموات وخلق الأنعام والانسان والنبات والينابيع الأرضية ونزول المطر واختلاف الزروع وعجائبها وهكذا « القسم الثالث » من قوله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الى آخر السورة . فيه هيئة النفخ والحساب ووصف الفريقين : أهل الجنة . وأهل النار وما أشبه ذلك

### « القسم الأول في تفسير البسملة »

بالرحمة قامت السموات والأرض وانتظم العالم وبهر الوجود ، فهي كضوء الشمس ، وكما أن ضوء الشمس يأخذ منه كل حيوان ونبات ما يليق له ويواتى طبعه ويوافق هيكله وهو من الرحمة العائمة أيضا ، هكذا جميع الرجحات تنال المخاوقات منها على حسب استعدادها ، وكما أن علماء الطب في زماننا كما تقدم صرارا في هذا التفسير ، يقولون انهم قدموا للفيران طعام الارز وأبقوها في الظلمات أياما فضعفت أجسامها وأخذت تقرب من الموت سراعا ، ولما قدموا النفس الفيران البرتقال فأسكتته وهي في الظلام لا تقابل ضوء الشمس قويت واتعشت وصارت ترتع وتلهب . فاستخرجوا من ذلك أن الأرز لم يأخذ من ضوء الشمس إلا قليلا . فأما البرتقال فإنه أخذ منها كثيرا واستخرجوا هذه القاعدة الغذائية فقالوا : « إن الارز أكله غير صحي . أما كل البرتقال فهو مقو جدا » والأول لم يستفد من ضوء الشمس إلا قليلا والثاني استفاد كثيرا . ففيه خزن الله قوة حيوية عظيمة منه تنقل الى الانسان . وقد قالوا إن ذلك في الارز المقشور . أما الذي بقشره الملاصق للحب فهو مفيد كما يفيد القمح اذا لم ينخل وأكل بحاله . وعلى هذه القاعدة كانت جميع قشور الفواكه التي يمكن أكلها مع الفاكهة نافعة صحية للانسان

كل ذلك لاستفادتها من ضوء الشمس . إذن مادة الحياة جعلها الله في ضوء الشمس وضوء الشمس يخزن في الأغذية وعلى قدر ماخزن فيه من ضوءها تكون نتائجه في حياتنا ولذلك يقولون : « إن الأجسام المكشوفة للشمس المعرضة لضوئها أصح وأقوى من المغطاة المحجوبة عن الشمس لأن سر الحياة يتمسه الجسم من ذلك الضوء . ولأرب أن استمداد القوة من نفس الضوء مباشرة بمسام الجلد أبلغ قوة وأنفذ وأتم من أخذها من الطعام

أقول : كما ان علماء الطب قالوا ذلك ووضع في غير هذا المكان وهذا في رحمة خاصة . فهكذا نقول في الرحمة العائمة فهي تتفاوت مقاديرها بتفاوت القوابل لها من المخاوقات

فالعجب (أهملك الله الرشيد وأنعم عليك بنعمة العلم وهداك الصراط المستقيم) من طفل لا يشعر إلا بما حواه جلده من عواطف ومطالب ويرى أن جميع من حوله له مستخرون . فلا يرى في أمه إلا أن ترضعه

ولاقى أبيه إلا أن يداعبه ويلاعبه ولا في اخوته وأخواته إلا أن يضاحكوه . فهو لا يهتم بغير شؤون نفسه .  
 فاذا ترعرع وكبر وصارت له زوجة وولد اتسعت رحماته ، فبعد أن كانت لا تمتدئى حيط دائرة جسمه أخذت  
 تسع أسرته وبنيه ، وقد يسبغ النعمة على الأهل والجيران بل البلدة بل الأمة إن كان ملكا بل الأمم كلها  
 إن كان عالما عام النفع . إذن كما أننا رأينا البرتقال امتص من الشمس ( الفيتامين ) قوّة الحياة أكثر من  
 حب الأرز وكانت تتأججهما على مقدار ما استفدنا منهما ، هكذا استمدت نفس الصبي واستمدت نفس الرجل  
 من الرحمة العامّة ( التي أحاطت بظواهر العوالم وبواطنها كما أحاط النور بظواهرها ) رحمة خاصة فكانت عند  
 الصبي لا تعدو دائرة جسمه وعند الرجل أعظم فتسع الدائرة شيئا فشيئا حتى ربما بلغت المشرقين وماهى إلا استمداد  
 من تلك الرحمة العامّة كاستمداد الغذاء مادّة الحياة سواء بسواء

وكما إن من الناس من يعيشون ويموتون ولا يعقلون من الحياة إلا ما يعقله الصبي في مثالنا ولا يهتمون  
 إلا بدائرة أجسامهم ، فحكوماتهم وممالكهم وتعليههم . كل ذلك يدور على محور واحد وهو المنفعة الخاصة ولا  
 يباليون بالمنفعة العامّة وإنما تأتي عفوا من حيث لا يقصدون ، هكذا في نوع الانسان قوم آخرون هم في الذروة  
 العليا ، علموا من العلم ما حرك همهم الى المنافع العامّة ، فنفسهم أشبه بالشموس وعلمهم وأعمالهم أشبه  
 بأضوائها وتتأججهم أشبه بنتائج ضوء الشمس ، وهؤلاء هم عماد أهل هذه الأرض ، انظر في الشرق والغرب  
 لا تجد إلا هذه القاعدة ، نعم إن الأمم اليوم أقرب الى المادّة ولكن لم يرفع رأس الانسان إلا أناس وجدوا  
 في أنفسهم ميلا الى العلم والكشف فهاموا به هياما وانقطعوا له انقطاعا وحبسوا نفوسهم وصبروا على البلاء  
 إيقانا بما هم قائلون به ، ومنهم من قتل ، ومنهم من سجن . ذلك كله في العصور المتأخرة وذلك في الامور  
 الجزئية من كشف أمر طبيعى أو كيمائى أو فلسفى . وفوق هؤلاء وهؤلاء الحكماء المحققون . وفوقهم جميعا  
 الأنبياء والمرسلون

فالرحمة عندهم بلغت منتهاها وانتهت الى الذروة فصاروا هم الشموس المشرقة على الناس أجمعين . لا يريدون  
 بالتعليم والتبليغ جزاء من القوم الذين أرسلوا اليهم ولا شكورا . كلا . ولقد ضرب الله لهم مثلا فيما نشاهده  
 في منازلنا . فأننا نرى الأم ترضع ولدها وإذا سئلت عن ذلك قالت لا أريد إلا حياته ولا مطلب لى وراء ذلك  
 فهذا منها إخلاص وهذا الاخلاص جعل فيها غريزة لا تقدر على دفعها . هكذا الأنبياء ويلهم المصلحون من  
 المؤمنين . فتش في نفسك أيها التكىّ فان رأيت نفسك فيها هذا المعنى فاعلم انها قد اقتبست هذه الرحمة من  
 الرحمة العامّة واعلم انك نافذ الكلمة وان رأيت نقصانا فسيكون نفعك وآثارك على مقصد ما وصلت اليه  
 من الاخلاص

إذا فهمت هذا فافهم بعض سرّ البسملة في أول سورة الزمر . انها مسبوقة بذكر الاخلاص وما أشبهه  
 من تين في ﴿ سورة ص ﴾

(١) - إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار يدوانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار -

(٢) - إلا عبادك منهم المخلصين -

(٣) وقد ذكر بعدها في سورة الزمر - فاعبد الله مخلصا له الدين -

(٤) - ألا لله الدين الخالص -

(٥) - قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين -

(٦) - قل الله أعبد مخلصا له ديني -

ومن هذه الست انه أمر أن يعبد مخلصا الدين لله . وأن يعلن انه أمر بذلك وأن يعلن نفس هذه العبادة  
 مع الاخلاص . فهذه الثلاثة من الست المتقدمة



إذا علمت هذا فما أسهل أن تفهم الآية المذكورة قبيل هذه البسملة في آخر ﴿سورة ص﴾ - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين - وإذا كنا نرى المرأة لا تتكاف في إرضاع طفلها ونعرف الفرق بين إخلاصها في إرضاعه وبين تكافها في إرضاع زوجها الذي تكرهه مثلاً ، فهكذا نحن نعرف الفرق بين الأنبياء في إخلاصهم في تعليمهم الأمم وبين أولئك الذين يعيشون في جاودهم ويجهلون الناس كأنهم خلقوا لغايتهم . المخلصون لا يبتغون أجراً على عملهم . فنفس العمل مسرتهم ولذتهم وسعادتهم وإن كانوا في السجن أوفى النفي كما ترضى المرأة بالسجن والنفي ولا ترضى بالامتناع عن إرضاع ولدها ، فهذا مثل تقر بي لآية - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين -

هذه الآية نزلت لتعتبر نحن بها ، فليداوم المرء على الطاعة والبحث والجد في العلم حتى يحس في نفسه بهذه العاطفة والحب العام ، وإن يكون في القلب الحب العام إلا بمعاودة النظر في هذه العوالم كرة بعد أخرى فهناك تترى عاطفة الحب ، فالحب لا يكون إلا بعد العلم ولا إخلاص إلا مع الحب ، فليكن تعليم المساكين هكذا

(١) إعداد العقل للفكر

(٢) إعداد العواطف للحب

(٣) إعداد اليدين للعمل

إذا علمت ذلك فانظر في آيات هذه السورة تجدتها قد أحاطت بما يعملها المخلصون من المساكين ﴿أولاً﴾ لهم لوحان يقرؤنهما وهما لوح السموات ولوح الأرضين وتكوير ليلهما ونهارهما وهذا في آية - خلق السموات والأرض بالحق - الى - ألا هو العزيز الغفار -

فإذا يقرؤن فيهما ؟ يجردون في هذين اللوحين محو واثباتاً ، ضوء ومحو الظلام ثم ظلام يعقب الضوء إذن هنا لوحان فيهما محو واثبات كألواح الصبيان في المكاتب ويرون فوق الأرض هذا العمل نفسه فيحب الإنسان مالا وولداً وفتاة جميلة فيجد المال فنى والنسبية يهترىها المرض أو الموت والمعشوقة نحل جسمها أوساء سلوكها أو كبرت سننها ويديس جلودها ، أو يجرد نفسه أصيب بأمراض منعت هذه اللذات كلها مع وجودها إذن لا فرق بين الظلمات والأنوار وبين الصور المتتاليات فيما نجسه هلى الأرض ، فلاجيل إلا قبح ولا شاب إلا كبر ولا صحيح إلا مرض ولا غنى إلا افتقر ولا حى إلا مات ولا حبيب إلا أعرض ، وكل غدر الأحاب وأساء الأبناء وأدبر المقبولون وآذى المحسنون

هنالك يقولون : إن هذه الألواح قد استفادت هذه الصور الجميلة من عوالم وراءها كما استمدت البرتقال قوة الحياة الأرضية من ضوء الشمس فيما تقدم وكما استمدت نفوسنا رجحاتها من رجة عاقمة . فلننظر إذن ولننقس ما لم نعلم بما نعلم . نحن علمنا أن ضوء الشمس فيه قوة الحياة وعلى مقدار إمداده للغذاء تكون قوتنا إذن الغذاء لم تكن فيه هذه القوة من نفسه بل من ضوء الشمس . إذن هذه القوة لم تكن كامنة فيه بل هى اكتسبتها من الشمس . إذن فلتكن هكذا نفسى . فإذا كانت طبيعة الأرض عجزت عن أن تعطى البرتقال مثلاً وبقية الثمار الفيتامين واحتاجت تلك الثمار الى عالم فوق أرضنا وهى الشمس فاستمدت منها قوتها هكذا نفوسنا المخلوقات فى أجسامنا لم تكن فيها الرجة من نفس المادة الأرضية هذه التى عجزت أن تمد الفاكهة بالفيتامين بل رجحتها استمدت من رجة تعم ظواهر المادة وبواطنها ونسبتها الى نفوسنا كنسبة ضوء الشمس الى أغذيتنا وفواكهنا . فإذا احتاجت مادة الأرض الى ضياء الشمس لتمتد البرتقال بمادة الحياة فلتكون رجة الأم لولدها مستمدة من رجة عاقمة عجزت عنها المادة الأرضية وذلك من باب أولى لأن عواطف الأرواح أرقى وأعز من قوى الأغذية

وإذا صح هذا القياس وإن كان اقناعياً فليصح القياس الآتى وهو أن هذين اللوحين الأرضى والسماوى

وما صور بينهما من مخلوقات نرى طين جلالا بديها في الأنوار وفي الصور الجيلة والوجوه الحسنة والأزهار والزروع  
ففرح ببعضها ونعشقها ونهيم بها غراما ، ثم نرى ذلك كله أصبح كأمس الدابر فيقولون إذن لا لا إن هذه العوالم  
وراءها من يرسمها وينقشها ويرقشها ويجنررها ويحسن صورها ويملؤها بالروعة والجمال ليهطينا دروس  
الجمال ويلهنا المواطنين ريهامنا الحب ، ثم لا يبقى جيلا أماننا بل هو يهدم الأرض والسموات وما فيهما .  
إذن لماذا هذا ؟ ليقول لنا : « أتم عرفتم أن مادة الفيتامين في الغذاء لم تكن من المادة بل من ضوء  
الشمس وعرفتم أن الرحة فيكم لم تكن من عندكم بالبرهان فما أسهل أن تعلموا أن المادة لم ترسم هذه  
الرسوم والأشكال ولم تبدع هذا الجمال ، إذن الجمال عندي أنا فليكن حبكم لي حبا راجعا الى جمال فوق  
مارأيتم ، لقد رأيت آثار الرحة وأغرمتهم بآثار الجمال والنقوش والعلوم والأزهار والصور الحسان . هذه كلها  
آثار الجمال لانفس الجمال ، فارتقوا في الأسباب وافرحوا بما سترون من جمالي ، هنالك ترون جمالا لاحد  
له وتحبون حبا لانهاية له « ربّ الدار أحبّ الى الزائر من نفس الدار » وهذه العوالم المنقوشة المرصوفة  
المجنردة المزوقة المرقشة البهجة المحكمة الصنع رسل أرسلت اليكم لتفريكم بأن تروا من نقشها وصورها  
فأحسن صورها ، فاذا سمعتم قولي - الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون - فاعلموا أنني  
أنا الذي أصبتكم بهذه المصائب لأنني أربأ بكم أن تعيشوا في هذه العوالم التي ليس لها عندي منزلة أكثر  
من منزلة الألواح للصبيان فأنا أرسلتكم الى الأرض لتدروسوها وأرسلت عليكم النكبات لتتركوها ، وبعد أن  
أر يتكم الجمال حرمتم منه وحرمتمكم من كل ما تحبون لأن وظيفة المادة تعليمكم ولا بد من نقلكم الى عالم  
آخر يكون أجدر بنفوسكم وأحقّ بها وفوق كل جيل أجل منه - وفوق كل ذي علم عليم -

ليس على الأرض محبوب إلا لخصلة من خصال خمس : أن يكون جيلا أو عليما أو شجاعا أو محسنا أو بينه  
وبين المحبّ له سرّ مجهول غير ظاهر ، ولا جرم أن الجمال والعلم والشجاعة الخ لابقاء لها في الأرض فمن  
أين أقبلت والى أين ذهبت ؟ ان كل هذه إلا آثارا أنا خلقها والى ترجع . فكل الجمال والعلم والقدرة والحكمة  
منى ظهرت والى ترجع لتوجهوا حبكم الى منبع الجمال والعلم والحكمة والقوة - وان الى ربك المنتهى -  
« من ذا الذي يرى عنايتنا التامة بالحشرات فأعطينا النملة (٤٠٠) عين كل واحدة مستقلة عن أختها  
وهكذا الذبابة أربعة آلاف عين وأهل مناهن كل ما يحتجن اليه في الحياة ! من ذا الذي يرى هذا ولا يزداد  
لنا حبا وبقدرتنا وعلمنا إعجابا ويتمنى لقاءنا » والى هنا تم الكلام على اللوحين : لوح الأرض ، ولوح  
السماء في آية خلق السموات والأرض ﴿ ثانيا ﴾ هذه الطائفة درسان : درس خلق الحيوان والانسان .  
ودرس خلق النبات وازال الماء في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - وههنا  
ذكر الأنعام وعجائب الخلق والاحكام والرحمة الخ وفي قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الى قوله  
- إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب - فههنا أظهر المحاسن الباطنة والأنوار الروحانية في ابداع الخلق الذي  
لا يعرف إلا بالعلم والحكمة وما تقدم أكثره في الجمال الظاهر ﴿ ثالثا ﴾ هذه الطائفة ليلها قيام وصلاة وفكر  
وعلم حبا لله وشوقا اليه - أمن هوقانت آناء الليل ساجدا وقائما - الخ ﴿ رابعا ﴾ هم صابرون وهم مسرات  
في الدنيا كما لهم في الآخرة - قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا - الخ ﴿ خامسا ﴾ من  
أخلاقهم التعقل والحكمة فلا يقبلون قولا إلا بعد نقده واستخلاص الحقيقة منه - الذين يستمعون القول -  
الآية ﴿ سادسا ﴾ هم خلفاء الله قوامون على عباده يبشرونهم بالرحمة ويخوفونهم بالنقمة - قل يا عبادى  
الذين أسرفوا - الى قوله - ثم لاتصرون - ﴿ سابعاً ﴾ هذه الطائفة تنال الرضا والعلم وانشرح الصدر  
واهدى وأن الله يكفيهم وذلك في آية - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ وآية - وان تشكروا يرضه  
لكم - وآية - أفن شرح الله صدره للإسلام - الخ وآية - الله نزل أحسن الحديث - الى قوله - ذلك

هدى الله يهدى به من يشاء - وآية - أليس الله بكاف عبده - الخ ﴿ثامنا﴾ يكون جزاؤهم أن يكونوا في غرف من فوقها غرف مبنية الخ وأن تشرق لهم الأرض بنور ربهم ، وأن تسلم عليهم الملائكة وتحييهم وهناك يرون ما هو أعلى وأجل وهو نهاية النهايات إذ يرون الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فتكون لذتهم أعلى اللذات ويقولون الحمد لله رب العالمين ، وهذه اللذة العقلية تقدمتها اللذة الحسية في الغرف التي فوقها غرف مبنية ، وهل هذه اللذة إلا بالعلوم والمعارف ، وهل التسبيح والتحميد اللفظيان إلا مقدمتان للتسبيح والتحميد العقليين ، وما ذلك إلا ادراك نظام هذه العوالم ، ولن تكون هذه اللذة في الآخرة إلا بعقدمات في الدنيا بل من لم يدرك بعضها في الحياة فكيف يستكملها بعد الموت . إن الذكر اللفظي يراد به أن يكون وسيلة للتعقل . ألم تركب يقول الله تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - الخ فالذكر اللفظي مقدمة للتفكير والتفكير هو المقصود ومقصوده هو جمال النظام العام ، والعامية يكفون بالحمد والتسبيح اللفظيين و ينتظرون الثواب في الآخرة بالجنة ، وهذه المرتبة هي التي يدخل فيها أكثر الناس فتكون العبادة لها مقابل وهو ثواب الآخرة وهؤلاء يقل حظهم العقلي ، أما أولئك المفكرون العارفون الواقفون على الحقائق فينالون فوق الجنة الحسية سعادة اللقاء والنظر لوجه ربهم ومقدمات هذا دراسة هذه الدنيا ، واعلم أن ما في هذا التفسير أو أكثره من العجائب كاف لايجاد هذه الطبقة الشريفة ، فهم هم الذين يسعدون في نفس هذه الحياة بجمال العلم ويكون مبدأ الجزاء حاصل في الدنيا وهو الابتهاج بنفس هذه الحقائق ويكونون نورا للأمم وهم خلفاء الله في أرضه عليهم يعول الناس في دنياهم وفي طريق آخرتهم والانسانية المستقبلية مدارها على أمثال هذه الطائفة

وإذا شئت زيادة البيان فاقرا ما تقدم عن « اخوان الصفاء » في جزاء المحسنين إذ جعل ثواب المحسنين في هذه الحياة الدنيا انهم يفرحون بالوقوف على الحقائق في عجائب المعادن والنبات والحيوان والسماء والأرض وهكذا نقلت جملة عن الامام الغزالي هناك في نحو هذا وهكذا تنظر ماجاء في ﴿سورة السجدة﴾ من الكلام على جسم الانسان وموازيته بالعوالم وما جاء في ﴿سورة فاطر﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - من أن معرفة العجائب هي نهاية اللذات لهذا النوع الانساني ، وما هذه العجائب إلا آثار الرحمة المذكورة في البسملة في أول السورة ، وتلك الآثار بمعرفتها يكون الحب والحمد المذكور في آخرها . فالرحمة أولا والعلم والحب والحمد آخرها وهذا من عجائب القرآن

ألمت بهذا أيها الذكي تفهم سر النبوة إذ روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لقيت ليلة أسرى بي ابراهيم عليه السلام فقال لي : يا محمد أقرئ مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ولا جرم أن العلوم والمعارف المنطوية في التسبيح والتحميد هي أعلى الجنة وهذا من عجائب النبوة . إذا عرفت هذا فاسمع ماجاء في كتاب « تيسير الوصول لجامع الاصول » تحت العنوان الآتي مانصه :

﴿ فصل في الاستغفار والتسبيح والتهايل والتكبير والتحميد والحلقة ﴾

عن ابن عمير بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « خصلتان أو خلتان لا يحصيها رجل إلا دخل الجنة وهما يسرومن يعمل بهما قليل : يسبح الله دبر كل صلاة عشرا ، ويحمده عشرا ، ويكبره عشرا فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده . قال : فتلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان وإذا أخذت مضجعتك تسبحه وتكبره وتحمده مائة مرة فذلك مائة باللسان وألف في الميزان فأياكم يعمل في اليوم والميلة ألفين وخمسمائة سيئة قالوا كيف لا يحصيها يا رسول الله ؟ قال يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلته فيقول : اذ كر كذا وكذا حتى ينفثل فعله أن لا يفعل ويأتيه في مضجعه فلا يزال ينومه حتى ينام »

## أخرجه أصحاب السنن

وعن ابن أبي أوفى رضى الله عنهما قال : « جاء رجل فقال يا رسول الله لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعلمنى ما يجزئنى ؟ قال : قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال يا رسول الله هذا لله فماذا لى ؟ قال : قل اللهم ارحمنى وعافنى واهدنى وارزقنى . فقال : هكذا بيديه فقبضهما فقال صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد ملأ يديه من الخير » أخرجه أبو داود بنحوه والنسائي الى قوله « ولا قوة إلا بالله » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه . فقلت له فى ذلك ؟ فقال أخبرنى ربي انى سارى علامة فى أمتى فاذا رأيتها أكرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه ففقد رأيتها - اذا جاء نصر الله والفتح - السورة » أخرجه الشيخان

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس » أخرجه مسلم والترمذى  
وعن بسيرة مولاة لأبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكانت من المهاجرات الاول . قالت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالتسبيح والتهليل والتقديس والتكبير واعقدن بالأنامل فانهن مسؤولات مستنطقات ولا تغفلن فتنسبن الرحمة » أخرجه أبو داود والترمذى واللفظ له  
وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصررت من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة » أخرجه أبو داود والترمذى

وعن أغر مذبنة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم مائة مرة » أخرجه مسلم وأبو داود ، وفى رواية لمسلم « توبوا الى ربكم فوالله إنى لأتوب الى ربي تبارك وتعالى فى اليوم مائة مرة » والبخارى والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة » قوله (ليغان) أى يغطى ويغشى والمراد به السهو

وعن أسماء بن الحكم الفزارى قال سمعت علياً رضى الله عنه يقول : « كنت اذا سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعتنى الله تعالى بما شاء أن ينفعنى منه ، واذا حدثنى رجل عنه استحلقتة فاذا حلف لى صدقته ، وانه حدثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصدق أبو بكر . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله تعالى إلا غفر له ثم قرأ - والذين اذا فعلوا فاحشة أوظفوا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - الآية » أخرجه أبو داود والترمذى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ، ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياها وان كانت مثل زبد البحر » أخرجه الثلاثة والترمذى

وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » وفى رواية عوض الثالثة « وبنى له بيتا فى الجنة » أخرجه الترمذى



وعن جويرة زوج النبي ﷺ رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : ما زلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم ، قال : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث صرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتن سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » أخرجه الترمذى ، وقوله زنة عرشه أى بوزن عرشه فى عظم قدره ، ومداد كلماته أى مثلها وعددها ، وقيل المداد مصدر كالماء  
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم » أخرجه الشيخان والترمذى  
وعنه أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » قال مكحول : فن قالها ثم قال « لا منجى من الله إلا إليه » كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناها الفقر . أخرجه الترمذى . وبهذا تم الكلام على القسم الأول فى تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

### ﴿ القسم الثانى ﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ \* إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ \* أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ \* إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدَىٰ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ \* لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرَىٰ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ \* خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِلِ الْمُشْرِكِينَ \* إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّبُضْلِ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ \* أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ \* قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّ كُمْ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا  
 حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ \* قُلْ إِنِّي أُهْرِتُ أَنْ أَعْبُدَ  
 اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ \* وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ \* قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ  
 عَظِيمٍ \* قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي \* فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا  
 أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ \* لَهُمْ مَنْ فَوْقَهُمْ ظُلُمٌ مِنَ النَّارِ وَمَنْ  
 تَحْتَهُمْ ظُلُمٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ \* وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا  
 وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
 هَدَاهُمُ اللَّهُ وَاللَّيْكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ \* أَفَنْ حَقِّ عَلَيْهِ سَكِيمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ \*  
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ  
 لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ  
 زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ بِهِ قَرْنًا مُمْضِرًا ثُمَّ يُجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ \*  
 أَفَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ  
 فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ  
 رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ  
 فَآلَهُ مِنْ هَادٍ \* أَفَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ دُوقُوا مَا كُنتُمْ  
 تَكْسِبُونَ \* كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ \* فَاذْقَهُمْ آَلَةَ الْحَزْنِ  
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ \* وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ  
 كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ \* ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا  
 رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَابِهُونَ \* وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
 لَا يَعْلَمُونَ \* إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ \* فَهَنْ  
 أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثُومٍ لِلْكَافِرِينَ \* وَالَّذِي جَاءَ  
 بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ \* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ \*  
 لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ \* أَلَيْسَ اللَّهُ  
 بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَآلَهُ مِنْ هَادٍ \* وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَآلَهُ مِنْ  
 مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ \* وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قُلْ

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ \* قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ \* مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ \* إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ بِوَكِيلٍ \* اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يُعْقِلُونَ \* قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ \* وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّلَهُم مِّنَ اللَّهِ مَالَهُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ \* وَبَدَّلَهُم سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَوْلٍ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ \* أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \*

### \* التفسير اللفظي \*

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تنزيل الكتاب) وهو القرآن كائن (من الله العزيز الحكيم) أي لامن غيره (إنا أنزلنا إليك الكتاب) ملتبسا (بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) من الشرك والزياء (ألا لله الدين الخالص) أي هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة (والذين اتخذوا من دونه) أي من دون الله (أولياء) أي الأصنام قالوا (مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أي قرابة فانهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والأرض فيقولون الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الأوثان فكانوا يجيبون بما تقدم (إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) من أمر الدين (إن الله لا يهدي) أي يرشد لدينه (من هو كاذب) فيقول ان الأصنام تشفع (كفار) باتخاذ الآلهة (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) اختار (مما يخلق ما يشاء) يعني الملائكة ثم نزّه نفسه فقال (سبحانه هو الله الواحد القهار) في ملكه الذي لا شريك له فيه ، فقهره مطلق

في الخلوقات فكيف يجوز عليه أن يقهره غيره فيموت فيحتاج الى الولد . كلا . فقهره عام في العالم العلوي والسفلي ، أما في العالم العلوي فهو قوله (خلق السموات والأرض بالحق يكفور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتسكوير اللف واللي . يقال كوار العمامة على رأسه وكورها ، ولا جرم أن كل واحد من الليل والنهار في تتابعهما أشبه بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض . ألا ترى الى الأرض وقد دارت حول نفسها وهي مكورة فأخذ النهار الناشئ من مقابلتها للشمس يسير من الشرق الى الغرب ياف حوها طاويا الليل ، والليل من الجهة الأخرى يلتف حوها طاويا النهار ، فالأرض كالرأس والظلام والضياء يتتابعان تتابع أكوار العمامة ويلتفان متتابعين حوها ، وهذا التعبير من أعجب ما يعلم به أن القرآن يرشدنا الى كروية الأرض أولا ويرمز الى دورانها حول نفسها ثانيا ، ذلك لأن الليل والنهار ليسا من خواص الشمس فلا ليل ولا نهار هناك وإنما هما في الأرض فتسكوير الأرض ظاهر الآية ودورانها أتى تابعا بالرمز والاشارة وقوله (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أي الى منتهى دوره أو منقطع حركته (ألهو العزيز) الغالب على كل شئ ومنه الشمس والقمر (الغفار) حيث لم يعاجل بالعقوبة . وأما العالم السفلي فقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) أي خلق الله نفس آدم وجعل منها حواء وجعل منهما ساكنات الناس ولم يخلقهم بلاعباية بل أنزل الماء من السماء وأنبت الزرع والشجر وخلق الابل والبقر والغنم والمهز من كل نوع منها زوجين اثنين ذكرا وأتى فتكون كلها ثمانية أزواج وتلك الأزواج الثمانية تتغذى بالنبات والشجر النابتة بالماء النازل من السماء فكأنها كلها نزلت من السماء . وقيل ان هذه الأزواج الثمانية نزلت من السماء وهذا يوافق قول بعض علماء العصر الحاضر على سبيل الحدس والتخمين أن أصول الخلوقات نزلت من عالم آخر غير الأرضي والأصغر في هذا غير معلوم فنكاه الى الله تعالى . فالعقول البشرية لا تطيق هذه الحقائق العالية وهذا قوله تعالى ( وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) ثم أخذ يصف عجائب خلق الانسان والأنعام في الأرحام ويظهر العجائب في ابداعها فقال (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة وهكذا الى تمام الخلق (في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة (ذلكم) الذي هذه أعماله (الله ربكم) هو المستحق لعبادتكم (فأني تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره على أن الله لم يكاف الناس بالعبادة إلا لرقى نفوسهم فأما هو ففنى عن عبادتهم وهذا قوله (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) لأنه خلق النفوس الانسانية والعالم كله لارتقائه ونشوته فلذلك قال - ولا يرضى لعباده الكفر - الذي هو مانع من ارتقاء النفوس وان كان بارادته لمانع قام بنفس حقائق تلك النفوس تعلقت الارادة به على ما هو عليه (وان تشكروا يرضه لكم) لأنه على مقتضى سننه القويم العادل وصراطه المستقيم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا يؤخذ أحد بذنب الآخر (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) بالحاسبة والمجازاة (إنه عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم (واذا مس الانسان ضرر دعا ربه منيبا اليه) راجعا اليه بالدعاء لا يدعوا غيره (ثم اذا خوله) أي أعطاه (نعمة منه) من الله (نسى ما كان يدعوا اليه) أي نسى الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه (من قبل وجهه لله أندادا) وهي الأصنام (ليضل عن سبيله) أي ليرد عن دين الله تعالى (قل) لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) في الدنيا الى انقضاء أجلك (انك من أصحاب النار) وهي عامة في الكفار (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) أي بل أمن هو مطيع كمن هو عاص ، وقوله - آناء - أي ساعاته ، وقوله - ساجدا وقائما - حالان من ضمير قانتا ، وقوله (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) حالان أيضا ، والقنوت القيام على الطاعة كقراءة القرآن وطول القيام ، وبالجملة كل من قام بهمل يجب عليه (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) بعد أن ذكر الله تفضيل المطيع على العاصي وذلك في القوة العملية أخذ يوازن بينهما من حيث القوة العلمية فنفي المساواة بين العالم وغير العالم ولم يبين نوع



العلم اشارة الى أن وجه الموازنة بين الناس ليس مختصا بعلم واحد بل جميع العلوم ، ولا جرم أن العلوم ثلاثة أقسام علوم لا تتوقف على عمل كالعلم بالله وملائكته الخ وكالعلوم الحسكية وعلوم يستتبعها عمل كعلم النطق وعلم قوامه العمل بجميع الصناعات ، وهذه الأقسام الثلاثة كلها فيها علم ولوقل . فالنجار والخائط والناسج كل هؤلاء صناع والعمل في صناعتهم أكثر من العلم بل لانسبة بين علومهم وأعمالهم والمهندس وعالم الفلك علمهم أغلب من أعمالهم . فكل طائفة من هؤلاء أفضل من الجاهل من حيث ما عرف . وعليه تكون الأمم العاملة بهذه العلوم أفضل من الجاهلة بها . فالفضل تابع للعلم . وعلى مقدار معارف الانسان يكون فضله . ولا جرم أن المسلمين اليوم اكتفوا بالفضة تداولت على ألسنتهم وهي أنهم مؤمنون . ومتى قال الانسان آمنت وأسامت فانه اذا ترك نفسه مهملا عاطلا حق له الفضل وهذا خطأ فاضح فان الله فاضل بين النفوس بالعلوم . فالنفس العاملة بما هو من طباعها وما تقدر عليه بحسب استعدادها أفضل من النفس الأخرى التي قدرت على علم وتركته جهالة بقدرها واتكالا على صفة الايمان . فمن كان أهلا لعلم الهندسة أو النطق وتركه ندالة وجهالة وكسلا وكان هناك آخر مستعد بطبعه وبحاله المنزلية الى حرفة الحدادة أو البرادة فقام الثاني وأتقن حرفته وقام بها خير قيام فان هذا الثاني أفضل من الأول لأنه قام بما يقدر عليه ولو كان أقل فضلا عما يقدر عليه الآخر الذي لم يقم بما هو في امكانه تحصيله كما ان الانسان اذا ترك التعقل والتفكير ودخل في عدد العجاوات بذلك الاهمال صار ادنى منها منزلة لأنها قامت بما في طاقتها وهو قصر ولناك قال تعالى - أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون - أي عما أودع فيهم . وعلى هذا التفسير يكون المسلمون اليوم قد تركوا مواهبهم وعطووها وأناموها وهذا نزول من المقصرين منهم عن بعض خصائص الانسانية لأن الحيوان لا قدرة له على الصناعات ولا العلوم وقد سهل الله له الرزق ولم يجشمه المشاق فوق طاقته . أما الانسان فانه جعل رزقه غير ميسور كرزق الحيوان وبسط له المواهب ليستعملها فاذا قصر فيها فقد تنزل الى الحيوانية . وقد اعتاد المسلم أن يقصر ذلك على الايمان وحده ولكن هذه الآية تهتم وتدعو الى درس سائر العلوم والصناعات بحيث يخص كل فيما خلق له - لا يكاف الله نفسا إلا وسعها - فليقم كل فرد من الأمة بما يواتى بطبعه . فخرام على رجال الحل والعقد في مصر والشام وجزيرة العرب وبلاد الترك والروس والفرس و بلاد المغرب أن يبقوا مكتوفي الأيدي بل عليهم أن يعمموا التعليم ثم ليختاروا على حسب درجات الامتحان لكل علم ولكل حرفة من هم أهل لها ويراعى في ذلك القوة البدنية والاستعداد والأحوال العارضة . وحينئذ يتخرج في كل قطر من أقطار الاسلام طوائف للعلوم والصناعات جميعها ويتم النظام كما تم النظام في تزاوج الذكور والاناث إذ جاء العدد متساويا في الزوجين تقرىبا في كل زمان ومكان . هكذا خلقت الغرائز - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - . إن الغرائز خلقت في الناس على قدر الحاجة فقل الأذكياء للحكمة مثلا وكثير أصحاب الأعمال الجسمية ليتم نظام المدن (إنما يتدكر أولوا الأبواب) فيقومون بأمر العلم ويرقون نفوسهم ونفوس غيرهم وسيأتي في اللطائف مزيد لهذا (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) بلزوم طاعته (الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أي للذين أحسنوا حسنة في الدنيا كالصحة والعافية ، جعل الله الحسنه في مقابلة الاحسان ، فاذا سار على طريق علم الصحة فذلك احسان ، واذا استقام وترك الذنوب واذا فعل البر والمعروف واذا قام بالطاعات ، كل ذلك احسان ، ونتيجة هذا الاحسان من الانسان الحسنات في الدنيا من العافية والصحة وحب الناس وفي الآخرة الجنة (وأرض الله واسعة) فمن تعسر عليه الاستقامة في بلد فليرحل الى غيرها ، فليهاجر الانسان من البلد التي فيها معصية الى بلد لا معصية فيها (إنما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعات واحتمال البلاء ومهاجرة الأوطان (أجرهم بغير حساب) أجرا لا يمتدى اليه حساب الحساب . وعن علي رضي الله عنه : « كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فانه يحى لهم حثيا » و يروى « ان أهل العافية في الدنيا يتمنون لو أن أجسادهم تقرض بالمقار يض لما يذهب

به أهل البلاء من الفضل ، وقوله (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي أمرت بإخلاص الدين (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقتهم في الدنيا والآخرة . فقد أمر أولا بالإخلاص في الدين وثانيا بأن يكون سابقا ليقتدى به غيره (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) لما دعاه قومه إلى اتباع ملة آباءه وأجداده أمر أن يقول ذلك وليكون ذلك إخافة لأمتيه إذا حادوا عن الصراط لأى داع (قل الله أعبد مخلصا له ديني) أي لا أعبد سواه وهذا الحصر لا يستفاد من قوله - قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين - وأيضا ذكر هذا ليعتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا تهديد وخذلان لهم (قل إن الخاسرين) الكاملين في الخسران (الذين خسروا أنفسهم) بالاضلال (وأهلهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار (الأذلك هو الخسران المبين) مبالغة في خسرتهم (لهم من فوقهم ظلل من النار) شرح لخسرتهم (ومن تحتهم ظلل) أي لهم أطباق وسرادقات من فوقهم وفراش ومهاد من تحتهم وهي من جهة أخرى ظلل لمن هم تحتهم في النار فهي ظلل بالنسبة لمن تحتهم فراش ومهاد بالنسبة لهم (ذلك) العذاب (يخوف الله به عباده) ليحذروا ما يوقعهم فيه (ياعباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي (والذين اجتنبوا الطاغوت) الأوثان (أن يعبدوها) بدل اشتغال (وأنا بوا إلى الله) ورجعوا إلى عبادته بالكلية وتركوا ما سواه (لهم البشرى) في الدنيا بالثناء عليهم بصالح الأعمال . وعند نزول القبر . وعند الخروج من القبر . وعند الوقوف للحساب . وعند جواز الصراط . وعند دخول الجنة . وفي الجنة . ففي هذه المواطن السبعة يبشرون بالسعادة والرضوان ويسعدون سعادة بالروح والريحان (فبشر عبادي) وهم الذين اجتنبوا الطاغوت وأنا بوا يريد أن يكونوا مع الاجتناب والانبابة على هذه الصفة وهي أنهم (يستمعون القول) في الدين وغيره (فيتبعون أحسنه) بحيث يكونون نقادين فيميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فيقدمون الواجب على المندوب في الدين والمندوب على المباح . وإذا جنى عليهم وقدروا على العفو فقدّموه على القصاص . وإذا رأوا طريقين في أمور الحياة قدّموا ما هو أنفع للأمة كاستعمال الآلات الحديثة في الزراعة والصناعة كاستعمال الطائرات في النقل في الحرب والغواصات البحرية وكاختراق باطن الأرض لاستخراج المعادن وهكذا من كل ما به يرتقى نوع الانسان . فهو لاء يبشرهم النبي ﷺ بأمر ربه أن يسودوا في الدنيا وتثنى عليهم الأمم والأجيال المقبلة . وإذا ماتوا بشرتهم الملائكة في المواقف كلها فتصل البشارة لهم في سائر المواطن (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) أي المنتفعون بعقولهم ، فانظر في هذا التعبير وكيف يقول إن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه هم الذين هداهم الله وهم أولوا الألباب . مدحهم بالهداية وبالقول الكاملة . لماذا ؟ لأنهم يختارون خيرا الأمرين في دينهم ودنياهم . أقول : ولولم يكن في القرآن إلا هذه الآية لكفت في ارتقاء المسلمين في هذه الحياة الدنيا . ألا ليت شعري كيف نام الناس وتركوا عقولهم كأنها لم تخلق فيهم . يرى المسلمون الأمم قد ارتقت صناعاتها وتجاراتها وأعمالها وعلومها وهم نائمون . أليس هذا كلام الله ! وسيقوم قريبا في هذا العصر من يرقون هذه الأمة من أبنائها - ولتعلمن نبأه بعد حين - . ولما كان الاستعداد الانساني هو الذي إليه المرجع في رقي الانسان وانحطاطه وهو تابع للقضاء والقدر ، فاذا سبق بعذاب على امرئ لم يكن للهداة قدرة على اصلاحه أعقبه بقوله (أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) أي أنت مالك أمرهم فمن حقّ عليه كلمة العذاب لعدم أهليته للكمال فأنت تنقذه . كلا . فليس لك أمرهم . قد كررت الهمزة في الجزء لتأكيد الإنكار ووضع - من في النار - موضع الضمير إيماء إلى أن دعاءهم إلى الايمان سعى في انقاذهم من النار المحققة (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) يقول الله : للكفار ظلل من النار وللأتقين علالى بعضها فوق بعض (تجرى من تحتها الأنهار) من تحت تلك الغرف وعدهم الله ذلك (وعد

## ﴿ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ﴾

( والارتقاء الى أعلى الدرجات )

اعلم أن الله تعالى لما ذكر الجنة وغرفها وأنهارها وأن وعده فيها لاشك فيه أردفه بذكر انزال الماء من السماء وادخاله يتابع في الأرض وسقى الزرع به ، ثم أعقبه بالكلام على شرح الله لصدر المؤمن للإسلام ودم الذين قست قلوبهم ، وملح القرآن وأنه أحسن الحديث يشبه بعضه بعضاً في الحسن ولائق تلاوته ، تضطرب منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة . ذكر أنهار الجنة وغرفها فناسب أن يذكر نعم الأرض ، كأن الله يقول لنا : « هل شاقكم نعيم الجنان ، هل أحببتم الغرف التي فوقها غرف مبنية ، هل تفرحون بأنهار الجنة وأشجارها ؟ اذا كان كذلك وهو حقاً ما فطرتم عليه فانظروا أنهارى في أرضكم وتجبوا من المطر النازل من السماء والمسالك والمجاري والعروق التي تخلت أرضكم وقد تنوعت تلك الينابيع وتنوعت خواصها وأنبئت الزرع والكلأ والخصب ونفعت نفعا كثيراً ، اذا فكرتم في ذلك فان قلوبكم تفسر للحكمة والعلم وتستنير بصائرهم بالأنوار الربانية ، فاقرأوا القرآن فهو أحسن الحديث لفظاً ومعنى ، ذلك هو السبيل المستقيم لدخول الجنة والتمتع بغرفها وأنهارها وأشجارها ، فالأنهار والزرع كما تبقى بها الأجسام ترقى بها العقول ، فالعقل بالتفكير والجسم بالغذاء والدواء » فانظر كيف جعل الله جنات الدنيا وحدائقها أسباباً لجنات الآخرة وغرفها . انظر كيف كان التفكير في جنات الأرض سعادة نفسية كما أن الانتفاع بها سعادة جسمية ونتيجة ذلك دخول الجنة . فيأيت شعري كيف أعرض المسالمون وغفلوا . جنات في الدنيا أصروا بالتفكير فيها ولا تفكر فيها إلا بوجودها . اللهم أزل الجهالة من بلاد الاسلام وأذقهم نعمتك كما ذاقوا مرارة النعمة والاذلال - إنك أنت السميع العليم -

ذلك قوله تعالى ( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً ) أى المطر ( فسلكه ) فأدخله ( ينابيع في الأرض ) عيوناً ومسالك ومجاري كما يرى للانسان عروق ومسالك في جسده أى حال كونه ينابيع ( ثم يخرج به ) بالماء ( زرعاً مختلفاً ألوانه ) هيئاته من خضرة وسجرة وصفرة وبياض وكونه برا وشعيراً وسمماً ودواءً وغذاءً الى ما لاحصر له ( ثم يهيج ) يجف ( فتراه مصفراً ) بعد نضارته وحسنه ( ثم يجعله حطاماً ) فتانا متكسراً فالخطام كل ما نبت من نبت وغيره ( إن في ذلك لذكرى ) لتذكيراً بحكمة الصانع ( لأولى الألباب ) الذين تقدم القول فيهم انهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن الله هداهم ومن هدايته لهم انهم يتفكرون في هذه العجائب

## ﴿ لطيفة في المياه والينابيع ﴾

( الماء الصالح للشرب )

اعلم أن الله عز وجل جعل الماء الصالح للشرب محتوي على ما ينفع الجسم من المواد الغريبة عنه مثال ذلك :

(١) أملاح قليلة مركبة من الكربون والكالسيوم

(٢) وأخرى مركبة من الكربون أيضاً والمغنسيوم

(٣) وقليل من الفلور

(٤) والكلور كل منهما مركب مع مادة أخرى

(٥) والسليس

ومما يلزم في الماء الصالح للشرب :

(١) أن يكون باردا

(٢) وطعمه خفيف

(٣) ومذيب لمقدار من الهواء

(٤) ومذيب للصابون

(٥) ومنضج للبقول

ويجب أن لا تزيد الأملاح في الماء عن (٥٠) سنتي جراما في اللتر الواحد . وهذه المواد الداخلة في الماء قد جعلها الله فيه لأن البنية تحتاج اليها والأغذية لا تحتوي على مقدار كاف منها . فانظر كيف جعل الله الكالسيوم المركب مع الكربون والمغنسيوم المركب أيضا ومركبات من الكالسيوم ومن الفلوروم من السليس انظر كيف جعلها في الماء الذي نشربه ونحن لا علم لنا بها . وجعل احتواء الماء على هذه شمرطا لانتفاعنا بالماء . فاذا نقصت هذه المواد قلّ انتفاعنا بالماء . واذا زادت كانت المياه ضارة بنا ولم تصلح لشربنا

### ﴿ المياه المعدنية ﴾

انظر الى ينابيع في الأرض كيف جعلها الله لتتويع المياه . فبينما الماء ينزل من السماء مطرا اذا هو في الأنهر جاريا ساقيا للزرع اذا هو في مجار تحت الأرض يجري والناس من فوقها لا يعلمون وانما يحفرون الآبار فتخرج مياه من تلك المجاري فيجدونها مختلفة الصفات وبها يتداون ومنها يشربون . وكثيرا ما يستخرجون من تلك المياه أملاحا نافعة في الصنائع

### (١) - ﴿ المياه الحارة : مثل ماء فيشى ﴾

ومن المياه ما تكون حرارتها مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من أغوار الأرض أو لكونها بالقرب من البراكين . فهذه المياه تسمى بالمياه المعدنية الحارة وذلك كماء فيشى التي درجة حرارتها (٤٥) واعلم أن الأسماء المعدنية تختلف تسميتها بحسب المعادن التي فيها

### (٢) - ﴿ المياه الغازية والمياه الحضية التي تفور بتعرضها للهواء ﴾

تلك مياه فيها حمض الكربونيك ذائبا ومركبات كربونية قلوية أيضا وملح الطعام والحديد المركب مع الكربون ومثل هذه تفور متى تعرضت للهواء . وذلك مثل ماء سلس

### (٣) - ﴿ المياه القلوية : ماء فيشى ﴾

يكون فيها مركبات الصوديوم وبعض مركبات الكربون

### (٤) - ﴿ المياه الكالوريه ﴾

يكون فيها ملح الطعام ومركب الكالسيوم والبوتاسيوم والمغنسيوم وهكذا

### (٥) - ﴿ المياه الكبريتية ﴾

مثل مياه مدينة حلوان . ففيها مركبات الكبريت المختلفة

### (٦) - ﴿ المياه الحديدية ﴾

كمياه (أورتزا) فيها حديد متحد بالكربون

فتعجب من هذه المياه المختلفة الآتية من الينابيع وانظر قوله تعالى - فسلكه ينابيع في الأرض - وتعجب كيف كان في تلك الينابيع حديد أو كبريت أو كالسيوم أو كالسيوم الكالسيوم وقد علمت فيما مضى انه أحد العناصر المركب منهما ملح الطعام . أو كربون وهو المادة الفحمية أو غيرها من المعادن

انظر كيف تسمع الناس في مصر وغير مصر يقولون : تعال لنستشفى بماء فيشى أو بماء حلوان أو بالمياه الكالوريه وهم غافلون . لقد صرف الله الماء للناس ليتذكروا . انظر كيف نوع الماء لنستشفى به ! ينظر



الانسان فيرى الماء قد تخلل باطن الأرض وجرى في عروقها ومجارها وصرت على مركبات حديدية وكبريتية وأخرى مغنيسية وأخرى كلورية . فيظن لأول وهلة أن ذلك رمية من غير رام حتى اذا نظرتناجها من أنواع الأدوية عرف أن ذلك كان لحكمة مقصودة . هذا معنى قوله تعالى - فسلكه ينابيع في الأرض - أي ان تلك المنافع التي تزونها في ماء حلاوان وفي ماء فيشى وفي ماء كرسباد المحتوي على مركب من الكبريت والصوديوم وأمثالها لم تكن مصادفة بل أنا الذي أدخلتها في الأرض وأمرتها على تلك العناصر وجعلت ذلك للداواة من الأمراض المختلفة . وانما فعلت ذلك لتفكروا لتأهلوا لعالم أرقى من عالمكم الأرضي

فهذا هو معنى قوله تعالى - إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب - فأولوا الألباب هم الذين يعقلون ذلك من وجهين : من وجه المنفعة المادية . ومن وجه المنفعة العقلية . فالسالمون اليوم عالة على أوروبا في هذه المياه وغيرها . فلاحم درسوها وعقلوها . ولاهم استخراجوها واتفعلوا بها . والأمم ان متلازمان وانما يقلدون الفرنجة فيها وهم غافلون وحسبنا الله ونعم الوكيل

لقد غفل أكثر العلماء فنسج المسامون على منوالهم وناموا . فليبين قارئ هذا التفسير للناس عجائب الدنيا حتى يدرسوها وينتفعوا بها ويرتقوا الى الله بالتأمل في محاسنها . أما الاتكال على الفرنجة فانه عار وأي عار . فأين أولوا الألباب إذن في الاسلام وأين تذكرهم ؟

لا بد انك أيها الذكي الشرح صدرك لما رأيت في الماء من العجائب ولما أدركت من الحكم العجيبة ، لذلك أردفه سبحانه وتعالى بقوله ( أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ) أي بيان وبصيرة أي أفن دخل النور قلبه فانشرح وانفسح للاسلام لما يرى من تلك البدائع والعجائب المهيئة للحكمة فاهتدى بها كمن طبع على قلبه لغفلته وجهالته وورد أن علامة ذلك الانسراح الانابة الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ، وقوله ( فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ) دليل على المنحرف الذي قدرته في الجملة السابقة . وقوله - من ذكر الله - أي من ترك ذكر الله ( أولئك في ضلال مبين ) غواية ظاهرة ( الله نزل أحسن الحديث ) حال كونه ( كتابا متشابها ) يشبه بعضه بعضا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وما أشبه ذلك كما تشابه أجزاء الماء والهواء وأجزاء النبات والزهر وأبنية الحيوان ( مثاني ) تثنى وتردد قصصه وأنباؤه وأحكامه وأوامره ونواهيهِ ووعده ووعيدهِ ومواعظه وهذا ايضاح لسكونه متشابها ، فكما انك تجد في جميع أجزاء الهواء والماء والنبات والحيوان المواد التي تركب منها بلاخطأ ولاخلل فلهواء ولأماه ولانبات إلا وأنت واجد في كل جزء منه الأجزاء التي تركب منها وذلك دليل على الاتقان وعدم الخلل والخطأ ، هكذا الكلام الصادق لغرض واحد تراه أينما حلته يرجع الى الامور التي اذا ركبت وأدرجت فيه تنتج الغرض الذي سيق له الكلام

### ﴿ حكمة ألمانية ﴾

قال لي أحد الأصدقاء يوما وقد كان في بلاد ألمانيا : أنا قرأت حكمة باللغة الألمانية وهي : « يجب على المؤلف أن يظهر في كتابه كما ظهر الله في مصنوعاته » فما معنى هذا ؟ قلت معناه أن يكون المؤلف له غرض يرمى اليه وقد صرح الفكرة بنفسه بحيث يتصرف في القول والمعنى تصرف الله في المادة حتى انك لترى مقدماتها ترمى لغايات معاومة ، هكذا الكتاب يجب أن يكون مؤلفه أشبه بناسج الثوب ينسج على منواله وأن يفعل فيه فعل الجسم الانساني في التصرف في الطعام وفعل النحلة حولت رحيق الأزهار الى عسل بهيئة منظمة بحيث يحول ما يقرؤه وينكر فيه الى صورة ترسمها نفسه كما يحول النبات صور العناصر الأرضية الى الهيئة النباتية فتضيق سائر صفات العناصر وتحدث صفات جديدة . فهذا معنى التشابه المذكور في الآية ولذلك قال

تعالى - ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا - وقد عرفت الاختلاف فانك اذا ألقت كتابا ووضعت فيه أنواعا من السير والأحكام ولكنك لم تصقل ذلك بصقالك أنت كانت تلك القصص والأحكام غير منسقة ولا منظمة ونفرت منها النفوس ولم تؤد إلى الفرض المطلوب كما اذا بقيت المواد الأرضية والهوائية مفترقة غير متحدة في الصورة النباتية فانها لا تؤدى المقصود من النبات بل هي تراب وطين مثلا تستعمل لما له التراب والطين ، وقوله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) أى تضطرب وتشمز وتأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وكذلك القلوب ، وقوله (م تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى بالرحمة وعموم المغفرة ، فاذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت الجلود ووجلت القلوب ، واذا ذكرت آيات الرحمة والوعد لانت الجلود وسكنت القلوب ، ومن أين يكون هذا لولم يكن القرآن متشابه بالمعنى الذى عرفته ولولم يكن متشابهها مثانى على وتيرة واحدة لم يحدث تلك الآثار فى القلوب كما يحدث النبات آثاره المغذية مثلا إلا بذلك التشابه ، وعلى المؤلفين فى أمة الاسلام أن ينحوا نحو القرآن بحيث تكون نفوسهم متأثرة بما يكتبون عاقلة له فانها لا محالة تحدث أثرا فى نفس السامعين وهذا هو قوله تعالى - وما أنا من المتكفين - فان المتكف فى القول لا يؤثر فى سامعه ولا يحدث فى النفوس خوفا ولا رجاء لأن القول مصحوب بأثر نفس القائل ، وليس معنى هذا أن تكون بليغا كالقرآن بل أن تتخلق بأخلاق الله ورسوله ويكون تأليفك بناء على شوق ووجدان فى نفسك والا فلا يفيد (ذلك) الكتاب أو الكائن من الخشبة والرجاء (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته (ومن يضل الله) ومن يخذله (فباله من هاد) يخرج من الضلالة الى الحق

### ﴿ ذكر عذاب الظالمين فى الدنيا والآخرة ﴾

قال تعالى (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن أى ان الانسان يتقى المخاوف بيديه صيانة لوجهه ، فاذا كان هؤلاء الظالمون فى النار وغلت أيديهم الى أعناقهم فانهم لا يتقون النار إلا بوجوههم (وقيل للظالمين) أى قيل لهم فوضع الظاهر موضع المضمرة (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وبالله (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من الجهة التى لا يخطر ببالهم أن الشر يأتى من جهتها (فأذاقهم الله الخزي) الذل والصفار كالسبخ والخسف والقتل فى الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا ، أو لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) بينا للناس فيه من كل وجه (لعلهم يتذكرون) أى لكي يتعظوا (قرآنا عربيا) منصوب على المدح مستقيما (ذيرذى عوج) بريئا من التناقض (لعلهم يتقون) الكفر والمعاصى

### ﴿ ضرب مثل لحال المشركين والمؤمنين ﴾

قال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا) بدل و (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون مختلفون (ورجلا ساعدا لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما (هل يستويان مثلا) أى صفة أى هل تستوى صفتاهما وحالهما (الحمد لله) الذى لا إله إلا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره ، هذا مثل ضربه الله للعابد والمعبودين له بعبد اشترك فيه شركاء فتنازعوه واختلفوا وكل واحد يدعى انه عبده ويستخدمونه فى مهن شتى وهو متحير لا يدري أيهم يرضى بخدمته ، وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته ، ومن منهم يرزقه ، ومن منهم يداويه ، فهو أبدا فى حيرة ، وشبه المؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع لا مفترق

### ﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذا المثل وان ورد فى الكفر والايمان يعلمنا كيف يكون الانسان سعيدا فى الدنيا ، وذلك انه

لإسعاد الإجماع اللهم على أمر واحد ، ذلك ان حاجات الانسان لاتكاد تحصر وخطيئاته وسيدئاته وما يعتوره من مصائب الدهر كل صباح وكل مساء ، فاذا تفرق همه على تلك الوجوه كلها تقطع وعاش في غاية الشقاء وانما يسعد الانسان اذا عمل كل ما في طاقته ثم هو يكل نتائج الأعمال الى الله وما ناله من مصيبة يحتملها ويصبر عليها ويجزم بأنها أجنحة يطير بها الى العلا ، وما نال من نعمة يحمد الله عليها ويتخذها ذريعة لارتقاء نفسه بالعمل الصالح فيكون شكره على النعمة وصبره على النعمة موجهين لغرض واحد ، فتى نال الانسان هذه المرتبة أصبح سعيدا ، بل متى أدرك أن هذه الدنيا والآخرة وهذه العوالم كلها كأنها جسم واحد بنظام واحد وهو واثق أن ذلك النظام في غاية الكمال وأن كل دابة أو انسان اذا لم يكن على ما هو عليه كان النظام خطأ ، فاذا أيقن الانسان بذلك لكثرة الدراسة العلمية والتفكير أصبح لا يحزن على فائت ولا ينتظر غائبا ولا يبالي بمستقبل ولا ماض ويصبح وهو راض بكل ما يكون سعيد بهذا الرضا ، واعلم أن هذه المرتبة قلما يناها الانسان في هذه الحياة ، بل تمر غالبا كبرق خاطف أو كفواق ناقة أو جلسة خطيب ، ثم يغلب الطبع على الانسان فيحزن ويفرح ويألم ويرجو ويخاف كسائر الناس ، ويندر من تصير هذه له ملكة راسخة ، ويقل من تلازمه في أغلب الأوقات ، ثم قال تعالى (إنك ميت وانهم ميتون) أى بصدد الموت أوفى عداد الموتى (ثم إنكم) أى إنك واياهم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا ويعتدرون هم بما لا طائل تحته ، ويقول التابعون للرؤساء أظننا كم فأضلتنا ، وتقول السادة أغوانا الشياطين وأباؤنا الأولون ، ويحتج بعض الأصحاب بأنهم مع ابن عم رسول الله ﷺ وقتلوا أعداءهم على هذا التأويل ، ويحتج أصحاب معاوية بانهم يأخذون بدم عثمان ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرون أن هذه الآية نزلت في المسلمين وأهل الكتاب فلما كان يوم صفين ويوم عثمان عرفوا انها في المسلمين أيضا . وفي حديث البخارى أن النبي ﷺ قال : « من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه » وفي مسلم انه ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . قال إن المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فبت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار »

### ﴿ ذكر الصادقين والكاذبين ﴾

قال تعالى (فن أظلم من كذب على الله) باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو ما جاء به محمد ﷺ (إذ جاءه) من غير توقف وتنكر في أمره (أليس في جهنم مثوى للكافرين) المثوى المنزلة والمقام أى يكفيهم ذلك مجازاة لأعمالهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى صدق به المؤمنون وكذلك ملائكة الوحي والأنبياء (أولئك هم المتقون) الذين اتقوا الشرك (لهم ما يشاؤون عند ربهم) من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) فى أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزئهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) أى يجزيهم بمحاسن أعمالهم ولا يجزيهم بمساوئها ، أو يجعل لهم محاسن أعمالهم مثل أحسنها فى زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكارى للتقرير أى جنس العبد فيشمله ﷺ والأنبياء والمؤمنين وهذا كقوله تعالى - إنا كفيناك المستهزئين - وقوله (ويخوفونك بالذين من دونه) يعنى قريشا فانهم قالوا له إنا نخاف أن تخذلك آهتنا بعيبك إياها . وأيضاً بعث ﷺ خالدا ليكسر العزى فقال له سادنهما أحذرهما

إن لها شدة فعمد إليها خاله فهشم أنفها . فكأنهم لما خوّفوا خالدا خوّفوا من أرساله وهو النبي ﷺ (ومن يضل الله) حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه مما لا ينفع ولا يضر (فإله من هاد) يهديه إلى الرشاد (ومن يهدي الله فإنه من مذل) إذ لا رادّ لفعله كما قال تعالى (أليس الله بهزير) غالب ضئيع (ذو انتقام) ينتقم من أعدائه

### ﴿ تقرير الآية السابقة باللاحقة ﴾

وهي قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لوضوح ذلك بالبرهان (قل) أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضرره) أي أرايتم بعد ما تبين لكم أن الله هو خالق العوالم كلها . إن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني بضر هل هن يكشفنه (أو أرادني برحمة) بعافية (هل هن ممسكات رحمته) مانعاتها عني حتى تأمروني بهيادتها (قل) يا محمد (سبى الله) أي هو ثقتي وعليه اعتمادي (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بأن الكل منه تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكاتكم) حالكم أي اجتهدوا في أنواع مكرم وكيدكم وهذا تهديد لهم (إني عامل) فيما أمرت به من إقامة الدين (فسوف تعلمون \* من يأتيه عذاب يخزيه) أنا أم أتم (ويحل عليه عذاب مقيم) دائم وهذا تهديد وتخويف (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لأجلهم ملتبسا (بالحق فن اهتدى فلنفسه) إذ نفع به نفسه (ومن ضل فإنا يضل عليها) أي فان وباله لا يتخطاها (وما أنت عليهم بوكيل) أي وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت

### ﴿ ذكر النوم والموت ﴾

قال تعالى (الله يتوفى الأنفس) الأرواح (حين موتها) أي يقبضها عند انقضاء أجلها وهو موت الأجساد (والتي لم تمت في منامها) ومعنى ذلك أنه يقبضها عن الأبدان ويقطع صلتها بها ظاهرا وباطنا عند الموت ، وظاهرا فقط عند النوم (فيمسك التي قضى عليها الموت) فلا يردّها إلى البدن (ويرسل الأخرى) وهي النائمة إلى البدن عند اليقظة (إلى أجل مسمى) هو وقت الموت \* روى عن ابن عباس أنه قال : « إن في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس ، فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت وتوفى النفس وحدها عند النوم (إن في ذلك) التوفى والامسك والارسل (آيات) على كمال الحكمة والانتقان وشمول الرحمة وعمومها (لقوم يتفكرون) في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيتها عنها بالكلية حين الموت وامسكها باقية لاتفنى بفناء الأجساد وما يهترىها من السعادة والشقاوة ، وكيف تتوفى ظاهرا حيننا بعد حين إلى انقضاء الآجال \* وعن عليّ كرم الله وجهه قال : « تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة » \* وعن سعيد بن جبير : « إن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقي في المنام فيتعرف منها ما شاء الله أن يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها »

### ﴿ لطيفة في معجزات القرآن في هذا الزمان بمناسبة هذه الآية ﴾

أذكر لك بمناسبة هذه الأحاديث والآية ما قيل عن الأرواح في هذا الزمان لتعجب كل العجب من قول سعيد بن جبير : « إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في حال النوم » ومن موافقته للعلم الحديث ، فهناك مقالة لروح مستحضرة في المجمع النفسية . قالت ماملخصه : « إذا نام الانسان انطلقت روحه من البدن وازدادت قواها عما في اليقظة فتتذكر شيئا من ماضيها وتكشف بعض المستقبل وتناجي الأرواح الأخرى في هذا العالم وفي سواه ، ألا ترى إلى الأحلام البعيدة التصديقي أنها ذكرى أما كن وأشياء كان رآها الانسان



أوسوف يراها في عالم البرزخ بعد هذه الأرض ، والروح غالبا وقت النوم يبحث عن ماضيه ومستقبله . ثم قالت : ما أشدّ جهالك يا بني آدم ، تجهلون أسهل الامور ، يسألكم بنوكم : ماذا نستفيد من النوم ؟ وماهي أحلامنا ؟ فترتبكون مع انكم تدعون انكم تعرفون كل شئ ، إن النوم يحلّ النفس قليلا من البدن فيكون الانسان وقت النوم أشبه به بعد الموت من بعض الوجوه وكل من كان أكثر استحضارا واستدكارا لما رأى في المنام يكون أسهل انحلالا عند الموت والعكس ، فأمثال هؤلاء ينضمون وقت النوم الى جماعة الأرواح العالوية وينتفعون بأحاديثهم وتعاليمهم ، وهذا ينزع عنكم خوف الموت لأنكم تموتون كل ليلة على حسب قول أحد الأبرار ( يريد سيدنا محمدا ﷺ في القرآن ) . قال : وكلامي هذا عن الأرواح العالوية ، وأما عامة الناس الذين تبقى أرواحهم بعد الموت ساعات وأياما على حالة الاضطراب المعائمة لكم في الاستحضار لليتين حديثا فهؤلاء قلما ينتبهون لما يعملون وقت الرقاد . وكم من امرئ يقابل امراً في النهار فيرى في قلبه انقباضا . لماذا ؟ لأنه قد يكون اطلع على أحاديثه وقت النوم فوجده يبغضه . ويرى آخر فيقابل بلهف وشوق نهارا . لماذا ؟ لأنه قضى مهة وقت الرقاد ساعات في صفاء وسرور . ثم قال : وبالاختصار إن للنوم أثرا في حياتكم اليومية وأتم لا تشعررون . ثم قال : فالنوم للأرواح العالوية التي في الأجساد باب للناموس والمنهاج المؤدّي الى السماء حتى يوافيها الأجل وتعود الى مقرّها السعيد . ثم قال الروح : والحلم تذكر الانسان مارآه وقت الرقاد . فلستم تحلمون دائما لأنكم لا تتذكرون دائما مارأيتموه وانما تذكرن ما يعرض لكم في حال الاضطراب الملازمة لمبارحة الروح وعودتها الى الجسد . ويضاف الى ذلك أمور أخرى مما تصنعونه وقت اليقظة ومشاكل الأفكار وذلك هو الباعث لتلك الأحلام التي يراها الجاهل والعالم على حدّ سواء بلا فائدة . وربما كانت تلك الأحلام كرواية حذف منها جل متهددة فابق منه أصبح لاسياق له . وتستخدم الأرواح الشريرة أحيانا الأحلام لتسكيد النفس الضعيفة « انتهى ملخصا

فعلى هذا تكون الأحلام إما أفكار أو مشاغل ازدجت واما مسائل منتظمة ولكن حذف منها كثير فصارت لامعنى لها واما مغامر شيطانية لإخافة النفوس الضعيفة . فأما الأرواح الشريفة فانها تنفتح وان لم تعلم شيأ عن ذلك بالنهار . إن رواية سعيد بن جبير من مقابلة أرواح الأحياء للأموات هي عينها ما قرأته عن نفس الأرواح . أليس هذا من العجب . أليس ظهور هذا منسوباً للأرواح معجزة للنبي ﷺ . إن عقولنا لا يمكنها أن تفهم أن ارواحنا تحدث أرواح الأموات . عقولنا لا دليل عندها على ذلك وقرأنا الأحاديث فوجدناها تقول ذلك . وهانحن أولاء نرى مطابقة العلم الحديث ومحادثة الأرواح لهذا المنقول . إن هذا هو المعجزة وهذا معنى قوله تعالى - ولتعلمن نبأه بعد حين -

ثم قال تعالى ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء ) هي الأصنام ( قل ) يا محمد لهم أتتخذونهم شفعاء ( أولو كانوا ) أى الآلهة ( لا يملكون شيأ ) من الشفاعة ( ولا يعقلون ) انكم تعبدونهم ( قل لله الشفاعة جميعا ) أى لا يشفع أحد إلا بأذنه فلتكن العبادة له لأنه هو الشفيع فى الحقيقة لأنه هو الآذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده ( له ملك السموات والأرض ) لملك لسواه ( ثم اليه ترجعون ) فى الآخرة ( واذا ذكر الله وحده اشمازت ) نفرت وانقبضت عن التوحيد أو استكبرت ( قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه ) يعنى الأصنام ( اذا هم يستبشرون ) يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل ( قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ) فهو موصوف بكمال العلم والقدرة ( أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ) من أمر الدين يد عن ابن المسيب : « لا أعرف آية قرئت فدعى عندها إلا أجيب سواها » وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتسكلم فإزاد أن قال : آه أوقد فعلاوا وقرأ هذه الآية . وفى حديث مسلم انه ﷺ يفتتح صلاته

إذا قام من الليل فيقول : اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، أهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم اه

ثم قال تعالى (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) هذا إقناط لهم من الخلاص (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وهذا في مقابلة - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين - (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أي وأحاط بهم جزاؤه ، ثم علم أن قوله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت - الخ جاءت الآيات بعدها اعتراضية وعطف عليها بالفاء قوله (فإذا مسّ الانسان ضرّاً دعانا ثم إذا حوّلناه نعمة منا) أي أعطيناه إياها تفضلاً فان التخويل مختص به (قال إنما أوتيته على علم) أي على علم منى بوجوه كسبه أولاً ثم أستحققه ، فمثل هؤلاء القوم إذا ذكر الله وحده اشمأزوا وإذا ذكر سواه استبشروا مع انهم إذا مسهم الضرّ ذكروا من اشمأزوا من ذكره ، وإذا آتاهم نعمة ادّعوا انها باستحقاقهم ومن كسبهم (بل هي فتنة) أي امتحان له أيشكرأم يكفر فكيف يدعى انه أوتيهما على علم (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (قد قالها الذين من قبلهم) أي قال إنما أوتيته على علم كقارون ومن معه فانه قالها ورضى بقوله من حوله فكأنهم قالوه وهكذا يدور هذا المعنى في ذهن كل متكبر جبار من الماضين (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات كسبهم (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فمحطوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ، ثم بسط لهم الرزق سبعا فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يمسط الرزق لمن يشاء ويقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأن الحوادث كلها من الله وانه القابض الباسط . انتهى التفسير اللفظي

### ﴿ لطائف القسم الثاني من السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل - الخ
- (٢) وفي قوله - خلقتكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - الخ قوله - في ظلمات ثلاث -
- (٣) وفي قوله - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الالباب - مع قوله - فبشر عباد \* الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - ومع قوله - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب -
- (٤) وفي قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع - الخ
- (٥) وفي قوله تعالى - ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون -

### ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

( في قوله تعالى - يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل - )  
 إن هذا المقام قد سبق شرحه في هذا التفسير في ﴿ سورة البقرة ﴾ وفي سور كثيرة بعدها فارجع اليه  
 تره سهلاً مبسوطاً على قدر ما يحتمله هذا الكتاب

## ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

( في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - )

هذا المقام مشروح مبسوط في أول ﴿ سورة النساء ﴾ فارجع اليه وفي سور بعد ذلك ، ولكن لابد من ذكر ما يناسب المقام في مسألة خلق الجنين في بطن أمه الذي هو في ظلمات ثلاث فأقول : لأذكر لك في خلق الانسان خمسين حكمة :

( ١ ) جعل أعضائه قطعا لا قطعة واحدة ليسهل له الاعمال بها فجعلها على مقدار الحاجة من قصير

وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق

( ٢ ) جعل بينها مفاصل فقتر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها

وربط بعضها ببعض بأوتاد أثبتها بأحد طرفي العظام وأصق الطرف الآخر بها كالرباط

( ٣ ) ثم خلق في أحد طرفي العظام زوائد خارجة منها ومن الآخر نقرا غائصة فيها أشكال الزوائد لتدخل

فيها وتنطبق

( ٤ ) فبهذا صار الانسان يقدر على تحريك شئ من جسده دون غيره فلو لا حكمة تلك المفاصل لتعذر

عليه ذلك

( ٥ ) الرأس مركب من عظام مختلفة الأشكال والصور وقد ألف بعضها الى بعض بحيث استوت كرة

الرأس فيها ستة تختص بالتحجف والباقي في الأسنان وهي ٣٢ وفي اللحي الأسفل والأعلى

( ٦ ) وجعل الرقبة مركبة من سبع خرزات مجوفات مستديرات منطبقات على بعضها متصلة بالظهر

وعظام العجز والعصعص ، ووصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف واليدين وعظام العانة

وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، هذه كلها اتصلت ببعضها وهي ٢٤٨

عظما سوى العظام الصغيرة التي جعلت ليحشى بها خلل المفاصل

( ٧ ) وخلق العين لها أشفار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويغلق في غير وقتها

( ٨ ) الأشفار جمال للعين

( ٩ ) شعرها لا يزيد ولا ينقص ، فلوزاد لأضر بالعين وكذلك لو نقص

( ١٠ ) في مائها ملوحة لتقطع ما يقع فيها

( ١١ ) الحاجبان جمال للوجه أيضا

( ١٢ ) وستر للعين

( ١٣ ) شعرهما كشعر الأهداب لا يزيد لئلا يكون تشويها وان نقص ذهب الجمال وقلت الفائدة للعين

لأنه يحجب الضوء ويقلله

( ١٤ ) ولما كانت اللحية وشعر الرأس زيادتهما ونقصهما يوكلان للانسان حتى اذا كان الجمال في طولها

أو في قصرهما فعل الانسان ما يراه مناسبا للوسط الذي عاش فيه . لما كان كذلك جعلنا قائلين

للزيادة وللنقص . فاذن جمال الأهداب والحواجب ثابت عند جميع نوع الانسان . وجمال الرأس

واللحية يوكل للانسان أمره فيتركه ليطول أو يقصره

( ١٥ ) الشفتان ستر للقم وهما كباب يغلق وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه

( ١٦ ) وهذا الباب ستر على اللثة والأسنان

( ١٧ ) هما تفيدان الجمال ولولا ذلك لشوه الخلق

- (١٨) هما تعينان على الكلام
- (١٩) اللسان للنطق والتعبير عما في الضمير
- (٢٠) ولتقليب الطعام ولالقاءه تحت الأضراس حتى يستحکم مضمغه ويسهل ابتلاعه
- (٢١) الأسنان مفترقة وليست عظما واحدا فان تلف بعضها صلح الباقي
- (٢٢) جمع فيها بين النفع والجمال
- (٢٣) جعلت صلبة
- (٢٤) جعل في الأضراس كبر وفيها ما يشبه الزوائد لأجل درس الغذاء فان المضغ هو الهضم الأول
- (٢٥) الثنايا والأنياب لتقطيع الطعام مع الجمل
- (٢٦) بيض لونها مع حرة ماحوها
- (٢٧) تساوت رعوسها كأنها الدر المنظوم
- (٢٨) في الفم نداوة محسوسة لاتظهر إلا في وقت الحاجة فلوانها ظهرت وسالت لكان تشويها للإنسان
- فجعلت ليبل بها الطعام حتى يسهل تسويغه من غير عنق ولا ألم
- (٢٩) فاذا لم يكن أكل ذهب من الريق ما كان زائدا وبقي ما هو للترطيب
- (٣٠) الذي بقي للترطيب يبل اللهوات والخلق لأجل الكلام ولئلا يجف ولوجف هلك الإنسان
- (٣١) النوق جعل في اللسان ليعرف ما يوافقه ويلائمه فما وافقه قبله واجتنب ما لا يوافق ، ولولا ذلك لم يفرق الإنسان بين الملائم وغير الملائم فيموت ، فالنوق كخفير النحل الذي يجعل عند باب الخلية ليمنع الأجنبي عن الدخول
- (٣٢) يعرف مقدار الحرارة والبرودة
- (٣٣) شق السمع وجعل فيه رطوبة مرّة لتحفظه من الدود ، ويقتل أكثر الهوام التي تريد أن تلج الى السمع
- (٣٤) حفظ الأذن بصدفة تجمع الصوت فترده الى صماخها
- (٣٥) وفيه زيادة حس لتحس بما يصل اليها بما يؤذيها من هوام وغيرها
- (٣٦) وجعل فيها تعاريج لترديد الصوت ولتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه صاحبها من النوم . وهناك معان عجيبة في الأذن تقرؤها في ﴿سورة آل عمران﴾ فارجع اليها تجد هناك شرح العين وشرح الأذن شرحا وافيا . أما هنا فأنما هي ظواهر
- (٣٧) جعل الخنجرة مهياة لخروج الأصوات ودور اللسان في الحركات والتقطيعات فيقطع الصوت في حجار مختلفة تختلف بها الحروف لتسمع طرق النطق
- (٣٨) جعل الخنجرة مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسبب ذلك الأصوات فلم يتشابه صوتان
- (٣٩) هكذا خلق بين كل صورتين اختلاف فلم تشابه صورتان بل يظهر بين كل صورتين فرقان : فبالأول يميز السامع بين كل صوتين . وبالثاني يميز بين كل صورتين
- (٤٠) خلق اليدين لأمرين : جلب المقاصد . ودفع المضار . وجعل الكف عريضا . وقسم الأصابع الخمس . وقسم الأصابع بأنامل . وجعل الأربعة في جانب والابهام في جانب فيدور الابهام على الجميع . فالابهام يدور على الأربعة والأربعة مختلفات طولا وقصرا فصلحت للقبض والاعطاء
- (٤١) إن بسطها كانت طبعا يضع فيه ما يريد



- (٤٢) إن جمعها كانت آلة يضرب بها  
 (٤٣) إن ضمها ضمها غير تام كانت مفارقة له  
 (٤٤) وان بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة  
 (٤٥) خلق الأظفار على رؤسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لاتضعف  
 (٤٦) يلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لاتتناولها الأنامل لولاها  
 (٤٧) يحك بها جسمه عند الحاجة الى ذلك فلوعدمها وظهرت به حكة لعجز عن دفع ما يؤلمه ولايقوم  
 غير الظفر مقامه في حك جسده ، إنه لاصلب كصلابة العظام ، ولارخو كرخاوة الجلد ، فلذلك  
 صالح للحك  
 (٤٨) والانسان يهتدى بظفره الى موضع الحاجة في الحك ، أما غيره فلايهتدى لذلك إلا بشق الأنفس  
 (٤٩) يطول الظفر ويقصر كما تقدم في شعر الرأس واللحية ليبقى منه ما يحتاج اليه لحاجته ويقص الباقي  
 وهذه بقدرها الانسان باختياره وهو الذي يراعى الحاجة في ذلك  
 (٥٠) كل ذلك قدره الله للإنسان وابتدأ خلقه في بطن أمه ويولد فاقد التمييز ولو ولد عاقلا فهما لحر  
 من هذا الوجود الذي لم يعرفه ولم يهتد مثله وهو مع ذلك يجد غضاضة أن يرى نفسه محمولا  
 وموضوعا معصبا بالخرق ومسجى في المهدي وهو في أشد الحاجة الى ذلك لضغفه فلاتهنأ له حياة  
 ولاتحسن تربيته ، فلما خلق غير ميمز سهل الأمر وأعطي التمييز شيئا فشيئا حتى يكون رجلا كبيرا  
 فهذه نبذة من آلاف من الحكم التي أودعها الله في خلق الانسان ذكرناها لتكون تذكرة لك في هذا  
 المقام وليفسر صدرك بالعلم وليعطيك صورة من الملاحظات الدقيقة ولترى اننا مغمورون في حكم وعالوم  
 وعجائب وطول الأنامل بها واعطاؤها لنا دفعة واحدة هو الذي أذهلنا عن تعقلها ، فما أجمل العلم وما أبهج  
 الحكمة - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب -

### ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

( في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - الخ وقوله - فبشر عباد  
 الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - وقوله - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة - )  
 تبين من هذه الآيات أن العالم أفضل من غير العالم ولم يخص العلم بل ذكره مجردا من المفعول وجعل  
 البشرى للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وجعل للمحسنين حسنة في هذه الدنيا والمحسنون هم الذين  
 يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
 تبين من هذه الآيات أن العلم بجميع العلوم والصناعات مطاوب وأن المتصفين بذلك أفضل من غيرهم  
 والعلم لا يكون مفيدا إلا اذا تولاه النقاد وبحثوا فيه ، والا فكيف يتبعون أحسنه أي كيف يتبعون أحسن  
 القول الذي سمعوه إلا ببصيرة نقادة . اذا تم ذلك فان هؤلاء محسنون أحسنوا الاختيار . والمحسنون لهم  
 في هذه الدنيا حسنة

يا أئمة الاسلام : هذا كلام الله وهو الذي أنزله على نبيه ﷺ :

(١) فهنلى المسلمين أن يكون لهم لجان تبحث فى الفنون والعلوم والصناعات بحيث يكون هؤلاء  
 أخصائين فى العلوم المختلفة

(٢) وهذه اللجان تستعرض جميع العلوم والفنون والصناعات التى عرفتها الأمم وجميع ما يكشفه المسلمون  
 فى المستقبل ثم يميزون بعقولهم النيرة وبصائرهم النقاد ما هو أكثر نفعاً للامة فىأمرون باتقانه

واستعماله وما ليس كذلك فيتركونه

(٣) يعرض على هذه اللجان علوم مافوق هذه الغبراء وما تحت الثرى من علوم الطبقات الأرضية وما

فوق السموات العلى من أوضاع فلكية وكواكب درية وما بين ذلك مما كان وما يكون

(٤) متى حصل ذلك كان للمسلمين في هذه الدنيا حسنة وهذه الحسننة ليست عند المسلمين الآن ولكنهم

في زمن قريب سيكون عندهم ذلك المجد الباذخ إذ ينظرون ويقرؤون ، ونعمة ربهم يتقبلون

فيشكرون ، انظر تفسير قوله تعالى - لا يكاف الله نفسا إلا وسعها - في سورة البقرة ، فهناك بسط

للقيام أوفى ، ولأكتف بهذه الجوهرة :

﴿ جوهرة في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ﴾

إن هذه الآية تنتج باب الموازنات بين الأمم ، فالأمة التي ارتقت بالعلم والحكمة والصناعات أقوى من الأمة الكثيرة العدد القليلة العلم والصناعة ، خذ ذلك مثلا : هذه دولة اليابان منسجين غلبت روسيا وكانت الأولى لا تبلغ في العدد مقدار ثلث الثانية ، وهذه الأمم الآسيوية التي تعد بمئات الملايين أقل علما وصناعة من أوروبا والكثرة العددية لا تغني عنها شيئا ، هذه بلاد جاوه وسومطره وماحولها من جزائر الهند الشرقية قد احتلتها هولنده التي تعد على أصابع اليدين أعداد الملايين وتلك الأمم تعد بعشرات الملايين ولكن القليل غلب الكثير وهذا مصداق الآية هنا ومصداق قوله تعالى - قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث - وليس معنى هذا أن هؤلاء خبيثاء وهؤلاء صالحون وانما ضربنا الآية هنا مثلا لانصافها الاختلاف بالقوة والضعف وهما ناشآن من العلم والجهل وهذا قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . إذن ليست الكثرة بغير فتيلا أمام العلم ، فهاهوذا الانسان قليل العدد أخضع الحيوان مع كثرته ، ومن عجب أن نسل الحيوانات المفترسة قليل والحيوانات التي خلقت لغذائها كثيرة النرية . فإذن قول الشاعر :

ولست بالأكثر منهم حصي \* إنما العزة للكائر

لا يصح إلا اذا اتفق الخصمان سلاحا وعلما ، أما اذا فاق أحدهما في علمه وصناعته فهناك يختل الميزان ويصدق عليهما قول الله تعالى هنا - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -

اللهم أنت المعلم ولوأردت تعليم المسلمين لقيضت لهم عقولا فاهمة تقول لهم إن الذل هنا لم يذكر معموله فأشعر بالعموم ، ونحن المسلمين أقرب الى أهل أوروبا (الذين أرسلهم الله لايقاظنا بالحرب والاحتلال) من أمة اليابان الذين قلدوهم وارتقوا مثلهم ، فهلا كان فينا رجل رشيد يعلمنا أن نعمل بهذه الآية ؟ أفليس من الخجل المغيب أن الجهل اليوم لا ينطبق إلا على أمة أنزل الله في كتابها هذه الآية ، يسمعونها وكأنهم لا يسمعون ، ويقرؤونها وكأنهم لا يقرؤون ، هذه الآية تليت علينا في كتابنا المقدس فلم نعمل بها ولكن اليابان استخرجت معناها من عقول علماءها وعملت به فارتقت ، أما المسلمون فهم الذين ضرب المثل بجهلهم بين الأمم وقد آن أوان مجدهم ورقيمهم والحمد لله رب العالمين

نم اعلم أيديك الله أن الأمم الاسلامية أمرها عجب ، قد نامت نوما عميقا ، فان لم يقم كاتب بنصيحهم لم يجاروا الأمم في رقيها . أولايعلم المسلمون أن أمة اليابان استيقظت في عشرات السنين ولحقت بأوروبا وكانت نهضتها مصاحبة لنهضة مصر فقد دخلت العلل في تعاليمها فوفقت أمدا وهاهي ذه تريد ارجاع سنة الرقي ككرة أخرى . وقد جاء في جريدة الاهرام هذه السنة مانصه :

﴿ الحصول الأدبي في ألمانيا ﴾

دل الاحصاء في ألمانيا على أنه يوجد في كل ٢٥٠٠ نفس شخص يستطيع أن يؤلف كتابا . وقد كان

عدد الكتب الجديدة في ألمانيا (٢٤٨٦٥) كتابا في سنة ١٩٢٧ فنزل هذا المقدار في سنة ١٩٢٨ الى (٢٢٩٥١) كتابا ومع ذلك فان ألمانيا لاتزال أكثر الأمم إنتاجا للكتب . ويوجد من ذلك (٤٥٠٠) مؤلف جديد في الأدب و ٣٣٠٠٠ في الفنون و ٢١٠٠٠ في الدين و ٢١٠٠٠ في كل من السياسة والعلوم والاقتصاد الخ اه

وإذا أردت أن أكتب في معنى هذه الآية وجب أن استعرض كل ما تقدم في التفسير . إذن كل ما تقدم وما سيأتي تفسيرها ، فقضية العلم والجهل قضية الحياة والموت بعينها ولكن لابد من ذكر نبذة في الطب ، وأخرى في الاقتصاد ، وأخرى في التعليم العام إيفاء لبعض الحقوق التي تقتضيها الآية ، فهنا ثلاثة فصول :

### ﴿ الفصل الأول في نبذة في الطب ﴾

جاء في جريدة الاهرام في يوم (٩) ابريل سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالي مانصه :

﴿ خطر يهدد الصحة ﴾

( ٣٩ مصابا من طعام واحد )

كثيرا ما نقرأ في الكتب والصحف ونسمع من أفواه رجال الصحة وغيرهم أن الوقاية خير من العلاج ! إذن كيف تكون الوقاية في موضوعنا هذا والفقراء عديدون والجهلاء أكثر؟ مساكين الناس وخصوصا الفقراء منهم ولا سيما الجهلاء والأطفال الذين يضطرونهم الجوع والحالة الى تناول المأكولات المعروضة للبيع في الطرقات والحوانيت المعروضة للأتربة والميكروبات وهي التي جهزت وطهيت وعرضت للبيع بدون مراعاة للنظافة فتكون غالبا سما زعافا يودي بحياة الكثير أحيانا وعلى الأقل يجعلهم تحت العلاج أياما

نعم مساكين هؤلاء الناس فانهم يكونون ضحية هذا الإهمال ، نعم مساكين هؤلاء الباعة أيضا لانهم لم يعرفوا للنظافة معنى ولم يقدروا لإهمالهم نتيجة لجهلهم وغباوتهم وخصوصا اذا تركوا وشأنهم فهم أحرار فيما يعملون كأن أرواح الناس وسلامتهم ليست بشئ في نظرهم ماداموا يربحون حتى ولو كانوا يعرفون الحقيقة فاذا طفت في شوارع المدينة ومنها الشوارع الهامة العظيمة أوسرت في حاراتها فانك لاتعدم رؤية هذا يبيع البقالة أو البسبوسة قد سترها النباب ، وذلك يعرض الكسكسي أو الكشري قد غطى بطبقة من الأتربة والأوساخ . ولست في حاجة الى التعرض لنظافة هذا البائع الشخصية وكذا الأدوات التي يستعملها وكيف جهزت وحفظت هذه المأكولات . وحسبي في ذلك أن يستعيد القارئ صورة من هذه الصور التي يراها أحيانا ولا سيما في الأحياء الوطنية الفقيرة

بجوارنا رجل يبيع مثل هذه المأكولات وغيره كثير ، ولولا شدة حرصنا على سلامة التلاميذ والحفاظة على صحتهم ومنعهم ابتلاع وتناول تلك المأكولات المضرة لراحوا ضحية هذه السموم إذ أن معظم التلاميذ يخرجون من منازلهم في الصباح ويتناولون طعام الافطار في الخارج ، ولكن هذا البائع لم يعدم أناسا كثيرين يعرض لهم مأكولاته . وكان يوم أمس يوما تجت فيه صورة صحيحة من هذا الضرر الذي يهدد صحة الناس ويجعلها في خطر إذ كان يبيع كشريا كما هي عادته فلم يلبث من تناول قليلا من الطعام حتى ظهرت عليه أعراض التسمم فكنت ترى هذا يقع مغشيا عليه وأخر لا يملك نفسه من القيء وثالثا يتلوى من المغص وهكذا فدعوت رجال الاسعاف الذين كانوا يعثرون على المصابين في مختلف الشوارع المجاورة فحملوا بعضهم الى الجمعية والأخر الى مستشفى قصر العيني . ولقد كانت عربات اليد تستعمل في نقل المصابين الى الجمعية بواسطة الأهالي وبعضهم استدعى الطبيب الى منزله . وقد بلغ عددهم جميعا تسعة وثلاثين رجلا وأطفالا وأكثرهم تحت العلاج الآن في مستشفى قصر العيني وجمعية الاسعاف

ومن الغريب أن الناس لما حضروا الى هذا البائع ليسألوه عن معروضاته عقب الحادث قال لهم : إن حاجتي نظيفة وهاهو انظروا الىّ وأنا آكل كل منها ، وهنا تناول هذا البائع من طهيه فلم يكذب يستقرّ في جوفه حتى ظهرت عليه أعراض التسمم وحق باخوانه ، والبوليس ينتظر شفاءه لاتمام التحقيق معه ، ولعله لو سئل بعد ذلك لقرّر أن حاجته نظيفة جدا

ولقد ذكرني هذا الحادث بحادث يضارعه في الاسكندرية إلا ان البائع كان مغربيا اختفى قبل القبض عليه ولم يظهر له أثر ، فهل هناك علاج لهذه الحالة ؟ وهل لحضرات أصحاب الصحف الذين كرسوا حياتهم لخدمة الأمة أن يعالجوا هذا الموضوع شأنهم في كل موضوع هام إذ الصحة أغلى شئ في الحياة اه  
فياليت شعري : أليس الأمر راجعا للعلم ، فالعلم بالضرر يمنع من تناوله . ثم انظر ماجاء أيضا في « مجلة طبيب العائلة » تحت العنوان التالي مانصه :

### ﴿ مضارّ الحلوى على الأطفال ﴾

من الأسف أن أحدنا اذا عمرّ بمدرسة في الصباح قبل موعد الدخول أو عصرا عند انصراف التلاميذ الصغار بصرفهم مجتمعين حول بائع الحلوى يتنافسون في الشراء منه غافلين عن ملايين الميكروبات التي تحط مع الذباب على الحلوى المعرضة للانباء ولما هو أشد فتكا من الفبار . وليس الأمر قاصرا على هذه الجراثيم وحدها وإنما هذه الحلوى في ذاتها تضرّ بالأطفال أبغ الضرر ولو كانت من أجود الأصناف ومن أكبر المحال ويرجع ذلك الى أن المادة السكرية المصنوعة منها الحلوى تهدم صحة الطفل وتسيء الى نموّه الطبيعي وتفسد عمل الأجهزة التكوينية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انه يجب أن نمنع السكر بأنواعه عن الأطفال . وعلينا أن نحثهم على تناول الفواكه فهي تحتوي المادة السكرية الصحية فضلا عما فيها من عناصر مفيدة للجسم كالفيتامين والحديد والحلويات وكذلك لا بأس من تناول العسل بنوعيه الأبيض والأسود بين فترة وأخرى دون الاكثار منهما ومن الملاحظ أن الأطفال يحبون الفاكهة بغرائزهم ويفضلونها على الحلوى عادة فخرى بنا أن نشجع فيهم هذا الميل لمنفعته الصحية فضلا عن ملاءمته لأمزجتهم

وهناك اعتقاد سائد بين الناس يقول إن الشاي يضرّ بالأطفال وهذا صحيح من جهة واحدة وذلك اذا كان الشاي من صنف رديء لأنه يحتوي في هذه الحالة على حامض التنيك الذي يفسد الأنسجة . أما اذا كان الشاي جيد النوع فلا بأس من شرب الأطفال منه مع مراعاة عدم الاسراف فيه يقول المؤلف . كلا . بل الأصح تركه كله

### ﴿ قائمة الأكل في المستقبل ﴾

يعرف الناس ما شتمل عليه قائمة الأكل التي تقدّم في الفنادق . ويقول العلماء : « إن رجل المستقبل سيرى قائمة أخرى تختلف عن هذه كل الاختلاف في ألوان الطعام . وقد ذهب الدكتور برنار الكيماوى الانكليزي الشهير الى أن فطوره سيكون شعاع الشمس وغذاءه كمية من الهواء وعشاءه قنحا من ماء البحر . وعلى ذلك لن يخشى أهل المستقبل أن يعوزهم ما في الأرض من غذاء مهما كثر عددهم بل سيصبغون في غير حاجة اليه . وسينسون مذاق الخبز واللحم . وسيكون للانسان ثلاث معدات ليضم الغذاء الذي تقدّم ذكره وان يكن يرى لأوّل وهلة أنه بسيط وليس يحتوي على مادة جافة أو صلبة ولكن الانسان لن يلجأ الى التغذية بالتعليب الكيماوى إلا بعد عهد مديد فان البرازيل وحدها إذا أصلحت أراضيها الزراعية أمكن أن تكفي حاصلاتها ثلثي سكان الكرة الأرضية . ويوجد في أفريقيا من الأراضي ما يكفي لأكثر من سكان الأرض الحاليين بعدة ملايين . فاذا ازداد السكان في الكرة الأرضية بحيث لم تف بحاجياتهم الحاصلات الزراعية أمكن الاتجاء الى التغذية الكيماوية . ويوجد في الأرض المواد التي تصلح للتغذية بهذه الطريقة . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والمجد لله رب العالمين . تم الفصل الأوّل



ومن أراد قراءة الطب لحفظ صحته فليرجع الى ما تقدم في ﴿سورة البقرة﴾ عند آية - أتستبدلون الذي هو أدنى - الخ وآية ﴿الأعراف﴾ - وكلوا واشربوا - الخ وفي ﴿سورة الحجر﴾ عند التلميح بقصة آدم وفي ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم أيضا وفي ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية - واذا مرضت فهو يشفين - ولم أذكر هذه النبذة الصغيرة إلا لأذكرك بما يكفيك في تلك المواضع فارجع اليها إن شئت

### ﴿ الفصل الثاني في الاقتصاد وفي جمع الثروة ﴾

ولاسبيل لذلك إلا بالعلم ، ولقد مضى في هذا التفسير كثير من هذا الموضوع فاقراءه في ﴿سورة ابراهيم﴾ فانك تجد تقصير المسلمين في أرضهم وجبالهم وأنهارهم للجهل ، وتجد هناك مسألة البحر الميت الذي فيه ثروة تزيد على ما عند المسلمين في الكرة الأرضية ، والجاهل ينظر اليه نظره الى بركة ماء منقنة حقيرة ولكن العلم هو الذي أفهمنا ذلك ، فالعالم يرى البحر الميت سعادة والجاهل لا يعقل ذلك . إذن لا يستوى الرجلان والمساهمون اليوم هم الأمة التي بقيت وحدها في الجهل ولكنها اليوم استيقظت فلا بد من تعميم التعليم وذلك هو الفصل الثالث الآتي قريبا

فلأذكرك أولا التعليم في جامعات أوروبا حتى نعرف كيف ترقى المعاهد الدينية فتشمل العلوم كلها ، ثم أتبعه بما كتبه الكتاب في فوائد التعليم الاجباري ، ثم ما كتبوه في توزيع العلوم على أفراد المتعلمين :

### ﴿ الفصل الثالث في التعليم ﴾

#### ﴿ في الجامعات الأوروبية ﴾

( حديث مع مدير جامعة لوزان )

جاء في جريدة الاهرام في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩ - ٩ رجب سنة ١٣٤٨ مانصه  
رأيت أثناء رحلتي الصيفية أن أعرف شيئا عن أحوال الطلبة المصريين في أوروبا فلقد زاد عددهم ، وهو مانص في الزيادة عاما بعد عام ، بما ترسله الحكومة من البعثات العلمية سنويا وأحيانا شهريا من خريجي المدارس العليا والخصوصية ومن موظفيها وعممال ورشها ، وبالرغبة المتزايدة التي بدت من الطلبة ومن ولاية أمورهم لاشباع استعدادهم من علوم أوروبا وآدابها ولغاتها ومنتدياتها ، ومن الاتصال برجالها والوقوف على عاداتها ونظامها . وقد زرت فيما زرت جامعة لوزان والسربون وكلية الحقوق بباريس وقابلت بعض الطلبة وبعض المشرفين على أحوالهم في أوروبا من تعليم ومسكن ومعيشة وأخلاق وارسال التقارير لوزارة المعارف أولولة أمورهم . يزيد عدد الطلبة المصريين في أوروبا الآن عن الالف طالب . وأكثرهم يتعلمون الطب والصيدلة ، ويتعلمون القانون ، ثم يجيء بعدهم من يتعلمون الهندسة والعلوم الطبيعية والآداب والكيمياء . ويلاحظ ان عددا قليلا من الطلبة يذهبون الى أوروبا أو يطردونهم أولياء أمورهم من مصر اليها للعلم . ولكن لامضاء الوقت في اللهو والتنقل . ويهمل هؤلاء التعلم اهمالا يبلغ من بعضهم انه يعيش في باريس سنوات دون أن يحسن النطق والتخاطب والتفاهم باللغة الفرنسية . ولا يعرف الا بعض ألفاظ يتعلمها أي شخص في شهر أو شهرين ! ومن الأسف ان هذا النفر القليل ، على قلته . يضر سمعة مصر . لأنه النفر الذي يغشى الاندية والمجتمعات والملاهي . أما الأكتيرة المكبة على التعليم فهي لا تختلط عادة بغير كتبها ومحاضرات أسانذتها . فلا يعرف الجمهور الاوروبي الناضج عنهم شيئا . ولذلك لا تستفيد مصر من اجتهاد هؤلاء من حيث تشریف سمعة مصر واكبار نبوغ أبنائها . ويلاحظ ان بعض الطلبة ، مع شديد رغبتهم في التعليم لا يكون معهم المال الكافي للدخول في الجامعات والاستمرار . أولا يكون معهم التحصيل العلمي اللازم

للدخول في الجامعات . فيضطر هؤلاء وأولئك الى البقاء مدة بغير استفادة ، مع اتخاب ادارات البعثات المصرية والمفوضيات والقنصليات في اعانتهم ونصيحتهم وكتابة الخطابات عنهم الى وزارة المعارف للتصرف في شأنهم . كما أن الطلبة الفقراء يشغلون أنفسهم بارسال خطابات للاسراء ووزارة الاوقاف وكبار الاغنياء يستجدون مهوتهم ونادر جدا جدا أن يجاب ملتئمهم . ويلاحظ أيضا ان طلبة مرضى بهلل باطنية أو وقتية يأتون الى أوروبا فيزدادون ضيفا و بعضهم يموت أو يعود ضعيفا هز يلا . هذانفت نظر الطلبة وأولياء أمورهم الى عدم الذهاب الى الخارج من غير مال كاف وصحة وافية والا كان الذهاب مضيعا لآخلاقهم ومستقبلهم . لأنه ليس للاجنبي في أوروبا كرامة أو فائدة الا اذا كان معه المال وليس الحال هناك كالحالة في مصر اذ يستطيع الاجنبي المعدم أن يشتغل ويعيش بسهولة لا يجدها المصري نفسه . وذلك لأسباب معروفة ليس هنا محل لبيانها

زرت جامعة لوزان وهي في قلب مدينة لوزان نفسها بسويسرة . وقد فتحت هذه الجامعة سنة ١٥٣٧ وكانت تدرس علم اللاهوت فقط . ويلاحظ ان جامعات أوروبا قديمة في انشائها وانها كانت معاهد دينية ثم تطورت الى أن صارت جامعات مدنية . ولو أن الازهر دارج النهضة الفكرية في مصر لسكان هو اليوم الجامعة المصرية نفسها ولما احتجنا الآن لانشاء جامعة للعلوم المدنية ولما احتجنا لمشروعات اصلاحية للازهر تارة تعتبر متطرفة وطورا تعتبر محجفة بالدين . حتى صار الازهر في حالة تذبذب فلا يعرف أهو صاعد أم هابط بينهما كل شئ يتطور الى الخير أو الى الشر . في سنة ١٥٤٩ عرفت جامعة لوزان باسم «الأكاديمية» الى سنة ١٥٨٧ وكانت في البناء المخصص الآن لكليتي الآداب والحقوق . واستمرت الأكاديمية الى عام ١٧٣٨ وفي المدة التي سبقت ذلك جرت تعديلات كبيرة في نظامها ليس للمقام متمسا لبيانها . بعد ذلك قسمت الاكاديمية الى ثلاث كليات : كلية للاهوت . وثانية للحقوق . وثالثة للآداب والعلوم . ووسعت دراسة التاريخ وأضيفت أسانذة جدد لتعليم الجغرافيا والآداب الالمانية والنبات والفسولوجيا والهندسة الوصفية . وفتحت فصول حرة للخارجين أما جامعة لوزان كما هي اليوم فقد أنشئت بأمر عال في ١٠ مايو سنة ١٨٩٠ عدل بقانون في ١٥ مايو سنة ١٩١٦ . وقد ترك هذا القانون للجامعة تحديد عدد كراسي الأسانذة وأنواع الدراسات . على أن الجامعة تشمل ١ - كلية اللاهوت البرونستاتي ٢ - كلية الحقوق ٣ - كلية الطب ٤ - كلية الآداب ٥ - كلية العلوم . وقد أضيف الى كلية الحقوق مدرسة العلوم الاجتماعية والسياسية . ومدرسة الدراسات التجارية العليا . ومعهد البوليس العلمي .

وتنقسم كلية العلوم الى قسم العلوم الحسائية والطبيعية ومدرسة الصيدلة ومدرسة المهندسين ويبلغ عدد أسانذة الجامعة الآن ١٢٩

وقد أنشئت كلية الآداب في سنة ١٨٩٥ وقد جعل بها فصول صيفية للطلبة الأجانب وهي على الأخص لاتقان اللغة الفرنسية وتستمر الفصول ستة أسابيع في يوليو وأغسطس . وتعطى شهادة للطلبة المستمعين المواطنين

والجامعة جمعية عمومية من جميع الأسانذة . وهي تهيئ رئيسها الذي يكون مديرا للجامعة مدة سنتين ويختار عادة المدير بالدور بين عميدي الكليات . ولكل كلية مجلس مؤلف من الأسانذة الذين يختارون العميد لمدة سنتين . والمدارس الملاحقة بالكليات رئيس يسمى مدير كبير مدرسة الهندسة ومدرسة العلوم السياسية والجامعة شخص معنوي ومديرها يمثلها أمام جميع الهيئات والمحاكم

زرت مدير جامعة لوزان مسيو موريس باشو . وهو عالم رياضى كبير متواضع في مستهل العقد الخامس من حياته قابلني في الجامعة خصيصا مع أنه كان في أجازة . وسألته أسئلة كثيرة . منها سؤال عن شروط دخول الطلبة الأجانب

فأجاب : أن شروط الدخول في جامعة لوزان بالنسبة للطلبة الأجانب هي نفس الشروط اللازم توفرها في الطلبة السويسريين . أما الطلبة الأجانب الذين لم يتلقوا تعليماً جامعياً منظماً مثل تعليم جامعتنا يجب أن يمضوا امتحان دخول خاص

س : كيف يختار المدرسون لمنصب الاستاذية ؟

ج : اذا خلا كرسي استاذ بالجامعة فان مجلس الدولة ( هنا مجلس المقاطعة ) يختار أستاذا خلفاً له من الاشخاص المعروفين بمؤلفات ممتازة . أو تلقوا تعليماً فائقاً في المادة التي كان يدرسها الاستاذ السابق

س : من الذي يتولى الانفاق على الجامعة ؟

ج : تقوم الحكومة بالانفاق على الجامعة . على أن للجامعة ايرادها الذي يبلغ حوالي مائة ألف فرنك في السنة

س : ما درجة اقبال اقبال المصريين على جامعتكم وماهي المواد التي يفضلوها وما أحوالهم ؟

ج : مندسين مضت والطلبة المصريون يدخلون جامعتنا . وهم على الخصوص يدرسون الطب والقانون أو يدخلون مدرسة الهندسة . وقد كونوا من بينهم جمعية منهم . وهم على العموم من خيار الطلبة . ويميل عددهم الى الازدياد عاماً بعد عام . ويبلغون الآن نحو الثلاثين طالبا انتهى

\*\*\*

### ﴿ فوائد التعليم الاجباري ﴾

جاء بجريدة الاهرام في يوم الأحد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٩ مانصه

(١) كان توماس جفرسون ، من أشهر رؤساء جمهورية ولايات أميركا المتحدة السابقين ولها بالتعليم العالي حتى انه كتب على قبره بعد وفاته انه أبو جامعة فرجينيا . وقد أراد أن يتحداه يوماً كبار رجال التعليم فسألوه عن التعليم الأولى ، فأجاب :

لوجبرنا على أن نختار أهون الشرين ، الغاء التعليم الاولي . أو ابطال التعليم العالي في الكليات والجامعات لتخبرنا الثاني بغير تردد . نؤملنا أن يكون مجموع افراد الامة . رجالها ونساؤها مامين بالقراءة والكتابة . مستنيرين قليلاً . من أن نحصر العلوم العالية في فئة قليلة . ونخلق من خريجي الجامعات أقلية من افراد أرستقراطيين . ومن أشد الأحوال خطورة أن نترك سواد الأمة جاهلاً كالذباب وتنقف طبقة غنية تثقيفاً عالياً ، كما هي الحال في بعض بلدان أوروبا (في ذلك الحين) ان كل أمة تنشأ الديمقراطية والنجاح قبل الغاء الامية . تعرض ذاتها للمصائب عظيمة وتجعل بلادها مهزلة بين الدول

(٢) ولما وضع التعليم الاولي على بساط البحث والمناقشة . في مؤتمر التعليم الدولي الذي عقد في فندق كارلتون ببارك في جنيف هذا العام (عقب مغادرة جلالة الملك فؤاد للفندق ببضعة أيام) ، نهض رئيس المؤتمر دكتور مزو . من فطاحل رجال التعليم . ومنظم مدارس الصين واليابان وجزائر الفلبين . وقال ان بلدان الشرق جميعها أشد اهتماماً بالتعليمين الثانوي والعالي منها بالاولى . وقد أدى هذا الخطأ البين الى نشوة طبقة من المتعلمين الذين تولوا الزعامة في تلك البلاد . بين شعب أغليته الساحقة تمرغ في حجة الجهالة وأكثريته تقتله الامية . ولا يشك أحد في أن استفلال هذه الفئة الصغيرة للأكثرية . واتخاذها اياها طعمته . من أكبر الاسباب في تأخر الشرق وانحطاطه . والآن لنسمع الانسة النابغة كلمة قالتها آنسة فاضلة . ولعل أقوال النساء أشد وقعاً في نفسها من أقوال الرجال . في مؤتمر الاتحاد العالمي للتربية الذي عقد أيضاً في جنيف عقب المؤتمر سابق الذكر . ألقى الدكتورة مرغرنا كامبس الاسبانية . خطاباً ضافياً عن الامية والمحافظة على القوانين ادلت فيه بارقام ناطقة عن البلدان التي يزداد فيها ارتكاب الجرائم بنفسية الامية . وأشارت الى هولندا

والدائريك والسويد والزويج التي انهدمت فيها الامية منذ عهد بهيد . وما تبع ذلك من القضاء على الجرائم لدرجة أن في كثير من ولاياتها لم تنهقد محاكم الجنايات فيها منذ خمس وعشرين سنة فضلا عن استتباب السلام والهدوء والسكينة . مما يحدو بالزائر أن يعتقد أن سكان تلك الممالك أقرب الى الملائكة منهم الى بني الانسان

(٣) وخطب في الاجتماع عينه دكتور هرمن ليو المندوب الصيني عن الامية والتفاهم بين الأمم . وتلاه دكتور ريان الاميركي فبحث في موضوع الامية وتأثيرها في الكساد الاقتصادي وابلان أن تعليم الجمهور القراءة والكتابة أنجع الوسائل لتحسين الحالة الاقتصادية . وبرهن على أن كثرة الاميين في الامة تؤثر في المتعلمين من افرادها . لأن وجود طائفة صغيرة من أهل الثقافة بين طغمة من الجهال يحط من قيمتهم ويقتل معلوماتهم ولا يقوى فيهم الدفاع للنشاط والعمل

(٤) وقال خطيب آخر ان المدرسة القروية ينبغي أن تكون مركز الحياة الاجتماعية والادبية في القرية . كما ينبغي أن يكون معلموها زعماء القرية يرشدون الاهالي الى تحسين معيشتهم من جميع الوجوه . كرفع مستوى الصحة والاخلاق . والزراعة والصناعة . وجعل المدرسة في غير أوقات الدراسة قاعة كبيرة لاجتماع أهالي القرية للبحث في شؤونهم الاجتماعية والصحية وسماع النصائح والارشادات . والمحاضرات أحيانا

(٥) وقد شاهدت بين مندوبي المؤتمر الذي أقيمت فيه هذه الكلمات دكتور منصور فهمي . وكان بين الحضور أيضا الأنسة سفيه غزوى ناطرة مدرسة المعلمات الراقية ببولاق . والاستاذ حسني قنديل ناظر مدرسة سوهاج الثانوية . مندوبين عن مصر . وياحبذا لو ذكروا للقراء شيئا عما فاني قدوينه من هذه الاقوال وقد فاني أن أذكر أن مندوبا هندية أراد أن يدافع عن بني جنسه الذين تغلب فيهم الامية . فأغرق في الدفاع واسترسل فيه الى حد أنه خيل الى الاذهان أنه يجذب الامية ولا يرحب بالتعليم الاجباري فاحتد عليه الرئيس وحنق السامعون . وقد مثل الدور عينه في مؤتمر ثالث واسع النطاق لم يكن لي حظ حضوره في الدانمارك . كما علمت من أحد الاساتذة المندوبين عن وزارة المعارف بمصر . تقول الأنسة من اني أريد نشر التعليم بالاقيد ولا شرط (تقصد التعليم الاجباري طبعها) فذكرني قولها بكلام وزير معارف روسيا الذي أصدر سنة ١٨٢٤ منشورا يقول فيه . « العلم نافع فقط اذا كان كملح الطعام . يؤخذ منه كميات قليلة جدا . فاذا زاد التعليم وكثر التنوير انقلب الى ضده . لأن تعليم القراءة والكتابة للجميع خطر على السولة

(٦) وقد فات الوزير المحترم أن الاستعارة تعوزها الدقة والضبط . لأن الملح في الطعام ينبغي أن يؤخذ حقيقة بمقادير صغيرة . ولكن هذا لا يفهم منه أن عشرة في المائة من الناس يستعملون الملح وتسعين في المائة لا يتدققونه أبدا . فيفسد طعامهم . ولكن المرحوم الوزير كان يعيش في أرائل القرن التاسع عشر فهو معذور . اما نحن فقد أوشكنا أن نبدأ الثلث الثاني من القرن العشرين . فاعذرنا ؟ (اقرأ التعليم في روسيا قديما لمؤلفه دار لنتجتون)

(٧) كان غليوم الثاني امبراطور المانيا السابق يكره التعليم الاولي رغم انتشاره في بلاده . وكان من أقواله المأثورة « ان الديمقراطية في التعليم مخالفة لأوامر الله ومناقضة لمبادئ الدين والمسيحية » واليوم أصبحت ألمانيا بعده ديموقراطية في السياسة والاجتماع . في التعليم والعمل والحياة بجميع مناحيها انتهى وههنا لابد من إتمام هذا المقام ببيان أن كل امرئ يوضع فيما استعد له فأقول : « لا ريب أن الله عز وجل ما خلق أمة إلا ولها نظام خاص سواء أجهلوه أم علموه وهذا النظام لا أشك انه يكفل سعادتهم في الدارين ، ألا ترى أن عدد النساء والرجال يكاد يكون متساويا فقس عليه جميع ما يحتاجه الناس في حكمتهم وصناعاتهم فان بحثوا وجدوا في ذريتهم كل ما ينفعهم كما وجد كل رجل امرأة . وقد سهل الله الذكورة والانوثة



فعرفها الناس ولسكنه ستر الفرائز والأخلاق السكامنة لنبعث عنها بأنفسنا . ويعلم الناس قاطبة مسلمين وغير مسلمين ان نظام أهل الأرض الآن ناقص نقصا فاحشا فان جميع الأمم لم تستكمل استخراج المواهب العقلية والامتناع المادية فيجب البحث في استمداد التلاميذ مع تعميم التعليم ولتتحن كل تلميذ امتحانا خاصا وليوضع فيما خلق له حتى ينفع أمته . ويجب أن لايراعى إلا الاستعداد فابن النجار والحجار ربما صلح لادارة المجموع أوللفلسفة أوللطب . وابن الفنى والأمير ربما لا يصلح إلا للامور الصناعية . فليوضع كل في مركزه ثم لتخصص كل أمة فيما استعدت له . وهذا المقام قد استوفاه كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ الذى ألفتة ونشرته منذ عشرين سنة . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

### ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

( فى قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض - )

قد تقدم فى التفسير اللفظى بعض عجائب الينابيع :

(١) اعلم أن فى جوف الأرض مياهها دلت عليها الينابيع العذبة التى تخرج من قعر البحر فى كثير من محال مشهورة بذلك

(٢) وأيضا تنقذ مياه من جبال النيران عند ثورانها

(٣) كذلك الحفر المعدنية تفيض المياه من داخلها

(٤) إن بعض الأنهار تفيض ولا ترجع بعد ذلك أصلا فأين ذهب ماؤها؟ لاشك أنه حبس فى باطن الأرض

(٥) الأرض قد تتلعج جبالا وتظهر بحيرة عظيمة فى محل ذلك الجبل فأين كان الماء إذن؟ إنه كان فى باطن الأرض

(٦) الآبار الارتوازية التى حول (مودينه) وغيرها من البلاد

﴿ الماء معلق فوق رؤوسنا أيضا ﴾

فنه السحب والضباب ويكون نلجا لا يتحرك فيتوج رؤوس الجبال الشاخحة ويفشى جوانبها وأكنافها المنحدرة ويشكلها بأشكال لازوردية شفافة . هذه جعلت مخازن لانقذ فتكون دائما مددا للينابيع والعيون والنهيرات والأنهار

### ﴿ أسباب الينابيع ﴾

(١) الأتار الجوية المائية

(٢) ذوبان الجليد والثلج

(٣) رشح المياه

(٤) فعل القنوات الشعرية الأرضية

(٥) جرى المياه جهة الأجزاء المنخفضة من الأرض

ويوجد فى معظم المحال أحواض صغيرة متفرقة منعزلة عن بعضها تأتى إليها من جوانبها مياه الأراضى القريبة لها فى قنوات صغيرة تحت الأرض . فاذا قاضت عليها تلك المياه أرسلتها فى قناة واحدة متصلة بحافة من حوافها تذهب بها الى ماشاء الله . وربما لا يكون هناك حوض وإنما يخرج من الصخرة تيار مختلف حجمه بدون أن يعرف أصله . وهذان التياران يسميان بالينابيع والعيون . وهذه الينابيع اختلافها عظيم

جدا ولذلك تسمى بحسب ما يحدث فيها فيقال ينابيع حارّة أو باردة وطبيعية ومعدينية ومحللة وماصة ومحجرة ومقطعة ودورية ومقطعة وقابضة وغير ذلك . وقد اشتغل الكيماويون والطبيعيون والأطباء بدراساتها ومشاهدتها وتحليلها واستنبطوا منها وسائل نفيسة لشفاء الأمراض المختلفة والمسلمون ناعمون . انتهت اللطيفة الرابعة

### ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

( في قوله تعالى - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - )

قال ابن عمر رضي الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قلنا كيف نختم ودينا واحد وكتابتنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بأنها فينا نزلت . وروى مثله عن أبي سعيد الخدريّ ولكنه ذكر يوم حنين . وقال ابراهيم مثل ذلك في مقتل عثمان

هذا ماورد عن الصحابة . ومعنى هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يظنون أن المسلمين تنطبق عليهم هذه الخصومة فلما رأوا ما نزل بهم عرفوا أنهم يختصمون أي كما يختصم أهل الديانات المختلفة . فكما يختصم المسلمون وأهل الكتاب يختصم الحزبان المشاجران من المسلمين . هذا هو الذي قالوه . وانظر كيف حالنا اليوم

حكم الصحابة الذين هم أعلم بكتاب الله منا بأن المسلمين يختصمون عند ربهم يوم القيامة . لماذا يختصمون ؟ لأنهم اقتتلوا . واعلمى إن هذا شيء يسير بالنسبة لما وقعنا فيه . اقتتل المسلمون ومات بعضهم وتولى الحكم بنو أمية فإذا حصل ؟ ارتقى الاسلام ولم يسلط على المسلمين غيرهم وملكوا الأمم شرقا وغربا وانما هو نزاع قام باجتهاد فيما بينهم وكل له حجة والله هو الذي يفصل بينهم . أما نحن فواحسرتاه غلبنا الفرنجة فياليت الأمر كان قاصرا على عداوة بعضنا لبعض بل الأمر أعظم من ذلك جدا . اننا اقتتلنا حتى خضعنا جميعا لغيرنا ، فاذا اختصم الصدر الأول عند الله فكيف تكون حالنا نحن والفرنجة يحوسون خلالنا ويمنعون العلم عنا ويعثون في بلادنا الفساد والضلال والخلاعة والنسوق ويهلكون الحرث والنسل ، أتدرى لم ذلك ؟ ومن المسؤل ؟ المسؤل هم العلماء والملوك والأذكىاء ، سيئف العلماء بين يدي الجبار والعامّة والملوك وسائر الرؤساء فيقول لهم : « أعطيتكم أرض مصر واليمن والشام وبلاد الأناضول وبعض بلاد الهند والصين وبعض الجزائر وبعض أفريقية وقلت لكم إن أرضي واسعة فأياي فاعبدون . أيها المسلمون : فإذا صنعتم تركتم جبالى فلم تدرسوا ما فيها ، وبحارى فلم تعرفوا عجائبها ، وأرضي فلم تستوعبوا منافعها . فيقول العامة : ياربنا ان علماءنا قالوا لنا هذه علوم الدنيا لا علوم الدين وقالوا لنا كماكم أن تعرفوا ما بنى عليه الاسلام واكتفوا بعلم الفقه ، فيسأل العلماء فيقولون هكذا قال من قبلنا ، ويسأل الملوك فيقولون هكذا علمنا العلماء فيقول الله لهم : لقد أهنتكم في الدنيا بدخول الأجانب في بلادكم وسأعاقبكم على تفریطكم . أنتحجون بعلم النطقه وقد نص فقهاؤكم أن العلوم كلها فروض كفايات والعقاب على تركها شامل للأفراد والجماعات . ألم يكن لكم عقول تفقهون بها ؟ ألم يكن لكم أعين وأسماع وأبصار ؟ أظنتم انى أقول - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض - لا كتفى منكم في ذلك برؤية النظر . واذا كان النظر البصرى كافيا فأى فرق بين الانسان والحيوان وبين العالم والجاهل . إذن يكون نظرا الخليل في ملكوت السموات والأرض كمنظر العامة وهذا غير معقول »

« أيها المسلمون : أعطيتكم أرضي وأتيت لكم سمائى فلم تنظروا ولم تفكروا وقتلتم بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . لم أقل - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم



أَبَوَاهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ \* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ \* وَسَيُقَالُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هَلْ إِلَى الْجَنَّةِ زُجْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ \* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَدَّقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \*

### \* التفسير اللفظي \*

دعا رسول الله ﷺ الناس الى دين الاسلام فقال بعض المشركين قد زيننا وقتلنا وانتهكنا الحرمات فاذا أسامنا فكيف يفر الله لنا ومن هؤلاء وحشى فانه قال إن من قتل أوزنى أو أشرك يلقى أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله . وأيضا عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المشركين أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتنوا . وأيضا قال ابن عمر كنا نقول : « ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة » فلما نزل ولا تبطلوا أعمالكم وقد فسرت المبطل بالسكبات والفواحش فن أصاب شيئا من ذلك كنا نقول هلك فلما نزلت هذه الآية استبشر بها الجميع فأسلم وحشى وعياش بن أبي ربيعة ومن معه وكفت الصحابة رضى الله عنهم عن اليأس من صاحب الكبيرة بل استبدلوا اليأس بالخوف عليه . والآية هي (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) أى تجاوزوا الحد بارتكاب الكبائر (لا تقنطوا من رحمة الله) لانيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا (إن الله يغفر الذنوب جميعا) بالتوبة فان لم تكن فبالتعذيب فى الآخرة وذلك للمسلم ويغفرها بمجرد الاسلام لمن أسلم من الكفار (إنه هو الغفور الرحيم) ولما كان خيرا الأمرين : وهما التوبة والتعذيب فى الآخرة : أو لهما أردفه بقوله (وأنيبوا الى ربكم) أى توبوا اليه (وأساءوا له) أخلصوا له العمل (من قبل أن يأتكم العذاب ثم لاتنصرون) إن لم تتوبوا ، ولما كان ظاهر الآية المتقدم ربما يجعل بعض النفوس تغتر بظاهاها أردفه بما يوجب الاحتراس فى مثل هذا المقام وعدم الاتكامل ، فالدين وان كان واسعا قد حدد الله فيه لكل امرئ درجة ، فاذا أبلح لنا أن نأكل مانشتهى من أنواع اللذات فليس معنى هذا أن يقساوى المنغمس فى الخلال المرتطم فى لذاته المباحة ومن هو منفق للمال متصدق به خادم للجميع بل الأول أشبه بالحيوان وأقرب للأعنام وكونه مسلما لا يمنع من تقص درجته ، ان الأول لا يذكر بجانب الثانى ومع ذلك فهو فى رحمة الله الذى وسع فى ملكه السكاب والخنزير والتمل والنحل وما أشبهها مع الانسان فى الأرض بل ذلك يعد كمالا فى ملكه لأن الملك الذى خلا من الناقص ناقص ، فممثل المسلمين يوم القيامة إلا كمثل تلاميذ المدرسة فيهم السابق واللاحق والضعيف . وليس انتساب الضعيف البليد الى المدرسة بمانع من رسوبه فى الامتحان واعتباره متأخرا . كلا . بل قال الله تعالى - وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا - فأى نسبة بين درجات التلاميذ بالمدرسة ودرجات المؤمنين يوم القيامة . وكفالك هذا المثال أيضا حال الرجل المقصر فى المسلمين ولذلك حض الله على الأخذ بالأحسن فقال : لاتتكلموا على المغفرة وتعدوا كاسلين بل اجتهدوا



وسابقوا الى الخيرات (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) فاذا سمعتم المغفرة فلا يحملك ذلك على الاتسكال لأن هذا يقعد بهمكم وينزلكم أسفل الدرجات وغيركم يطير الى المعالي . فقد يكون المسلم في أسفل الجنة وبعض عبده أو خدمه أو المساكين من قرينه قد طاروا الى العلالى أو نظروا وجه ربهم . فلا تهاونوا في عمل الصالحات فضلا عن التوبة والاخلاص (من قبل أن يأتكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) بمجيئه فتتداركون بادروا الى العمل واحذروا (أن تقول نفس) أى بعض الأنفس وهى نفس الكافر (ياحسرتى على ما فرطت في جنب الله) أى قصرت في جانبه أى في حقه وطاعته فالجنب كناية فيه مبالغة \* قال الشاعر

أما تتقين الله في جنب وامق \* له كبد حرى عليك تقطع

(وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالؤمنين فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها (أوتقول لو أن الله هدىنى) أرشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المنقين) الشرك والمعاصى (أوتقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل فرد الله عليه قائلا (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أى قلت لست من الله وتكبرت عن الايمان بها الخ (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) زعموا أن له ولدا أو شريكا أو قالوا الأشياء الينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى) منزل (للتكبرين \* وينجى الله الذين اتقوا) الشرك والمعاصى (بمفازتهم) بفلاحهم وبالطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة . ثم بين المفازة فقال (لايسهم السوء ولاهم يحزنون \* الله خالق كل شئ) من خير وشر وإيمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف فيه (له مقاليد السموات والأرض) أى مفاتيح خزائنها واحدها مقلاد أو مقلد ومن ملك مقاليد الخزائن تصرف فيها كما يشاء فهو كناية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) مقابل قوله - وينجى الله الذين اتقوا - (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأصرونى أعبد) أى أجهلت فغير الله أعبد بأمركم بهد هذا البيان . فتأصرونى جملة اعتراضية (أيها الجاهلون) بالتوحيد ثم هدد الله المشركين موجهها الخطاب لرسوله ﷺ فقال (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى عملته قبل الشرك أى أوحينا اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك لئن أشركوا ليحبطن عملهم . وقوله (ولتكفون من الخاسرين) معطوف على جواب القسم الساد مسد جواب الشرط (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به (وكن من الشاكرين) إنعامه عليك (وما قدروا الله حق قدره) وقرىء بالتشديد أى ما قدروا عظمته فى أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أى والأرضون حال كونهن مجتمعات مع عظمتن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته يوم القيامة كأنها يقبضها قبضة بكف واحد والسموات مطويات بقدرته ، والقصد التنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة كل فعل عظيم بالنسبة الى قدرته والدلالة على أن تخريب العالم أهون شئ عليه (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم (ونفخ فى الصور) المرة الأولى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض) خرّوا مغشيا عليهم (إلا من شاء الله) كجبريل ، وميكائيل ، واسرافيل ، وملك الموت ، وجملة العرش أو نحوهم (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم (ينظرون) يقبلون أبصارهم كالمهوتين (وأشرفت الأرض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يشارون فى نوره كما لا يشارون فى الشمس فى اليوم الصحو (ورضع الكتاب) أى كتاب الأعمال أو اللوح المحفوظ الذى فيه جميع أعمال الخلق (وجيء بالنبيين والشهداء) الذين يشهدون للأهم وعليهم من الملائكة والمؤمنين (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما وعدوا به (ووفيت كل نفس

مآب ( وهو أعلم بما يفعلون ) فلا يفوته شيء من أفعالهم . ثم أخذ يفصل ذلك فقال ( وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ) أفواجا متفرقة بعضها في أثر بعض ( حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها ) ليدخلوها ( وقال لهم خزنتها ) توبيخا ( ألم يأتيكم رسل منكم ) من نوعكم ( يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار ( قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ) أى كلمة الله بالعذاب علينا وهى الحكم عليهم بالشقاوة ( قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مشوى المتكبرين ) والمخصوص بالذم جهنم ( وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ) أى سيقت صراكبهم كالوفود الى الملوك ( حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم ) فزتم ونجوتهم وطهرتم وصلحتهم ( فادخلوها خالدين ) وجواب اذا تقديره دخلوها ( وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ) بالبعث والثواب ( وأورثنا الأرض ) مكننا مما استقرنا عليه نتصرف فيه تصرف الوارثين فيما ورثوه ( نتبوا من الجنة حيث نشاء ) أى ينزل كل منا فى أى مقام أراد من جنته الواسعة ( فنعم أجر العاملين ) الجنة ( وترى الملائكة حافين ) محديقين ( من حول العرش ) أى حوله ( يسبحون ) حال من الضمير فى حافين ( بحمد ربهم ) ملتبسين بحمده أى ذاكرين له بوصف الجلال والاکرام تلذذا به ، ذلك للدلالة على أن أقصى درجات السعادات الاستغراق فى صفات الحق ( وقضى بينهم بالحق ) أى بين الخلق فبعضهم يدخل النار وبعضهم الجنة وبين الملائكة باقامتهم فى منازلهم ( وقيل الحمد لله رب العالمين ) على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون والملائكة . انتهى التفسير اللفظى

### ﴿ لطائف القسم الثالث من السورة ﴾

- (١) فى قوله تعالى - إن الله يغفر الذنوب جميعا - الخ
- (٢) فى قوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره - الخ
- (٣) فى قوله تعالى - وأشرقت الأرض بنور ربها - الخ
- (٤) فى قوله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق -

### ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

( فى قوله تعالى - إن الله يغفر الذنوب جميعا - )

هذه الآية للتنبيه على أنه لا يجوز للعاصى أن يظن أنه لا مخلص له من العذاب فان ذلك قنوط من رحمة الله وهو من الكبائر ، وكذلك من أمن مكر الله ، فكل من تاب غفر الله له ومن لم يتب فأصره الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه

### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

( فى قوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه - ) فى حديث رواد البخارى ومسلم عن ابن مسعود قال : جاء جبريل الى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك وقال - وما قدروا الله حق قدره - الآية . انتهت اللطيفة الثانية

## ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

( في قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون - )

فيه ذكر النور والكتاب والقضاء بالقسط والشهداء ، وجاء في الحديث أنه يتجلى الرب على خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في اليوم الصحو  
كل ذلك راجع الى ظهور الحقائق وتبيان كل شئ والعدل التام بالميزان العدل ، ولعمري إن ما ذكر من ذلك في عالم الآخرة هو الذي يشاهده العقلاء والحكماء في الدنيا ، وهل هناك فرق بين عالم أو بين الدنيا والآخرة من حيث النظام والاشراق ، الأرض تشرق بنور ربها يوم القيامة وأرضنا اليوم وسمواتنا مشرقة بنور الرب ولكن ذلك النور وذلك العدل اليوم محجوب بحجاب غليظ عن أعين أكثر الناس ، إن أكثر الناس اليوم ممنوعون عن الوقوف على الحقائق لأن هذا هو نظام هذه الدنيا ونظامها أن من فيها يكونون ضعاف البصائر فاذا تجلى الله لهم في عالم بعد هذا أدركوا أن كل أفعاله موزونة ، وهل لك أيها الذكي أن أذكر لك قلا من كل من ذلك الاشراق الذي تجلى به الله في هذه الدنيا على المفكرين وحجبه عن أكثر الغافلين لما يرون من موت وحياة ، ومرض وصحة ، وغنى وفقير وظلم وعدل ، وتفاوت في الأرزاق والأعمال والآجال والأخلاق والأجسام ، والرفعة والضعفة ، والعز والذل ، وما أشبه ذلك ، فاذا أشرق البصائر أدركت الحقائق فظهرت للبصيرين ، وفي هذا المقام جواهر :

## (١) - ﴿ الجوهرة الأولى : عدل الله في عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ﴾

انظر الى عالم الحيوان والنبات ، قد تقدم أن النبات يحتاج الى مقدار كبير من الكربون لغذائه وتقوية أعضائه فلذلك يأخذ من الهواء حامض الكربونيك وهو مركب من الكربون والاكسوجين فيحمله في بنيته تحليلا تاما ويأخذ الكربون أى المادة الفحمية لنفسه ويخرج الاكسوجين الى الهواء ، ثم ان الهواء يأخذ ذلك الاكسوجين فيوصله الى الحيوان فيستنشقه ويدور في الدورة الدموية فيصلحها ويخرج الحامض الكربونيك الى الهواء ، فالحيوان يركب في جسمه الحامض الكربونيك ويدفعه الى الهواء والنبات يتقبله فيحمله ويرجع الى الهواء الاكسوجين ، ويطلق العالم (بروفيار) أن مقدار ما يخرج به النبات من الاكسوجين يستد ما يحتاج اليه الحيوان تماما ، فانظر للعدل ، وانظر للنظام ، ألا ترى أن نظام النبات والحيوان قد قام بالعدل أوليس هذا هو نور الله المشرق ؟ يراه المفكرون ويحجب عنه الغافلون

يقرأ الناس - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - واذا امتحنوا طالبا أعطوه مسائل من العلوم فتى أجاب فيها عرفوا انه عالم بتلك العلوم ، ويجالس الرجل عالما فيعرف من حديثه مقدار علمه ونحن وان كنا لم نطلع من العلوم إلا على مقدار صغير مما تحتمله عقولنا في الأرض ندرك من هذا المثال ومن أمثاله مقدار العدل والنظام التام الذي نعيش فيه ، نعيش في الدنيا فنرى اننا لانحيا إلا مع النبات والحيوان وننظر فنجد اننا لو كنا نحن والحيوان في الأرض وليس معنا نبات وكان لنا رزق آخر غير النبات لم يستقم العيش على الأرض ، لماذا ؟ لأنه لانبات يحلل الكربون الذي يخرج من تنفسنا ويتركه جيلا بعد جيل فيفسد الهواء ويموت الأحياء ، فبالعدل والنظام وجود النبات وتحليله لذلك الكربون وارساله ما كان مركبا معه من الاكسوجين الى الهواء أمكن أن نعيش فوق الأرض

أيها الذكي : كم من متعلم علم الطبيعة وهو يمر على هذا صر النسيم على الحمصاء أو الصرصر على الفضاء . يقرأ كثير من الناس العلوم ولا ينظرون نظرة عامة . فالعلوم في عقولهم أشبه بالأدوات المستحضرة لبناء البيت

من لبن وطين وخشب وحجر ثم لا يجمع بينها ولا يرى لها صورة جميلة في نفسه منقوشة على صفحات قلبه  
يزدان بها فؤاده . ذلك مثل أكثر المتعلمين

### (٢) - ﴿ الجوهرة الثانية : العدل بين البرّ والبحر في النبات والحيوان ﴾

يرى الناس فوق الأرض حدائق وأعشابا وبساتين وأعشابا وجنات ألفافا وزهرا باهرا وجمالا ظاهرا  
وعجبا عجبا . ينظرون البحر فلا يرون إلا ماء أجاجا وأمواجا ثقلا لانبات فيه ولاشجر ولاحدائق ذات ثمر .  
لكن بعد التأمل والبحث يرى في البحر كما في البرّ حقول ومزارع نضرات وأشجار باسقات عجيبات .  
ولأذكر لك منها الجزائر المرجانية لترى العدل قائما بين الماء والتراب والبحر والبرّ

لوانك ذهبت الى المحيط الهندي الى المحيط الهادى (الباسفيكى) لرأيت هناك شجيرات المرجان الحية  
ذات الأغصان والفروع مغبرة أو مصفرة تسرى الناظرين أو حراء كالقرفل أو زرقاء كالزمرد تتلاعب بها الأمواج  
وهي لطيفة المزاج لسنة الأعطاف ثم لا تلبث بعد حين أن تبرز من اجتماعها جزائر مستديرة الشكل كأنها  
شكل الخاتم أو شكل الحلقة وهي مكونة من تلك الأشجار اللينة الأعطاف التي تراكت وصلت وصارت  
صخورا مرجانية يبلغ محيطها فراسخ كثيرة . وترى ماء المحيط ينكسر على جوانبها البيضاء المهيجة المناظر  
السارّة للناظرين . منظرها عجيب وأمرها غريب تجذب قلوب الشعراء وتخلب لبّ الحكماء . وترى هناك  
أميرين بديعين : أمر ماء البحر المتلاطم الأمواج المتكسر على شواطئ جزيرة المرجان وهي زرقاء سوداء لفرط  
عمقها وأمر الحوض الذي هو وسط الجزيرة الذي يضرب ماؤه الصافي الى الصفرة والخضرة معا . ماء المحيط  
متقلب يرتفع وينخفض . وماء تلك الجزيرة راكد في وسطها ساكن . وهذه الجزر يقل ارتفاعها عن الماء  
وسواحلها مكسوّة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والمرجان الذي تبنى منه الشطوط المرجانية لا يعيش على أعماق  
من (٢٥) قامه . وما أكثر هذه الجزائر . فمنها مجموع جزائر تبلغ (١٠٠٠٠٠) مائة ألف جزيرة مرجانية  
ومنها مجموعة تبلغ (١٠٠٠) ألف جزيرة . وهي جزائر متناسبة الارتفاع . فالأولى هي المسماة (بلسكاديف)  
والثانية هي المسماة (ملاديف)

فانظر كيف اعتدل الأمر بين البرّ والبحر فكان نبات في البرّ ونبات في البحر ولكن لا تظنّ من قولنا  
نبات اننا نقول ان المرجان نبات . كلا . انه حيوانات كثيرة صغيرة منتظمة في حال واحدة معا تكون على  
هيئة الأغصان والأوراق والأزهار وهي حيوانات باجتماعها أشبهت هيئة النبات

### (٣) - ﴿ الجوهرة الثالثة : العدل في خلقه العيون وعدمها وهو من نور الله في أرضنا ﴾

معلوم أن العين خلقت لمنفعة الحيوان ، ولاحيوان إلا وهو محتاج الى العيون ، ولكن ظهرت أن من  
الحيوان ما تكون العين بالنسبة له جلا ثقلا ولاثمة لها عنده ، ذلك أنواع من السمك تعيش على عمق  
(٢٧٥٠) قامة والقامة مقياس مقداره ستة أقدام . وتسمى هذه بالحيوانات القرارية . فضوء الشمس معدوم  
عندها لأنه لا يصل إلا الى عمق (٢٠٠) مائتي قامة وما تحت ذلك فهو ظلام حالك . ولذلك لا يرى أثر للعيون  
في كثير من فصائلها . ومن السرطان نوع يكون له عيون وهو عائش قرب سطح الماء . فاذا عمق مسكنه  
وصار ما بين (١٠٠) قامة و(٤٠٠) قامة من السطح فقد عينيه وقد يبقى له منهما موضع الأثر . وما يعيش  
منه على بعد (٥٠٠) قامة الى سبعمائة قامة يعدم الآلة البصرية

فانظر الى العيون كيف عدمت عند عدم الحاجة اليها إذ لا ضوء تبصر به وكيف ظهرت في الحيوان عند  
اقترابه من ضوء الشمس وعدمت عند عدم الضوء - إن ربك حكيم عليم -

### (٤) - ﴿ الجوهرة الرابعة : السمك ذو المصباح ﴾

وهل أتاك أيها الذكي نبا السمك الذي يعيش في قرار البحار في الظلام الخالك الذي لاتصله الشمس



وهو مع ذلك ذوعينين كاملتين عجيبتين تلمتين . فانظر كيف يبصر بهما ولا ضوء هناك . وقد قلنا ان الضوء لا يعدو مائتي قامة فكيف وهو في ابعاد الأغوار ولا ضياء هناك . فانظر كيف أبدع الله لذلك الحيوان ما أبدعه لنا على هذه الأرض . ألم تر اننا في ظلمة الليل نوقد المصابيح الكهر بائية والزيتية والشمعية وما أشبه ذلك أعطانا الله ذلك لغستضىء اذا احتيجنا الى الضياء ونكف عن الاستضاءة اذا أردنا النوم والسكون فيكون الضوء تحت ارادتنا بأفعالنا . أما في النهار فالضوء عام بغير ارادتنا . فانظر ماذا فعل الله مع ذلك الحيوان ! أعطاه عضوا يشع سراجا وهاجا بحيث يكون أمام عينيه ليكشف به الفريسة . ويظهر ذلك النور أمام عدوه المفاجيء له ليهره بالنور ثم يطفئه أسرع من البرق . فهذا السمك يستعمل النور بحكمة يكشف به الفريسة ويطفئه اذا هاجه العدو وقد جعل له أمام عينيه ما ينعكس الضوء بمقياس خاص . فانظر كيف أعطى الله السمك المقتنص العيون والضوء الذي تحت ارادته ليكشف القنينة ولولا ذلك لم يقدر أن يعيش إذ حياته بالصيد ولاصيد مع العمى والظلام . وكيف منع العيون عن غير هذا النوع لأنه ليس في حاجة لذلك لأن رزقه متوافر لديه حاضر عنده والا لأعطى العيون والضياء . والضوء هناك والعيون يشبهان بما أعطى السبع من البرائن والأنياب المحددة والقوة العظيمة حتى يقدر على الصيد . وقد علمت في هذا التفسير أن الحيوانات المفترسة في البر والبحر رحمة لحفظ البر والبحر من التعمق بالرغم التي تموت فيكون الوباء العام كما أوحناه مرارا في هذا التفسير

بهذا فلنفهم قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها - فهذا نوع من اشراق الأرض بنور الله ولا يدرك هذا النور وهو العدل والنظام في هذه الدنيا إلا قليل وأكثير الناس عن هذا الجبل معرضون فياليت شعري كيف يكون كتابنا هذا مقتضاه ونزى المسلم لا يقرأ علم التوحيد إلا على نمط مبهم غامض . ألا ترى كيف يجعل بحثه قاصرا على نحو « ان العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث » وهكذا وهو مغمض العين عن هذا الجلال بعيد عن هذا المنال . يقول الله - وأشرق الأرض بنور ربها - ويقول - إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح - والمسلمون وحدهم أكثرهم يغمضون العيون عن هذا المنظر الجليل البهيج فهذا هو الاشراق النوري في الأرض وهو نظير الاشراق يوم القيامة في عالم الأرواح . واذا أشرق الدنيا على هذا النمط وقد أدرك هذا الاشراق حكاء الانسان . ومعلوم أن عالم الأرواح أصفى وأبهج وأعدل فهناك فليكن العدل والعلم . وكلما كانت الأرواح أصفى وأبقى بالعلم والتهذيب والأخلاق كانت الى الوقوف على الحقائق أقرب وبالعلم تعرج الى العلالى والمعارض . ولا معنى للعروج إلا زيادة انكشاف الحقائق . وكل من كان في الدنيا أكثر علما وشوقا له كان في الآخرة أسرع وصولا وتحقيقا وعروجا . وهذا هو :

### ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

( في قوله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين - )

في هذه الآية ذكر الملائكة وانهم حافون حول العرش وانهم يسبحون وأن التسبيح ملتبس بحمد الله وانهم في مراتبهم التي يستحقونها هم والمؤمنون وغيرهم ، وأن المؤمنين والملائكة يقولون الحمد لله رب العالمين وسيأتي في سورة حم المؤمن وهي ﴿ سورة غافر ﴾ أى في أولها أن الذين يحملون العرش والحافين حوله وهم الكروبيون يسبحون مع حدر بهم وأن أرجلهم في الأرض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وجميع الملائكة يغدون ويروحون بالسلام عليهم الى آخر ما سيأتى ، فذكر في هذا المقام هؤلاء الذين هم سادات الملائكة وهم المدبرون لهذا العالم من عرشه لفرشه ، ذلك لأن معنى اختراقهم

للعرش ووصول أرجلهم للفرش الاحاطة بالعوالم كلها علما وتديرا بأمر ربهم ، ومعنى كون الملائكة تسلم عليهم انهم يتلقون الأوامر عنهم فرجع الأمر كله الى العلم والعمل . وهذا هو الذي أوجب ذكرهم هنا للناسبة ، ألا ترى أن ما قبلها فيه أن الأرض أشرفت بنور ربها وأن القضاء عدل وأن أهل الجنة سيقيموا اليها وفتحت أبوابها لهم وسلم الملائكة عليهم وحمدوا الله إذ أورثهم أرض الجنة ، فهنا حمدان : حمد المؤمنين لما دخلوا الجنة فقالوا - الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض - الخ فهذا حمد على شيئين : صدق الوعد . وميراث أرض الجنة . وحمد الملائكة بحمدون الله حمدا ليس خاصا بأمر يرجع الى أنفسهم أو صدق الوعد معهم . كلا . بل هو حمد على تربية العالم كله علويه وسفليه . وهذا الحمد أعلى . ولذلك ترى أهل الجنة الذين حمدهم مقيد ينظرون الى الملائكة الحافين حول العرش وقد أنزلوا مراتبهم وحمدوا محامد عالية شريفة يجلس أهل الجنة في الجنة ويرون الملائكة حافين من حول العرش الخ . حال الملائكة أرقى من حال أهل الجنة لأهم مدبرون للعالم وأهل الجنة في ركن منه وهي الجنة ، والعالم الروحي أرقى من العالم الجثامي وأجل فلذلك عبر بلفظ ترى إشارة الى رفعة شأنهم وكأن الناس ينظرون اليهم نظرا للاحترام إن درجة الملائكة قبل درجة أولى العلم في قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط - . فأهل الجنة من العامة والعلماء بعد الملائكة فلذلك كان حمدهم واجعا للنظام العام . وكما كان الانسان في الدنيا أغزر علما بجمال هذا العالم كان أسرع رقيا في درجات الآخرة وأقرب الى الملائكة . فلاقرب لله إلامن حيث ازدياد العلم والانكشاف والحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة الرابعة

### ﴿ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن ﴾

( في آخر سورة ص وأول سورة الزمر )

من قوله تعالى - ما كان لي من علم بالملا الأعلى - الى قوله - فأنى تصرفون - سبحانه اللهم وبحمدك . تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . أنت الذي أنعمت بنعمة العلم والعرافان وشرحت صدورنا ويسرت لنا ظهور بعض الحقائق العامة التي أغفلت عنها أمم وأمم تبين لي أن أمم الاسلام المستقبلية قد أذن لها أن تعرف من العلم ما لا يعرفه كثير من سبقها بعد العصور الثلاثة الأولى . إن حقائق العوالم والأسرار الكامنة في القرآن كانت تكشف لأفراد فيكمتمونها وجوبا ويموتون وإذا كتبوا عنها فإن ذلك كان تحت ستار . أما اليوم فأنى أرى أن الحقائق ستندرجي للأمم المستقبلية الاسلامية الذين سيكونون خير أمة أخرجت للناس كما كان الصحابة والتابعون وتابعوهم - خير أمة أخرجت للناس - ونظرة في المحاور الآتية تبين مغزى ما قلته الآن

في يوم السبت (٦) أغسطس سنة ١٩٣٠ حضر لدي صديقي الذي يباحثني في هذا التفسير فقال : إن آخر سورة ص وأول سورة الزمر فيهما مشكلات حيرت عقلي وأدهشتني ! إن هذا التفسير قد تجلت فيه حقائق كثيرة ولكن أكثر الحيرة والشك ترجع الى ما يأتي :

(١) الله عظم الانسان إذ أمر الملائكة الأرضية بالسجود له - فقهوا له ساجدين -

(٢) وإذ خلق السموات والأرض ، وكوّر الليل والنهار ، وسخر الشمس والقمر

(٣) أنزل له من الأنعام ثمانية أزواج الخ

ولكنه أذاه بما يأتي :

(١) أباح لإبليس أن يغوى أكثر ذريته

(٢) وحكم على ذرية آدم أن يكونوا مع إبليس وذريته في جهنم ويملأوها من القرابين

(٣) ثم إنه في الرحم يكون في ظلمات ثلاث

فهو في الرحم في ظلمات ، وإذا خرج الى الأرض يكون تحت سلطة الشياطين ، وإذا مات دخل أكثر  
 بنى آدم جهنم . إذن هذه ظلمات متواليات : في الرحم ، وفي الحياة ، وبعد الموت . فالظلمات متتاليات على  
 هذا الانسان . ظلمات جسمية في الرحم ، وظلمات عقلية بالوسوسة فوق الأرض ، وظلمات جهنمية بعد الموت  
 فهذه أمور مشكلات وإذا قرأنا ما تخلل هذه الظلمات وجدنا رحمة واسعة إذ جاء فيما بين السورتين « بسم  
 الله الرحمن الرحيم » وهي آية من السورة ، فذكر الرحمة هنا مشكاة . وكيف تذكر الرحمة هنا والمقام فيه  
 الرحمة والغضب فهل تسليط إبليس على ذرية آدم وادخالهم جهنم يناسب الرحمة المذكورة في أول السورة ؟  
 هذه مشا كل علمية لم تحلها العقول قديما إلا رمزا وما السبيل لحلها ؟ فقلت الحمد لله . إن بيانك الذي  
 أردت به إيضاح الاشكال أفادني حقيقة الجواب . فقال وكيف ذلك ؟ فقلت لأوضح لك المقام إيضاحا تاما .  
 أنت ذكرت أن هذه الآيات فيها أن بنى آدم في ظلمات الرحم . وانهم تحت سلطان الشياطين في الدنيا وهم  
 معهم في جهنم وأن هذا كله يناق الرحمة . هذا ملخص إشكالك . فقال نعم . فقلت : وماذا تقول اذا علمت  
 أن الله لو لم يفعل ذلك لم يكن رحيمًا بنا وأن تسليط إبليس وظلمات الرحم الثلاث كلها نعمة لانقمة وما نظنه  
 في بادئ الرأي نقمة هو في حقيقته نعمة لكن بعد الدرس والعلم والله جلّ أن يعطي النعمة لمن لا يستحقها  
 وهل يستحق إدراك الحقائق إلا الدارسون . أنا سأسمعك الحقيقة اليوم ناصحة واضحة وهل يفهمها إلا العارفون  
 أو يدركها إلا المفكرون الذين درسوا من كل فن طرفا . فقال : لقد شوقني الى الجواب وادراك حقيقة  
 هذه الأسرار . فقلت : انظر رعاك الله الى الطفل في بطن أمه كما ذكرته أنت . انه وضع في الحجب الثلاث :  
 في الرحم محافظة عليه كما هو معلوم للناس قاطبة فلوانه تعرّض للشمس لم يعش بل لو ظهر للهواء مجردا من ضوءها  
 لم يعش . فإله عز وجل لم يمنعه من نعيم الهواء وضوء الشمس ضنا بالنعمة واذلالا وانما منعه ذلك رحمة  
 ورأفة وتحننا فلاحد هذه الرحمة ولولا هذا لم يترب في بطن أمه . وأنا موقن انك ما ذكرت هذا في الاعتراض  
 إلا لأنك جعلته ضرب مثل للظلمات العقلية التي سببها إغواء الشياطين للانسان والافأنت تعلم وجيع العقلاء  
 يعلمون أن هذه الظلمات في الرحم نعمة . فالذي دعاك لذكرها انما هو التنبيه على أن هذه الحجب تذكرنا  
 بالحجب العقلية التي تعتريه بعد خروجه الى الأرض وهو يعيش مع الناس . قال حقا هو كذلك . فقلت : وماذا  
 تقول اذا قلت لك ان ما جعلته أنت ضرب مثل للاذلال رأيت أنه أنا ضرب مثل للأنعام . فقال : أنا لم أفهم  
 ما قصد فأرجو إيضاحه . فقلت : إن الله حجب الجنين في الرحم في ظلمات ثلاث وقد اتفق العقلاء أن هذا  
 رحمة لانقمة ، ذلك لأن الجنين لا يقدر أن يقابل ضوء الشمس ولا الهواء طبعها لضعفه فأنت انتهزت هذه الفرصة  
 وجعلتها أشبه بضرب مثل لما سيلحقه من الظلمات ، وأنا أوضح لك الآن أن هذه ضرب مثل لما سيلحقه  
 من النعم . إن هذا الجنين المحجوب بالظلمات الثلاث رحمة به اذا خرج الى الأرض حجب بنحو (١٦)  
 ظمة جسمية محافظة على حياته ورحمة به ، وما يقرب من مائة ظمة عقلية محافظة على عقله والا لاختل نظام  
 تفكيره ، فاذا رأينا الجنين حفظ بهذه الظلمات الثلاث في الرحم فالرجل يحفظ من الهلاك الجسمي بظلمات  
 تبلغ (١٦) ومن الهلاك العقلي بظلمات تبلغ نحو المائة ، وكما أن الجنين لو تعرّض للجوّمات ، هكذا الطفل  
 والمراهق والبالغ والشيخ إن كان جوّ الأرض ليس فيه طبقات من الغبار والذرات التي تحجب ضوء الشمس  
 وتطفئه وتخففه ثم تكون سبب انتشاره لكانت الحياة لا تطاق ، فأنواع الغبار والدخان الخارجات من الأرض  
 المعتمة لهذا الجوّ ما هي إلا حجب لأبصارنا وهذه الحجب لولاها لم نطق الحياة على الأرض ولم ينتظم ضوء  
 الشمس حين وقوعه على الأرض ولم يكن عندنا فجر ولاصبح ولاوقت فيه شفق بل تطلع الشمس وتغرب  
 فجأة ويكون ضوءها شديدا دائما فلانطبق العميون رؤية قرص الشمس صباحا ولامساء ويكون الضوء فجائيا

والظلام فجائيا . فهذه الحجب والظلمات في الجوّ نسبتها الى حياتنا على الأرض كنسبة الظلمات الثلاث للجنيين ومثل ما قلنا في ظلمات الجوّ النافعات في انتشار الضوء الموزعات له على الكرة الأرضية المصلحات لحال أهل الأرض نقول في وساوس الشيطان . وما وساوس الشيطان إلا أمثال ما نراه من تهافت الذباب على طعامنا وشربنا مع اننا نأكل العسل الذي نشأ من خلايا النحل . فنسبة وسوسة الشياطين الى عقولنا من حيث انها تصدنا عن الاطلاع على الحقائق فجأة ونحن لانطيقها كنسبة ظلمات الجوّ البالغة (١٦) ظلمة من حيث انها تخفف ضوء الشمس الواصل الى عيوننا بحيث يقلّ في أكثر النهار عما يمكن أن يصل اليها فوق ألف مرّة . إذن ضوء الشمس لا بد أن يخفّ بحجب حين يصل لنا والعلوم والمعارف التي يتجلى الله بها على عقولنا اذا لم تحجبها الوساوس الشيطانية التي استعدت لها نفوسنا بشهواتنا وأخلاقنا الأرضية فانها تكون سببا في إهلاك أرواحنا لأنها لاتقدر أن تتحمل جميع الحقائق دفعة واحدة كما لاتحتمل عيوننا ضوء الشمس من غير أن يلطف بظلمات الجوّ وكما لاتحتمل الجنيين أن يعيش إلا في ظلمات تقيه

أنا أقول هذا وأنا أصبحت موقنا به إيقانا تاما . وهذا هو اليقين الذي أعلنه لأهل الأرض قاطبة ولك أنت أولا . فقل لهم جميعا إن الله أذن باظهار الحقائق

إن مافي الأرض من الأخلاق الفاسدة واغواء الشياطين الأرضية . كل ذلك رحمة لأنه لولاها لم تتحمل العقول شמוש المعارف العلمية التي تستعد لها النفوس الأرضية بفطرتها . وكما أن الطعام الذي كثرت مادة الغذاء فيه كاللبن واللحم والبيض اذا داوم اصرؤ عليه فان عاقبته تكون هلاكا له غالبا لأن هذه المواد الممتلئة أغذية اذا وردت على الجسم أخذت تهجم على الحويصلات هجوما شديدا فتظهر القوة وحسن الشكل وجرّة الخد ورواق الجسم ثم لا يلبث الجسم أن يصل لاحدى نتيجتين : إما أن يكون قويا فتخرج له بشور وتظهر أمراض بها تخرج تلك العلل . واما أن يكون ضعيفا فلايقدر على ذلك التصريف بالأمراض فيفاجئه الموت بكرة أو عشيا

هذا ما تقدم في هذا التفسير مرارا وتكرارا عن علماء الطب في العصر الحاضر . أقول : كما ان الطعام هذا شأنه هكذا العلوم والمعارف فهي أغذية للروح وللروح استعداد خاص كما للجسم . فكما أن الأغذية اللبنة واللحمية والبيضية قد يكون فيها خطر على الأجسام كما تقدم هكذا العلوم التي تصل للعقل فجأة تهلك الروح . وكما أن الأغذية النباتية ونحوها ( وفيها أغذية غير مركزة بل هي داخلية في ضمن مواد أخرى ) تدخل على الحويصلات الجسمية بلطف فلا تزعجها هكذا المعارف والعلوم اذا وصلت الى الأرواح والعقول شيئا فشيئا تدريجا تكون مقبولة ولا تضر فيها ، وكما أن الشمس يظهر نورها على جميع الأرض وقد خفت بالغبار في الجوّ هكذا الأنوار الإلهية التي يرسلها الى عقولنا لا بد من تخفيفها حتى تتحملها عقولنا ، وأول حجبتنا أجسامنا فهي ظلماتية ثم شهواتنا وأنواع شرورنا التي تحيط بنا احاطة الغبار والدخان في جؤنا بعيوننا ، وكما أن الغبار والدخان ظاهرهما عذاب وباطنهما رحمة ، هكذا وسوسة الشياطين التي لاتكون إلا تبعا لشهواتنا هي نعمة باطنا نعمة ظاهرا ، وأضرب لك مثلا : لقد ظهر في أمريكا غلام منذ نحو (٢٠) سنة فأكثر دخل المدرسة وأخذ يتعلم الحساب فما مضت نصف سنة وهو لم يبلغ سبع سنين حتى فاق أباه في العلوم الرياضية كلها وأتى بحساب مجهولونه فانهم كلما قالوا له : اجمع الطرح الضرب القسمة اللوغارتم المعادلات الجبرية يقول لهم أنا أعرفه وكان أبوه رئيس الكلية فطلبوا علماء الطب من أقطار الأرض فبعثوه وقالوا جميعا إن هذا الغلام قصير الأجل لأن عقله أكبر من جسمه وهذا الجسم لا يتحمل هذا العقل وقد مات وسنه (١٣) سنة ، وقد ظهر كثير أمثاله على هذا النمط ، فهؤلاء جاؤا الى الأرض ليوقفوننا الى أمثال هذه الحكم ولنعرف أن حياتنا كما أن فيها ذبابا وحيات وعقارب لا يذاتنا فيها نحل ودود قز وأنعام لاسعادنا ، وأن التقيضين لا بد منهما ، وأن النعم التي



لا تقيم معها مجهولة مكفورة بها والصدى يكون سبباً في ظهور ضده . وأنا أيها الصديق أرى أني قد استوفيت هذا المقام وأنا أجد الله جداً كثيراً واهلك قد اكتفيت بما سمعت . فقال : أما هذا البيان فلم أسمعه في حياتي منك ولا من سواك ولكني لا أترك القول يمرّ بلا فهم ببعض ما تقدم . ماهي الظلمات التي في جوفنا ؟ وكيف تقول إن الغبار والدخان تصنعان حجبا في الجوّ تبلغ (١٦) حجبا ؟ وكيف تقول إن ضوء الشمس يكون أقلّ فوق ألف مرّة ، كل هذه أغاز لا تحلّ إلا بالايضاح . فقلت يا صاح وهل يوضح هذا إلا العلوم . فقال أي علوم ؟ فقلت علوم الطبيعة والفلك . فقال أحب أن تشرح المقام شرحاً وافياً لنفرح بالعلم ونسعد بالحكمة فقلت : اعلم أن الجاهل يعيش ويموت ولا يحظ له من هذا الوجود ، أما الحكيم وأما العالم فإنه هو يرى أن هذه الدار أشبه بالقصور المسحورة فإن مشاهدته أشدّ غرابة من مشاهد دور الصور المتحركة التي تمثل فيها الوقائع الحربية والطبيعية وغيرهما فشاهد الدنيا مملوءة بالأحوال الغريبة

(١) فانظر إلى الكواكب ليلاً والشمس في وسط السماء فانك تراها قريبة منا ، ثم انظر إلى الشمس عند الشروق وعند الغروب فانك تجدها بعيدة عنا وهذا عجب كيف تبعد الشمس في الشروق والغروب وتقترب وقت الزوال ؟ أليست الأرض تدور حول الشمس في دائرة منتظمة وبعدها من جميع الجهات متحدد في اليوم الواحد فهل تبعد عند الصباح وتقترب وقت الظهر ؟ إذن ليست تجرى في دائرة بل في خطوط منكسرة ولا قائل به

(٢) ثم انظر إلى الشمس صباحاً فاننا نقدر أن ننظرها بأبصارنا مع بعدها ، وانظر إليها وقت الظهر فاننا لا نستطيع النظر إليها مع قربها منا في رأي العين وكثرة الضوء

(٣) ثم إن النجوم الثوابت تراها قريبة منا والشمس تراها بعيدة صباحاً ومساءً كما تقدم مع أن الشمس بيننا وبينها بسير النور (٨) دقائق و (١٨) ثانية ، وبيننا وبين الكواكب آلاف وملايين السنين بسير الضوء ، فكيف كانت هذه المشاهد ساحرة لعقولنا غريبة الأطوار عجيبه الأحوال

هذه هي الغرائب الساحرة المحيطة بنا وهذا لا يفهم إلا بالنظر في علم انكسار الضوء من علم الطبيعة أولاً وبالنظر في علم الفلك من حيث ضوء الشمس وانتشاره على الأرض ثانياً ، وقبل ذلك نشرح علم الهواء . إذن هنا « ثلاثة فصول : الفصل الأول » في شرح الهواء « الفصل الثاني » في انكسار الضوء في علم الطبيعة « الفصل الثالث » في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك . فقد جاء في كتاب الاصول الوافية في علم القسموغرافيا لأستاذنا المرحوم حسنى بك

### ﴿ الفصل الأول في علم الهواء ﴾

تحاط الأرض من جميع الجهات بغاز ضروري لوجودنا وعلى أي ارتفاع يرتقى إليه يوجد الهواء دائماً لكن من المحقق أن هذا الهواء لا يمتد إلى غير نهاية في الفراغ بل يكون حولنا طبقة تسمى جوّاً . ويتكوّن من الجوّ والكرة الأرضية جسم واحد لأنها تجذبها إليها ويشاركها في جميع حركاتها

ويظهر أن تركيب الجوّ ثابت في جميع الأقطار وفي جميع الارتفاعات وهو مخلوط من الأكسيجين والازوت بنسبة ٨٠ و ٢٠ حجم من الأكسيجين إلى ٧٩ و ٢٠ من الازوت وبنسبة ثقل قدره ٢٣ جزءاً من الأكسيجين إلى ٧٧ من الازوت . ويحتوى خلاف ذلك على بخار الماء وأثر من حمض الكربونيك

وللجوّ جميع خواص الغازات . ومرونته وكثافته يتناقصان كلما ارتفع الانسان وذلك لأن الهواء جسم ثقيل كباقي الغازات وعليه يجب أن تكون الطبقات السفلى أكثر كثافة وأكثر انضغاطاً من الطبقات العليا التي تحمل ثقلها وبالاقتراب من نهاية الجوّ يجب مقابلة طبقات خفيفة للغاية وقليلة المرونة جداً

وحارة الطبقات الجوية تنقص بقدر ١° في كل ١٥٠ متراً أو ٢٠٠ متراً من الارتفاع لغاية ٧٠٠٠ متراً

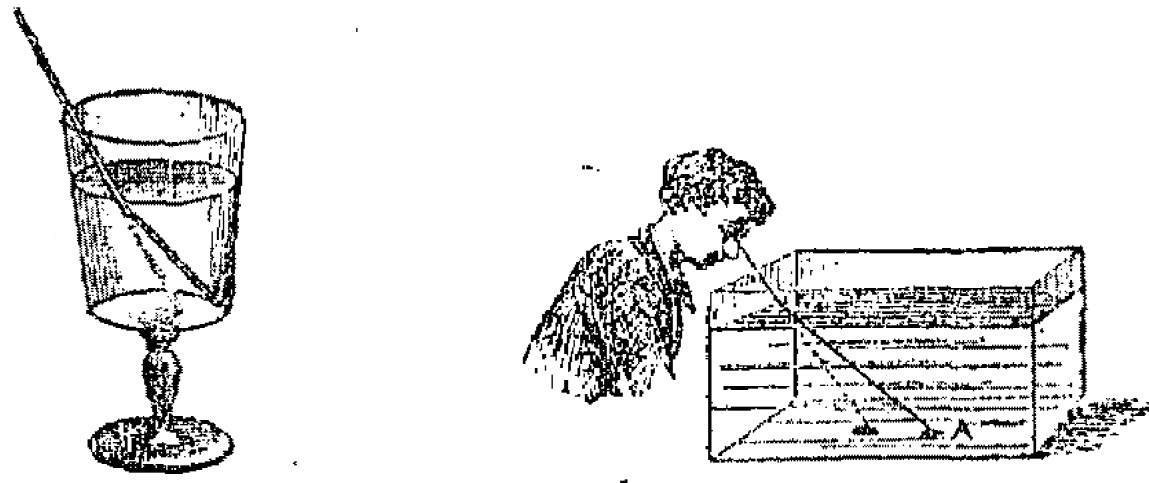


- ( ١ ) فالارتفاع يقرب من (٤٨) كيلومترا
  - ( ٢ ) والتركيب من الاوزوت والاكسوجين : الأول (٧٧) جزأ والثاني (٢٣) وثقله (٥٨٥) ألف مكعب من النحاس كل مكعب ضامه كيلومتر
  - ( ٣ ) وحرارته تنقص درجة في كل (١٥٠) مترا أو (٢٠٠) وهذا يستمر الى (٧٠٠٠) مترا وبعدها تصير الحرارة (٦٠) درجة
  - ( ٤ ) وطبقة الهواء فوق الأرض أكتشف من الطبقة البعيدة عنها (١٦) مرة
  - ( ٥ ) وضوء الشمس في الأفق أقل منه في السميت (١٣٥) مرة
  - ( ٦ ) والضوء الآتي من الكواكب القريبة من الأفق أضعف جدا من الضوء الآتي من الكواكب التي تقرب من سميت الرأس فتكون الأولى أبعد عنا من الثانية
  - ( ٧ ) وعليه تظهر قبة السماء منحنية
  - ( ٨ ) والهواء الجوى هو السبب في انتشار الأضواء صباحا ومساء
  - ( ٩ ) ولولا الهواء لم تكن السماء إلا سوداء نهرا وترى النجوم ظهرا
  - ( ١٠ ) ولولاها لاتنقل الناس فجأة من الظلام الى النور وبالعكس
- فلنخص هذا الفصل عشر مسائل ، ولكن الكلام على انتشار الضوء هو الذي نحتاج الى الكلام عليه في الفصل الثاني

### الفصل الثاني في الكلام على انتشار الضوء من علم الطبيعة

هنا قال صاحبي أريد شرح انكسار الضوء شرحا سهلا بسيطا يفهمه الجاهل والعالم . فقلت : اعلم أن الامور البسيطة هي أصول الامور العظيمة ، ضع عصا في إناء فيه ماء وانظر ألت تراه أشبه بالمنكسر . فقال أي وربي . فقلت : هذا هو الانكسار ، فهذه المسألة البسيطة هي أصل الانكسار المذكور في علم الفلك وأصل للصباح والمساء وانتشار النور على الأرض . فقال هذه أمور لاتزال تحتاج الى البيان . فقلت : إذن أريك ذلك عملا فأسمعك ما جاء في كتاب « العلوم الطبيعية » للعلامة (بول برت) الاستاذ في السربون ووزير المعارف العائمة بفرنسا الذي ترجمته الى الانجليزية زوجته ، وقد ترجمت هذا الفصل من ذلك الكتاب فقد جاء تحت هذا العنوان « انتشار الضوء » ما يأتي :

« انظر . أنا الآن معي زجاجة مملوءة ماء وقد وضعت في الماء عودا من القش (انظر شكل ٦)



( شكل ٦ )

- |   |   |
|---|---|
| <p>تجربة (ا)</p> <p>(عود صغير من القش يظهر للعين انه مكسور في الماء وهذا هو انكسار الضوء)</p> | <p>تجربة (ب)</p> <p>( إن الشعاع الضوئي في الماء انكسر وصار سببا في أن قطعة النقد أخذت تظهر عند النقطة (ا)</p> |
|---|---|

إن العود يظهر في تجربة (ا) كأنه مكسور وهو يقرب في نظر العين من الأفق عند دخوله في الماء . ولا جرم أنك عالم ما

ليس بالظن أن العود لم ينكسر ولكنك قلما تقدر أن تحافظ على إحساسك من انخداعه بهذا الانكسار وهذه هي التجربة الأولى ( التجربة الثانية ) ( ب ) وهو صندوق من القصدير وقد وضعت في أسفله قطعة من النقود وهي ( الپس ) . تعال يا جيمس وقف حتى تنظرا بعد طرف من قطعة من النقود أمامك . وهأنذا الآن أخذت في صب الماء في الصندوق قليلا قليلا بلطف خيفة أن تنقل قطعة النقد من مكانها . أخبرني ما الذي شاهدته ؟ فأجاب أنا شاهد قطعة النقد بحسب الظاهر ترتفع وتتحرك الى جهة ( ا ) وإنما حصل ذلك لأن أشعة الضوء من قطعة النقد تعطف وتنثني كما اثبتت وانعطفت قطعة العود من القش قليلا فيما سبق هذا معنى انكسار الضوء . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني الذي أتيت به من علم الطبيعة مع إيضاحه والحمد لله رب العالمين

### الفصل الثالث في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك

أنت أيها الذكي لاحظت العود وهو في الماء وشاهدت انه في رأي العين قد انكسر والحقيقة أن الانكسار إنما هو في الضوء لأنه متى دخل من جسم أظف الى جسم أكثف حصل له هذا الانكسار وهذه الظاهرة أصبحت مفهومة ، ولكن هل يدور بخلد الأطفال إذ يضعون الأعواد في الماء ويرونها قد انكسرت ويضحكون من ذلك ويعجبون ، إن هذه المسألة هي أعظم رجة أنزلها الله الى الأرض كما سأوضحه لك وما هذا العود في الماء المتقدم وانكسار الضوء فيه بالنسبة لانكسار ضوء الشمس في الجو عند ملاقاته الطبقات المعتمة إلا كنسبة الهواء المنطلق في المنزل بهيئة رياح عند إيقاد النار فيه فيرتفع الهواء فيجعل محله هواء آخر من خارج الباب ، فهذه الظاهرة الصغيرة الهوائية في المنزل هي بعينها التي تحصل في خط الاستواء وغاية الأمر أن الشمس تستبدل بالنار هنا ، فالشمس تلح بحرارتها على الهواء فيخف فيرتفع فتأتي الرياح من الشمال والجنوب فتحل محل الهواء الذي ارتفع فهكذا نقول هنا ، فإذا رأينا العود لما وضعناه في الماء انعكس في الاناء وظهر لنا أنه مكسور فهذا عينه هو المسمى انكسار الضوء

فإذا رأيت الأرض قد زانها ضوء الصباح قبل طواع الشمس وزانها الضوء بعد غروب الشمس . وإذا رأيت البلاد الشمالية بعد درجة ( ٦٦ ) حين يكون الليل أسبوعا أو شهرا أو شهرين فانك ترى البلاد هناك مستضيئة ضوءا بديعا جيلا يفوق في سناه كل جمال وهذا الضوء يبقى بعض أيام أو أسابيع لأن الشمس اذا غربت هناك فانها لاتزال تحت الأفق قريبا من سطح الأرض وهي تدور دورة رحوية . فاسعاد هؤلاء بذلك الضوء الجليل الذي يريهم الطارق الثلجية الجميلة وتكون إذ ذاك حركة البيع والشراء متسعة وتكون بحارهم جامدة يمرّون على ماثها بأنفسهم ودوابهم

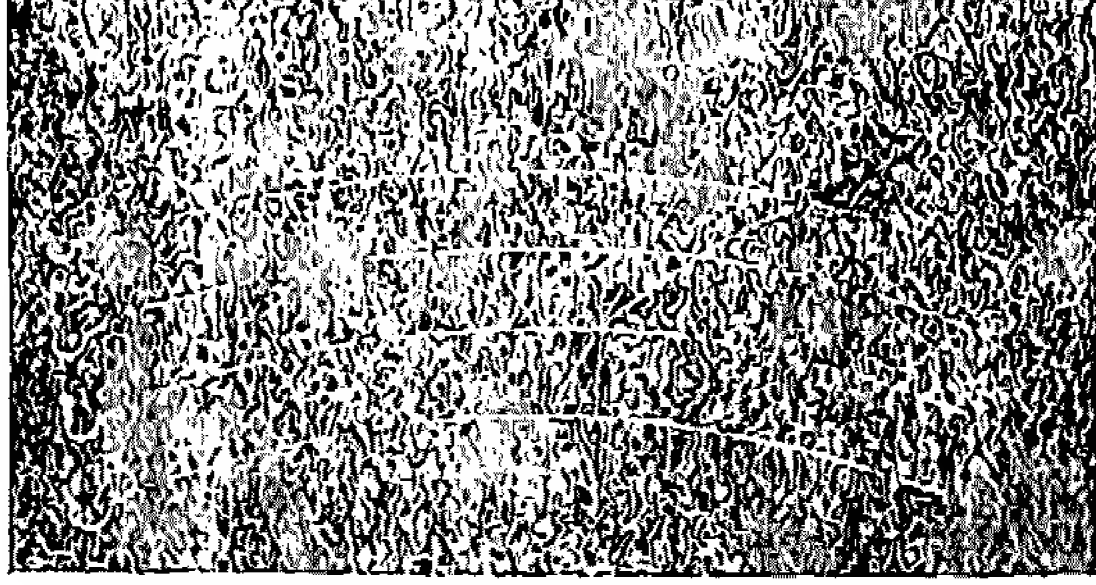
فياليت شعري من أين جاءت لهم هذه النعم كلها ا جاءت بسبب انكسار الضوء اذا جاء من الجو اللطيف الى الجو الكثيف على وجه الأرض . فالكثافة في الجو كانت أعظم نعمة على الانسان والحيوان وبسببها كان انكسار الضوء فانتشر في الآفاق ، وهاك إيضاح هذا المقام مما جاء في كتاب « الاصول الوافية . في علم القسموغرافيا المتقدم » تحت الآتي وهذا نصه :

### ( انكسار الضوء )

يمتد الضوء على خط مستقيم في وسط متجانس لكن عند ما يقابل شعاع ضوئي السطح الفاصل بين وسطين في اتجاه مائل فانه يزوغ ويسمى هذا الزوغان انكسارا ، واذا مد عمود على السطح الفاصل بين وسطين من النقطة التي ينكسر فيها الشعاع الساقط فان هذا العمود والشعاع يهيئان مستويا يسمى مستوي السقوط ، وعوضا عن أن يستمر الضوء في طريقه على خط مستقيم يزوغ ويقرب الشعاع الضوئي المنكسر أو يبعد عن العمود بدون أن يخرج عن مستوى السقوط فيقرب من العمود اذا حصل المرور من طبقة هوائية الى أخرى



أكثف منها ويبعد في الحالة العكسية  
إذا تقرر هذا يمكن قبول أن الجو مركب من طبقات متحدة المركز كثافتها تأخذ في النقص كلما بعدت  
عن سطح الأرض ولتكن (س وس وس) السطوح الفاصلة بين هذه الطبقات المختلفة (انظر شكل ٧)



( شكل ٧ )

فالشعاع الضوئي الآتي في الاتجاه (ل م) يقرب من العمود بدخوله في الطبقة (س س) ويتبع الاتجاه من  
مثلا وفي (ن) يعتبره زوجان جديد ويتبع الاتجاه (ن ق) في الطبقة (س س) وأخيرا يزوغ في (ق)  
ويتبع الاتجاه (ق و) داخل الطبقة (س س) بحيث إن الراصد الموجود في (و) يرى الشيء في الاتجاه  
(ول) وفي الحقيقة لا يتبع الضوء خطا منكسرا بل خطا منحنيا لأن كثافة طبقات الهواء تأخذ في الازدياد  
بدرجة غير محسوسة ، والراصد يرى الشيء المضيء (ل) في اتجاه المماس في (و) لخط السير المنحني وصورة  
الكوكب أو وضعه الظاهري لا يدل حينئذ على وضعه الحقيقي وبالنسبة للراصد يكون الارتفاع الظاهري  
للكوكب فوق الأفق أكبر من الارتفاع الحقيقي وتلك هي الظاهرة المسماة بانكسار الضوء وجميع الكواكب  
توجد بهذه المثابة في غير مواضعها . وحيث أن الخطأ يكون أعظم كلما كانت الطبقات المقطوعة أكثر كثافة  
وأكثر ميلا بالنسبة للأشعة الضوئية فلا يكون الانكسار واحدا للارتفاعات المختلفة . انتهى الكلام على  
الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

### ﴿ نتيجة هذه الفصول الثلاثة ﴾

إن الانسان في الظلمات الثلاث وهو جنين : في بطن الأم وفي الرحم وفي المشيمة قد جعلت هذه رحمة  
وصيانة له كما أنعم عليه وصين بما ملئ به جوفنا من الغبار والدخان اللذين كانا سببا في انكسار الضوء فأمكننا  
أن ننظر نور الشمس وقرصها بأعيننا صباحا ومساء وانقشرون نور الصباح والمساء وأشرق الضوء نهارا على أقطار  
المسكونة . كل ذلك بسبب ذلك الغبار المتخلل طبقات الهواء التي أصبحت أشبه بزجاجة نضعها على أعيننا  
فنتحمل رؤية الضوء وبها نرى الشمس وقت الصبح أكبر منها وقت الظهر لأن الغبار فوق سطح الأرض  
أكثف منه في أعلى الجو ، وكل ذلك بسبب انكسار الضوء ، وما هذا الانكسار الضوئي إلا نتيجة الطبقات  
المعتمة التي ظاهرها انها تقمة وباطنها نعمة إذ بدون ذلك لانهنا لنا الحياة إذ لا انتشار للضوء فلا منفعة في الحياة  
ومثل هذا يقال في وساوس الشيطان التي لاتكون إلا في قلوب أشربت حب الشهوات وأنواع الشرور  
فتكون مأوى للنفوس الشريرة التي فارقت الدنيا أو التي من الجن ، فهذه الوساوس إنما تجول في قلوب  
استعدت لها كما استعدت عين الأرمم القدر لولوج الذباب بها سواء بسواء

فاذا ساعدت الملائكة الانسان بانماء الزرع وحفظ العوالم ، فهذا من نتائج سجودها لآدم المذكور في  
آخر ﴿ سورة ص ﴾ كما نرى دود القز والنحل والخيل والبغال والحمير والطيور آكلات البود كلها مساعدات

لنا على هذه الحياة ، واذا رأينا الشياطين يوسوسون للناس فانهم لم يفعلوا شيئاً أكثر مما فعلت فينا الاسود والنمور والحيوانات الذرية المحدثات للطواعين في الأرض . فكما نحارب حيوانات الطاعون بهلومنا وأعمالنا هكذا نحارب وساوس الشيطان بما عرفنا من العلوم وبالجد

إن حياتنا على الأرض نفسها نعمة كبرى لولاها لم نعقل هذه العوالم المحيطة بنا ولقد عرفناها بحواسنا الخمس التي اقتصمت المعارف المحسوسة قسمة عادلة كما في فن المقولات المشروح في هذا التفسير مرارا وآثار هذه المعارف تنبعث الى النفس فتكون صورها علوما ولن يكون ذلك إلا بهذه الصور الانسانية المحبوسة في ظلمات ثلاث في الجنين وفي (١٦) ظلمة في الجوّ اذا صار رجلا وظلمات كثيرة في النفس من حيث الأخلاق فهذه الظلمات طبقات يترشح منها ويتخللها بعض المعلومات فترفع النفس شيئا فشيئا في أثناء الحياة حتى اذا مات الانسان وجد انه أصبح أرقى مما كان عليه في الحياة وهذا هو الذي غاب عن ملائكة الأرض إذ قالوا - أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وتقديس لك - قال لهم إني أعلم ذلك ولكني ربيتهم في تلك الشرور وأعطيهم تجارب وعلوما في أثناء ذلك فأنا أعلم ما لا تعلمون . ألا ترون انهم يعرفون أسماء الأشياء الجزئية في الأرض وأتم لا تعلمونها . إذن هذا العمل لحكمة عظيمة . فأنا وإن غمستهم وغمرتهم في الظلمات لم أفعل ذلك احتقارا لشأنهم بل جعلته أشبه بالنظر يوضع على العين لأنهم لا يطيقون جميع العلوم مرة واحدة . فأنا ما خلقت هذا بطلا . وهذا قوله تعالى - قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون -

اللهم إني أجدك قد كشفت لنا حجاب هذه المسائل العويصة وسهلت السبل بطبعها ونشرها . وهذا آخر القول في هذا المقام والحمد لله رب العالمين . كتب في نصف ليلة الاثنين (٨) من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠

\*\*\*

وهنا سألت ذلك العالم صديقي قائلا : أنا الى الآن لم أفهم الحجب الستة عشر ولا الحجب التي تبلغ نحو مائة وإنما فهمتها فهما إجماليا . نعم عرفت الظلمات الثلاث وهي البطن والرحم والمشيمة ، ولكن تلك الست عشرة ظلمة وما بعدها لم تتضح لي . فقلت : إن ما تقدم واضح ولكنك أنت تريد ما هو أوضح . فقال : هو ذلك . فقلت : ألم أذكر لك فيما تقدم هنا عن علماء الفلك أن الجوّ الذي هو أقرب الى الأرض يقلل ضوء الشمس (١٦) مرة . قال بلى . قلت : فهذه هي (١٦) حجبا أوظلمة وأزيد عليه فأقول اقرأ ما تقدم في ﴿سورة فاطر﴾ . ألم تر الى (شكل ١٦) من الأشكال التي رسمت هناك لايضاح آية - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة - الخ وكيف ترى فيه النسيج الهدبي المبطن للقبضة الهوائية قد جعل أشبه بالكناسين والزبالين لأن تلك الأهداب تتحرك ليلا ونهارا من الداخل الى الخارج لتخرج الغبار الداخل مع النفس لئلا تفسد المملكة الرئوية الخادمة للمملكة الدموية . قال نعم أتذكر ذلك وقرأته وماذا يفيدنا ؟ قلت : ثم انظر الى ﴿سورة ص﴾ وقد جاء في آخرها - فبعضتك لأغوينهم أجمعين - وتأمل ما كتبتة هناك عن (هيج) الانجليزى و (كاتتاني التلياني) و (كوهن الألماني) وطبيب نظامى فرنسى . ألم أذكر لك في الكلام المنقول عن أحد هؤلاء أن الغبار والدخان الداخلين في الرئة يكونان سببا في فساد صحة البدن وبذلك تحدث الأمراض ، وهذا الغبار والدخان الداخلان في الرئة يفعلان ما تفعله جميع الماء كل القوية التغذية كاللحم والبيض وتفعلان فعل المواد الأخرى المركبة من أنواع الحلوى والتوابل ، فهذه كلها هي التي تجعل في العروق سدودا وحواجز وتلك السدود والحواجز تفعل في الجسم ما تفعله السدود في المساق فيحصل الهلاك للزرع تارة بالغرق وتارة بقلّة الماء وتكون هناك الأمراض المختلفة المضنية من الدماميل والقروح والسرطان والجذام والبرص والصداع وما أشبهها مما لا حصر له . فقال نعم تقدم هذا . قلت : فحينئذ غبار الجوّ ودخانه ضار إن بنا

ولأجل هذا الضرر جعل الله في باطن القصبه الهوائية أهدابا لتطرد ذلك الضار وخلق أطباء يوقظوننا لأجل هذه المهلكات ويقولون : « تباعدوا عن غبار الطرقات وعن الدخان وعن كل ما فيه روائح ضارة » . قال نعم . فقلت : إذن هذه المواد الغريبة في الهواء ضارة . إذن هي حجب بيننا وبين الصحة وبيننا وبين السعادة وظلمات تغشى على ضوء الشمس فيكون ضوءها صباحا أقل منه وقت الظهيرة لأن الغبار والدخان وأمثالهما يكونا أقرب الى وجه الأرض ويفصلان بين عيوننا وبين الشمس فتعمل عيوننا الضوء ويحصل هنا منافع لاحد لها . فهنا ضرر محقق ومنافع محققة . فللنافع هي أن الشمس يظهر نورها رويدا بالتدريج كما تقدم ويكون صبح وشفق الى آخر ما تقدم ، ولولا هذا الضار وهي الحجب لم تهنأ لنا الحياة على الأرض لأن الضوء لا ينتظم توزيعه على الأرض . فأرواحنا في أجسامنا لا تقدر على مواجهة ضوء الشمس بدون تدريج وهذا وضوح وضوحاتما كما تقدم ، إذن لافرق بين الظلمات الثلاث للجنيين وبين الظلمات الست عشرة للرجال والنساء ، فهذه وتلك جيء بها لأن المصلحة قضت بذلك

بقيت مسألة الظلمات والحجب الآتية من الوسوسة الشيطانية وهي كالتقدمة سواء بسواء . إن الانسان مخلوق غريب جدا فهو من جهة ملك ومن جهة بهيمة ومن جهة شيطان . وهذه الاصول الثلاثة تفرقت عنها أخلاق فاضلة وأخرى ناقصة قد تقدم أكثرها في (سورة البقرة) عند قصة آدم فارجع اليها هناك وهذه مشروحة في الربع الثالث والرابع من الأحياء فالثالث للأخلاق الناقصة والشروط والرابع للأخلاق الفاضلة . والأخلاق الفاضلة تكون لغلبة القوة الملكية على القوتين الأخرى بين والانسان من حيث انه ملكي إلهي يكون حكما ذكيا جميل الخلق . ومن حيث انه بهيم يكون بخيلا طماعا جبانا خائفا كاذبا . ومن حيث انه شيطان يكون معاندا حقودا حسودا ظالما متهورا . فهذه أخلاق الشياطين . وما قبلها أخلاق البهائم . والأولى أخلاق الملائكة . وقد تصل الأخلاق الشريرة في العبد الى نحو المائة واليها الاشارة في بعض الآثار الى التينين الذي له (٩٩) رأسا بها ينهش ابن آدم . فهذا التينين الآن موجود ويتدى نهشه للانسان في هذه الحياة من حقد ودغل وطمع وغش وكذب وزور وبهتان وغيبة ونميمة ، فهذه كلها طباع شريرة تؤذى صاحبها في الحياة وتظهر نتائجها بعد الموت ، فهذه كلها حجب تحجب الانسان عن معرفة الحقائق ، ولولا هذه الموانع لاطلعت أرواحنا الملكية العالية في أصلها على المعارف صرة واحدة فهلكت كما يموت من اطعم على كثر صرة واحدة وكان ضعيف النفس وهكذا ، فهذه حجب خلقت فينا لمصلحتنا فالله كما خلق الظلمات في الرحم لمنافع الجنيين وخلق الغبار والدخان في الجو القريب من الأرض وهو ضار بنا ليحول بين أعيننا وبين الشمس لئلا تستضر بها ولمنافع أخرى تقدمت ، هكذا نراه خلق فينا شهوات البهائم ورذائل الشياطين لتكون بمثابة مانع وحاجب يحجب عنا الحقائق حتى لانهلك

فما سمع صاحب ذلك قال : اللهم إني أجدك جدا يوافي نعمك وضرب كفا على كفت وقال والله لقد انحلت بهذا مشكلات الدين والدنيا ، أكثر الناس يعشون ويموتون وهم جاهلون ، ويظهران هذا التفسير قد فتح ما كان مقفلا على أكثر الناس ، ههنا عرفنا الدين والدنيا وعرفنا الحقائق وبامتزاج العلوم الطبيعية بالعلوم الدينية أدركنا حقائق جهلتها أم وأمم ، إذن أصبحت الوسوسة والذنوب كلها لحكمة ، وإذا قيدت بالظلمات الثلاث في الرحم والظلمات الست عشرة في الجو فقد انحلت المشكاة ، إذن الناس يوم القيامة وفي البرزخ يوضعون في أماكن استحققوها بحسب استعدادهم ، وما جهنم إذن إلا مكان تعيش فيه نفوس ناقصة لا تقدر أن تعيش في غيرها كما يعيش السمك في البحر . وهذا سر عظيم لم يتضح إلا في هذا التفسير بل هذا الذي به نفهم « بسم الله الرحمن الرحيم » ونفهم - ورحمتي وسعت كل شيء - ومن عجب أن الظلمات الثلاث بضر بها في (٥) نصير (١٥) وهي تقرب من (١٦) و (١٦) بضر بها في (٥) نصير (٨٠)

و (٨٠) تقرب من الأخلاق الرديئة التي قلمتم انما تقرب من مائة وبهذا تجلت الحقائق . فقالت : الحمد لله رب العالمين . انتهت اللطائف التي جعل كل طائفة منها خاصا بقسم من أقسام السورة

### ﴿ اللطائف العامة لأقسام السورة كلها ﴾

#### ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

( في قوله تعالى - خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار - الخ مع قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع - والكلام على السنة الشمسية والبروج والمنازل وسير القمر ) جاء في كتاب « صبح الأعشى » مانصه :

اعلم أن للشمس حركتين : سريعة وبطيئة . أما السريعة فحركة فلك الكلّ بها في اليوم واللييلة من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ، وتسمى الحركة اليومية . وأما الحركة البطيئة فقطعها فلك البروج في سنة شمسية من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب . وتعلم أن جهة المشرق وجهة المغرب لا تتغيران في أنفسهما بل جهة المشرق واحدة وكذلك جهة المغرب . وان اختلفت مطالعتهما . قال تعالى - ربّ المشرق والمغرب - أي جهة المشرق وجهة الغروب في الجملة . الا أن الشمس لها غاية ترتفع إليها في الشمال وتلك الغاية مشرق ومغرب وهو مشرق الصيف ومغرب . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السماك الراح . ولها غاية تنحط إليها في الجنوب . وتلك الغاية أيضا مشرق ومغرب . وهو مشرق الشتاء ومغرب . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع بطن العقرب . وهذان المشرقان والمغربان هما المراد بقوله تعالى - ربّ المشرقين وربّ المغربين - وبين هاتين الغابتين مائة وثمانون مشرقا ويقابلها مائة وثمانون مغربا . ففي كل يوم تطلع في مطلع من المشرق غير الذي تطلع فيه بالأمس . وتغرب في مغرب غير الذي تغرب فيه بالأمس . وذلك قوله تعالى - ربّ المشرق والمغرب - ونقطة الوسط بين هاتين الغابتين . وهي التي يعتدل فيها الليل والنهار يسمى مطلع الشمس فيها مشرق الاستواء . ومغرب الاستواء . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السماك الأعزل . وقد قسم علماء الهيئة ما بين غاية الارتفاع وغاية الهبوط اثني عشر قسما . قالوا والمعنى في ذلك أن الشمس في المبدأ الأول لما سارت مسيرها الذي جعله الله خاصا بها قطعت دور الفلك لتاسع في ثلثمائة وستين يوما . وسميت جملة هذه الأيام سنة شمسية ورسمت بحركتها هذه في هذا الفلك دائرة عظيمة على ما توهمه أصحاب الهيئة . وقسمت هذه الدائرة الى ثلثمائة وستين جزءا وسموا كل جزء درجة . ثم قسمت هذه الدرجة الى اثني عشر قسما على عدد شهور السنة . وسموا كل قسم منها برجاً . وجعلوا ابتداء الأقسام من نقطة الاعتدال الربيعي . لاعتدال الليل والنهار عند مرور الشمس بهذه النقطة . ووجدوا في كل قسم من هذه الأقسام نجوما تتشكل منها صورة من الصور فسموا كل قسم باسم الصورة التي وجدوها عليه . وكان القسم الأول الذي ابتدؤا به نجوما إذا جمع متفرقها تشكلت صورة حمل . فسموها بالحمل وكذلك البواقي . قال صاحب مناهج الفكر : وذلك في أول ما رصدوا . وقد انتقلت الصور عن أمكنتها على ما زعموا فصار مكان الحمل الثور . وهي تنتقل على رأي بطليموس في ثلاثة آلاف سنة وعلى رأي المتأخرين في ألفي سنة . إذا علمت ذلك فاعلم أن الدورة الفلكية في العروض الشمالية تنقسم إلى ثلثمائة وستين درجة . كما تقدمت الإشارة إليه . والسنة ثلثمائة وستون يوما منقسمة على الاثني عشر برجاً المتقدم ذكرها . لكل برج منها ثلاثون يوما . وتوزع عليها الخمسة أيام والربع يوم . والليل والنهار يتعاقبان بالزيادة والنقصان بحسب سير الشمس في تلك البروج فاقص من أحدهما زيد في الآخر . وذلك أنها اذا حلت في رأس الحمل وهي آخذة في الارتفاع الى جهة الشمال . وذلك في السابع عشر من



برمها من شهور القبط . ويوافق الحادى والعشرون من آذار من شهور السريان . وهو مارس من شهور  
الروم . والرابع والعشرون من حردادماه من شهور الفرس . اعتدل الليل والنهار . فكان كل واحد منهما  
مائة وثمانين درجة . وهو أحد الاعتدالين في السنة . ويسمى الاعتدال الربيعي . لوقوعه أول زمن الربيع  
فيزيد النهار فيه في كل يوم نصف درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما  
خمس عشرة درجة . ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل  
على مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى الثور فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة وينقص الليل كذلك  
فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائتين  
وخمسة درجات . والليل على مائة وخمس وخمسين درجة . ثم تنقل إلى الجوزاء فيزيد النهار فيها كل يوم  
سدس درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس درجات . ونقص الليل  
كذلك . ويصير النهار آخرها على مائتين وعشر درجات والليل على مائة وخمسين درجة . وذلك غاية ارتفاعها  
في جهة الشمال . وهذا أطول يوم في السنة وأقصر ليلة في السنة . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة  
شماليا صاعدا : لصعودها في جهة الشمال ثم تنقل الشمس إلى السرطان وتسكر راجعة إلى جهة الجنوب .  
ويسمى ذلك المنقلب الصيفي . وذلك في العشرين من بؤنة من شهور القبط . ويبقى من خريان من شهور  
السريان . ويونيه من شهور الروم خمسة أيام . وحينئذ يأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان . فينقص النهار  
فيه كل يوم سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ،  
وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات . والليل على مائة وخمسين  
درجة . ثم تنقل إلى الأسد فينقص النهار فيه كل يوم ثلث درجة . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما  
عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل على  
مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى السنبلة فينقص النهار فيها كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك  
فيكون نقص النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة ، وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخرها  
على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار . ويسمى الاعتدال الخريفي . : لوقوعه في أول  
الخريف . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة شماليا هابطا . هبوطها في الجهة الشمالية . ثم تنقل إلى  
الميزان في الثامن عشر من ثوت من شهور القبط . وهي آخذة في الهبوط والنهار في النقص والليل في الزيادة  
فينقص النهار فيه كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس  
عشرة درجة . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة  
وخمسة وتسعين درجة ، ثم تنقل إلى العقرب . فينقص النهار في كل يوم ثلث درجة . ويزيد الليل كذلك  
فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة  
وخمسة وخمسين درجة ، والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى القوس . فينقص النهار فيه كل يوم  
سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ، وزيادة الليل  
كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمسين درجة . والليل على مائتين وعشر درجات . وهو أقصر يوم  
في السنة وأطول ليلة في السنة . وذلك غاية هبوطها في الجهة الجنوبية . ويسمى سير الشمس في هذه البروج  
جنوبيا هابطا . هبوطها في الجهة الجنوبية . ثم تنقل إلى الجدي في السابع عشر من كيهك وتسكر راجعة فتأخذ  
في الارتفاع وتأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان . فيزيد النهار فيه كل يوم سدس درجة . وينقص  
الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار  
بآخره على مائة وخمس وخمسين درجة . والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى الدلو . فيزيد

النهار فيه كل يوم ثلاث درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوماً عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار باختره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة . ثم تنقل إلى الحوت فيزيد النهار فيه كل يوم نصف درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوماً خمس عشرة درجة ونقص الليل كذلك . ويصير النهار باختره على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار وهو رأس الجمل وقد تقدم . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة جنوبياً صاعداً : لصعودها في الجهة الجنوبية . وهذا شأنها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وهذا العمل إنما هو في مصر وأعمالها . فإذا اختلفت العروض كان الأمر في الزيادة والنقصان بخلاف ذلك والله أعلم

وقد تقدم بعض هذا ولكن ما ذكرناه هنا أضحط وأوضح وهو من صبح الأعشى . ما أعجب هذا النظام والاتقان . فانظر كيف انتظم الحساب لانتظام السير وعلى مقتضاه رتب الناس شهورهم . فلقبط شهور وللسريان شهور تخالفهم وهكذا الروم وهالك بيانها (انظر هذا الجدول)

شهور الروم	شهور السريان	شهور القبط
منسوبة لأغسطس ملك الروم	منسوبة لالاسكندر	منسوبة لقلطيانوس الملك
أغسطس	يوافق أوله ٣٠ آب الموافق اشهر	توت
سبتمبر	» ٢٧ ايلول »	بابه
اكتوبر	» ٢٧ تشرين الأول »	هاتور
نوفمبر	» ٢٦ تشرين الثاني »	كيهك
ديسمبر	» ٢٦ كانون الأول »	طوبه
يناير	» ٢٥ كانون الثاني »	أمشير
فبراير	» ٢٤ شباط »	برمهات
مارس	» ٢٦ آذار »	برموده
ابريل	» ٢٥ نيسان »	بشنس
مايو	» ٢٥ أيار »	بؤنه
يونيو	» ٢٤ حزيران »	أبيب
يوليو	» ٢٤ تموز »	مسرى

وقد نظم الشيخ ابراهيم الدهشوري شهور السرياني فقال :

وَأَبْدَأُ بِأَيُّوْلِ مِنَ السُّرْيَانِي \* تَشْرِينُ الْأَوَّلُ يَتَّبِعُهُ الثَّانِي  
كَانُونُ كَانَونُ شَبَاطُ يَطْمَعُ \* آذَارُ نَيْسَانُ أَيَّارُ يَتَّبِعُ  
ثُمَّ حَزِيرَانُ وَتَمُوزُ وَأَبُ \* تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ يَهْدِي مِنَ احْتَبُ

وقد نظم أيضاً الشيخ المذكور شهور الروم فقال :

يَتَمِيرُ فَبْرِيرُ مَارَسُ لَارُومُ \* لِابْرِيلُ مَايُهُ خَامِسُ الْمَعْلُومُ

يُنْبِئُهُ وَيُؤَلِّمُهُ ثُمَّ أَغْشَتْ شَتْمَبَرُ \* أَوْ كَتُوبَرُ نَوْفَبَرُ دَجْنَبَرُ

وقد نظم الشيخ أبو عبد الله السكيزاني أبياتاً ذكر فيها الأشهر التي تكون ثلاثين يوماً والناقصة عنها ولم يتعرض للزائدة عنها فقال :

شهور الروم ألوان \* زيادات وتقصان

فتشرينهم الثاني \* وأيلول ونيسان

ثلاثون ثلاثون \* سواها وخزيران

شباط خص بالنقص \* وقدر النقص يومان

قد سماها شهور الروم لموافقتها لها والافهسي للسريان اهـ

﴿ الكلام على المنازل ﴾

جاء في كتاب صبح الأعشى مانعه

ان النهار الطبيعي أوله طلوع الشمس وآخره غروبها . والنهار الشرعي أوله طلوع الفجر الثاني وآخره غروب الشمس . فيخالفه في الابتداء ويوافق في الانتهاء . وطلوع الشمس وغروبها ظاهر يعرفه الخاص والعام ، أما الفجر فان أمره خفي لا يعرفه كل أحد . وقد تقدم انقسامه الى كاذب . وهو الأول ، وصادق . وهو الثاني . وعليه التعويل في الشرعيات . فيحتاج الى توضيح يوضح ويظهره للعيان وقد جهل المنجمون وعلماء الميقات له نجوما تدل عليه بالطلوع والغروب والتوسط . وهي منازل القمر ، وعدتها ثمان وعشرون منزلة . وهي الشيطان (١) والبطين (٢) والثريا ، والدبران (٣) والطقمة (٤) والطنعة (٥) والذراع ، والنثرة (٦) والطرف . والجبهة والخرتان (٧) والصرقة (٨) والعواء (٩) والسماك (١٠) والغفر (١١) والزبانان (١٢) والاكيل . والقلب . والشولة (١٣) والنعام . والبلدة (١٤) وسعد الداج . وسعد بلع (١٥) وسعد السعود . وسعد الاخبية . والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . وبطن الحوت . والمعنى في ذلك ان الشمس اذا قربت من كوكب من الكواكب الثابتة او المتحركة سترته وأخفته عن العيون . فصار يظهر (١٦) نهارا ويختفي ليلا ويكون خفاؤه غيبته . ولا يزال كذلك خافيا الى ان تبعد عنه الشمس بعدا يمكن ان يظهر معه للابصار وهو عند أول طلوع الفجر فان ضوء الشمس يكون ضعيفا حينئذ فلا يغلب نور الكوكب فيرى الكوكب في الأفق الشرقي ظاهرا . وحصه كل منزلة من هذه المنازل من السنة ثلاثة عشر يوما وربع سبع يوم ونصف ثمن سبع يوم على التقريب كما سيأتي (١٧) على المنازل الثمانية والعشرين خص كل منزلة ما ذكر من العدد والكسور ولما كان الأمر كذلك جعل لكل منزلة ثلاثة عشر يوما : وهي ثلاث عشرة درجة من درج الفلك وجع ما فضل من الكسور على كل ثلاثة عشر يوما بعد انقضاء أيام المنازل الثمانية والعشرين فكان يوما وربعها جعل يوما في المنزلة التي توافق آخر السنة وهي الجبهة فكان حصتها أربعة عشر يوما . وبقى ربع يوم ونسيء أربع سنين حتى صار يوما فزيد على الجبهة أيضا . فكانت كواكب المنازل (١٨) المذكورة تطلع مع الفجر منها أربعة عشر يوما ثلاث سنين وفي السنة الرابعة تطلع بالفجر خمسة عشر يوما وهالك ما خص ما ذكره في حسابها

(١ و ٣ و ٧) بفتحين (٢) مصغر (٤) و ٥ و ٦ و ٨ و ١١ و ١٣ و ١٤) بفتح فسكون (١٢) بضم أوله (١٥)

بضم ففتح (٩) بفتح فشدّه (١٠) مثل كتاب

(١٦) لعله يختفي نهارا ويظهر ليلا . ومع ذلك بقية العبارة غير واضحة .

(١٧) كذا في الأصل ولعله فان أيام السنة اذا قسمت على الخ .

(١٨) كذا في الأصل ولعله (المنزلة) انتهى مؤلفه

شهور الروم	شهور السريان	شهور القبط	النازل
ابريل	١٨ نيسان	٢٣ برمودة	الشرطان أول طلوعها بالفجر
مايه	أول ايار	٦ بشنس	البطين أول طلوعها بالفجر
»	١٤ ايار	١٩ بشنس	الثريا أول طلوعها بالفجر
»	٢٦ ايار	٢ بؤنه	الدبران أول طلوعها بالفجر
يونيه	٩ خيران	١٥ بؤنه	الطقه أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ »	٢٨ بؤنه	المنبعه أول طلوعها بالفجر
يوليه	٥ تموز	١١ أيب	النراع أول طلوعها بالفجر
»	١٨ »	٢٤ أيب	النثرة أول طلوعها بالفجر
»	آخر تموز	٧ مسرى	الطرف أول طلوعها بالفجر
أغسطس	١٣ آب	٢٠ مسرى	الجبهة أول طلوعها بالفجر
»	٢٧ آب	٤ من أيام النسيء وفي السنة الكبيسة في منه	الخرتان أول طلوعها بالفجر
سبتمبر	٩ ايلول	١٢ توت	الصره فيه أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ ايلول	٢٥ توت	العواء أول طلوعها بالفجر
اكتوبر	٥ تشرين الأول	٨ بابيه	السمك أول طلوعها بالفجر
»	١٨ تشرين الأول	٢١ بابيه	الغفر أول طلوعها بالفجر
»	آخر يوم من تشرين الأول	٤ هاتور	الزبانان أول طلوعها بالفجر
نوفمبر	١٣ من تشرين الثاني	١٧ هاتور	الاكليل أول طلوعها بالفجر
»	٢٦ تشرين الثاني	آخر يوم من هاتور	القلب أول طلوعها بالفجر
ديسمبر	٩ كانون الأول	١٣ كيهك	الشوله أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ كانون الأول	٢٦ كيهك	النعائم أول طلوعها بالفجر
يناير	٤ كانون الثاني	٩ طوبه	البلده أول طلوعها بالفجر
»	١٧ كانون الثاني	٢٢ طوبه	سعد الذابح أول طلوعها بالفجر
»	٣٠ كانون الثاني	٥ أمشير	سعد بلع أول طلوعها بالفجر
فبراير	١٢ شباط	١٨ أمشير	سعد السعود أول طلوعها بالفجر
»	٢٥ شباط	أول برمها	سعد الأخبيه أول طلوعها بالفجر
مارس	٧ آذار	١٤ برمها	الفرغ المقدم أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ آذار	٢٧ برمها	الفرغ المؤخر أول طلوعها بالفجر
ابريل	٥ نيسان	١٠ برمودة	بطن الحوت أول طلوعها بالفجر



هذه هي المنازل من حيث نزول الشمس فيها . فإجل حسابها السهل ونظامها العجيب . فإذا أردنا أن نعرف أين تكون الشمس في أي منزلة فالأمر ظاهر واضح فلنعرف الشهر واليوم يحصل المطلوب

﴿ الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له ﴾

جاء في كتاب صبح الأعشى ما نصه

وأما حركته البطيئة . فحركته من جهة الشمال إلى جهة الجنوب ، ومن جهة الجنوب إلى جهة الشمال وتنقله في المنازل الثمانية وعشرين في ثمانية وعشرين يوماً بلياليها كالشمس في البروج قبل تعالي - والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم - فما تقطعه الشمس من الشمال إلى الجنوب وبالعكس في جميع السنة يقطعه القمر في ثمانية وعشرين يوماً . والمنازل للقمر كالبروج للشمس . وذلك أنه لما اتصل إلى العرب ما حققه القدماء برصدتهم من الكواكب الثابتة . وكان لاغنى لهم عن معرفة كواكب ترشدتهم إلى العلم بفصول السنة وأزمنتها رصدوا كواكب وامتحنوها . ولم يستعملوا صور البروج على حقيقتها : لأنهم قسموا فلك الكواكب على مقدار الأيام التي يقطعه القمر فيها ، وهي ثمانية وعشرون يوماً ، وطلبوا في كل قسم منها علامة تكون أبعاد ما بينها وبين العلامة الأخرى مقدار مسير القمر في يوم وليلة . وسموها منزلة إلى أن تحقق لهم ثمانية وعشرون على ما تقدم ذكره في الكلام على طالعها بالفجر : لأن القمر إذا سار سيره الوسط انتهى في اليوم التاسع والعشرين إلى المحاق الذي بدأ منه . فخذت المتكرر . فبقي ثمانية وعشرين ويزاد بالشرطين : لأن كواكب من جملة كواكب الحمل : الذي هو أول البروج . ثم هذه المنازل على قسمين . شمالي وجنوبي كافي البروج ، وكل قسم منها أربع عشرة منزلة . فالشمالي منها ما كان طلوعه من ناحية الشام . وتسمى الشامية ، وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال . التي هي رأس الحمل والميزان صاعدا إلى جهة الشمال ، وهي الشرطان ، والبطين والثريا . والدبران . والطقعة . والهنعة . والذراع . والنثرة . والطرف . والجبهة . والخرتان . والصرقة . والعواء . والسمك . و بطوعها يطول الليل ويقصر النهار . والجنوبي منها ما كان طلوعه من ناحية اليمين وتسمى اليمانية . وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال المذكور هابطاً إلى جهة الجنوب . وهي الغفر . والزبانان . والاكليل . والقلب . والشولة . والنعام . والبلدة . وسعد الذابح . وسعد السعود . وسعد الأخبية . والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . وبطن الحوت . و بطوعها يقصر الليل ويطول النهار .

ثم المنزلة عند المحققين قطعة من الفلك مقدارها ربع سبع الدور . وهو جزء من ثمانية وعشرين جزءاً من الفلك عبارة عن (١) لآعن الكواكب . وإنما الكواكب حدود تفرق بين كل منزلة وأخرى . فهدل بالتسمية إليها وغلبت عليها .

ونزول القمر في هذه المنازل على ثلاثة أحوال إما في المنزلة نفسها وإما فيما بينها وبين التي تليها وإما محاذياً لها خارجاً عن السمات شمالاً أو جنوباً . وقد تقدم الكلام على عدول القمر عن بعض المنازل ونزوله في غيرها . ولتعلم أن المنازل مقسومة على البروج الاثني عشر موزعة عليها : فالشرطان والبطين وثلاث الثريا للحمل . وثلاث الثريا والدبران وثلاث الطقعة للشور وثلاث الهنعة والذراع للجوزاء . والنثرة والطرف وثلاث الجبهة للشرطان . وثلاث الجبهة والخرتان وثلاث الصرقة للأسد . وثلاث الصرقة والعواء والسمك للسنبلة . والغفر والزبانان وثلاث الاكليل للميزان وثلاث الاكليل والقلب وثلاث الشولة للعقرب . وثلاث الشولة والنعام والبلدة للقوس . وسعد الذابح وسعد بلع وثلاث سعد السعود للمجدي (٢) وثلاث الفرغ المقدم والفرغ المؤخر وبطن الحوت للحوت . إذا علمت ذلك فإذا أردت أن تعرف القمر في أي منزلة هو أو كم مضى له فيها من الأيام . فخذ ما مضى من سنة

(١) بياض بالأصل .

(٢) يظهر أن فيه سقطاً هو . وثلاث سعد السعود وسعد الأخبية وثلاث الفرغ المقدم للدلو .

القبط شهورا كانت أو أياما أو شهورا وأياما وأبسطها أياما . وأضف الى ما حصل من ذلك يومين . ثم اطرح المجموع ثلاثة عشر ثلاثة عشر . وهو عدد لبث القمر في كل منزلة من الأيام . واجعل أول كل منزلة من العدد الخرتان . فما بقي من الأيام دون الثلاثة عشر فهو عدد ماضى من المنزلة التي انتهت اليها العدد إليها .

مثال ذلك أن يمضي من سنة القبط شهر توت وأربعة أيام من بابه فتبسطها أياما تكون أربعة وثلاثين يوما فتضيف إليها يومين تصير ستة وثلاثين يوما فاطرح منها ثلاثة عشر مرتين بستة وعشرين للخرتان منها ثلاثة عشر وللصرفة ثلاثة عشر تبقى عشرة . وهي ماضى من المنزلة الثالثة وهي العواء .

وإن أردت أن تعرف في أي برج هو فاحسب كم مضى من الشهر العربي يوما وزد عليه مثله ثم زد على الجلة خمسة وأعط لكل برج خمسة وأبدأ من البرج الذي فيه الشمس فأعط لكل برج خمسة فأينما نفذ حسابك فالقمر في ذلك البرج . والاعتماد في ذلك على كم مضى من الشهر العربي بالحساب دون الرؤية والله أعلم

﴿ الكلام على أحوال الأهلة التي عليها مدار الشهور في ابتدائها وانتهائها ﴾

واعلم أن مسير القمر مقدر بمعرفة الشهور والسنين قال تعالى - فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - والشمس تعطيه في كل ليلة ما يستضيء به نصف سبع قرصه حتى يكمل ثم تسلبه من الليلة الخامسة عشرة كل ليلة نصف سبع قرصه حتى لا يبقى فيه نور فيستر . ويروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه سئل عن القمر فقال : يحرق كل ليلة ويولد جديدا ، ويبعد مثل هذا عن جعفر الصادق . إذا علمت ذلك فللقمر حركتان : سريعة وبطيئة كما تقدم في الشمس . أما الحركة السريعة فحركة فلك الكوكب به من المشرق الى المغرب . ومن المغرب الى المشرق في اليوم والليلة . واعلم أن الهلال إذا طلع مع غروب الشمس كان مغيبا على مضي ستة أسابيع ساعة من الليل . ولا يزال مغيبا يتأخر عن مغيبه في كل ليلة ماضية هذا المقدار حتى يكون مغيبه في الليلة السابعة نصف الليل . وفي الليلة الرابعة عشرة طلوع الشمس ثم يكون طلوعه في الليلة الخامسة عشرة على مضي ستة أسابيع منها . ولا يزال طلوعه يتأخر عن طلوعه في كل ليلة ماضية بعد الابدان هذا المقدار حتى يكون طلوعه ليلة إحدى وعشرين نصف الليل . وطلوعه ليلة ثمان وعشرين مع الغداة . وإذا أردت أن تعلم على مضي كم من الساعات يغيب أو يطلع من الليل . فإن أردت المغيب وكان قد مضى من الشهر خمس ليال تقديرا فاضربها في ستة تكون ثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى اثنان فيكون مغيبه على مضي أربع ساعات (١) أسابيع ساعة وكذلك العمل في أي ليلة شئت . وإن أردت الطلوع وكان قد مضى من الابدان ست ليال مثلا فاضرب ستة في ستة يكون ستة وثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى واحد . فيكون طلوعه على خمس ساعات وسبع . وكذلك العمل في أي ليلة شئت

ثم قال « للناس في إخراج أول الشهر العربي طرق أسهلها أن تعرف أول يوم من المحرم ثم تعدد كم مضى من السنة من الشهور بالشهر الذي تريد أن تعرف أوله وتقسّمها نصفين . فإن كان النصف صحيحا أضفت على الجلة مثل نصفه . وإن كان مكسورا كملته وأضفته على الجلة . ثم تبتدىء من أول يوم من السنة وتعد منه أياما على توالي أسماء الأيام بعدد ما حصل معك من الأهل والمضاف فيختمها عدداً فذلك اليوم هو أول لشهر مثال ذلك في الصحيح النصف . إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلا فتعد من أول المحرم الى شعبان وتدخل شعبان في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة الى الثمانية تكون اثني عشر . ثم تبتدىء من يوم الأحد الذي هو أول المحرم فتعد الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت . ثم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثني عشر في يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس . ومثاله في المكسور النصف إذا أردت

(١) لعل الصواب وسبعان كما هو واضح

أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فتعد ما مضى من شهور السنة وتعد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفها فتكملها بنصف تصير خمسة فتضيفها إلى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر . ثم تبتدىء عدد الأيام من أول المحرم . وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت

ومن الطرق المعتبرة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسيء من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربي فما كان جهته أصلا لتلك السنة . فإذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذي أنت فيه . فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة . وانظر كم مضى من السنة القبطية شهر اتخذ لكل شهرين يوما . فان انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا . وزد على ذلك يومين أصلا أبدا . ثم انظر كم يوما من الشهر القبطي الذي أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك . وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فبقي فهو عدد ما مضى من الشهر العربي . ومنه يعرف أوله

ومثال ذلك نظرت في الثالث من أيام النسيء فوجدت الماضي من الشهر العربي ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذي أنت فيه أمشير مثلا فتعد من أول شهور السنة القبطية (وهو توت) إلى أمشير يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذي معك من أيام النسيء . وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية . ثم تنظر في الشهر القبطي الذي أنت فيه (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفهما على المجموع يكون عشرة . وهو الماضي من الشهر العربي الذي أنت فيه ومنه يعرف أوله « انتهى من كتاب صبح الأعشى

هذا هو نهاية الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيهما وعلى الشهور القمرية والشمسية كل ذلك تفسير للآية التي نحن بصدد الكلام عليها - يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى - انتهى

أيها الذكي هاهي ذه الدنيا أمامك ظاهرة واضحة فتعرفت يومك في شهرك استخرجت منه منزلة الشمس وبرجها وسير القمر فيهما ، والسنة التالية تتبع السابقة ، فالنظام تام والحساب بديع ، أفلا تعجب لهذا الحساب الذي لا خلل فيه وعلى مقتضاه كانت أحوالنا المعاشية

يا سبحان الله : شمس وقر منظم سيرهما ومنازل وبروج منظمات وعلى مقتضاهما كانت حياة الانسان والحيوان ، فلولا النظام هناك لا ختل النظام هنا ، فها هو ذا شهر توت أول يوم منه يسمى النيروز وهو رأس سنة القبط ، وفي (٧) منه يبتدىء لقط الزيتون ، وفي (١٧) منه تفتح أكثر الترع بمصر ، وفي ١٨ منه أول فصل الخريف ، وفي ١٩ منه يهيج السوداء في البدن ، وفي ٢١ منه يبتدىء بيض النعام ، وفي ٢٨ منه يذهب الحر ، وفي ٢٩ منه أول رعي الكراكي ، وفي ٣٠ منه يزرع الهليون

(شهر بابه) فيه يندر كل مالا تشق له الأرض كالبرسيم ونحوه وفي آخره تشق الأرض بالصعيد ويحصد الارز ويطيب الرمان وتضع الضأن والمعز والبقر الخيسية ويستخرج دهن الآس واللينوفر ويدرك الثمر والزبيب وبعض الحمضات ، وفي ثلثه رأس سنة السريان ، وفي رابعه أول تشرين الأول من شهورهم ، وفي خامسه عرس النيل ، وفي سادسه يطيب شرب العواء ، وفي سابعه نهاية زيادة النيل ، وفي ثامنه يكره خروج الدم ، وفي حادى عشره يبتدىء النيل فى النقص . وفي ثالث عشره بداية الوحم ، وفي رابع عشره يكثر الناموس وفي خامس عشره يبتدىء زرع القنطريون . وفي سادس عشره تبتدىء كثرة السعال . وفي تاسع عشره يبتدىء زرع السلجم . وفي الثاني والعشرين منه يبتدىء صلاح المواشى . وفي الثالث والعشرين منه تبتدىء كثرة الغيوم . وفي الرابع والعشرين منه يبتدىء أهل مصر الزرع . وفي السابع والعشرين منه يبتدىء سمن الحيتان

وفي الثامن والعشرين منه أول المد . وفي التاسع والعشرين منه أول الليالي البلق  
 ﴿ شهر هاتور ﴾ فيه يزرع القمح ويطلع البنفسج (١) والمنثور . وأكثر البقول . ويجمع ما بقى من  
 الباذنجان وما يجرى مجراه . ويحمل العنب من قوص . وفي ثانيه يبتدىء حصاد الأرز . وفي خامسه أول تشرين  
 الثاني من شهور السريان وفيه يبتدىء برد المياه . وفي سادسه أول المطر الوسمى ، وفي سابعه يبتدىء أهل الشام  
 الزرع . وفي ثامنه يبتدىء هبوب الرياح الجنوبية . وفي تاسعه يبتدىء زرع الخشخاش (٢) وفي حادى عشره يبتدىء  
 اختفاء الهوام وفي ثالث عشره يبتدىء غليان البحر ، وفي رابع عشره تعمي الحيات . وفي سادس عشره يجمع  
 الزعفران ، وفي ثامن عشره تكثر الوحوش . وفي الثامن والعشرين منه يعلق البحر الملح وتمتنع السفن من  
 السفر فيه لشدّة الرياح . وفي الثالث والعشرين منه تبتدىء سخونة بطن الأرض . وفي الرابع والعشرين منه  
 أول اسفيدار ماه من شهور الفرس

﴿ شهر كيهك ﴾ فيه تدرك الباقلاء وتزرع الحلبة وأكثر الحبوب . ويدرك النرجس والبنفسج . وتلاحق  
 الحمضات . وفي أوله ابتداء أربعينيات مصر . وفي ثالثه يبتدىء موت الذباب . وفي خامسه أول كانون الأول من  
 شهور السريان . وفي سابعه آخر الليالي البلق وأول الليالي السود . وفي حادى عشره يبتدىء الشجر فى رمى  
 أوراقه . وفي ثانى عشره تظهر البراغيث . وفي سابع عشره أول فصل الشتاء ، وهو أول أربعينيات الشام . وفي  
 ثامن عشره يتنفس النهار . وفي الحادى والعشرين منه يكثر الطير الغريب بمصر . وفي الثالث والعشرين منه أول  
 مردوماه (٣) من شهور الفرس . وهو نوروزهم وأول سنتهم . وفي الخامس والعشرين منه يهيج الباغم . وفي  
 السادس والعشرين منه تلمح الأبل . وفي السابع والعشرين منه يكثر شرب الماء فى الليل . وفي الثلاثين منه  
 يبتدىء تقليم الكروم

﴿ شهر طوبه ﴾ فى زرع القمح فيه تفرير . وفيه تشق الأرض للتصب والقلقاس . ويتكامل النرجس  
 وفى أوله تبيت الرياح الشديدة . وفى ثانيه يدرك القرط . وفى سادسه أول كانون الثاني من شهور السريان .  
 وفى عاشره آخر أربعينيات مصر . وفى حادى عشره أول نصب الكروم . وفى ثانى عشره يشتد البرد . وفى ثالث عشره  
 يبتدىء زرع المقات . وفى سابع عشره يبتدىء غرس الأشجار . وفى ثامن عشره تبتدىء كثرة الندى . وهو  
 آخر الليالي السود . وفى تاسع عشره يبتدىء وقوع الثلج بالشام وغيره . وفى الرابع والعشرين منه يبتدىء صفو  
 ماء النيل . وفى التاسع والعشرين منه يبتدىء اختلاف الرياح

﴿ شهر أمشير ﴾ فيه تفرس الأشجار . وتعلم الكروم . ويدرك النبق واللوز الأخضر . ويكثر البنفسج  
 والمنثور . وفى رابعه يبتدىء إفراخ النخل وفى سادسه أول شباط من شهور السريان . وفى حادى عشره يبتدىء  
 إنتاج الطيور وزرع بقول الصيف . وفى ثانى عشره يبتدىء تحرك دراب البحر . وفى الثانى والعشرين منه ثانى  
 جرة فائرة . ويبتدىء مرض الأطفال . ويبتدىء خروج ورق الشجر . وفى الثالث والعشرين منه يبتدىء خروج  
 الدواب للمرى . وفى الرابع والعشرين منه أول حرداماه من شهور الفرس . وفى الخامس والعشرين منه يبتدىء  
 هيجان الرياح . وفى السابع والعشرين منه تبتدىء ثالث جرة حامية . وفى الثامن والعشرين منه أول المفرطات .  
 وفى التاسع والعشرين منه آخر نهى ابقراط

﴿ شهر برمهاه ﴾ فيه تزهرا الأشجار ويعقد أكثر الثمار . ويزرع أوائل السمسم . ويقلع الكتان .  
 ويدرك الفول والعدس . وفى ثانيه يكتمد خروج الدم . وهو أول الأعجاز . وفى ثالث عشره تفتح الحيات أعينها .  
 وفى خامس عشره تطيب الألبان . وفى سادس عشره يبتدىء خروج دود القز . وفى ثامن عشره يهيج الدم .

(١) بسكون الفاء وفتح بقية الحروف (٢) بفتح أوله

(٣) سيأتى قريباً أن نيروز الفرس وأول سنتهم أفرودين ماه ونظمه الصواب لأنه الذى ورد فى مردج  
 الذهب وغيره ومع ذلك لم يذكر هذا الشهر فى أسماء الشهور الآتية



وفي ناسع عشره ظهور الطوام . وفي العشرين منه يزرع السمسم . وفي الرابع والعشرين منه أول تيرماه من  
شهور الفرس . وفي السادس والعشرين منه يبتدىء شرب المسهل . وفي السابع والعشرين منه خروج الذباب الأزرق  
﴿ شهر برمودة ﴾ فيه تقطف أوائل عسل النحل . وفيه تكثر الباقلاء . وينفض جوز السكتان ، ويكثر  
الورد الأحمر ، والبطن الأول من الجيز ، ويقلع بعض الشعير ، ويدرك الخيار شنبه . وفي أوله يؤكل الفربك .  
وفي رابعه يعصر دهن البلسان . وفي خامسه تبتدىء كثرة الزهور . وفي سادسه أول نيسان من شهور السريان .  
وفي ثاني عشره يخاف على بعض الزرع . وفي ثامن عشره آخر قلع السكتان . وفي العشرين منه ينهى عن أكل  
البقول . وفي الثاني والعشرين منه ظهور الكمأة ، وفي الثالث والعشرين منه الختام الكبير للزرع . وفي الرابع والعشرين  
منه أول تردماه من شهور الفرس . وفي الخامس والعشرين منه نهاية مد الفرات . وفي الثامن والعشرين منه يبيض النعام  
﴿ شهر بشنس ﴾ فيه يكثر التفاح القاسمى . ويبتدىء التفاح المسكى . والبطيخ العبدلى والحوفى ، والمشمش  
والخوخ الزهرى . والورد الأبيض . وفي نصفه يبذر الأرز . ويحصد (١) القمح . وفي سادسه أول ايار من شهور  
السريان . وفي رابع عشره يجمع الخشخاش . وفي ثامن عشره يجمع العصفور . وفي الحادى والعشرين منه  
تبتدىء برودة الأرض . وفي الرابع والعشرين منه أول شهر برماده من شهور الفرس

﴿ شهر بؤنه ﴾ فيه يكثر الحصرم ويطيب بعض العنب والتين البونى وهو الديفور . والخوخ الزهرى  
والمشعر . والكهثرى البوهى . والقراصيا . والتوت . ويطلع البلح . ويقطف جهور العسل . وفي ثالثه يبتدىء  
توحم النيل . وفي سادسه يكمل الدرياق . وفي سابعه أول خريان من شهور السريان . وفي تاسعه يبتدىء مهب  
الريح الشمالية . وفي عاشره يبتدىء تنفس النيل . وفي خامس عشره تتحرك شهوة الجاع . وفي ثانى عشره عيد  
ميكائيل . فى ليلته يوزن من الطين زنة ستة عشر درهما عند غروب الشمس ويرفع فى مكان ويوزن عند طلوع  
الشمس فإزاد كان بكل خروبة زادت على الستة عشر ذراع . وفى ثالث عشره يبتدىء نقص الفرات . وفى رابع  
عشره تهب الرياح السمام . وفى تاسع عشره تذهب البراغيث . وفى العشرين منه تهيج الصفراء . وفى الثانى  
والعشرين منه يعقد الجوز . ويقوى اندفاع النيل وفى الرابع والعشرين منه يشور وجع العين وهو أول مهرماه  
من شهور الفرس . وفى السابع والعشرين منه يؤخذ قاع النيل . وفى الثامن والعشرين منه ينادى عليه . وفى  
التاسع والعشرين منه يدرك البطيخ

﴿ شهر أيب ﴾ فيه يكثر العنب والتين ويقل البطيخ العبدلى ويطيب البلح وتقطف بقايا العسل وتقوى  
زيادة النيل . وفى رابعه أول نهى أبقراط وفيه يموت الجراد . وفى سابعه أول تموز من شهور السريان . وفى  
عاشره يبتدىء وقع الطاعون . وفى ثانى عشره تبتدىء قوّة السمام . وفى ثالث عشره تدرك الفاكهة . وفى سابع  
عشره تغور العيون . وفى ثامن عشره يجمع السماق (٢) وفى الثانى والعشرين منه يدرك الفستق (٣) وفى الرابع  
والعشرين منه أول أبان ماه من شهور الفرس . وفى السادس والعشرين منه طلوع الشعري العمانية . وفى التاسع  
والعشرين منه يدرك نخل الحجاز

﴿ شهر مسرى ﴾ فيه يعمل الخلل ويدرك البسر (٤) والموز وتتغير طعوم الفاكهة لغلبة الماء على الأرض .  
ويدرك الليمون التفاحى . ويبتدىء إدراك الرمان . وفى رابعه نقصان الدجالة . وفى خامسه أول العصير . وفى  
ثامنه أول آب من شهور السريان . وفى ثانى عشره فصال المواشى . وفى رابع عشره تقل الألبان . وفى خامس  
عشره تسخن المياه . وفى سابع عشره تختلف الرياح . وفى ثامن عشره يحذر لسع الطوام وفى الثامن والعشرين  
منه آخر العصير . وفى الرابع والعشرين منه يهيج النعام . وفى الخامس والعشرين منه تكثر القيوم . وفى الثامن

(١) بسكون الميم (٢) بضم السين وفتح الميم المشدتين (٣) بسكون السين وضم بقية الحروف

(٤) بضم أوله وسكون ثانيه

والعشرين منه آخر السهائم . وفي التاسع والعشرين منه أول آذرمه من شهور الفرس .  
﴿ أيام النسيء ﴾ ودخولها في الثامن والعشرين من آب من شهور السريان ويختلف آخرها باختلاف  
السنة الكبيسة وغيرها . انتهى الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيها وعلى الشهور القمرية  
والشمسية وذلك من كتاب ﴿ صبح الأعشى ﴾ والحمد لله رب العالمين  
هذا ما أردت نقله هنا من كتاب « صبح الأعشى » لتفهم أيها الذكي لماذا ذكر الله الأرض مع الشمس  
والقمر إذ ذكر أنه أحيها وأخرج منها حبا وجعل فيها جنات وعيونا وثمارا نأكلها . ثم أعقب هذا بالشمس والقمر  
فبدأ بالسبب ثم أتبعه بسببه . فالمسبب هي هذه الزروع والحبوب والفواكه التي تضمنها ذكر الأرض اجالا وقد  
فصلت بعد آيات . وأسبابها الأضواء السماوية فلما انتظم حساب الأسباب وأوقاتها انتظمت أوقات المسببات وحسابها  
في أيامها المسلمون على هذا النمط فلتكن عاوم الاسلام ودين الاسلام . فلما أن المسلمين يعرفون هذه  
العاوم والافهم مقصرون في معرفة كتاب الله والله هو الولي الحميد والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي  
لولا أن هدانا الله . انتهى من كتابة هذا المقام الساعة الثانية بعد نصف ليلة الجمعة ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٠  
وبهذا تمت اللطيفة الأولى

### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

( في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - )

إن العلم من خواص القرآن . فكلم حض على العلم وأمر بالتفكير والتدبر . إن أول سورة  
نزات بنيت على العلم - اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق الانسان من علق \* اقرأ وربك الأكرم الذي  
علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم -

فاذا كانت أول سورة نزات قد أسست على هذا الاسلوب فهذا الدين سيظهر له أثره التام في أمم عرفت  
قيمة العلم واذا لم يجعل الله نسبة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقد فصل بينهما فصلا تاما وجعل الجهال  
كأنهم من طينة غير طينة أهل العلم مبالغة في التفرقة وتفاوت المنازل . واذا كان العلم هذه صفة فن حقا أن  
نسب في شرحه على ما يقتضيه المقام . فلنجعل الكلام عليه في مقامين : المقام الأول في شرف العلم وطرق  
التعليم وجدد الأمم في تحصيله . المقام الثاني في شذرات من العاوم العامة تذكرة للأمة الاسلامية

﴿ المقام الأول في شرف العلم وطرق التعليم وجدد الأمم في تحصيله . وفي هذا المقام ثلاثة فصول  
« الفصل الأول » في تمثيل العلم بمعدن الراديوم « الفصل الثاني » فيما قاله الفيلسوف كنت الألماني  
في كتاب التربية « الفصل الثالث » فيمن ترك الملك من الملوك والوزراء حبا في علم الحكمة وفيمن  
خلع لباس الحكمة واشتغل بالملك ﴾

﴿ الفصل الأول في المقام الأول في تمثيل العلم بمعدن الراديوم ﴾

يقول صلى الله عليه وسلم « الناس معادن كعادن الذهب والفضة فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام » إن  
المعادن جاءت في الوجود مرتبة على مقتضى الحاجة . فكما كان المعدن كثير التناول وكانت الحاجة الى  
عمومه داعية كثر وجوده كالتصدير والنحاس والحديد . وكما كان الاحتياج اليه أقل كأن كانت له منزلة بها  
يحكم الناس في مباحاتهم كالذهب والفضة كان وجوده أقل على مقتضى الحاجة فلو كثيرا لذهبت تلك المزية  
لأن كثرتها يتلوها رخصتها ويستدعى نهب الناس وتعبهم في حمل الكثير منها لأجل البيع والشراء  
إذن الحكمة تامة في وضع هذا الوجود . عم الهواء ويليه الماء ثم الأقوات للحيوان والانسان لأن الحاجة  
تدعو لذلك ولكن الهواء أقل لأن الحاجة اليه في وقت دون وقت . وكما أن الحكام والملوك أفراد في النوع

الانسانى هكذا الذهب والفضة أشبه بأوائك الأفراد فى المعادن . وههنا ظهر معدن آخر أندرم من الذهب والفضة بل أندرجدا وهو الراديوم ذلك المعدن الذى خلق ليكون له السلطان الأعظم فى عوالمنا الأرضية . ذلك المعدن الذى يهلك من اقتربوا منه من غير احتراس ويشع فى الظلام . ذلك المعدن الضارّ النافع فهو شديد الضرر كثير النفع ولا سبيل لاستعماله إلا مع العلم ومعرفة خواصه . لذلك حبسه الله ولم يظهره للناس إلا عند ما صارت عندهم بعض المعرفة بخواص المادة لينتفعوا به ويحترسوا من ضرره ، فهذا المعدن العجيب أشبه بالحكيم فى الأرض فكما أن هذا المعدن قلّ وجوده وكثر نفعه هكذا أولوا الأبواب الذين خلقوا لرقى النوع الانسانى العاشقون المفرمون بمنافعه يقاؤون ويندرون كندرة ذلك المعدن وآثارهم تتناول أمما كثيرة كما أن الراديوم يتناول أعمالا كثيرة مع قلته فى المعادن ، ولعلّ هذا الوصف شاقك أيها الذكىّ أن تعرف خواص الراديوم الذى ضربه الله مثلا لحكيم الأمم الذين يخلقون فى الأرض لينفعوا الأمم مع قلة عددهم فيها ، فهالك ماجاء فى « البلاغ الأسبوعى » يوم الأربعاء ٢٠ يونيه سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

### ( الراديوم وخواصه العجيبة )

الراديوم مسحوق أبيض يشبه فى شكله ملح الطعام والرطل منه يساوى فى ثمنه ألف رطل من الذهب وذلك لندرته واذا تيسر لشخص أن يحوز القليل منه فقل انه قد حاز مالا وفيرا وثروات طائلة ومع ذلك هو شديد الخطورة على الانسان فلو وضعنا رطلا أورطلين فى مكان معين واقترب منه أى عدد من الاشخاص لما اتوا كلهم ولما بقى منهم أحد ، والغريب أن الانسان يمكنه أن يضع فى يده القليل من مسحوقه بدون أن يشعر بألم ما ولكنه يراها تتقشر وتتفتت طبقات بعد مضى أسبوع ولربما عمى من أمسك بذلك المسحوق وانتابه الموت السريع بعد ذلك ، والقليل من الراديوم الذى يملكه العالم اليوم طالما أودى بحياة من أرادوا إجراء التجارب عليه . ولقد حدث أن عالما أراد أن يلقى محاضرة علمية على الراديوم فأخذ القليل منه ووضع فى أنبوبة أحكم غطاءها ثم وضع تلك الأنبوبة فى جيب صدره ولكنه لشد ما كانت دهشة الجميع عند مارأوا أن الجلد الواقع تحت جيب الصدرى حمرا وأخذ يتساقط وسرعان ما تكون خرج مؤلم بشع المنظر لم يندمل إلا بعد أسابيع طويلة . والراديوم يلمع فى الظلام كوهج النيران تماما . والعجيب فى أمره انه يشع باستمرار ضوئا وحرارة ومع ذلك لا يفقد شيئا من وزنه وهكذا فهو كشعلة من الفحم تتقد على محرّ الأيام ولا تنفنى ولا تزول ويمكننا اذا حصلنا على رطل من الراديوم أن نذيب بواسطته فى كل ساعة رطلا من الثلج بدون توقف أبدا وهو بذلك القوّة المستمرة التى كتد علماء الماضى فى البحث عنها . واذا وضعنا كمية كافية من الراديوم فى فرن قاطرة أمكننا أن نسير القاطرة بلا توقف وبدون بذل أى مجهود فى تنظيف القاطرة أو اعطائها كمية أخرى من الوقود . وقد حدث أن عالما وضع كمية من الراديوم فى صندوق من الورق القوي لمدة من الزمن وعند ما انكسر الصندوق ونزع منه أنابيب الراديوم ورمى الصندوق فى ناحية من نواحي منزله شاهد أن ضوئا ينبعث من الصندوق بعد إطفاء أنوار المنزل وذلك لأن الصندوق قد امتصّ بعضا من شعاع الراديوم وبالفعل كل مادة تلامس الراديوم لابد أن تتأثر بالراديوم وتأخذ منه بعض خواصه وأهمها الاشعاع . وهنالك نوع من أصباغ الراديوم تدهن به مفاتيح الخطوط الكهر بائية وذلك لأن المفتاح يولد كهر بائية لا بأس بها كلما أدرناه كذلك تستعمل تلك الصبغة المنيرة فى تغطية مينات الساعات أو بندول الساعات الكبيرة أو توضع فوق أوراق تلامس بزجاجات السم تنبيها للمقرب حتى يتبعد عن الخطر

لاشك انك تعجب كيف ان الراديوم ذلك المعدن النفيس يوضع فوق ميناء ساعة رخيصة الثمن لاتساوى فى قيمتها أكثر من خمسين قرشا . والحقيقة أن ميناء الساعات تغطى بطبقة من سلفات الزنك مضافا إليها

قليل جسدا من الراديوم . إن قطعة بسيطة من الراديوم لا تزيد في حجمها عن رأس الدبوس . وإذا خلطت بكمية كبيرة من سلفات الزنك نكفي لتغطية أوجهه مئات الآلاف من الساعات . وإذا فحص الانسان ميناها الساعة من خلال مجهر وجد جلة فرقةات صغيرة تحدث بالاستمرار بين الذرات وهذه الفرقعات تحدث بسرعة (٢٠٠٠٠٠٠) مرة في الثانية . فوظيفة الراديوم هي توليد حركة فرقعات متوالية تشبه الزنك وتجعله ينبعث ويبقى الراديوم الذي في وجه الساعة باقيا بينما الزنك يبلى بعد سنوات ، وللراديوم منافع جليلة لبني البشر . ففيه الشفاء من أمراض شتى كالسرطان وكذلك يشفي الأورام والخراجات ، وفي كل بلد كبير من بلدان العالم مستشفى به القليل جدا من (الراديوم) ، وربما لا يستعمل الطبيب في عمله قطعة تزيد في حجمها عن رأس الدبوس ومع ذلك ثمنها مئات من الجنيهات

أما تاريخ اكتشاف الراديوم فكاه سلسلة طريفة من القصص المتتالية : ففي سنة ١٨٩٦ م بينما كان العالم الفرنسي باكورييل يجري بعض تجاربه في بعض المعادن التي تضيء دون ارتفاع درجات حرارتها عرض لضوء الشمس مهدنا يقال له بتشيلند وهو أحد أكاسيد الاورنيام غير النقية حتى اشتعلت من تلقاء نفسها وبعد ذلك درس أثر ذلك المعدن في الألواح الفوتوغرافية ، ولما كان اليوم الذي يجري فيه تجاربه مطبرا لذلك وضع اللوح الفوتوغرافي وراءه الورق الحساس وعليه المعدن في مكان خفي حتى تصحو الشمس ولكنه دهش عند مرفع اللوح وشاهد تكوّن صورة أحسن من صورة الشمس وهكذا تمكن من اكتشاف مادة لها خواص الراديوم وبينما كان الاستاذ كوري وزوجته يجريان التجارب العامة شاهدا أن معدن البتشلند الذي كانا يستعملانه أقوى في تأثيره من الاورنيام ، وعندئذ أخذت مدام كوري تجرّ حتى تمكنت من فصل المادة الأخرى الغريبة التي يجريان عليها تجاربهما ، وذلك انهما كانا يشتريان فضلات مناجم الاورنيام ويغليانها حتى رأيا المعدن الجديد الذي سمته كوري بالبولونيوم نسبة الى بولندا بلادها وموطنها

وبعد إجراء عمليات أخرى أخذت تزيد في غلي الفضلات حتى تمكنت من استخلاص معدن الراديوم ، ولاستخلاص الراديوم لابد لنا من الحصول على معدن البتشلند القليل الوجود وهو لا يوجد إلا في الغروج ومضر وكارولينا الشمالية وكورادو ومنطقة يوتا ، ويمكن استخلاصه من عروق الذهب ، وإذا أردنا الحصول على رطلين من الراديوم فلابد لنا من تكرير خمسة آلاف طن من البتشلند ، وإذا أردنا الحصول على قليل من الراديوم يعادل ملقح من أقع الخياطة ( كستبان ) فلابد لنا من تكرير ما يعادل جل قاطرة من البتشلند وأن نعمل خمسة آلاف عملية مختلفة تستغرق ستة أشهر . ولقد عرض العلماء أنواعا من الحيوانات لشعاع الراديوم فنفضت شعرها وبصرها ثم ماتت بعد ذلك . وإذا زاد العلماء جزأ من الراديوم على ثروة العلم الحاضرة فهم يزيدون بذلك ثروة جديدة على ثروات العالم لأن الراديوم يستمر في إشعاع حرارته وضوئه مدة ستمائة سنة ثم تصبح قوته نصف ما كانت وبعد ستمائة سنة أخرى تصبح الحرارة والنور ربع ما كانت وهكذا حتى بعد مضي عشرين ألف سنة يتحوّل كله الى رصاص

وبالراديوم يمكننا تحويل بعض المعادن الى الأخرى كما يؤمل بعض العلماء ذلك وكما يرجونه في القريب العاجل . ولو أمكنهم الحصول على كل القوة الكامنة في الذرات لأمكنهم تحويل ما يريدون ولانقلب العلم رأسا على عقب

وقد أدى اكتشاف الراديوم ودراسته الى نظرية غريبة هي أن كل الذرات الموجودة الآن كانت أجراما صغيرة جدا تسبح في المجموعة الشمسية حول القطب وان يمكن فناؤها و فقط تتغير من حالة لأخرى وبخاصة التغيرهذه من حالة لأخرى يوالى العلماء أبحاثهم حتى يغيروا ما بالأرض ويكشفوا أسرار الكون . انتهى



ما جاء في مجلة « البلاغ الاسبوعي » والحمد لله رب العالمين

هاهوذا الراديو وهذه خواصه ومعجائبه . ياسبحان الله . ياسعدانه . أليس من العجيب أن أرواحنا جاءت الى هذه الأرض وهي أشبه بالقريبة عنها . أرواح أرسلت الى الأرض وهي لاتزال تتخبط مدى الدهور والأعوام فيها لانتهدى فيها سبيلا ولا تجد لها طريقا إلا بما أعطيت من موهبة العقل . جاءت أرواحنا الى الأرض ولبست هذه الأجسام ، نظرت فرأت في الأرض نباتا وحيوانا ونظاما جميلا ، ورأت أن للحيوان غرائز قد كفته السمي فهو يعيش بقوانين لا عوج فيها ولا خلل بل هو يسير منتظما محفوظا سعيدا موفر الرزق ، أما نحن معاشر بني آدم فاننا أخذنا تتخبط في هذه الدنيا وطفقتنا نشعر بالحاجة الى التعلم والاهتداء بنور بصائرنا فرجعنا الى الكتاب الذي أمامنا فرأينا كتابا جميلا مكتوبا بخط مجسم واضح فأخذنا نقرؤه ، وما هذا الكتاب إلا هذا الوجود ، فقرأنا سطورا وسطورا تعلمنا منها إيقاد النار والغزل والنسيج والسفر في البحار في السفن وهكذا من كل ما تقدم يعد بالعشرات في ﴿ سورة طه ﴾ عند آية - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهناك تجد أن علوم بني آدم أولا أخذوها عن الحيوانات ولكن نحن أشرف منها وأعظم والاهتداء بالحيوان وحده نقص لنا

هنالك قبض الله من الناس قوما منزلتهم فيهم منزلة الماس والياقوت والاسرب من المعادن . فهذه المعادن الثلاثة مسلطة على المعادن بل هذه الثلاثة بعضها مسلط على بعض فان الأسرب الحقيق هو ذو السلطان على أخويه المسطرين على البقية . أفلا ترى إذن أن أقص عليك ديانات الانسان لتعلم منزلة دين الاسلام من ديانات الأمم . انظر تر أن دين البوذية الذي له السلطان على نحو ثلث أهل الأرض اليوم المنتشر في الهند الذي هو أقدم الديانات لم ينتشر إلا في البقعة التي جاء فيها وليس له سلطان على افريقيا ولا على أوروبا ولا على غربي آسيا . وتجد دين كونيوس الذي انتشر في الصين قبل المسيح بمئات السنين لم يتعد دائرة الصين واليابان وهو معزل عن الأقطار الأخرى . وتجد دين اليهودية قد حصره اليهود بين ظهرانيهم أفلا ترى أن هذه الديانات كلها أشبه بالمعادن المذكورة المسطرة على بقية المعادن بالقطع . فياسبحان الله وياسعدانه . انظر الى دين الاسلام الذي نزل في جزيرة العرب التي اختارها الله لنزوله لأنه يعلم أن أمم العرب أقرب للإخلاص لله . فهم مخلصون صادقون متى عرفوا الحقائق واقتنعوا بها . فهم لما نزل دين الاسلام وعلموا انه رجة للعالمين كلها طاروا في الأرض شرقا وغربا فدخل هذا الدين على البوذية في ديارهم وعلى أتباع كونيوس في عقردارهم وعلى أمة اليهود فأسلم بعضهم وعلى أمم النصراني أولئك الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وساروا الى دين بوذا والى دين خريستا قبله في الهند فأصقوه بهذا الدين وجاؤا بالأب والابن وبالروح القدس وجعلوا التثليث المنقول عن دين الهند قيمة دينية وجعلوا لهم مبشرين متبعين البوذية التي ظهرت قبل المسيح بنحو خمسمائة سنة ودين خريستا المنتشر قبل المسيح بما يقرب من خمسة آلاف سنة . انظر هذا المقام في آخر ﴿ سورة المائدة ﴾ فانك ترى ما في الأناجيل منقولاً عن دين بوذا وعن الدين الذي قبله بالحرف بلا تصرف ولا تعقل

انتشر الاسلام في الأقطار ولا يزال ينتشر الى الآن كما تقدم في ﴿ سورة العنكبوت ﴾ منقولاً عن علماء أوروبا وهناك للمسلمين ماوك عند خط الاستواء ولهم سياسات وانظم وجيوش وحفاظ للقرآن وعلماء وقضاة . لم يفعل فعل العرب أحد من الأمم في الأرض لذلك اختارهم لنشر العلم في الأرض . هؤلاء نظروا . فاذا يجدون ؟ يجدون الأمم ساكنة خاملة . بحثوا عن العلم لأنهم وجدوا الله يقول لنبيه ﷺ - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ثم أكد ذلك بقوله - إنما يتذكر أولوا الألباب - هنالك قالوا لتبحث عن العلم أما الدين فقد نشرناه ولم يبق إلا العلوم والمعارف . والعلوم والمعارف إنما تكون

بالقول والعقول كلها متضمنة . واذا كنا نجد الله يقول لنا إن الغراب جاء معلما لأبناء آدم كيف يوارون  
الأموات في قبورهم وسممناه يقول - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال  
ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين -

سمعنا الله يقول : إن ابن آدم نادى بالويل والبشور على نفسه لأنه لم يتفطن لعلم عرفه هذا الغراب .  
هذا الغراب الذى هو أقل منه درجات ، هذا الغراب الذى هو حيوان خلق مقدمة وذخيرة لهذا الانسان ،  
فكيف يعرف المفضل ويجهل الفاضل ؟ هذا عار ، لذلك فعل ابن آدم فعل الغراب ووارى سوءة أخيه ،  
عرف ذلك كله أبائنا العرب منذ ١٣ قرنا فقالوا : لنبحث علوم الاول وأى أمة أقرب لنا من اليونان ، هذه  
الأمم التى حفظت علومها فى خزائن ملوك النصرانية وحرموا قراءتها ، فلنبحث تلك العلوم من خزائنها ،  
هنالك أرسل أبو جعفر المنصور لملك الروم فأرسل له بعض الكتب الرياضية وغيرها ، وهنالك أرسل المأمون  
ملك الروم أن يبعث له الكتب فأبى فخاربه وبهذا انتشرت العلوم فى الاسلام

ثم ذهبت دولة العرب وحلت محلها أمم وأمم وتغيرت الأحوال وجاء قوم جهلاء فإذا صنعوا ؟ حاربوا  
العلوم وقالوا كفانا الوضوء والصلاة والاجارة والسلم والبيع وعقود الأنكحة والقضايا والدعاوى والطلاق  
وهكذا مما دونه الفقهاء فى كتب الفقه وناموا يوما عميقا ، فإذا تم بعد ذلك ؟ أذن الله للعلم الذى نشره  
أولئك العرب أن ينتقل بحذافيره من بلاد الاسلام الى أوروبا على أيدي تلاميذ ابن رشد فى الأندلس وقال  
الله : أيها العرب الأندلسيون . أبأؤكم كانوا صالحين لحل أمانتى ، أما أنتم فانكم شعراء غزليون شهوانيون  
فهاأنذا أخرجكم من الأندلس بعد أن أدتكم وظيفتكم وهى نشر العلوم فى أوروبا لأن النبي العربى رحمة  
للعالمين ، فرجى لكم بمحمد انكم مؤمنون به ورجى لأوروبا أن العلم الذى تسلمه أبأؤكم من اليونان  
ينتشر على أيديكم فى أوروبا وكفى فأخرجوا من أوروبا فقد انتهى عملكم . كل ذلك تم فى القرن السادس  
الهجرى و بعد ذلك الانتقال تمزقت وحدة المسلمين فى الأندلس وصاروا عشرين دولة فالتهمتهم الأمم المسيحية  
ورجعوا بنحى حنين ومات كثير منهم ورجع الى بلاد الغرب منهم ألوف وألوف . هذا هو تاريخ العلم والدين  
انتشر العلم فى ربوع أوروبا وقد قلنا ان الذى أوصله لهم أبأؤنا أولئك الذين صاروا فى آخر أمرهم شعراء  
بدل أن يكونوا علماء وكأن الله قال لهم :

أيها الأمم العربية : أنا أرسلت لكم رسولا منكم لم يكن شاعرا بل كان نبيا وأنزلت عليه - قل هل  
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وأتم تركتم العلم واكتفيتم بالشعر ونبذتم الحكمة التى رقاها  
أسلافكم فانهم هدبوا علم اليونان ونشروه ، فهاأنذا سأرفع هذا العلم منكم وأعطيه لقوم آخرين ، فأما أنتم  
فان ضياع أوقاتكم فى مدح الملوك والغزل والمناظرة بين الورد والمطر وما أشبه ذلك من كل ما هو خيالى فليس  
بعلم بل هو شعر - والشعراء يتبعهم الغاؤون \* ألم ترأنهم فى كل واديهيمون \* وأنهم يقولون ما لا يفعلون -  
وأنا أرسلت النبي العربى للعلم لا للشعر ، ولم أسويين العالم والجاهل ، هذا هو تاريخ أسلافنا وتاريخ ديانات  
الأمم اجلا مع العالوم

يقول مؤلف هذا التفسير : فهاأنذا أحد أبناء حلة هذا الدين وهم العرب وقد جئت فى زمن بين زمانين  
زمن الخول وزمن النهوض ، هاهى ذه روحى قد جاءت فى هذه الأرض غريبة عنها كبقية الأرواح الأرضية  
وانما قلت غريبة لأنى أرى لها مطامح عالية وأرى هذه المطامح كلها يدل عليها العلم ويؤيدها الدين لأنى أراها  
لا تقف عند حد فهى روح أرقى من أرواح هذه الحيوانات ولكنى أراها روح مسكينة تنامس العلم والمعرفة  
هنا وهناك وقد جاءت بين زمانين كما قلنا زمان النهوض وزمان الخول . لقد نظرت فرأت عالوما تنشر وعلماء  
فى مصر وفى الشرق وفى الغرب . هنالك أخذت تقرأ تاريخ الأسلاف وتاريخ الاسلام ونظرت فهداها الله الى

هذا التفسير، فعلى "إذن أن أنظر في علوم الأمم التي جاءت بعد ذهاب مجد آبائنا العرب . هل زادوا في العلم شيئاً بعد ما تسلموه من آبائنا؟ فإذا رأيتم زادوا شيئاً وجب على أن أقول لقومي من العرب وغير العرب لأن النسب ليس له دخل في الاسلام بل الاسلام دين عام . فإننا أنا أخطب كل عاقل لأن ديني هكذا شأنه فليس كدين اليهود الذي جعلوه خاصاً بهم ولا كاليانتي الأخرى بل هو دين عام لجميع الأمم ، وعلى ذلك أخطب كل الأمم فأقول : هاهوذا العلم وقف حيث تسلمه الاوروبيون من تلاميذ ابن رشد ونام المسلمون نحو (٧) قرون فهل زاد شيئاً؟ نظرنا فرأيناه زاد كثيراً ، فوجب على "إذن أن أدل الأمم الاسلامية على هذه الزيادة وأقول لهم : أيها المسلمون : - هذه بضاعتنا ردت إلينا - بل إن الذين تسلموها من آبائنا قد زادوها والله يقول - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ فهاهوذا سبحانه عبر بالفعل المضارع والفعل المضارع يقتضي التجدد بالقرآن كقوله تعالى - يحي ويميت - فالاحياء والامانة تتجدد كل وقت هكذا العلم يتجدد كمتجدد طلوع الشمس وغروبها في كل يوم ، إذن علينا أن نجد في العلوم دائماً لأن نقف عند حد إطاعة لشارة القرآن والله الذي له الملك وله السموات والأرض لما نقل العلم عن آبائنا الى أوروبا سخرهم له فزادوا فيه وجددوا إذن فلنقرأ علومهم والا كان غيرنا أحسن منا في تلك العلوم لأنهم علماء ونحن جهلاء بها وهذه العلوم يأمر بها ديننا ويذم من يجهاها ، وفي هذا التفسير زهرات وثمرات من بساتين العلوم وحض على استكمالها

أوليس من العجب العجيب أن نرى القوم داوموا البحث في الراديوم حتى استخلصوه من البتشلند وأن مقدار ملء قمع من أقعاع الخياطة ( كستبان ) يحتاج في تخليصه الى قاطرة من البتشلند والى خمسة آلاف عملية ، فانظر الى هذا الاجتهاد من أهل الغرب الذين أخذوا العلم عن آبائنا وزادوه وتعاونوا جميعاً على النهوض والارتقاء . وههنا أقول : أليس من العجب أن المقدار من الراديوم الذي لا يزيد عن مقدار ما يغطي رأس الدبوس يخلط بمقدار من سلفات الزنك فيغطي أوجه مئات آلاف من الساعات ، ونرى في أوجه هذه الساعات فرقعات صغيرات بين الذرات مسرعات في جريها ( ٢٠٠٠٠٠٠ ) مرة في الثانية فتجعل الزنك كأنه ينير ، إذن هذا الراديوم أشبه بدين الاسلام لأنه جاء فلاً الكرة الأرضية ، فإذا كانت البيانات الأخرى قد دخلها التحريف من جهة ومن جهة أخرى أكثرها محصورة في أماكن خاصة ، فههنا هذا الدين انتشر في الكرة الأرضية وأصبح كالراديوم ينير الأمم أينما حل ويحمل معه العلم فلاسلام دين العلم وان كان الحاملون له الآن أكثرهم جهلاء ، الاسلام كالراديوم مجهول نوره وسيستخرج العلوم التي أمر بها أناس من قراء هذا التفسير وأمثاله كما استخراج (باكورييل) خواص الراديوم ، وإذا كان دين الاسلام كالراديوم من حيث انه انتشر في القارات كلها وليس ديناً منقولاً عن غيره ومن أكبر خواصه نشر العلم . والبيانات الأخرى القديمة المبدلة منزلتها كمنزلة المعادن الأخرى التي صار الراديوم أرقى منها وله السلطان الأعظم عليها وعلى غيرها ، فهكذا منزلة علماء الأمم في سائر العلوم كمنزلة المعادن ومنزلة العلماء الذين لهم السلطان على العلوم كلها بحيث يفسكرون في النظام العام ويقرؤون العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وينظرون في هذا الوجود نظرة عامة منزلتهم من علماء العلوم الخاصة منزلة الراديوم من المعادن كلها ، إذن العلماء الناظرون في هذا الوجود كله نظراً تفصيلياً هم القوامون على الشهب في الأرض وهم الذين يجتدون البحث والتنقيب في هذه الأرض والله يقول - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - بالفعل المقتضى للتجدد وقتاً بعد وقت كما يقوله علماء علم المعاني

ثبت إذن أن العلماء الباحثين في هذا الوجود قليل ونادر ، وإذا حكم الله عز وجل بأن لاني بعد خاتم النبيين ، فهاهوذا سبحانه يأمرنا بالبحث وأشرف الباحثين هم الناظرون في هذا الوجود كله نظرة عامة ، فهأنا ذا الآن أيها المسلمون في الفصل الثاني الآتي بعد هذا سأقول ما ذكره أكبر عالم في ألمانيا وهو ( كنت ) في علم التربية قيماً بحق أمانة العلم التي سلمها الله لآبائنا بالوحي أولاً وبالنقل عن العلماء ثانياً . فإذا نقلنا علم الأمم

الاوربية ثانيا الى لغتنا العربية فغنى هذا اننا أخذنا نتسلم العلم من القوم كما تسلموه من آباؤنا  
هاأناذا أيها المسلمون نظرت بعد مئات من السنين في العلوم التي نقلها الفرنجة عن آباؤنا وهاأناذا نقلت  
وأنقل بعضها وهاهوذا القرآن يحضكم على العلم والتعليم ، فهاأناذا أقول لكم انكم ستقرؤون علم القوم ولابد  
من أن تستوعبونها نقلا وفهما . ثم لتقوموا برقى الأمم كرا أخرى . أتم يا أمة الاسلام عليكم النهضة الحديثة  
التي ستكون بعد مغادرتنا هذه الدار ستكفونون أتم - خير أمة أخرجت للناس - . ذلك أنكم بعد أن  
تستوعبوا علوم أمم أوروبا وأمريكا ستقولون إن القوم لم يشعوا شيئا ، نعم حصل بعض الارتقاء المادى الضعيف  
ولكننا لانزال نرى الانسانية في حال طفوليتها ، فواسواتها : نبينا رحمة للعالمين ، فلنكن نحن رحمة للعالمين  
والا فكيف نكون أتباعه ، نحن رأينا الأمم اليوم أشبه بالنساء النابات ، يموت الميت فيشقن الجيوب  
ويطمن الخدود ، هكذا هذه الانسانية الجاهلة لم نجد لها رقا ، وكل هذه العلوم هي الرقى ؟ كلا . هانحن  
أولاء نرى الحشرات تفتك بالزرع فيقل المحصول ويهلك من الأمة المصرية وحدها في السنة نحو (٧) مليون  
جنينه بسبب الحشرات فباالنا بالأمم الأخرى ! وهكذا نرى الغابات في خط الاستواء لو استولى عليها النوع  
الانسانى وأخضعها له لأصبح الانسان غير الانسان اليوم والأرض لانزال مستعصية على الناس فترك الناس  
هذا كله ورجعوا يتحاربون ويتقاتلون جهالة ونذالة وخسة ، فهم لا يبعدون في التشبيه عن النساء النابات فان  
الناس أشبه بجسم واحد تضرب الانسانية بعضها ببعضها ، ولو كان فيهم حكماء وعلماء أحسن من هؤلاء لعلموهم  
أن الانسانية كلها اذا وات وجهها وجهة الطبيعة لحازت قصب السبق في السعادة ولكن الانسان أرقى من  
الحيوان الذى جعل مقدمة له وخادما ، فهو الآن لم يرتق عن النمل الذى يحارب بعضه بعضا لثقله علومه ومعارفه  
ثم يقول المسلمون بعدنا : نحن أتباع نبينا ﷺ وهو رحمة للعالمين ، فلنقرأ علوم أوروبا وأمريكا ثم  
يأتى جيل آخر ويكون قد قرأ أمثال هذا التفسير فيقولون : أيها الانسانية تعالى انظرى معنا - تعالوا الى  
كله سواء بيننا وبينكم - لننظر في الطبيعة ، أليست مشتركة بين الأمم ، قوموا فلنحاربها معا ولنخضعها ،  
وهناك تكون لنا سعادة لم يحلم بها آباؤنا ، هنالك يأتى اليوم الذى أخبر به القرآن وهو اليوم الذى تم فيه  
العلوم والمعارف سائر الأمم ويذهب الحرب ويحصل السلم ويذهب من الأرض ذلك الوصف القبيح وهو  
الذجل وادعاء المسيحية وليس في الأرض الآن مسيحية لأن المسيحية الحقة هي التي تمنع الحرب والذين قالوا  
إننا نصارى اليوم يحاربون ، إذن هم ليسوا أتباع المسيح . إذن هؤلاء الذين وردوا في الحديث انهم أتباع  
المسيح الدجال الكاذب . والاسلام في المستقبل هو الذى يعلم الأمم هيئة السلام العام بالعلم والحكمة وانتشار  
الفضيلة . فالمسيحية الآن دجل وكذب لأنها مصحوبة بالحرب ولاحرب في المسيحية فأين هي اليوم إذن ؟  
والاسلام سيعان الحقيقة ويقول : أيها المسيحيون . ارموا السلاح وقرؤا العلم معنا فلتخضع الطبيعة لنا لأن  
الله جعل لنا السلطان عليها فدتوا أيديكم للتعاون على السلام العام وستتحد الأمم بعدنا على ذلك  
وليس يهم ذلك إلا رجال مصلحون هم خيرة الأمم ونسبتهم الى العلماء بالعلوم الخاصة كنسبة الراديو  
الى بقية المعادن

اذا عرفت ذلك أيها النكى فلا سمحك ما وعدت بنشره من آراء ( كانت ) الألمانية فأقول :

﴿ الفصل الثانى من المقام الأول ﴾

( فيما قاله الفيلسوف « كانت » الألمانية في كتاب التربية )

اعلم أن هذا الكتاب المسمى « كانت في التعليم » قد ترجم من الألمانية الى الإنجليزية بواسطة  
( اينت تشرتون ) وقد وضعت له المقدمة السيدة ( رايزدافيدس ) والكتاب مشتمل على مقدمة وأربعة فصول  
المقدمة في النظام العام في التعليم وموازنة تعليم الانسان بغرائز الحيوان وكيف كان للحيوان غريزة استغنى



بها عن التعليم والانسان محتاج اليه وكيف يربي الأطفال والتلاميذ وهكذا ﴿ الفصل الأول ﴾ في التعليم الجسمي الطبيعي ونظام الاطفال في الرضاعة والنظافة والملابس وما أشبه ذلك ﴿ الفصل الثاني ﴾ في تعليم العلوم ﴿ الفصل الثالث ﴾ في اخضاب هذه العقول الانسانية بالعلوم وتحليلتها بالبحث والتنقيب واعطاء الشبان حرية البحث واستخراج المجهولات بما عرفوه في الفصل الأول بال تلقين ﴿ الفصل الثالث ﴾ في الاخلاق العامة لنوع الانسان والتهذيب ﴿ الفصل الرابع ﴾ في مزاوله الانسان أعماله ومعاملته للناس في الحياة وذلك يشمل رحته للانسانية العامة وأعماله الخاصة في نفسه واستنتاجه هو نفسه ببصيرته ، وبالجملة كل ما يدخل في دائرة أخلاقه في نفسه ومع غيره ، فلنقتصر في هذا المقام على ترجمة المقدمة لأنها جامعة لمقاصد المؤلف إيفاء لبعض معنى قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم - . ابتداء المؤلف مقدمته قائلاً :

( ١ ) الانسان هو الذي يحتاج للتربية دون غيره ، إن التربية تشمل :

( أ ) تربية الأطفال في المهود بالعناية الخاصة والتغذية

( ب ) والتهذيب بمنع الطفل مما يضره

( ج ) وتلقيه العلوم

فهو طفلاً يحتاج الى الحضانه ، وغلاماً يحتاج الى مراقبة أخلاقه وتهذيبه ، وتلميذاً يحتاج الى التعليم ( ٢ ) إن الحيوان قد أعطى غريزة أغنته عن التعليم فقد سنت سنن لاجوج فيها . أفليس من العجب العجاب مثلاً أن أفراخ الخطاطيف عند خروجها من البيضة وهي لاتزال مغمضة العين لم تر النور تراهنّ يحترسن غاية الاحتراس من أن يدنسن أعشاشهنّ . إذن الحيوان ليس في حاجة الى حضانه تقوم بأمره وغاية الأمر أنه يعطى الغذاء والدفع و بعض العناية بالمحافظة عليه . إن أكثر الحيوان في حاجة الى الغذاء أما الحضانه فلا . إن الحضانه تشمل شدة العناية بلطف والحيطه الشديده التي يقوم بها الوالدان بمحافظه على الأبناء كأن يحميهم من مزاوله أعمال تضر بهم فهذا كله لاجابة لصغار الحيوان به . ألا ترى أن صغار الحيوانات المولودة حديثاً لو أنها رفعت أصواتها بالبكاء كما يفعل صغار الانسان لسارعت اليها الحيوانات المفترسة المحيطة بها وافترستها ساعة ولادتها

( ٣ و ٤ و ٥ ) إن التهذيب يقب ما فينا من أخلاق حيوانية الى أخلاق انسانية . والحيوان بما منح من الفرائز

لا يعوزه التمييز والاختيار . فهناك قوه أخرى دبرت له ما يحتاجه . أما الانسان فهو الذي لا تقوم له قائمه إلا بتديره هو وعنايته . ولما كانت العناية لم تمنحه غريزة وجب عليه أن يجد في كل ما يزاوله ويفكر فيه بعقله . ولما كان الانسان في أول نشأته لاعلم له بما يحتاج اليه هناك قيض له أمثاله من الناس فعلموه ما يحتاجه . وليست خصائص الانسان تأتي له فجأة بالترتيب ولا تعقيب بل تظهر فيه تدريجاً شيئاً فشيئاً ولكن ذلك أولاً بأدراك بصيرته وثانياً بجده واجتهاده هو لا بالفرائز كالحيوان . و بعد التهذيب وتحسين الخلق يكون تعليم العلم . ولو أننا عكسنا القضية فبادرنا بالتعليم ثم أخرنا التهذيب لرجع الانسان في آخر أمره الى الحال الوحشية التي منها نفر كل حين . إلا ان التهذيب هو الذي يمنع المرء من رجوعه من حالة الانسانية التي هي نهايته الى الأخلاق البهيمية التي فرّ منها . بالتهذيب يحفظ المرء من الاندفاع في سبل الشرّ ومواقف الخطر والوحشية والتهذيب أمر سلبى لا إيجابى لأنه يهدى الانسان الى أن تكون أعماله نظامية قانونية فأما القسم الايجابى في التربية فهو تلقين العلوم ودرسها وفهمها . إذن التهذيب منع فهو سلبى

والتعليم تلقين فهو إيجابي لاسيما . أولهما نهى وثانيهما أمر . وأولهما تخلية وثانيهما تحلية .  
 بالتهذيب يكون ضبط العواطف وسمو الأخلاق . وذلك يجب أن يكون من مبدأ الحياة . يرسل  
 الصبي للمدرسة فليكن أول ما يفاجأ به من الأعمال تنظيم جلوسه ومشيه . يؤمر فيأمر لا غير  
 ولا تبيين له الأسباب لأنه لا يفهمها بل يكون ذلك أمرا عمليا . ههنا قيدنا حريته وأحطناه بقوانين  
 فإذا لم نفعل معه ذلك وشب وشاب وهو لم يهتد تقييد تلك الحرية بقوانين فإنه بعد فوات زمن  
 الصبا لا يعدل بها شيئا ولا يمتثل لما ينصح به وترسخ في الناس عوائدها فلا تهذيب ولا تأديب ،  
 وهل يهتدب الديق ! لذلك تجب المسارعة الى التهذيب من أول الحياة حتى لا يستعصى أمرها  
 اذا كبر الانسان ، فلتصقل تلك الخشونة التي في الطباع بصقال التهذيب والتأديب ، الأطفال يعوزهم  
 حالان : حال التربية الجسمية ، وحال التربية العقلية . لحال التربية الجسمية بالحضانة في حال  
 الطفولة ، وحال التربية العقلية بسبيلين اثنين : تهذيب النفوس وهذا سبيل ، واصلاح العقول  
 وتسكميلها بالعلوم والمعارف وهذا ايجابي

( ٦ ) إن صغار الحيوان لا تتعلم شيئا كما يتعلم صغار الانسان ، اللهم إلا ان الطيور تعلم صغارها كيف  
 تقلد أمهاتها في أصواتها الخاصة بها إذ تقف الصغار حول أمهتن مصطفات اصطفا في التلاميذ في  
 المدرسة وتسمعهن نغماتها الخاصة بأبناء نوعها وهن يقلدنها بحناجرهن الصغيرة حذوا القنذة بالقنذة  
 فالتعليم لم يكن عند حيوان غير الانسان إلا الطيور فانها هي التي تعلم صغارها أصواتها بل لو اننا  
 رفعنا نصف بيض عصفور الكناري المعروف ووضعنا بدل ما رفعناه منه بيضا لعصفور دوري ثم  
 فقس البيض كله وأخذ الكناري يفنى بصوته الخاص فاننا نسمع مما خرج من بيض العصفور  
 الدوري صوت الكناري المغنى لاصوت العصفور الدوري فدل ذلك على أن الطيور تتلقى الصوت  
 بالتعليم فهي كالانسان يكمله التعليم ، ومن المعروف أن الانسان إنما يعلمه انسان مثله والذي  
 يعلمه قد استكمل التعليم من قبل فلذلك استحق أن يعلمه ، وكم من المعلمين من هم في حاجة  
 الى تهذيب نفوسهم واكمال تعليمهم حتى يصلحوا أن يعلموا تلاميذهم ، لو أن علما آخر أظى  
 من هذا الانسان علمه لعرفنا اليوم من هذا الانسان ، ونحن الآن لا يسعنا تقدير هذه الانسانية  
 ولا معرفة قواها ، وكيف يتسنى لنا معرفة ذلك ونحن لانزال نرى صفات كانت بارزة فيه واضحة  
 أزالها التهذيب وصفات أخرى مخفية أبرزتها التربية والتعليم

( ٧ ) لو أن ذوى المنازل الرفيعة من الأمراء والملوك ومن نحاحوهم تعاونوا مع ذوى المواهب العالية  
 من الشعوب وأخذوا في ترقية الانسانية معا لأمكننا بهذه الطريقة القويمة أن نخبر عن مواهب  
 هذا الانسان والى أى حد يصل في ارتقاء مواهبه ، ولكن مما لا يسع العاقل العادى أن يجمله  
 ويجدر بالحكيم المغموم برقى الانسانية أن يعرفه أن أقول : إن ذوى المقامات الرفيعة من الملوك  
 والأمراء لا يهتمون بأمر الشعوب ولا الانسانية العامة إلا بمقدار ما يسمو به سلطانهم وترتفع به في  
 الناس أقدارهم ، فأما سعيهم لارتقاء الانسانية درجة أودجات لتقرب من الكمال فذلك ليس  
 يعنيه ولا يهتمون به

( ٨ ) ليس من الناس أحد بلغ درجة التعقل والتبصر والتمييز بعد أن أهمل ذووه تعليمه في الصغر إلا  
 وأخذ يسأل نفسه قائلا : « أهذا الخلل جاء من نقص التهذيب أم من نقص التعليم ؟ » (وهذان  
 تشملهما التربية العامة) . إن الرجل الذي لم يعلم يعد رجلا غير ناضج فهو نبيء وغير متقن ، وأما  
 الرجل الذي لانهذيب عنده فهو رجل غير منظم الحياة ولا موزون

(٩) إن النقص الحاصل من إهمال التهذيب أشد وطأة وأضرر بالإنسان من نقص التعليم فإن العلم يمكن تداركه في الكبر . أما التهذيب وتحسين الخلق فهيات هيات أن يصلح شأنه بعد فوات فرصته في الصغر . إن الخطأ في تهذيب الطفل لن يصلح أمد الحياة

(١٠) وعلى كل جيل أن يخطو في التهذيب والتعليم خطوة إلى الأمام ويسلمها للجيل الذي بعده وهناك ترقى الإنسانية شيئاً فشيئاً جيلاً فجيلاً وتقرب من كمالها خطوة خطوة إذ لا سبيل لبوغ الإنسانية غايتها إلا بوسائل التربية والتعليم ، ولا جرم أن هنا أصراً جديراً بالذكر وهو هذا السؤال : ما الذي تستفيد منه الإنسانية من دوام التعليم وارتقاء الإنسانية فيه جيلاً فجيلاً ؟ وجوابه بين واضح وهو أن ارتفاع التعليم يوجب ظهور المواهب الكامنة في الإنسان واستكمالها وهذا يجعل الإنسان أسعد حالاً وأنعم بالاً مما هو الآن ، إن ما ننتظره من رقى القوى الإنسانية بكمال التعليم أمر جليل القدر عظيم المنزلة

(١١) لنجعل نصب أعيننا هذه الفكرة ونقترب في أنفسنا أن الإنسانية لا بد من ارتفاعها ، فإذا فعلنا ذلك أمكننا السير في هذه السبيل ، أما إذا يئسنا من هذه الفكرة مدعين أننا لن نألفها لأننا لم نزاو لها فذلك يبعدنا عنها مراحل ، كما إذا فكرنا في أمر الحكومة وبحثنا عن هيئة الحكومة العادلة التي لا خطأ في أحكامها فقلنا لا سبيل إليها لأننا لم نزاو لها

(١٢) فلنجعل نصب أعيننا فكرة رقى الإنسانية ونحققها في أنفسنا ضار بين صفحا عما أمامنا من العقبات الصادة عن إتمام غاياتنا في ذلك ، واذن يكون تحقيقها ممكناً ولا تحقيق لعمل إلا بعد انضاج الفكرة فيه والافتناع بها

إن التعليم في أيامنا الحاضرة لا يؤدي إلى رقى الإنسانية ، وكيف يؤدي إليها والأم مختلفون في الطرق التي يسلكونها . فما الذي يجمعهم إذن ؟ فليكن اتحاد عام للتعليم . فهذا الاتحاد هو الذي يحدث في الإنسانية طبيعة جديدة فلنعمل لتحقيق تلك الفكرة بالتعليم ويسلمها للجيل المتعلم إلى الجيل الذي بعده ليقرب كل جيل من الغاية العالية شيئاً فشيئاً حتى تتحقق الآمال بالتدرج وهناك تكون سعادة الإنسانية . ولأضرب لك مثلاً نباتاً يسمى (أريكيولا) إذا نبت بطريق بذره وحرثه وسقيه خرجت أزهاره ذات ألوان بديعات جميلة فأمّا إذا بقيت جذوره للعام المقبل ونبتت شجيرات عليه فإن أزهارها لا تكون إلا ذات لون واحد وتذهب منها تلك المحاسن والبهجة والزخرف والنضارة والرقش والتزييق التي كانت في زهرات العام الماضي . لماذا هذا ؟ لأن النضارة والبهجة الكامنتين في النبات خبثت في البذرة فبرزت . أما الجذور الباقية فيما بعد فقد خلت من أكثر المحاسن . هكذا الإنسان فإن لم يكن التعليم مستمر الرقى والابتداع فيه فإن ثمراته تكون ضئيلة ضعيفة لا تشفي من علة ولا تروى من غلة ولا تدفع عارا ولا تطفى ناراً

كم في الإنسان من مزايا مخبوءة في جبلته لم تبرز للوجود . فعلينا نحن أن نجعل هذه الأصول الصالحة تظهر وتموحي تصل بالإنسان إلى غايته المنتظرة . أما الحيوان فقد وصل إلى غايته واستكمل قوته التي لا قوة وراءها بلاروية ولا فكر . والإنسان عليه أن يجد ليصل لغايته ولن يصل إلى ذلك إذا لم يضع الفكرة نصب عينيه لأن أول الفكر آخر العمل . وبدون الجهاد الفردي لن تتم للإنسان غايته . فلنتصور والدين كملت أخلاقهما واستكملت مواهبهما وجعلنا أنفسهما مثلاً لأبنائهما . فاتبع الأبناء الوالدين اتباعاً تقليدياً بلاروية ولا تعقل ولا بصيرة فإن هذه النرية تظهر بعض مواهبها لاجتماعها وذلك بمجرد التقليد . إن الناس في الأزمنة الحالية والقرون الماضية لم تكن لهم فكرة ثابتة لترقية الإنسانية العامة . بل حتى الآن في أيامنا هذه لا نجد رأياً ثابتاً لهذا الغرض العام . إن الحق الصراح يقضي أن الجهاد الفردي لبوغ الغاية الإنسانية هو السبيل

الموصل لها وبدون الجهاد الفردي لانجاح في الوصول اليها بل لاتكفي أفراد قليلة . فليعمل كل فرد في الناس لهذه الغاية . إن الانسانية العامة لاسعادة لها إلا بسعي جميع أفرادها في استكمال مواهبها

هذه هي الحقيقة التي لا صراء فيها . إن التعليم صناعة ولا يتم كمالها إلا بجهاد أمم كثيرة فيها . وكل جيل يهب تجاربه ومعارفه للجيل الذي بعده ليقرب من الكمال واستنبات بذوره الكامنة حتى يقترب من الغاية المنشودة . بهذه الوسيلة يتقدم النوع الانساني نحو نصيبه من الكمال

إن العناية المدبرة للانسان قد أرادت منه أن يستخرج بنفسه من نفسه المزايا الشريفة التي كمنت في جبلته وخطبته تلك العناية قائلة له : « أيها الانسان : أنت على نفسك بصيرة ولو ألقيت اليها معاذيرك ، نحن منحناك كل موهبة وأعطيناك أصول الرقي الموصلة الى غاية السعادة ، فأما استكمال تلك المواهب واستخراج تلك الفضائل واستنبات تلك البذور فذلك عليك أنت ، هكذا عليك قضينا أن سعادتك وشقاءك متوقفان عليك أنت وحدك »

إن العناية بذلت للانسان بذور السعادة لانفس السعادة وعلى الانسان أن ينمي تلك البذور الكامنة فيه فهي لم تضع فيه نفس السعادة بل مقدماتها ولم تحطها بغريزة تستكمل نموها بنحو الصواب الغريزة ، فالواجب على الانسان أن ينمي تلك البذور وينمي صفاته العقلية ، واذا أحس بالاضلال في سيره فليهد إلى طريق الصواب بقوانين الآداب العامة ، وههنا تثار مشكلة يصعب حلها ويشكل فهمها ، ذلك أننا قلنا ان الانسان لا يصل الى الكمال إلا بالتعليم ولكن التعليم انما يكون بالفطنة والبصيرة . والفطنة والبصيرة يتوقفان على التعليم . إذن صارت المسألة فيها الدور والدور محال فالتعليم متوقف على البصيرة والبصيرة متوقفة على التعليم . فالشيء متوقف على نفسه وهو محال . ولكن هذا الاشكال يزول متى عرفنا أن كل جيل من الأجيال يحمل علم الجيل الذي قبله ويزيده شيئاً يسيراً من جهاده الخاص ويوصله للجيل الذي بعده وبهذا زال الاشكال لأن ارتقاء الدرجات ارتقاء بطيء تدريجي لا فجائي حتى يرد هذا الاشكال . فكل جيل يزيد على ما ورثه مما قبله قليلاً قبل أن يساهم لمن بعده . فلعمري ما أوسع التعليم وما أكثر التجارب التي تضمنتها هذه السبل التي شرحناها والطريق التي أبناه . وهل هي شيء غير تبيان الامكان فقط أما الوصول اليها وتحقيقها فانا لم نصل اليه بعد وههنا تثار مشكلة أخرى فيسأل هذا السؤال : هل نحن في جهادنا الفردي نسلك السبل التي سيسلكها النوع الانساني جميعه في أجياله المتتابعة ولا جواب على هذا الاشكال إلا بالخيرة بأن نقول نعم هنا مشكلتان كل منهما أصعب من الأخرى حلا وهما : صناعة الحكومة . وصناعة التعليم . والناس متنازعون في تحقيق معناهما . ولكن المدنية الحالية التي وصل اليها الانسان هي التي تمكنه من أن يتصور امكان الوصول الى الغاية المنشودة التي نحث عليها وليس في الامكان أن نخطر هذه الفكرة العالية في عقول الأمم أثناء وحشيتها وعلى ذلك يعسر علينا أن نفهم كيف كان الانسان الأول . إن السجلات القديمة والكتب الموروثة تدلنا على أن أرقى الأمم المتمدينة الآن كان آباؤهم ذوى صفات وحشية بربرية . فكم من أنواع الجهاد ابتدعوا . وكم من سبل سنوها حتى وصلوا بجدتهم الى مجرد القراءة . فهكذا نقول مع هذه الأمم الراقية بالنسبة للكمال المنشود الذي كلامنا فيه

إن الانسان حينما ابتدع صناعة الكتابة قديماً استحق أن يقال له انه « ابتدأ يعيش في الدنيا » إن الانسان وهو يجاهد لاستخراج مواهبه المحبوة فيه بالعناية المطلوبة وجدته واجتهاده بنفسه يكون التعليم صناعة فاذا استكمل الانسان مواهبه في المستقبل فان التعليم يكون أشبه بطبيعة ثانية لصناعة والعناية القدسية لم تضع فيه غريزة لهذا الغرض المطلوب

ليس يمكن الانسان أن ينال غاية ما ربه واستكمال قواه بالتعليم التقليدي بلا بصيرة ولا فكرة ولا تعقل



وتمييز . فببذور الكمال المخبوءة في الانسان وسأولة استخراجها بصناعة التعليم يكونان إذن أمرين متشابهين متحدين في أنهما لا بصيرة فيهما ولا كتاب منير . إن كل تعليم تقليدي بلا بصيرة ولا فكرة تستقر في ثنياه أنواع من الخطأ لأنها تعاليم لأساس لها ولا قانون تسير على مقتضاه . فلارقي لنوع الانسان إلا بالتعليم المبني على البصيرة والتعقل لأن يكون الاستاذ كآلة المتحركة على مثال غيره . بهذا وحده يمكن ارتقاء نوع الانسان واستخراج جميع مواهبه ، تعليم الآباء للأبناء يكون بالقدوة والتقليد فيما يفعلون ، فإذا نجح الأطفال في تقليد الآباء فإنه لابد من الدراسة والتعليم ليهيئوا الخبيث من الطيب بالتعقل والبصيرة . والذي يتعلم بلا بصيرة تعليماً آلياً ليس يفعل شيئاً إلا أنه يعطى الخطأ الذي استحوذ عليه وأنواع الغلط لتلاميذه ويكررها له كما وعاشا

إن الاصول التي يجب أن يكون عليها التعليم في المستقبل هي أن يضع المعلمون أمام أعينهم هذه الغاية وهي ان التعليم لا يقصد منه الوقت الحاضر فقط بل يقصد منه أيضاً ارتقاء الانسانية العامة في المستقبل واستخراج قوى كل فرد . تلك هي الطريقة التي تتخذ في فكرة الانسانية العامة ووصولها الى نهاية مستواها الرفيع وهذه القاعدة تستحق العناية والاهتمام . إن الآباء يحنون في تعليم أبنائهم المثال الذي يخطونه هم لانفسهم ولا يباليون بالخير في المستقبل للعالم أيكون صالحاً أم يكون فاسداً ولكنهم أجدرون أن يذكروا الأبناء بالخير العام لنوع الانسان في المستقبل ولكن ههنا تقابل مسألتين عويصتين : الآباء يريدون الأبناء على ما يريدان من الحياة المعتادة . والأمراء والملوك يريدونهم لأجل ممالكهم وبقاء سلطنتهم . فههنا عاملان يتعاونان على حصر عقول الأبناء في خطة محدودة . أما الرقي الانساني فلانظر فيه لا للآباء ولا للأمراء . فالآباء غايتهم منازلهم والملوك غايتهم ممالكهم . فلا هؤلاء ولا هؤلاء موجهو همهم الى غاية الانسانية العامة النافعة ولا الى استكمال قوى الفرد الكامنة فيه التي يسعى اليها ويستعد لها بفطرته . فليكن التعليم مؤسساً على فكرة استكمال قوى الانسان . وهنا يرد سؤال فيقال : إن التعليم بقصد ارتقاء الانسانية ضار بالأفراد لأن العناية بالعموم تلهي عن العناية بأمر الانسان ومنزله وهذا القول مردود على صاحبه فإنه (وان ظهر في بادئ الرأي أن قصد الفرد المنفعة العامة ضار بمصالحه الخاصة فهو يضحى بعضها لأجل المصلحة العامة بسبب هذه الفكرة) فان الرقي النفسي إذ ذاك حسن في ذاته ونافع أيضاً في أعماله الحالية الفردية فضلاً عن العامة . وكمن الفوائد العوائد على المرء بهذه السبيل . إنه بالتعليم العام تظهر المواهب الفاضلة الكامنة في الانسان . وبذور الرقي يعوزها أن تظهر شيئاً فشيئاً لأن الشرور وأخلاق السوء لم تخلق في طبيعة الانسان ، وهل الشر إلا نتيجة إهمال الطبائع الانسانية وعدم قيادتها وحكمها حكماً لا هوادة فيه . ليس في الانسان إلا قوى الخير . من هو الذي يعلم نوع الانسان أحسن سبل هذه الحياة لاتمام سعادته . أهم الملوك أم هم الشعوب ؟ إن الذي يعلمهم هم نفس الشعوب . هم الذين يتقدمون الى الكمال عن رغبة منهم واجتهاد فيضلون الى نصف طريق الكمال والملوك يبنون بعد ذلك تعليمهم على ذلك ويثبتونه ويوطدونه . أما الأمراء فليس يحسن الاعتماد عليهم في تعليم الأمم . ذلك لأنهم يعوزهم الثقيف والتهديب في تعليمهم الأول . فكيف يقاسون من مصاعب ومشاق في أعمالهم وذلك نتيجة ما كان من خطأ في إبان تعليمهم إذ هم لا يجدون في صباهم من ينههم عن شر أو يبعدهم عن ذنب فكبروا وهم مغرورون فلذلك يقاسون شدائد ومحن لا يستطيعون الصبر عليها فكيف يوكل لهم أمر تعليم الأمم . إن الشجرة التي تكون في حقل منفردة تنمو وهي معوجة ناشرة أغصانها باتساع ذات اليمين وذات الشمال بينما الشجرة التي في وسط أشجار أخرى في غابة تنمو بضغط ما حولها عليها طولاً لا عرضاً مستقيمة لا معوجة تبحث عن الهواء وضوء الشمس من أعلى . هكذا تكون حال هؤلاء الأمراء . وعلى كل حال يجدر بهؤلاء أن يتعلموا مع أبناء شعوبهم فذلك خير لهم من أن يتعلموا وحدهم ذلك ليميلوا نحو الهدس ومره . نعم نحن ننتظر الخير في التعليم العام من هؤلاء الأمراء فقط اذا كان تعليمهم أعلى من تعليم شعوبهم . إذن التعليم

العام سياجه نفس الشعوب في جهادهم الخاص . فلا يصحح الأصرء أن يتكلم الناس على مساعدتهم كثيرا كما يزعمه ( باسيدو ) وآخرون غيره لأننا وجدنا بالتجربة أن هؤلاء لا ينظرون للاصلاح العام في التعليم كما ينظرون الى اصلاح ممالكهم وهم لا يريدون إلا الغاية التي يقصدونها في تلك الممالك . نعم هؤلاء ينفقون اذا كانت غاية انفاقهم جزئ المنفعة الى خزائن حكوماتهم بل المجمع العلمية العالية ( رجال الأكاديمي ) لا يهرون خير الانسانية العام إنفاقا وربما يفعلون ذلك في المستقبل ، أما الآن فإنه قليل

إن إدارة المدارس يجب أن يكون اعتمادها إذن على حكم ذوي الاختبار البارعين الماهرين من الحكماء إذ يقولون : « التعليم يجب أن يقوم بالجهاد الفردي أولا وكامل التعليم يفيض على غيره بالتدرج »  
و بعبارة أصرح : « ليقم التعليم على جهاد أبطال العالم في العلم الذين لهم نظر ثاقب واسع ويجدون لذة في التثقيف العام للأمم وهم متصفون بمسرة ولذة لا حد لها بالرأى المؤدى الى أحسن الامور في المستقبل وهو أن النجاح المستمر للطبيعة الانسانية نحو غرضها السامى أمر ممكن حصوله »

فهل بعد هذا نعتمد على الأصرء الذين ينظرون الى رجال أمهم كأنهم قطعان من الأنعام في ضمن ممالكهم . وجل قصدهم اذا فعلوا خيرا عاما أن يعلنوا الدعاية لأنفسهم انهم يريدون خيرا لانسانية وهم اذا أرادوا تثقيف شعوبهم فلن يكون ذلك إلا الحاجة في نفس يعقوب قضاها ، فهم لا يعلمون الشعوب إلا على نموذج ما يقصدونه هم أنفسهم لغاية يريدونها . إذن فليكن التعليم أولا بجهاد أفراد الأمم أنفسهم وايجدوا فيه على مقدار استعدادهم هم لا إرادات ملوكهم ، ولكن عليهم مع هذا أن يجعلوا نصب أعينهم الخير العام وارتقاء الأمم فلا تجترىء بأن نجعل الأمم ذات نشاط في أعمالها بل يجب أن نحمل الناس على الكمال الأدبي وايجدوا حتى يكون النسل المقبل خيرا من الجيل الحاضر في علومه ومعارفه وآدبه . وههنا أخذ بين في الفصل الثامن عشر ملخص ما تقدم . أولا ان التربية تشمل :

(١) تهذيب النفوس بمنعها من الشرور

(٢) وتثقيف العقول بالمعارف

(٣) وازدياد البصيرة والتعقل بما اكتسبه الناس من العلوم ومعاملة كل امرئ بما يناسب عوائده

(٤) واعمال البصيرة في الغاية المطلوبة لكل امرئ بحسبه

وأخذ في الفصل التاسع عشر يبين أن القسم الرابع وهو التعليم الأدبي العام متروك لا ينظر اليه الناس كثيرا ، فعلى الأساندة أن يبينوا للأطفال في إبان صباهم أن الرذيلة في نفسها ممقوتة مكروهة منبوذة ولا يكتبون بقولهم ان الله حرمها . كلا . بل هي في نفسها ممقوتة لذلك حرمها الله

وأخذ في الفصل العشرين يبين أن التمرين العملي في المدارس لا بد منه لأن ذلك مقدمة للتمرين في أمور الحياة العامة في المنزل وفي السياسة

وأخذ في الفصل الحادى والعشرين يبين أن التربية تشمل كما تقدم على عناية الوالدين أولا وعناية المدرسين ثانيا وعلى الهداية في أعمال الحياة ثالثا في تهذيب الناس ونظام الأسرة ونظام السياسة العامة  
وفي الفصل الثانى والعشرين يقول : « إن التعليم إما عام وإما خاص » وأطال في ذلك  
وفي الفصل الثالث والعشرين يقول : « إن التعليم العام مكمل للتعليم الخاص في المنازل »  
وفي الفصل الرابع والعشرين أبان صعوبة التعليم المنزلى ، ثم حكم أن التعليم يستمر الى السنة السادسة عشرة من الحياة وبعد ذلك يعلم كيف يتعقل هو بنفسه ، وعلى المدرس أن يهديه السبيل في تعلمه حتى يكتمل بنفسه تحت ارشاده ، وأبان انه في أول أمره يكون تأديبه غمليا ، فاذا عقل وكبر أعطى الحرية في الاختيار بنفسه مع تعليمه احترام غيره بحيث لا تضر حريته حرية غيره ، ويعلم كيف يضبط عواطفه بنفسه لا بالخوف

حتى يكون ذلك نبراسا له في مستقبل حياته

مم أبان أن التربية من نتائجها ما يأتي : تهذيب النفس وصلاحتها لرعاية المنزل وتدير الأمة وموافقته والحياة العامة والنظر لخير الانسان العام ، فالأول شخصي والثاني منزلي ومدني والثالث للانسانية العامة اه هذا ما أردت نقله من الكتاب المسمى « كنت في التعليم » إذ ترجت أكثر المقدمة وعسى أن أترجم بقية الكتاب في مقام آخر

هذه أيها المسلمون آراء الاستاذ (كنت الألماني) الذي تحترمه الأمم حولنا . ولم أنقل هذا إلا لأرىكم أيها المسلمون الآراء الشائعة في أوروبا الآن . وأفضل ما ذكرته الآن فيه النفع العام فهو يحرص على أن يكون الانسان الواحد صريدا الخير للأمة الانسانية جميعا وهذا عجب جدا وكيف يقول (كنت) « إن الانسانية كانت وحشية ولما تعلموا الكتابة ابتدأت حياتهم الدنيوية . وهاهي ذه المدنية ارتقت ولم تبلغ النهاية . فاذا كان أولئك المتوحشون قد حاولوا الكتابة حتى نالوها أفلا نحاول نحن الرقي حتى يستخرج الانسان كل قواه الكامنة بجده كما استخرجت قوى الحيوان بفريزته وهناك يصل الانسان الى مقام عال وسعادة شريفة

فيا عجباً : أليس هذا تفصيلا لقوله تعالى - وقل رب زدني علما - . ألم ينزل في أول ﴿ سورة العلق ﴾ - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم - فذكر أولا القلم وثانيا تعليم الانسان ما لم يعلم . وهل هاتان الجملتان إلا ملخص ما ذكره (كنت) . أليس القرآن - آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - . إذن كل ما وجدناه قولا حقا في صدور العلماء فهو تفسير للقرآن . وهاهي ذه آية - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - قد فصل بعض معناها في كتاب العلامة (كنت) فهذه الآية لانهاية لمعانيها وهذه بعضها . ها هوذا كنت الألماني يقول هنا ما كتبت في سور كثيرة : ان المسلمين يجب عليهم أن يرتقوا أولا ثم هم الذين يقومون بالخير العام للأمم لأننا جعلنا - خير أمة أخرجت للناس - (انظر في سورة ابراهيم في آية - وذكرهم بأيام الله - وفي آية - وقل رب زدني علما - في ﴿ سورة طه ﴾ فهناك تجد تفصيلا لهذا المقام) وليعلم المسلمون أن (كنت) وأمثال (كنت) يكتبون ذلك بعقولهم وفطرتهم الانسانية ونحن نكتب بعقولنا وفطرتنا مع ديننا . فاذا كان هؤلاء بعقولهم أدركوا أن الانسانية كلها اخوان وانهم يجب عليهم أن يرتقوا فكيف بنا نحن ؟ فلنا عقول كما لهم . ولكننا نزيد بأن ديننا يأمر بجد الانسانية جمعاء . فهذه ميزتنا وهذه هي التي ستحمل قراء هذا التفسير وغيره أن يكونوا - خير أمة أخرجت للناس - لأن المدنية الاوروبية ناقصة فليكن الكمال في مدينتنا المستقبلية . أليس ما يقوله العلامة (كنت) بعض تفسير قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - . ألم يؤذن بلال الحبشي في الكعبة بمحضر من أهل مكة الذين لا يرون في الأرض من يساويهم . إن الاسلام سوى بين الأمم ونحن أتباعه فلنكن نحن حراسا على كل أمة متى ارتقينا ونحن الآن في مبدأ الحياة

ههنا اطلع صديق العالم الذي اعتاد أن يتحدثني في هذا التفسير فقال لي : حسن ما كتبت عن الاستاذ (كنت) الألماني وجدير بك أن تذكره هنا لأن مشربه مشرب الاسلام . الاسلام جاء لرقى الانسانية كلها والتعارف مع الأمم كلها والمسلمون كانوا - خير أمة أخرجت للناس - كما قدمت ذلك . فقلت نعم فقال ولكني رأيت في كلامه ما يدل على الطعن في الأمراء فما الداعي لذلك ؟ وهل أمراء المسلمين على هذا النمط الذي ذكره . انا اذا لم نطبق العلم على أحوالنا فلنا فائدة منه ومتى عرفنا ذلك فهمنا أيكون العلم تابعا لأصرائنا أم ندرس نحن فلا نتكلم عليهم كما يقول هو . وقصدي من هذا السؤال أن يكون عندنا ذكر من التاريخ حتى نستدير به . فقلت : ليكن الكلام في ﴿ زبرجدتين : الزبرجدة الأولى ﴾ في ملخص أمراء ألمانيا الذين ذكرهم (كنت) ﴿ الزبرجدة الثانية ﴾ في إجمال أحوال أمم العرب قديما وحديثا وكيف سطا الترك

عليهم وسلبوهم ملكهم وكيف كان الحكم في مصر لهم وكيف ترقى البلاد المصرية في أيام المنفور له (محمد علي باشا) وكيف كان رقيها تبعاً للحكومة وكيف دخل الانجليز بلادنا وكيف كان ذلك تابعاً لنقص التعليم وكيف تعلم المصريون بعد الاحتلال تعلمياً شعبياً لا تعلمياً حكومياً وكيف ظهرت ثمرة هذا ولم تظهر ثمرة التعليم الأول وكيف كان ذلك كله موافقاً لكلام (الاستاذ كانت) الألماني . ثم كيف كان القرآن والحديث ينصان على هذه الطريقة وهي ان التعليم لا بد أن يكون عاماً والشعب هو الذي يقوم به وبيان ما جاء في الأحاديث من الخث على العلم وفضله ثم أتبع ذلك كله بما جاء في الفصل الثالث من المقام الأول وهو أن بعض الملوك أحبوا العلم وتركوا زينة الحياة الدنيا والذي علمهم علماء تعلموا بطريق الشعب لا بطريق الحكومات لأن تعليمها ناقص فلا يبدأ بالكلام على الزبرجدة الأولى فأقول :

﴿ الزبرجدة الأولى في فذلركة . الكلام على أمراء ألمانيا بمناسبة كلام « كنت » عنهم ﴾  
 إن أهل ألمانيا فرع من العائلة (الآرية) وكانوا قديماً ليس لهم منازل بل يسكنون قرى كلها أخصاص (جمع خصص) وهذه الأمة لم تتوطن أوروبا إلا عند سقوط المملكة الرومانية ولم تكن هذه البلاد الألمانية إذ ذاك إلا مواطن للحيوانات المفترسة ولا تصلح إلا للصيد والقنص ومناخها رطب كثير الضباب وأرضها كثيرة السباح ولكن هم أصلحوها فيما بعد ، وهؤلاء القوم كانوا قبائل لم تجتمع إلا في الزمن الذي ذكرناه فهناك اتحدوا وكان لكل قبيلة ملك يعتقدون فيه انه من نسل الإله (اودين) ماعدا الصكسونيين ، وكان جل اعتمادهم على الصيد والحرب ، ثم أخذت ترتق رويدا رويدا الى أن حصل لها النبل من فرنسا نحو سنة ١٨١٠ فظهر الجاس في البلاد وارتقى التعليم ثم انتصرت وفازت ، والفضل في رقيها إذ ذاك إنما هو لمملكة بروسيا فان القوم أدركوا أن (بونابرتو) وضع الأمة الألمانية في أدنى الدرجات وأذلها ذلاً شديداً فمساعدة الوزير (سطين) للملك إذ ذاك حصل إصلاح عظيم ، فالرق أبطل والحقوق الوطنية أعطيت للجميع فانتعش الشعب انتعاشاً لم يعهده من قبل . ولما شاع ذلك أدرك نابليون بونابرتو أن ذلك الإصلاح موجه للاستعداد لمحاربة فرنسا فضغط على الملك (فريدريك) فعزل وزيره الأعظم المذكور وهو (سطين) لأنه عدو لفرنسا فنجأ بنفسه الى روسيا ومع ذلك لم يقف الإصلاح بعد ذلك وصار للتعليم قواعد وقوانين لم تكن من قبل وحصل هناك اتحاد يسمى « اتحاد الحقيقة » ودخل فيه ألوف وألوف وأخصهم المدرسون والطلبة وكلها موجهة لتحرير الوطن من نابليون وفرنسا التي حددت الجيش بما مقداره (٤٢) ألفاً . فسارت بروسيا على هذا التحديد ولكنها كانت تعلم قوماً وتأني بأخرين بداهم حتى عمّ التعليم الحربي روسيا وانتصرت وفازت ألمانيا . وهي وان انتصرت كان التحاسد لا يزال كثيراً بين الأمراء والولاة إذ هي (٣٩) أياها وأمراء الايالات كانوا ظالمة وقد وعدوا رعاياهم بأنهم اذا قهروا نابليون أعطوهم الحرية والاستقلال . فلما قهروه وانكسر الفرنسيون وحبس نابليون في جزيرة القديسة (هيلانه) نسي أمراء ألمانيا عهودهم ووعدهم واستمروا في الاستبداد والظلم والسكن الأمير الذي مال لتحرير رعيته من الظلم وحده موفياً بعهده هو (فردريك غليوم) صاحب بروسيا التي هي أكبر اياها في ألمانيا ولكنها لم يفعل شيئاً إلا انه اكتفى بترتيب المجالس في كل مديرية

هنالك قامت قيامة الأساتذة في المدارس والطلبة ونادوا بطلب الحرية وقاموا على الحكومة فنكات بهم الحكومات ومنعواهم من الخطب والكلام فزاد الطين بلة وقاموا يهدمون صروح أمراءهم حتى ان أمير اياها (برونسويك) وهو الدوق المغضوب عليه من الشعب فرّ هارباً لينجو بنفسه وهكذا في سنة ١٨٤٨ انفجرت الثورة الفرنسية الثالثة في باريس وانتشرت بسرعة في داخل ألمانيا فطلب الناس تشكيل حكومات حرة وأن يتم الاتحاد الألماني وقام أهل برلين بشورة بالسلاح . وفي ١٣ مارس سنة ١٨٤٨ وقعت حرب بين الأهالي



والعسكر في برلين فتردد الملك في أمره طويلا . وفي ١٧ منه وعد بالحكومة المنظمة فطلب الأهالي اخراج العساكر من برلين . وفي ١٨ منه ازدحم الناس أمام السراى فما أطلقت رصاصتان من جهة مجهولة حتى قامت الحرب على ساق وقدم بين الجنود والأمة واستمرت أكثر مدة الليل فهلك فيها كثير من الأنفس . هنالك في اليوم الثاني سلم الملك بطالب الأمة وأخرجت الجنود من برلين . فسلم الملك الأمر لأتمته وبعد أخذ وردّ التأم مجلس عام من ٥٠٠ جرمانى في مدينة فرنكفوت في ٢١ مارس من تلك السنة بصفة برلمان وقضى وهكذا استمرت ترتقى الى الآن

هذا أيها الذكى القول المجمل في أمراء ألمانيا ذكرته لتعلم لماذا نرى ( كنت الألماني ) يظهر نقص الأمراء في تعليمهم شعوبهم وعدم اخلاصهم وانهم قوم صراون ، وأنا موقن أن هذه النظرة السطحية في أمراء الألمان تعرفنا ﴿ أمرين : الأول ﴾ لماذا تحامل عليهم العلامة ( كنت ) ﴿ الثانى ﴾ أن سيرتهم تعرفنا لماذا تأخر المسلمون وكيف كان تقصير أمراءهم في تعليمهم هو أصل العيب والنقص في تعليمنا وتأخرنا وذلك هو الذى أذكره في الزبرجدة الثانية

﴿ الزبرجدة الثانية في أحوال أمم العرب قديما وحديثا الى آخر ما تقدم ﴾

اعلم أيديك الله أن الأمم الاسلامية جعلها الله في الأرض لتكون نبراسا للأمم وقد تم ذلك في العصور الأولى وبلغوا المشرقين والمغربين ، ولكنهم لما جهلوا مركزهم في الأمم وانهم لم يجعلوا كذلك لأجل قضاء شهواتهم بل هم نافعون للأمم وجعلوا الأموال لمجرد الزينة والتفاخر وظلموا عباد الله غارالله عز وجل على عباده وطرده أبناء الفاتحين من بلادهم وسلط الترك على أكثر بلاد العرب التى هى منبع العلم فى العالم قديما فكسروا شوكة العراق والشام ومصر وشمال افريقيا وهكذا توغل الترك فى ظلم الأمم العربية وحكموهم باسم الدين جزاء وفاقا لما فعل أسلاف آبائنا العرب المتأخرين بعد القرون الثلاثة الأولى ( كما تراه موضحا فى آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة - الخ فى ﴿ سورة النمل ﴾ ) إذ ترى هناك انهم ظلموا الأمم بعد القرون الثلاثة الأولى فأزال الله ملكهم لأنه رحيم وعدل وحكيم ، فهو لاء الترك لما سلطهم الله على بلادنا نحو ثلاثة قرون حكمها بعد ذلك المغفور له ( محمد على باشا ) وأخذ يرقبها هو ونسله نحو ( ٥٠ ) سنة ، ففتح المدارس وقاد الجيوش وفتح الممالك ، ولكن ماذا حصل بعد ذلك ؟ ظهر فيهم كلام العلامة ( كنت ) المتقدم فالتمهيد يتعلم لمقصد الحاكم لا لمقصد العلم نفسه ولا لترقية نفس الشعب بل الشعب كان يتعلم باسم الأمير ولغايات مقاصده ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ تعليم خال من الحرية والتعليم اذا خلا من الحرية كان ضئيلا ولذلك لم يكن فى البلاد مدارس حرة مطلقا . فلما كانت سنة ١٨٨١ قام رجل جندى وهو ( أحمد عراقى باشا . وهل تعلم هذا فى المدارس ؟ كلا . بل هو جندى فلاح تعلم قليلا من الدين وارتقى بنشاطه وخضع له الضباط المتعلمون فى المدارس الحربية فى مصر وألمانيا وفرنسا والأمة مهورة والمتعلمون فيها أذلاء لحرية لهم . فلو كان لهم حرية لقام بالثورة الضباط المتعلمون فى المدارس الحربية ولكن الثائر جندى فلاح رأى الظلم فقام لحرية . قام يطالب بحرية أمته ولكن أمته لاتزال جاهلة والجاهل جبان ذليل ، فاذا حصل ؟ قام أكثر المتعلمين واتبعوا الخديوى الذى اتحد مع الانجليز ، وهناك انقسمت الأمة وحصلت الخيانة ودخل الانجليز ، فاذا يصنعون ضيقوا دائرة العلم ، فاذا تفعل الأمة ؟ هنا انفتحت بصاؤها فأخذت تعلم أولادها لأنه أيقظها ﴿ أمران ﴾ التعليم الحكومى السابق . والثورة العربية فأخذت ترسل أبناءها للخارج وفتحت المدارس الأهلية وانتشرت الجرائد فيها فاستيقظت فى ( ٤٠ ) سنة فقامت بثورة ضد الانجليز فأعطوها الاستقلال الداخلى . فهذا انما جاء بسبب تعليم الشعب نفسه بنفسه والمتعلمون أنفسهم هم الذين قاموا بالثورة . فأما تعليم الحكومة الذى سبق الاحتلال فان الثائر جندى لم يدرس فى المدارس فما صدق على الأمة الألمانية

صدق على الأمة المصرية من حيث أن تعليم الحكومة تبع أهواء الملوك والأمراء لا يكفي لرقى الأمة . إذن يجب أن الشعب هو نفسه الذى يضطلع بأص التعليم وهذا هو الدين الاسلامى

أيها المسلمون : ها هي ذه ألمانيا منذ قرن كانت مهضومة الحقوق أذلها ملوكها ومنعوها الحرية فجاهدوا وارتقوا . والذى أسرع في رقيهم إذلال فرنسا لهم فكان ذلك من أسباب تحريرهم والأمة الاسلامية لم تكن العقبة في سبيل حريتهم واحدة بل ثلاث عقبات : عقبة الملوك ، وعقبة أكثر شيوخ الطرق وقد أوضحت هذا المقام في ﴿سورة الكهف﴾ عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وفي ﴿سورة سبأ﴾ عند آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ وفي ﴿سورة الشعراء﴾ عند الكلام على السحر . وعقبة الدول المستعمرة ، ها هم أولاء الباطنية الذين علمهم (حسن بن الصباح) في أواخر القرن الخامس الهجرى كانوا يحرّمون على أتباعهم النظر في العلم وعدوه ذنبا ، وها هم أولاء شيوخ الصوفية في كل زمان ومكان يحضون على ترك العلم ولا يرون طريقا للناس إلا انصائحهم وهذه أكبر العقبات في نهوض المسلمين ، وها هم أولاء ملوك بني عثمان كانوا هم أهم السبب في نقص التعليم في ديار الاسلام ، وها هي ذه أمم أوروبا ما دخلت بلادا إلا جعلت أهلها جهلاء خيفة أن يطالبوا بحقوقهم

اللهم إن هذه العقبات الثلاث هي المانع من رقى المسلمين ، وأنا أقول بانتشار مثل هذه الآراء في هذا التفسير وغيره في بلاد الاسلام تزول هذه العقبات ، وسيكون استعمار الاوروبيين من أهم أسباب ظهور الجاسة في قلوب الشعوب الاسلامية

وها أنا اذا أوضحت الأمر للأمة الاسلامية ، وأنا موقن أن هذا سيتم فيها ، وهذا هو الذى حثت عليه الأحاديث النبوية الشريفة والحمد لله رب العالمين

### ﴿ نعمات الحكمة ﴾

لما ترجمت هذا الموضوع وكتبته هو وما بعده الشرح صدرى انشراحاتما وأحسست بمسرة عظيمة ، وبينما أنا سائر بعد ذلك في شارع السيدة زينب الذى أمام الباب الغربى للمسجد الزينبي بمصر في يوم من أيام شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ أثناء طبع هذه السورة وكان ذلك ضحى إذ سمعت نعمات موسيقى تصدح في دكان جلب المشترين خفيل لى في أقل من ملح البصر أن هذه حفلة أنس في أمم اسلامية بعد عشرات السنين قد انتظم التعليم عندهم وقرأوا أمثال هذا التفسير وأصبحوا أرقى من الأمم الاسلامية الحالية فهم لذلك مبتهجون بنعمة العلم والحرية لا انهم مستعبدون للفرنجة مثل كثير من المسلمين الحاليين جهلهم ، وهذا الخيال المفاجئ لى أوقفنى ثوانى وأنا بهج طرب فرح وأغرورقت عيناي بالدموع ، ومن عادنى أن لا أظهر ما يحبس بخاطري مثل هذا لأن هذه خواطر لا تتعدى صاحبها ، ولما أفقت من غشيتى السارة أتممت المسير

هذا ومن عجب أن الأمم الاسلامية الحاضرين لوعلموا أن هولندا والدانمارك والسويد والنرويج قد قطعوا أشواطا بعيدة في التعليم وعمموه لأفراد الشعب وبعض ولاياتهم قد أقفلت محاكم جنائنها كما مرّ قريبا فهم إذن أرقى من المسلمين الحاليين أخلاقا وآدابا ، أقول لوعلموا ذلك لدهشوا أشد الدهش وقالوا كيف يكون ديننا أول ما نادى بالتعليم العام وأجابت دعوته أمم أخرى والمسلمون نيام ، اللهم إني أبرأ اليك من الكتمان وأسألك أن توقظ المسلمين للتعليم العام اه

﴿ زبرجدة فيما جاء من الحث على العلم في الأحاديث الشريفة ﴾

نذكر هذا الفصل حتى يعلم المسلمون أن ما يسمعون من الأحاديث في الحث على العلم الموجه للناس عامة

(لا انهم يتكلمون على ملوكهم) هو آخر ما وصل اليه نوع الانسان الآن بعد حروب دامت سنين وسنين وأن ألمانيا التي يضرب بها المثل في العلم لم تهتم الى النتائج التي جاءت بها الآيات وهذه الأحاديث التي ساد كرها إلا بعد قرون وحروب طاحنة سالت فيها الدماء ، وهذه الأحاديث بين أيدي المسلمين ولكنهم يقرؤونها لمجرد التبرك ومجرد العلم ، أما العمل فلا فحق على المسلمين قول أبي الدرداء لزيد بن لبيد الأنصاري فيما سيأتي لما سأل الثاني الأول قائلا : كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأه ولنقرئنه أولادنا ونساءنا . فقال نكلك أمك يازيد ان كنت لأعدك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما تغني عنهم الخ فهالك الأحاديث التي وعدتكم بها من كتاب « تيسير الوصول لجامع الاصول » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

### ﴿ كتاب العلم وفيه سبعة فصول ﴾

#### ﴿ الفصل الأول في فضل العلماء ﴾

عن أبي أمامة رضي الله عنه . قال : ذكركم لرسول الله ﷺ رجلا ن عابده وعالم . فقال : فضل العالم على العابد كفضل علي أدناكم . أخرجه الترمذي وصححه . وفي رواية له ثم قال : ان الله تعالى وملائكته عليهم السلام وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في حجرها والحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير وعن ابن عباس رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ : فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد . أخرجه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : سئل النبي ﷺ أي الناس أكرم عند الله تعالى ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم . قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال فيوسف نبي الله ابن خليل الله . قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال : فمن معادن العرب تسألوني قالوا نعم . قال خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا . أخرجه الشيخان

وعن علي رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : نعم الرجل الفقيه في الدين ان احتجج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه . أخرجه رزين

وعنه رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ من أحياسنة من سنتي أميتت بعدي فقد أحبني ! ومن أحبني كان معي ، أخرجه رزين

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة . وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء . وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذي

#### ﴿ الفصل الثاني في الحث عليه ﴾

عن حميد . قال سمعت معاوية رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين . أخرجه الشيخان وأخرجه الترمذي عن ابن عباس

وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع . أخرجه الترمذي . وفي أخرى له عن سخريرة مرفوعا . من طلب العلم كان كفارة لما مضى

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : تعلموا قبل الظانين يعني قبل الذين

يتكلمون بالظن ، أخرجه رزين وعلقه البخارى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فانى مقبوض ، أخرجه الترمذى وعن ابن مسعود بهناه . وزاد رزين . وان مثل العالم الذى لا يعلم الفرائض كمثل البرنس الذى لا رأس له

وعن أبى سعيد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ ان يشبع مؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة . أخرجه الترمذى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ الكامة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها . أخرجه الترمذى

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة . أخرجه أبوداود « الآية المحكمة » هى التى لا اشتباه فيها ولا اختلاف وما ليس بمنسوخ « والسنة القائمة » هى الدائمة المستمرة التى العمل بها متصل لا يترك « والفريضة العادلة » هى التى لا جور فيها ولا حيف فى قضائها

وعن أبى واقد الليثى . قال بينا رسول الله ﷺ جالس فى المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله ﷺ فوقفوا على رسول الله ﷺ فرأى أحدهما فرجة فى الحلقة فجلس وجلس الآخر خلفهم وأما الثالث فذهب مدبرا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم عن نفر الثلاثة . أما أحدهم فأوى الى الله فأواه الله . وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله تعالى منه . وأما الآخر فأعرض فأعرض الله تعالى عنه . أخرجه الثلاثة والترمذى

### ﴿ الفصل الثالث فى آداب العلم ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار . أخرجه أبوداود والترمذى وهذا لفظه ، والمراد بذلك العلم الذى يلزم تعليمه ويتعين فرضه ككافر يسأل عن الاسلام والدين وكحديث عهد بالاسلام يسأل عن الصلاة وكمن جاء مستفتيا فى حلال وحرام فيلزمه تعليمه وجوابه ومن منعه استحق الوعيد وليس الأمر كذلك فى نوافل العلم التى لا يلزم تعليمها

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ والله لأن يهدى بهداك رجل واحد خير لك من حمر النعم . أخرجه أبو داود

وعن أبى هرون العبدى . قال . كنا نأتى أباسعيد الخدرى رضى الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لنا ان الناس لكم تبع وان رجلا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقون فى الدين . فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا . أخرجه الترمذى وضعفه

وعن يزيد بن سلمة . قال قلت ليارسول الله انى سمعت منك حديثا كثيرا أخاف أن ينسبني أوله آخره فحدثني بكلمة تكون جاعا . فقال اتق الله فيما تعلم . أخرجه الترمذى . وزاد رزين واعمل به « يقال كلمة جاع » اذا جمعت كلمات

وعن عمر رضى الله عنه . قال لا ينبغي لمن عنده شئ من العلم أن يضيع نفسه . أخرجه البخارى تعليقا

### ﴿ الفصل الرابع فى آداب العلم والتعلم ﴾

عن عكرمة . ان ابن عباس رضى الله عنهما . قال حدثت الناس مرة فى الجمعة فان أبيت فرتين وان كثرت فثلاثا . ولا تمل الناس هذا القرآن . ولا ألفينك تاتى القوم وهم فى الحديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ، ولكن أنصت فاذا أمروك فحدثهم وهم يشتهون . وانظر السجع من الدعاء



فاجتنبه فاني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك . أخرجه البخارى  
وعن على بن ابي رضى الله عنه . قال حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله . أخرجه  
البخارى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه . قال ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم  
فتنة . أخرجه مسلم

### ﴿ الفصل الخامس فى رواية الحديث ونقله ﴾

عن ابن مسعود رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ نصر الله امرءا سمع مناشيا فبلغه كما سمعه .  
فرب مبلغ أوعى من سامع . أخرجه الترمذى وصححه « نصر الله امرءا » بتخفيف الضاد وتشديدها معناه  
حسنه وجهه

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ بلغوا عنى ولو آتة . وحدثوا عن  
بنى اسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . أخرجه البخارى والترمذى قوله  
« حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ليس فيه اباحة الكذب فى الاخبار عنهم ورفع الائم عن نقل عنهم كذبا  
ولكن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل الاسناد لأنه امر تعذر بعد  
المسافة وطول المدة

وعن محمود بن الربيع رضى الله عنه . قال عقلت من رسول الله ﷺ حجة مجها فى وجهى من دلو من  
بئر كانت فى دارنا وأنا ابن خمس سنين . أخرجه الشيخان . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال حفظت من  
رسول الله ﷺ وعاءين . فاما أحدهما فبثته فىكم وأما الآخر فلو حدثتكم به لقطعتم هذا البلعوم . أخرجه  
البخارى وقال « البلعوم » مجرى الطعام

وعن أبى ذر رضى الله عنه . انه قال لو وضعت المصمامة على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت أنى أفسد  
كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا على أن أفسدتها . أخرجه البخارى تعليقا « المصمامة »  
والمصمام السيف

### ﴿ الفصل السادس فى كتابة الحديث ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال : كنت اكتب كل شئ سمعته من رسول الله ﷺ  
فنهتني قريش . وقالوا : تكتب كل شئ ورسول الله ﷺ بشر يتسكلم فى الرضا والغضب . فأمسكت عن  
الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ . فأومأ بأصبعه الى فيه وقال اكتب : فوالذى نفسى بيده  
ما يخرج منه الا حق . أخرجه أبو داود

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : شكا رجل من الأنصار الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول  
الله انى لأسمع منك الحديث فيجبى ولا أحفظه . فقال رسول الله ﷺ احتعن بيمينك وأومأ بيده الى  
الخط . أخرجه الترمذى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال خطب رسول الله ﷺ فذكر قصة فى  
الحديث فقال أبو شاة . أكتبوا لى يا رسول الله ؟ فقال : اكتبوا لأبى شاة . أخرجه الترمذى وصححه

وعنه رضى الله عنه . قال ما كان فى أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا منى الا ما كان من ابن  
عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب . أخرجه البخارى والترمذى . وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه . قال  
أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية . وقال انى والله ما آمن يهود على كتابى قال فوالله  
ما مررتى نصف شهر حتى تعلمته وحدثت فيه فكنت أكتب له اليهم وأقرأه كتبهم اليه . أخرجه البخارى وأبو  
داود والترمذى

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب رضى الله عنه . قال دخل زيد بن ثابت الى معاوية رضى الله عنهما .

فسأله معاوية عن حديث فآخبره به فأمر معاوية إنسانا يكتبه . فقال زيد . أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نكتب شيئا من حديثه ففجأه . أخرجه أبو داود . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن . ومن كتب شيئا غير القرآن فليمحه ، أخرجه مسلم والأذن في الكتابة ناسخ للمنع منه باجماع الأمة على جوازها ولا يجتمعون الا على أمر صحيح وقد قيل انما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صفحة واحدة فيختلط به فيشبهه

### ﴿ الفصل السابع في رفع العلم ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الله لا يقبض العلم انتزاعا فينتزعه من الناس . ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا . أخرجه الشيخان والترمذي

وعن أبي الرداء رضي الله عنه . قال : كنا مع رسول الله ﷺ فشدخص ببصره الى السماء . ثم قال هنا أو ان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء . فقال زيد بن لبيد الانصاري : كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن . فوالله لتقرأنه ولتقرئنه أولادنا ونساءنا . فقال لكاتك أمك يازيد ان كنت لا عدك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فإذا تغنى عنهم . قال جبير فلقبت عبادة بن الصامت رضي الله عنه فقالت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الرداء رضي الله عنه . فأخبرته الذي قال : فقال صدق فان شئت أخبرتك ما أول علم يرفع . أول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا أخرجه الترمذي « شخص ببصره » اذا نظر الى شيء دائما فلم يرد عنه نظره كنظر المبهوت والمغمى عليه « والاختلاس » الاستلاب وأخذ الشيء بسرعة « والشكل » فقد الأم وادها

وعن عمر بن عبد العزيز . انه كتب الى أبي بكر بن خزم : انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولانقبل الاحديث رسول الله ﷺ وليفشوا العلم وليجلسوا له حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا . أخرجه البخاري ترجمة « يفسوا » يظهرها . انتهى من كتاب تيسير الوصول جامع الأصول وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني من المقام الأول والحمد لله رب العالمين

### ﴿ الفصل الثالث من المقام الأول ﴾

( في الكلام على الملك والوزير اللذين أحبا العلم والحكمة وزهدا في الملك )

جاء في كتاب اخوان الصفاء مانصه :

حكى ان ملكا من ملوك الفرس كانت له نعمة ظاهرة وهيبة قاهرة وساطان عظيم وملك كبير وكان له وزير له رأي وعزيمة قد رأى السعادة في تدبيره والكفاية في توزيعه قد كفاه أمر التدبير مما يحتاج اليه فهو مشغول ببلدته وتناول نهمته في لذة من عيشه وأمان من مصائب الزمان وحوادث الأيام والوزير يورد ويصدر بحميد رأيه وجليل نيته وحسن طويته فاقام الملك على ذلك مدة من دهره وبرهة من عمره فلما كان في بعض الأوقات عرض للملك علة كدرت عليه عيشه ونقصت حياته فتغير لونه وهزل جسمه وضعفت قوته واشتغل من تلك العلة واستدعى وزيره وقال له قد ترى ما نزل بي من هذه العلة التي قد حالت بيني وبين اللذات حتى قد تميت الموت ومللت الحياة فرق له الوزير وبكى عليه ثم خرج فجمع الاطباء والتمس الدواء ولم يدع مستطبا ولا معزما ولا صاحب نجامة وكهانة الا حضره واعلمهم علة الملك وما يجده من الألم والوجع وانه يشكو ضربان جسده والتهاب حرارة في قلبه وكبدته فكل قال وما أصاب وعمل وما أفلح وعالج فما أنجح واشتدت تلك العلة بالملك واشتغل الوزير بذلك عن تدبير المملكة وسياسة الخاصة والعامة من خدم المملكة ورعيته واضطربت الأعمال ومهتت العمال وكثرت الخوارج في اطراف المملكة وأقاصى الدولة فعظم ذلك على الوزير وتحير وخاف على الملك الهلاك

فعاود الى جمع الحكماء واحضار العلماء ومن قدر عليهم من الشيوخ القدماء وأعاد عليهم القول واستدعى منهم الجواب وكان فيهم شيخ كبير قد عرف وجرب فقال أيها الوزير ان العلة التي بالملك معروفة بظاها خفية بباطنها ومثل هذه العلة لا تكون الا عن حالين احدهما في النفس والأخرى في الجسد فالذي في النفس ينقسم قسمين فاحدهما يختص بالنفس الناطقة والقوة العاقلة والآخر يختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية والذي يختص بالجسم أيضا ينقسم قسمين بالحر واليبس والآخر بوضده وهو البرد والرطوبة . وأما ما يختص بالنفس الناطقة فهو الفكر في المبدع جل جلاله وما أبدع والحيرة فيما خلق وبرأ وانشأ وإعمال الروية واجالة الفكر في كيفية الابتداء والانتهاه وماشا كل ذلك من الأمور الالهية فان النفس اذا غرقت في هذا الأمر وانغلت عليها أبوابه وتعذرت أسبابه ضاقت وحرجت فأحرقت طبيهة الجسد فضعفت القوى الطبيعية عن تناول الغذاء وحدث بالجسم ما ترى من الضعف والتغير والهزال والضعف كذلك يتزايد مادامت تلك العلة مستدامة والخاطر مشغولا بها والأبواب عليه منغلقة والأسباب متعذرة ولا يجد من يفتح عليه ما انغلق من أبوابه ويسهل ما صعب من أسبابه وأما القسم المختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية فشكله صورة البهيمة من النساء والصبيان والاحداث والمرد ان مثل ما يعرض للعاشق اذا غاب عنه معشوقه وحيل بينه وبين محبوبه فيظهر به من الضعف والتغير ما يكون به تلف الجسد وانحراف المزاج وفساد البنية وربما دخل عليه زيادة أدته الى الما ليخوليا واحترق ووصل المرض الى شفاف قلبه فهلك وبادوا ما يكون في الجسد من العلل العارضة من جهة الطبائع الأربع فان لكل علة تحدث من فساد المزاج غلبة الطبائع بعضها على بعض فله علامات يستدل بها على تلك العلة ومواضع يقصد بالأدوية اليها ولا يجب للطبيب الخاذق أن يبدأ بدواء العليل الا بعد السؤال له عن السبب في تلك العلة ماهو وكيف كان وعمما كان وما أصله أهوشى من المأكولات أسرف في أكله أم مشروب اترف في شربه أو غم عرض له أو هم دخل عليه أحوال اشتغل به قلبه وفكره أو صورة حسنة رآها فوقعت في قلبه ثم حيل بينه وبينها ومنع من تناول لذاته منها وأي موضع يجد الوجع من جسمه وبماذا يختص من أعضائه وأي شئ يشتهي وأي حديث يلهيه ويرضيه وأي سماع يطربه فاذا أخبر العليل طبيبه بشئ مما ذكرناه اذا سأله . وكان العليل صحيح العقل ازداد الطبيب الماهر علمه واستشهد على ما أخبره لفظا بما يدل من البرهان عليه بالحس وماتبين له من صحة النبض مما يستدل به على صحة ما أورده المريض ويسترشد الطبيب على قول المريض وشهادة النبض بشاهد آخر وهو الماء فاذا اتفق النبض والماء مع شكوى المريض فقد عرف حينئذ الطبيب العلة وما يختص بها من الأعضاء فان يغلبه إحدى الطبائع وضعفت الأخرى أرسل الى ذلك العضو ما يوافق طبيعته ويلائم قوته لينقمع به ضده الذي يضايقه في مكانه بالملاطفة والتدرج ولا يحمل عليه بالدواء الخاد في أول دفعة فانه ربما أحدث له ذلك فسادا لا يرجى صلاحه والمثال في ذلك النار المشتعلة في الحطب أول ما وصلت اليه فانها اذا قويت وألقت عليها الماء ازدادت حرارتها وقويت بخاراتها فانلقت ما وصلت اليه واحتوت عليه فاستل أيها الوزير عن بدء هذه العلة كيف كانت وما السبب فيها والحال الموجب لها فلعلنا اذا عرفنا ذلك تداركه بالملاطفة وحسن التدبير ان شاء الله . قال الوزير أيها الحكيم ان في أدب وزراء الملوك ومن الواجب على من صحب الملوك أن لا يبدؤهم بالسؤال لهم مما لا يجب له السؤال عنه ولا يهجم عليهم بذلك الا أن يبدؤوه به ولا يطلب الدليل على ما يقولونه بل يستمع ويصدق ويسلم اليهم في جميع أمورهم ولا يهترض عليهم في أفعالهم وأعمالهم وأنا أهاب الملك وأخاف منه أن أسأله عن شئ لم يبدئه وحال يخفيها ولم يطلعني عليها لاسيما في أمر نفسه وجسمه . قال الحكيم أيها الوزير انه لا سبيل الى شفائه ومعرفة دوائه الا بعد الابانة عما ذكرته لك وأنا أرى ان سؤالك له عن أمره وما أخفاه من سره يكون سببا لحياته ونجاته ان شاء الله فاذا أعلمك ذلك فاعلمني به واحفظه عنه لئلا تنسى مما يحكيه شيئا ثم انصرف ذلك الشيخ ومن حضر المجلس من الأطباء ونهض

الوزير فدخل على الملك فلما رآه انس به وأدناه بقربه وسأله هل وجد له دواء واتجه له عنده شفاء فأكثر  
الوزير من الدعاء له ثم أقبل عليه فسأله عن بدء العلة كيف كان وما الذي كان السبب في حدوثها به فلما سمع  
الملك من وزيره هذه المسئلة التي لم يكن سأله عنها قبل ذلك أمر من كان بين يديه من خدمه أن يتعدوه  
ويسندوه ففعلوا ذلك ثم أمرهم بالبعد عنه فلما رأى الوزير ذلك خاف على نفسه وفرغ واستوى الملك جالسا  
على فراشه وقال له ادن مني وأعد هذه المسئلة عليّ وأصدقني فاني أرجو الشفاء بصدقك إياي وانك قدرت على  
الدواء في إزالة الداء ان شاء الله فاني لم أسمع منك هذا السؤال قبل هذا والواجب على الملوك في أدب المملكة  
أن لا يبدوا من يلم بهم من عبيدهم وخوادمهم بكشف أسرارهم وبما يحدث منهم في خلواتهم وما يجيئون به في  
أفكارهم لاسيما اذا لم يجدوا أهلا يكشفونهم لهم ويودعونهم عندهم ويرجون بهم فتح ما انغلق عليهم بابه وتعذرت  
أسبابه وقد كنت في طول هذه المدة التي حدثت في فيها هذه العلة أريد من يسألني عن ذلك فأبديه له فلم أجد  
سائلا يسألني عن ذلك وكلما عدت من أث اليه الشكوى وأخرج اليه بما أجد من البلوى صعبت العلة عليّ  
وتزايدت المحنة لديّ فلما سمع الوزير ذلك من الملك تحقق قول الشيخ الحكيم الجرب وعلم انه صدق وأصاب  
قال له الوزير أرجو أن أكون موضعا لهذا الأمر وكشف هذا السر فقال الملك ان شاء الله ثم ابتداء الملك فقال  
اني كنت في بعض الأيام قد أظهرت نعمة الله تعالى عليّ وأحضرت أجليها لديّ وأمرت باخراج ماني خزائي  
من الجواهر النفيسة والآلات الثمينة مما جمعتها أنا في أيامي وما ورثته عن آبائي فأحضر بين يديّ في خلوة من  
حشمي وعبيدي وخزائي الذين كانوا تقاوه الي بين يديّ فرأيت منظرا أطر بني غاية الطرب وفرحت بها  
وطربت لها وأخذت منها بالنصيب الأوفر والحظ الأجل من الغبطة والسرور والجلد والخبور فكبرت نفسي  
وعظم قدرى وظننت أني قد وصلت الى ما لم يصل اليه أحد غيري واني من أسعد السعداء ثم اني نمت فرأيت  
في منامي كأنني في تلك الحال على أحسن ما يكون وأتمه وأكمله وكان رجال دولتي وعبيد مملكتي كلهم قيام بين  
يديّ خاضعون لي ساجدون سامعون لقولي مطيعون لأمرى وأنا على سرير مملكتي في محل كرامتي فبينما أنا  
كذلك اذ رأيت رجلا شابا مليح الصورة حسن الأثواب لم أره قبل ذلك الوقت ولا عرفته وكأنه بالقرب مني ينظر  
اليّ نظر المستهزئ غير هائب لي ولا خاضع بين يديّ ولا مسلم عليّ مستقل بجميع ما أنا فيه وكأنه يملك ما لا أملكه  
ويقدر عليّ ما لا أقدر عليه ويصل اليّ ما لا أصل اليه فغاظني ذلك منه وكأني قد هممت بالايقاع به وأمرت به من  
كان بين يدي من خدمي وأصحابي من جميع أهل مملكتي ورجال دولتي أن يتبعوا به وهو قائم في مكانه يضحك بي  
وكانهم لم يصلوا اليه ولا قدروا عليه وكأنه قد زاد استهزأؤه بي واستزراؤه ولم يهله شيء مما رآه فلما رأيت منه هائي  
ذلك وأفرغني فقامت من مكاني وتنحيت عن سريري ودنوت منه وقلت له من أنت ومن أين أنت وكيف وصلت  
اليّ ومن أين دخلت عليّ فقال لي يا مسكين يا مغرور بسطان الأرض والملك الجزئي أيّ ملك أنت انما أنت مملوك  
ولست بمالك فلم تدعي الحال وترضى لنفسك بالكذب وجميع ما أنت فيه زائل مضمحل فان وعماقليل يفارقك  
وتفارقه وانما الملك السماوي والسلطان الالهي فان بادرت وعمت ما يقرب اليّ ربك وصلت اليه وكنت  
ملكاً بالحقيقة ونلت ملكاً لا يبلى ولذة لا تنفني فتكون ملكاً بالحقيقة تفعل نفسك اذا زكت وروحك اذا صفت  
ما أنا فاعل وتصل اليّ مثل ما أنا اليه وأصل مما انه ارتفع من الأرض وأقبل يمشي في الهواء ويجول في الفضاء الي أن  
رأيتك وصل الي السماء وغاب عني فلم يرو سمعت هاتفا يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فلما رأيت ذلك منه أيقنت  
أنني لست بمالك وأنني مملوك كما قال واني لست بعالم واني جاهل واني لست بانسان واني حيوان ثم انقبت وأجلت  
الفكر وأعملت الروية وكثير تخيلي لذلك الشخص وما قال لي ورأيت من مملكته وسعة قدرته والمكان  
الذي رقي اليه واشتهيت المعرفة بالعمل الذي هو وصلة اليه فاشتغلت بهذا الشأن عن جميع ما كنت بسبيله عن  
تلك اللذات وانقطعت عن جميع الشهوات وزهدت في المأكول والمشروب وأقبلت أجيل فكبرى وأقلب نظري



في أهل المملكة ورجال الدولة فلم أرفيهم من يصلح أن أكشفه هذا السر ورأيتهم كلهم مشاغيل بالحال التي أزرى بها على ذلك الشخص واني واياهم مما ليك وأن الأسماء التي استعرتها لانا لاتصلح لنا ولا تليق بنا وانها ذاهبة زائلة عنا وخشيت أن أبدي أمرى الى من ليس هو من أهله فأنسب الى الجنون وقلة العقل فصمت عن الكلام وزادني الفكر والنغم والهم والأسف فحدثني من ذلك ما ترى من التحول والتغيير في الصفات فهذا هو سبب وجعي ومبدأ علمي وأظن اني خارج من هذه الدنيا بهذه الحسرة ان لم أصل الى العمل الذي يوصلني الى ما وصل اليه ذلك الشخص الذي رأيته وقد خرجت اليك باصمري وكشفت لك ما أخفيت من سرى فان كان لي عندك فرج فنن به عليّ وان عدمت ذلك فاكتم سرى ولا تخرج الى أحد بشيء منه كما خرجت به اليك من أمرى لئلا أنسب الى الجنون وزوال العقل فيذهب الملك مني ومنك ويطمع فينا الأعداء لأن علة زوال العقل أصعب العلة متعذر دواؤها معدوم شفاؤها ولكن قد طمعت أن لي عندك فرجا لما رأيتك قد سألتني عن هذا السؤال ولم يكن هذا من عادتك معي ولمعرفة أن فيك من الأدب الذي يصلح للملوك ما لا يحملك على مثل ما أقدمت به عليّ من ابتدائك لي بالسؤال عن سرى الذي لم أبده فأصدقني كما صدقتك . قال الوزير فأعدت عليه ما كان وما جرى من الشيخ الذي أشار عليّ بذلك وأمرني به فقال عليّ بالشيخ فقد وضع يده على الداء وأرجو أن يكون عنده الدواء فخرجت من عنده وأحضرت ذلك الشيخ وقصصت عليه الحال من أولها الى آخرها فبكى وقال قد انكشفت العلة وعرفنا دواها وقد راعى شفاؤها ان شاء الله ثم نهض معي حتى دخلنا على الملك فلما رأى الشيخ فرج به ورفع وأقبل عليه وأنس به وأقبل يهيد الحديث عليه من أوله الى آخره فأقبل الشيخ على الملك وقال له ان العمل الذي يوصل الى مثل ما رأيت لا يكون الا بعد العلم بتوحيد الخالق جل جلاله ومعرفة حق معرفته فاذا صح لك ذلك وعلمته ابتدأت تشرع في تعليم العلم المؤدى اليك الى عبادته الموصلة لك الى جنته ودار كرامته فاذا أحكمت العمل بتلك العبادة وصلت الى مرادك ونلت غرضك ولا يكون ذلك الا بعد ترك جميع مملكته وقدرت عليه من أمور الدنيا . قال الملك قد رضيت بذلك وطابت نفسي به وقد تجملت بترك جميع ما كنت فيه وتمنيت الموت والراحة من هذا العالم فقال الشيخ ان هذا العلم غير موجود عند أحد في بلدنا هذا وانما هو موجود بحقيقته عند رجل من الحكماء مقامه في اقليم الهند بجبال سرنديب تحت خط الاستواء فان عنده مفاتيح ما انفلق من هذا الأمر وصعب من هذا السر . قال الملك فأني لي بالوصول اليه والقدوم عليه وانا على ما ترى من نحول الجسم وضعف القوة وكثرة الأعداء وماتراه من اضطراب الحال وفساد الأعمال والعمال وكثرة الخوارج علينا والأعداء لنا وتمنيهم الوصول بالأذية اليّ وانتزاع ما في يدي من هذه المملكة الفانية والقنية المضمحلة وان كنت غير متأسف على فقدها ولا حزين على زوالها بعد ما سمعت ورأيت وانما أخشى ان أدرك اذا خرجت منها وبعدت عنها فاقتل وأموت في الطريق ولأصل الى ما يكون به السعادة بعد الموت وأكون قد تجملت الذل والهوان في الدنيا وسرعة القدوم عليه في الآخرة . قال الشيخ صدق الملك فيما ذكر ولنا في ذلك تدبير آخر قال ما هو قال أنا أكتب الى الحكيم أعلمه بالحال وننظر ما يكون من جوابه فنعمل به ان شاء الله . قال الملك افعل ذلك وخف على الملك ما كان يجده وسكنت نفسه الى قول الشيخ . وقال للوزير اعلم اني قد وجدت العافية وقد سكنت تلك الحركة الفكرية وبردت الحرارة التي كنت أجدها في قلبي واستدعي من الطعام والشراب ما أمسك به القوة ودعت اليه الحاجة وفشا في أهل المملكة من أعمال الدولة أن الملك قد أفاق من علمته وزال عنه ما كان يجده ففرح الناس بذلك وسكنت الفتنة فسارعت الخوارج الى الطاعة وعمت البركة وشملت النعمة وعاد الأمر الى أحسن ما كان في مدة يسيرة وقويت نفس الملك ووثق بما وعده الشيخ الموفق الرشيد فسكتب الشيخ الى رب بيت الحكمة في ذلك الزمان يعلمه بما جرى ويسأله أن ينفذ اليه من يراه ليقتح عليه من العلم ما يصلح له ويعلمه ما ينبغي له في جسده فلما وصل الكتاب الى الحكيم ووقف عليه استدعي تلامذته وكان له اثنا عشر تلميذا

حاضرين معه فاعلمهم بما وصل اليه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا مرنا بما تريد لتمثله ونأتي فيه ما تؤمله فافرد رجلين منهم وقال لهما اذهبا الى الملك فاذا دخلتما عليه فليبدأ به أحداكما فيلزمه حتى يبلغ في العلم الرياضي الى حد يجب له اذا وصل اليه ووقف عليه الارتقاء الى العلم الالهي ثم ينفصل عنه ويلزمه الآخر حتى يوقفه منه عند الحد الذي ينبغي له فاذا رأيتما قد حسنت أفعالهما وزكيت أعمالهما فانصرفا عنه ولا تطلبا عليه جزاء ولا شكورا . ثم ابتداء بوصيتهما وبتحذيرهما من الوقوع في حبال الدنيا وشبكة ابليس وقال لهما انكما في مكان بعيد عن محاسن الدنيا وزخارفها ونضارتها وبهجتها وما يجده أهلها من فتنتها وستران على الملك وعلى ملكة واسعة ونعمة ظاهرة ولذات متواترة وإياكما الميل الى شئ منها والمحبة لها فانكما ان فعلتما ذلك وملتما الى شئ مما ترىانه انفسدتما وأفسدتما وخرجتما من الصورة الانسانية الى الصورة الحيوانية والرتبة الشيطانية بالفعل وخرجتما من فسحة الجنان وروضة الروح والريحان وجاورتما الشيطان في دار الهوان وخرجتما من سعة الكحل الى سجن الجزء قلا سمعنا وأطعنا وتوجهنا من حيث هما الى إقليم الملك وكتب الحكيم الى الشيخ يعلمه بذلك وجعله عينا عليهما ينقل اليه أخبارهما وما يعملانه ويعاملان به الملك ثم قدما على الشيخ بالذي هما عليه من الشعث وقلة الجال وما يليق بالنسك من الفقر وسوء الحال فأخبر الملك بقدم الرجلين من عند الحكيم ففرح بهما الملك واستبشر ثم أمر بإيصالهما اليه فدخلا عليه فقام لهما قائما على قدميه وأمرهما بالجلوس فجلسا بحال العلماء المقيدين وجلس الملك والوزير بحال المتعلمين المستفيدين ثم تقدم المبتدئ بالعلم الرياضي فعلم الملك والوزير حتى أحكاما وتعلماه الملك ووزيره وقاما بموجباته وأحكامه ثم انفصل الأول وتقدم الثاني فتلا عليهما الحكمة الالهية الى أن بلغا من ذلك غاية ما كان عنده واستفادا ما كان في وسعه فلما فرغا مأمرابه وأرادا الانصراف أقبل الملك عليهما وقال اني لأجد لكما مكافأة على ما فعلتما في توليتما من أمرى الآن أسلم اليكما ملكي فتدبرانه وتحكما فيه بما أردتما وقد أبحثكما جميعه وهو عندي قليل لكما فلما سمعا ذلك منه ردا عليه ردا جيلا وانصرفا الى مكان كان الملك قد أعده لهما فتشاورا فيما عرضه الملك عليهما وأهداه اليهما من ملكه وقد مالت أنفسهما الى ما رأياه من حسن الدنيا وبهجتها وما عايناه من حسن قنيتها وطيب لذتها فقالا لا بأس أن يجتمع لنا المنزلتان وننال السعادتين الملك في الدنيا والآخرة وعزما على قبول ما أهدى الملك اليهما من ملكه والجلوس فيه والقيام به ثم خلا الملك بوزيره فقال له اعلم يا أخى أن هذه الدنيا فانية واسنا فيها مخلدين وقد نلنا من لذاتها ونعيمها ما قد نلناه ووصلنا منها الى ما وصلنا اليه وقدرنا عليه فهل بنا نتخلى عنها ونلزم مداومة النظر في هذا العلم الشريف والعمل اللطيف الذي نصل به الى الفوز والنجاة من بعد الموت فاننا لانشك في وصول الموت الينا ونزوله علينا فلعلى وإياك تجتمع في الملك السماوى كاجتماعى وإياك في الملك الأرضى فقال افعل وقويت نيتيها وطابت أنفسهما بذلك فلما دخل الرجلان في وقت دخولهما على الملك أعاد القول عليهما ومايريد من تسليم الملك اليهما ورجا بذلك سعادة المملكة وأهلها بتدبيرهما وحكمتيها ورجا لأهل بلده ومن يكرم عليه من أهله ان يصلوا الى مثل ما وصل اليه من ملك العلم والعمل فتعم البركة وتشمل النعمة وتسكمل السعادة فقبلا ما أهداه اليهما وتقلدا ما اعتمد فيه عليهما وجعل أحدهما وهو المعلم له العلم الالهي في مقام المملكة وصاحبه في مقام الوزارة واشتغل هو ووزيره في مداومة النظر في العلم والقيام بالعمل والاجتهاد في العبادة والزهادة في الدنيا والتهاون بها واطراح شهواتها وترك لذاتها فكتب الشيخ الى الحكيم بذلك فأيس من عودتهما اليه وعلم انهما قد افقتنا بما رأياه ومالت أنفسهما اليه وتمنيا الخلود فيه وأقاما على ذلك في تدبير الملك وسياسة المملكة الى أن مات الملك ولحق به وزيره بعد مدة يسيرة وصارا الى رحمة الله سبحانه ودار كرامته ونالا الملك السماوى ووصلا اليه وافقتن الرجلان بالدنيا وتخليا عن العلم والعمل وانهمكا في اللذات الدنيوية واسترجع الحكيم ما كان أودعهما إياه من حكمته فنسب ما كانا له ذا كرين وغاب عنهما ما كانا له حاضرين وفارقا ملك السماء وأخلدا الى ملك الأرض فاهبطا من الجنة وبعدا

من الرحمة وانقلبا على عقبيهما خسرنا فاهارا وامارا من حضرهما بما فعلا وافتتن الناس بهما وتعموا منهما ما يضرهم ولا ينفعهم وبت سوءاتهما وقالوا هذان العالمان اللذان كانا يأمران بترك الدنيا والزهد فيها قد عادا الى ما كانا ينهيان عنه ويحذران منه ولولم يعلمنا ان العاجلة هي النعمة الحاصلة لما اختارها ولا رجحنا اليها بعد ما علمنا وزاد بهما جموح الطفيلان واستحوذ عليهما الشيطان فأنساها ذكر الرحمن فصارا أعداء للمحكاه واضدادا للعلماء وكتب الحكيم الى الشيخ يأمره بالتنجى عنهما والبعد منهما خوفا عليه من شرهما ففعل ذلك واقبلا على تناول أمور الدنيا وشهواتها وفارقا السحر الحلال الذي أنزل عليهما وأصرا بفعله وعمله وكان به نجاة من نجا ورجعا الى السحر الحرام فضلا وأضلا . وهذا حديث يدل على حالة الملكين هاروت وماروت وما كان من أمرهما وهبوطهما من السماء الى الأرض ومفارقتهما جواررهما والملائكة الذين كانوا معهما كمفارقة ابليس للملائكة باستكباره وعصيانه ومفارقة آدم للجنة التي كان فيها بما كان من خطئه ونسيانه فهذا بيان معرفة ماهية السحر والسحرة والعمل به وكيفية أقسامه وما الحق منه وما الباطل بحسب ما احتمله البيان واتسع له الامكان انتهى ما أردته من اخوان الصفاء . وبهذا تم الكلام على المقام الأول وفصوله الثلاثة والحمد لله رب العالمين

### ﴿ المقام الثاني في شذرات ﴾

( في هذا المقام خمس شذرات )

- (١) في إصلاح التعليم
- (٢) وفي العجائب السماوية وما يوصل اليها
- (٣) وفي غرائب الحيوان
- (٤) وفي الفوائد الطبية
- (٥) وفي الفوائد الأدبية العامة

### ﴿ الشذرة الأولى في اصلاح التعليم ﴾

اعلم أيها الذكي أن الأمم الاسلامية الآن أشبه باليتيم الذي ترك وشأنه فلامرني له وانما هو متروك للمصادفات ولما كانت الأمم الاسلامية قد سارت في طريقة عتيقة مثل أن تحفظ المتون بلا عقل ويحفظ القرآن بلا فكر وجب أن أبين هنا ما ساقه الله اليها من نعمة العلم والحكمة إذ حضر أثناء طبع هذا الكتاب عالم سويسرى لبحث في نظام التعليم عندنا بمصر فأظهرانه ناقص تقصا محزنا . ولما كان تقريره مطولا جدا بل هو كتاب كبير . وقد وجدت ملخص هذا الكتاب منشورا في جريدة الاهرام يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٩ رأيت أن أثبت هذا الملخص هنا ليطالع المسلمون على نظام التعليم في الأمم الراقية الذي بينه وبين عصر الصحابة شبه من جهة الحرية الفكرية وعدم الوقوف عند الحفظ والتمتع بالخلاوات وتقاوة الهواء والاجتهاد الفردي وما أشبه ذلك فهناك ما جاء في الجريدة المذكورة تحت العنوان التالي وهذا نصه :

### ﴿ مشكلة التعليم ﴾

نواجه اليوم مشكلة لا تقل خطورة عن مشكلتنا السياسية . هي مشكلة التعليم التي لا بد أن تتضافر الجهود على إيجاد حل لها حرصا على مستقبل الشباب أو بالحرى البلاد . فصيحات الشكوى التي تملأ أعمدة الجرائد وشعور الخوف والخيرة الذي يملك الألوف من الطلبة والوالدين ما هو في الواقع الا خوف مصر على مستقبلها ممثلا في شعور أبنائها . ولهذا أرى لزاما على كل متخصص وخبير بشؤون التعليم أن يدلى برأيه

مبيناً خير ما يراه كفيلاً بحل مشكلة التعليم كما يتحتم على كل وطني يفار على مصلحة بلاده أن يهاون على تنفيذ ما يقترحه الخبيرون بعد الدرس والتمحيص . فلسأله أهم من أن تهمل . وأعتقد من أن تحل بزيادة الفصول وإيجاد أما كن لطالبي الالتحاق وأعظم من أن تقوم بعبئها الحكومة وحدها

ثلاثة أمور لامندوحة عنها حل مشكلة التعليم وإزالة أسباب الشكوى فهي

( أولاً ) - تتطلب تغييراً في جو المدارس وأساليب التدريس يتمشى مع روح العصر وتقدم علوم التربية الحديثة

( ثانياً ) - تستلزم تعديلاً في مناهج التعليم يتفق مع حاجات البلاد وتنوعاً يلائم الاستعدادات المختلفة

( ثالثاً ) - اهتماماً من الأهالي وتعاوناً على رفع مستوى المدارس الأهلية وزيادة عددها لتساعد على حل الأزمة ونشر الثقافة في البلاد . فاما الأمر الأول فقد كفانا مؤونة البحث فيه التقرير الوافي الذي رفعه لوزارة المعارف الاستاذ الفاضل اد . كالا بارية الخبير المنتدب فقد استوفى فيه الموضوع بحثاً من جهة الأساليب وجو المدارس وأظهر مواطن الضعف في نظامها ثم أشار بما رآه علاجاً لتلك العلة ويتلخص ذلك في عشرين اقتراحاً وأذكريها ليطلع عليها من القراء من لم يقرأ التقرير ويستفيد منها أصحاب المدارس الأهلية فالداء يكاد يكون عاماً شاملاً وليس قاصراً على مدارس الوزارة أما الاقتراحات فهي :

( ١ ) انقاص عدد التلاميذ في الفرق التي يتجاوز عددهم فيها الحد المناسب

( ٢ ) الزيادة في تجنيس الفرق من حيث سن التلاميذ ومستواهم العقلي

( ٣ ) اختبار كل طفل على حدته اختباراً فردياً

( ٤ ) تعيين معلمي فرق بالمدارس الأولية والابتدائية والفرق الأخيرة من المدارس الثانوية وجعل تعليم صغار الأطفال الى سن التاسعة على أيدي معلمات فرق ان أمكن

( ٥ ) تضييق نطاق المناهج

( ٦ ) تعديل نظام الامتحانات الحالي تعديلاً شاملاً لأنه السبب في اعتماد التلاميذ على الاستظهار لاعلى التفكير والتروى

( ٧ ) زيادة ماللامتحان من قيمة وأثر في اختبار التلاميذ . ولا ينبغي أن تكون الحافظة في الأطفال الذين يمتحنون الغرض الذي يقرطس الامتحان بل القدرة على أداء عمل شخصي مبني على التفكير والتأمل

( ٨ ) حذف دروس الاملاء والاستظهار ومنع استظهار المتون ومنع التلاميذ من نسخ مالا يفهمونه من النصوص واستظهارها

( ٩ ) توسيع نطاق العمل الفردي وإنشاء مكتبة في كل مدرسة وقاعات يمارس التلاميذ فيها الأعمال بمفردهم

( ١٠ ) الاستفادة بالالعب التي تعزز التربية في جميع درجات التعليم وتألّف جماعات من التلاميذ للعمل معا في أشغال معينة استفزازاً لغيرتهم وتمية لروح التعاون والتضامن في نفوسهم

( ١١ ) جعل التعليم أكثر مطابقة على العمل ولا سيما في المدارس الابتدائية والأولية والاستفادة بالأعمال اليدوية في أغراض التعليم وصراميه

( ١٢ ) الترخيص للمعلمين بالقاء دروسهم على الفرق في الهواء الطلق وبالتنزه والتريض مع التلاميذ

( ١٣ ) إنشاء عدد أكثر من المدارس الابتدائية والثانوية للبنات

( ١٤ ) الاتناد فيما يتعلق بنشر التعليم (مشروع التعليم الازمحي) في إنشاء المدارس ريثما يتخرج المعلمون



القادرون على القيام باعباء هذا التعليم

(١٥) إنشاء فرق متنقلة أوجواله انشر الثقافة العقلية في الأرياف وانشاء مكاتب في القرى واقامة سينما للتربية والتعليم

(١٦) تعديل اسلوب اعداد المعلمين تهديلا شاملا

(١٧) اقامة محاضرات أسبوعية بيداغوجية ودررس اتقان وتجويد للمعلمين

(١٨) تعيين مفتشين ببيكولوجيين لمواصلة البحث والتحقيق في المدارس ولارشاد المعلمين بنصائحهم وبخاصة منهم معلمي الأرياف على أن يكون تفقدهم إياهم في مواعيد دررية منظمة

(١٩) تضيق دائرة التركيز المدرسي وارخاء العنان لحرية المعلمين ونظار المدارس والإلانة من شدة البرامج وصرامتها وتقديم الجانب التثقيفي من العمل المدرسي على الجانب الاداري

(٢٠) الاستمرار في البحوث والتحقيقات البسيكولوجية والبيداغوجية التي بدى بها في سنة ١٩٢٨

— ١٩٢٩ م اه

أما الأمر الثاني أي تعديل المناهج فلم يتناولها التقرير بأكثر من اقتراحه تضيق نطاقها وتحسين نوعها واليك مقاله :

« اتضح لنا أن المناهج في جميع المدارس على اختلاف درجاتها خاصة بمواد التدريس فن الواجب المبادرة بالاستعاضة عن وفرة الكمية بجودة الصنف ، وعن التوسع بالتعمق ، وعن الحافظة بالتفكير » ثم قال : « وليس في طاقتنا أن نشرح بالتفصيل ما ينبغي ادخاله على المناهج من التعديلات والتحويلات فان هذا الشرح يتطلب بحثاً لم تنهياً لنا الفرصة للقيام به ، كما ينبغي أن يبنى هذا البحث على محادثة التلاميذ وخص مفكراتهم ومطالعة منشاتهم في الامتحان الخ لتعرف الأجزاء التي يفهمها الأطفال وتمثلها أذهانهم من منهج كل فرع والأجزاء التي تستظهرها الحافظة دون أن يدركها العقل »

وظاهر من هذا القول أن الاستاذ كلاباريه نظر لتعديل المناهج من جهة الأساليب وملاءمتها لقوى الطالب ، أما من الجهة الاجتماعية العامة وما تتطلبه حاجة البلاد من التعديل فلم يعالجها وعذره كما قال ان هذا الشرح يتطلب بحثاً لم تنهياً له الفرصة للقيام به ، أضف الى ذلك انه غريب عن البلاد لا يعرف كل ما تحتاجه وتشكومنه ، لهذا قلت يجب على كل وطني خبير بشؤون التعليم أن يدلي برأيه ، ولهذا رأيت أن أعالج الموضوع بقدر امكاني فان أصبت فقدت بواجب عليّ لبلادى وان أخطأت شفيع لي إخلاصي وسرني معرفة خطئي واصلاحه من ردّ ناقد خبير . انتهى ماجاء في الجريدة المذكورة

انما نقلت هذا المقال يرمته لأنه استوفى التقرير الذي كنت أودّ تلخيصه وقد كتبه العالم السويسري المتقدم ذكره ، فهو الآن أشبه بتطبيق على أحوال المسلمين العملية بعد الشرح العلمي ، فهنا أشبه بالعمل وفيما تقدم أشبه بالعلم ، وهذا هو التوفيق أن يجتمع كلام ألماني وسويسري ويوجهان لرقى المسلمين ، وأنا الآن أريد أن أبين للأهم الاسلامية فوائد التعليم الثانوي مما اطلعت عليه وقرأته في كتب مختلفة وفي كلام الكاتب المتقدم أيضا اعلم أيها الذكيّ كما تقدم فيما نقلته عن (كنت) الألماني أن الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يعوزه التعليم والتربية ، واذا نحن نظرنا الى الأمة كلها وجدناها كالفرد الواحد والانسان الواحد ، نجد له مطالب كثيرة :

(١) من طعام وشراب وهكذا نجد له أعضاء كثيرة لتناول هذه المطالب

(٢) وهذه الأعضاء تختلف باختلاف تلك المطالب

(٣) وهذا الاختلاف يشتدّ تباينه كلما اشتدّ تباين المطالب ، فالاختلاف بين حاسة الذوق واللمس أقلّ

من الاختلاف بين حاسة الذوق والبصر لأن الأولين خصا بما هو قريب للامس والآخر لاملامسة له  
ففي المدارس الثانوية :

- (١) أولاً تبنى القوى في التلاميذ بحيث تصلح للسير في المجتمع أولاً وتستفيد من الأحوال الطارئة في الحياة فلا تقف على حال واحدة بحال وجود
- (٢) ثم يجب أن يفرق بين المواهب المختلفة فتوزع على مطالب الحياة كما وزعت الأعضاء والحواس على مطالب الانسان
- (٣) وكما أننا نجد حاسة اللمس تتعد عن حاسة البصر من حيث متعلقها وتقرب من حاسة الذوق إذ هانان متعلقتان بما هو ملاصق ، وحاسة البصر لا تقدر على مشاهدة الملاصق هكذا أفراد الأمة فانها كلما ارتقت اشتد تباين الأفراد فيكون أحدهم كالمين والآخر كاللمس أو كالذوق ولكن لا بد من نظرة هنا ، ذلك ان الأعضاء المتنافرة في بدن واحد لا تجتمع بل تتفرق ، ألا ترى أن الحيوان اذا مات تفرقت أجزائه ، إن الذي جمعها الحال العامة في الجسم من التغذية والشراب والأعصاب والعروق والدم والشحم واللحم وما أشبه ذلك ، فهذه الأعضاء وان اشتد الخلاف بينها ففيها اتفاق واتحاد ، وعلى مقدار التباين بينها اشتد اتحادها ، فبواعث الاتحاد كثرت على مقدار بواعث الاختلاف هكذا في الأمة ، فاذا رأينا الأمة ارتقت وظهرت فيها أفراد نابغون كل وصل الى منتهى الكمال بحسب زمانه بحيث صار القاضي والمهندس وعالم الزراعة كل واحد من هؤلاء قد برع في فنه ، فهذه البراعة تقطعه عن أمته ويصبح كأنه ليس منها لأنه لاصلة بينه وبين المتعلمين إلا صلة ضعيفة فهناك يجدر أن يكون التعليم الثانوي كثير المواد غزيرها حتى يجعل بين النابغين اتحاداً أتم على مقدار الاختلاف الشديد في المهن المختلفة
- (٤) ومن جهة المطالب التي تقتضيها المدارس الثانوية الاستعداد للمدارس العالية والخاصة ، وقد كان هذا هو المطالب الذي لا يطلب سواء قديماً بالمدارس الثانوية ، أما الآن فان الأمر أعظم كما قررناه بل لها وظائف أخرى تقدمت ويأتي باقيها
- (٥) الانتخاب المدرسي ، ومعنى هذا أن في الناس من ليس لهم استعداد ولا ميل للتعليم العالي فهؤلاء يجب أن يتعلموا ما يليق لهم ، ومن لا يستعد للتعليم الثانوي يجب أن يتعلم صناعة تليق له
- (٦) وكما أن كل ما احتاج اليه الفرد في حياته من مطعم ومشرب وملبس موجود في هذه الأرض يراه ويحس به فيطلبه . هكذا يجب أن يجعل للتعلمين في المدارس نماذج لكل ما يحتاج اليه الأمة فتكون في المدارس أنواع الصناعات وأنواع الفنون ليتخذ كل ما يليق له . وكما أن الانسان لو لم ير العثر أو الموز أو التفاح فانه لا يطلبه هكذا لا يتسنى لامرئ أن يطلب علم الجبر أو صناعة الحدادة أو صناعة الكهرباء إلا بالاطلاع عليها ومعرفة شئ يختص بها

### ﴿ فائدة ﴾

لقد كان قدماء اليونان يضعون في هياكلهم صوراً مختلفة للصناعات المختلفة ويمر عليها الصبيان فاذا رآها الصبي وأحب إحداها عرفوا أن هذا هو استعدادة ، وهذا المقام قد بينته في كتابي « أين الانسان » تبيننا أتم وكشفاً أظهر فاقراه إن شئت

وهنا يجدر أن أثبت هنا مقالا كتب في جريدة الاهرام في يوم الخميس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٩ في الرد على من ذم التعليم الاجباري العام وهذا نصه :

## ( معنى التعليم الاجبارى )

( حول مقال كاتبة )

جاءت الكاتبة النابغة الآنسة فى عدد الاهرام الصادر فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٩ مجلة شعواء على التعليم الاجبارى بحجة انه مؤدّ للبطالة واقفار الريف وازدهام المدن وغيرها ، وبحجة أن كل أمى فى مصر يشتغل وأما طائفة العاطلين فهى من المتعلمين . وبحجة انه لو كانت الغاية من التعليم جعل كل متعلم أفنديا معسكره العام فى القهاوى والبارات فى انتظار وظيفة تهبط عليه من السماء على أجنحة ملائكة الرحمن . إذن لكان الجهل خيرا . وبحجة انه لو كانت الغاية من التعليم قذف المتعلمين الى العواصم ... لكان الجهل خيرا وبحجة أنه لو كانت الغاية ايجاد الشبان ذوى المناديل المشرببة من الجيوب وذوى ربطة الرقبة المرصعة بالدبوس إذن فالجهل خير من العلم

ثم ختمت الآنسة مقالها بقولها انها واثقة من أن الشبان المصريين لا يحقون عند قراءة ماتكتب الخ كلا . ثم كلا (على رأى زكى باشا) لقد أخطأت الكاتبة النابغة فى الخاتمة كما أخطأت فى المقدمة . كما أخطأت فى جوهر موضوعها . والويل ثم الويل لمن يخطئ ثلاثا

إن الشبان المصريين يحقون ثم يحقون لمناصرتها الأمية . اللهم إلا اذا كانت تعنى بالشبان الشيوخ المتصبين أو الشبان المتكهلين من أنصار القديم

بيد اننى أجلّ الكاتبة عن هذا الخطأ المثلث وأتمس لها العذر ثلاثا لأننى لا أخاطها إلا جاهلة معنى التعليم الاجبارى فظنته تعليما راقيا يخرج شبانا مثقفين وفتيات مثقفات مامين وملمات باللغات الحديثة وآدابها ومبادئ العلوم السياسية والاقتصادية والمواد الطبيعية والاجتماعية والرياضية

هذا ما فهمته الكاتبة النابغة بنتيجة التعليم الاجبارى . فاذا كان هذا ما تريد وتعنى فانى أوافقها وأشدّ ازرها فيما زعمت لأن انتشار الثقافة فى طول البلاد وعرضها فوق الحاجة مما يدعو الى كثرة الياقات البيضاء كما يعبر عن ذلك علماء التريية اليوم . ومعنى الياقات البيضاء هو عين ما قصدت السيدة بالمناديل المشرببة من الجيوب الخ فان الأم المتمدينة جميعها خصوصا التى يكثر بينها العاطلون كإنجلترا وألمانيا على الأخص قد فطنت الى ازدياد عدد الشبان المتأثقفين ذوى الياقات البيضاء والأردية الثمينة الذين لا ينزلون الى حلبة الأعمال اليدوية فى المصانع والمناجم مهما ارتفعت أجورها بل يفضلون الانتظار شهورا بلا عمل ريثما يجدون لهم عملا كتابيا فى مكتب أو مصرف أو مصلحة حفظا على مايزعمونه فى تلك الوظائف من الكرامة والمعزة وحباً فى جعل أقصرتهم وياقاتهم ناصعة البياض

وهذه الحال بعكس ماهى عليه فى ولايات أميركا المتحدة تماما فهناك يباهون بالأعمال اليدوية فينزلون الى ميادينها بثغور باسمه مهما بلغوا من الثقافة لأن مدارسهم على اختلاف درجاتها تعودهم احترام العمل لأن الحصص الدراسية هناك تتخللها الصناعات والأعمال اليدوية ، ولا يجد الشاب من خريجي السكليات عارا فى غسل الأطباق وحمل الأتقال والعمل فى المناجم لأن الأقدار التى تعلق بالشباب من جراء هذه الأعمال يطلق عليها اسم الأقدار الشريفة أو النظيفة كذلك الفتاة المثقفة وان كان والدها من أصحاب الملايين قد تجدها عاملة فى مطعم أو متجرا أو منزل حبا بعظمة العمل وشغفا بما تسميه الفتاة الأميركية الاستقلال الاقتصادى

وليسمح لى القارىء أن أضرب مثلين واقعيين حدثا معى فعلا ، كنت يوما أتناول العشاء مع فريق من الطلبة فى دار أحد أساتذتنا فى ضاحية من ضواحي نيويورك وفى نهاية العشاء أخذنا نطل من الشرفة الكبيرة على حديقة المنزل ، فلاحظ أحدنا أن سيارة نفمة مقفلة أوقفت أمام المنزل وخرجت فتاة أنيقة من باب المنزل

ودخلت السيارة وغابت عن الأنظار ، فسأل أسدنا الاستاذ ، أليست هذه الفتاة التي كانت تخدمنا على المائدة أجب نعم هي بعينها وهذه سيارتها كما رأيتم نعمة ، وهذه سيارتي في الحديقة من طراز فورد المتواضع ، ثم أردف ذلك بقوله : انها من طالبات السكينة وتقوم بخدمتنا فقط عند الحاجة القصوى بأجرة ريال عن كل ساعة . وأذكر مرة اني دخلت مطعما ذات ليلة في منعطفات نيو يورك وما كنت أجلس الى مائدة من الموائد حتى أقبل عليّ أحد طلبة الجامعة التي كنت بها وكان من طلبة الدكتوراه يقدم اليّ قائمة الطعام ، وقد تأثرت كثيرا من هذا المنظر وزاد تأثري أن شاهدت زوجه تقوم بالخدمة معه في ذات المطعم في أوقات فراغهما ، وقد قام رجال التعليم في إنجلترا والنمسا وروسيا وهنغاريا وشيكوسلوفاكيا وألمانيا وخصوصا في الأخيرة بحملات شعواء ضد التعليم الثانوي الذي يكثر من العاطلين ذوي الياقات البيضاء ويقلل من الأيدي العاملة وكانت النتيجة أن التعليم الثانوي هناك قد انقلبت نظمه رأسا على عقب وأدخل فيه التعليم العملي الذي يتفق مع حاجة البلاد وتقضى على البطالة والتترؤة عن الأعمال اليدوية ويقلل من الثقافة الأدبية التي لاتوافق روح العصر الحديث وروح العلم والعمل . وقد احتسكتك برجال التعليم في ألمانيا صيف هذا العام في مؤتمر التعليم في جنيف وقد شاقني مارأيت فيهم من التغيير وما سمعت من خطبهم من الانقلاب وقد زادتني دهشة زيارتي لألمانيا وما شاهدته في حياتها الاجتماعية والاقتصادية من التغيير وقد كنت زرتها قبل هذا العام منذ أربع سنوات فقط ولايسع الزائر إلا الاعتراف بأن ألمانيا اليوم تقتفي أثر أمريكا أولا في نظم التعليم وثانيا في الديموقراطية واحترام الأعمال اليدوية

يفهم مما سبق أن الأخطار الاجتماعية والقلاقل الاقتصادية تنجم عن تعميم الثقافة الأدبية والاكثر من المواد العلمية البحتة . لذلك أشترك مع النابغة الآنسة محي في الاقتراح على وزارة المعارف أن تقلب نظام التعليم الثانوي في بلادنا لأنه من النوعين المشار إليهما والبلاد في حاجة الى قليل من هذين النوعين من الثقافة (الأدبية والعلمية البحتة) وكثير جدا من التعليم العلمي العملي من صناعي وزراعي وتجاري

بقي على الآن أن أقول للآنسة السكينة ان معنى التعليم الاجباري بسيط جدا وهوانه يرمى الى تعليم الأمة بأسرها ، بنيتها وبناتها ، معرفة المبادئ الأولية من قراءة وكتابة وحساب أو كما كانوا يسمونه في أمريكا وأوروبا ، أو ما يسميه العامة في بلادنا « فلك الخط »

فهل تخشين أيها النابغة عاقبة هذا النوع من التعليم الساذج البسيط ؟ إذن فكيف يستطيع أبناء الأمة في الأرياف والمدن أيضا أن يقرؤا منشورات مصلحة الصحة عن الأمراض المعدية والحيات وعزل المريض والتدريز والبلهارسيا والانكلستوما والماء الراكد وماء القنوات والمجاري

وكيف يتفهمون منشورات وزارة الداخلية عن الأمن العام ومطاردة الجراد واستئصال دودة القطن وعدم قتل الطيور النافعة ؟ هل تربدين العمدة أن يبعث برجاله ينادون في الشوارع كما يفعلون الآن وكما كانوا يفعلون منذ القرون الحالية ؟

وكيف يقرؤن التعليمات المكتوبة على محطات السكك الحديدية بخصوص مواعيد القطارات وصرف التذاكر ، وعلى لوحات الاعلانات في المحاكم ونقط ومراكز البوليس ، وعلى واجهات دور الحكومة ودور الحوانيت التجارية والمدارس وأما كن العبادات والمستشفيات والمصانع والملاهي الخ

وكيف تربدينهم يحترسون من النشالين اذا كانوا لا يستطيعون قراءة اليفطة البسيطة المكتوب عليها « احترس من النشالين » في الأماكن المزدهجة من أسواق ومحكم والعتبة الخضراء والموسكى وشارع فؤاد الأول وعماد الدين وتباثرات وأماكن عيادة ؟

وكيف تربدينهم يمتنعون عن مخاطبة السواق في عربات الترام وعدم البصق في الأماكن العمومية الخ



إذا كانوا لا يستطيعون قراءة الاعلانات الدالة على ذلك ؟

وكيف يستطيع العامل البسيط أن يدون في مذكرة جيبه ماله وماعليه ، وكيف يكتب خطابات الخسودية لزوجه وأولاده ولم تريدينه أن ينشر أسراره على الملأ ويلجأ لكتاب (بتشديد التاء) العرائض فيسلبون ماله ويفشون أسراره ؟

لم تريدينه أن يحرم من هذه النعمة الأولية البسيطة ، نعمة القراءة والكتابة ؟ لم تريدينه أن يبقى كل حياته بهيما وأن يظل حيوانا أعجم ؟

كان معلم الانشاء في السنوات القليلة الماضية يعلم تلاميذه هذه الجملة المحبوبة التي اذا أشغلها تلميذ كان جزاؤه صفرا ، وهذه الجملة هي « خلق الله الانسان وميزه عن سائر الحيوان بالنطق والعقل والبيان » وترجمة هذه الجملة بلغة القرن العشرين : « ..... الحيوان بالنطق والعقل والبيان والقراءة والكتابة على الأقل » إن التعليم الاجباري إذن ليس من الكماليات بل من الضروريات لأن القراءة والكتابة كالكلام واسطة التعارف . وقد كان الانسان في عصور الفطرة يكتفي بالكلام ولا يحتاج للقراءة والكتابة حاجتنا اليها اليوم لأسباب لا تخفى . أما اليوم وقد سهلت المواصلات وكثرت حاجات الانسان وتعقدت وسائل الحياة ومرافقتها فقد أصبحت القراءة والكتابة لازمة لبني الانسان لزوم النطق والكلام

واسمحي لي أيتها الأنسة النابغة أن أذكر أن التعليم الاجباري المقصود في بلادنا هو هذا التعليم البسيط الذي لا يتجاوز علاوة على القراءة والكتابة ومبادئ الحساب شيئا من علم تخطيط البلدان والقوانين الصحية وهذه لا تدفع صاحبها الى ارتداء الملابس الأنيقة أو الهروغ الى المدن . واذا فرض أن تناول المعلمين الابتدائي والثانوي كما يحدث في معظم ولايات أمريكا اليوم فانه لا يأتي بقليل اجتماعية ولا يكثر من الياقات البيضاء اذا كان المنهاج منوعا شاملا للأعمال والصناعات اليدوية كما هي عليه مدارس أمريكا وألمانيا والنمسا وروسيا اليوم واسمحي لي أن أقول أيضا : إن التعليم الاجباري علاوة على ما ذكرت لازم لكل أمة لأنه يظهر الذكاء الكامن في عقول صبيانها وبناتها . ومتى استكشف هذا الذكاء في فرد من أبناء الأمة أشار القائمون بتربيته على الحكومة حتى تساعد على مواصلة الدرس على نفقتها لأن النبوغ والعبقرية جديران بالاهتمام والعناية . ومن المتفق عليه الآن أن الحكومة مسؤولة عن تعليم أبناء الأمة ليس حبا في سواد عيونهم بل تخليدا لكيان الأمة ومحافظة على حياتها . كما ان الحكومة مكافئة بالبحث عن النبوغ والعبقرية والانتفاع بهما . والعقول الراجحة الذكية كالدرر والذلي لا يظهر لعانها وقيمتها حتى تعمل فيها يد الصانع الماهر الذي يخرجها من أصدافها ويصقلها بعد تنظيفها من الأقدار اللاصقة بها

وأخيرا اطمئنك أيتها الأنسة النابغة أن مشروع التعليم الاجباري يتطلب عشرات السنوات قبل اكتماله لأنه يحتاج الى المال والمعلمين والأماكن والوسائل لتنفيذه . والبلاد التي عمّت فيها التعليم الاجباري منذ مئة عام لم تصل فيه الى درجة الكمال لأنه ليس من السهل القبض على جميع من يمنعون عن إرسال بنينهم وبناتهم الى المدارس ومحاكمتهم ، وليس من السهل عد الأسابيع التي يمكثها التلميذ سنويا في المدرسة وتحديد نهاية صفه هذه الأسابيع بشرط أن يزج في أعماق السجون والدو التلاميذ الذين لا يمكث أولادهم في المدارس هذه النهاية الصفري على الأقل ، وستخبط البلاد المصرية خبط عشواء في خلال ثلث قرن على أقل تقديرحتى يتاح لها تنفيذ هذا المشروع الخطير على الوجه الذي يوجب الارتياح

ولتأكد الأنسة أن تحرير المرأة لن تقوم له في مصر قائمة ما لم يعمم التعليم الاجباري ، وسيكون شأن المرأة منه أكبر مما للرجل لأن الأمية بين النساء أكثر انتشارا بكثير منها بين الرجال ، واعلم هذه العبارة الأخيرة (إن لم يكن غيرها) تحمل الأنسة على تغيير رأيها اه

أمير بقطر

وبهذا تم الكلام على الشذرة الأولى في اصلاح التعليم العام والحمد لله رب العالمين

### ﴿ الشذرة الثانية ﴾

( في المجائب السماوية وما يوصل اليها )

جاء في جريدة الاهرام تحت العنوان التالي مانصه :

### ( عجائب فلكية )

يقال إن أقرب نجم من الأرض هو (الالفا) من نجوم برج العيوق ويبعد عنا نحو (٤٠) ترليون كيلومترا ويقضى نوره أربع سنين وسبعة أشهر وستة أيام حتى يصل اليها ، وهناك نجم معروف باسم (غمامة مجلان الصغيرة) وهي بعيدة عنا بعدا شاسعا حتى ان نورها لا يصل لنا في مدة أقل من ألف قرن ، فنحن نبصر نجم (الالفا) كما كان عليه منذ أربع سنين و٧ أشهر و٦ أيام وغمامة مجلان الصغيرة في المكان الذي كانت فيه منذ ألف قرن ، واذا فرضنا انها انطقت منذ ٩٩٩ قرنا فان النور الذي صدر منها في ذلك العهد يظل على سيره اليها في الفضاء ويبقى منظورا في أثناء مائة سنة أخرى اه

\*\*\*

وما يلحق بالمجائب السماوية ما يوصل اليها من الصناعات ، فانظر ماجاء في جريدة الاهرام أيضا في يوم (٥) اكتوبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالي وهذا نصه :

### ﴿ رصد الجوّ بالسهم النارية ﴾

منذ أكثر من اثني عشر عاما أخذ الاستاذ جودارو العالم الأمريكي يهتم بأمر استعمال المواد المنفجرة لارسال سهام نارية (صواريخ) الى طبقات الجو العليا وهو الذي خطر له أن يصنع صاروخا كبيرا جدا ليطلقه من أرضنا الى القمر على أن هذه الفكرة أخذت تتطور في أثناء التجارب الكثيرة التي قام بها من اطلاق سهام صغيرة على سبيل الاختبار وقد توصل أخيرا الى فكرة استطلاع طبقات الجو العليا بهذه السهام فصنع « صاروخا » كبيرا كلفه نحو ١٢٠٠٠ ريال وحشاه بمادة قوية الانفجار من ابتكاره وأطلقه من فوق برج مرتفع من الحديد في مدينة ورسستر وقد دهش أهل المدينة إذ رأوا ذلك السهم الناري العظيم يشق عنان الجوّ في ليلة ظلماء وخيل اليهم انه نيزك هائل من سجّو مدينتهم وزعم البعض بأنه طائرة ملتهبة انفجر حوض وقودها

ويعتقد الاستاذ جودارو أنه يستطيع بهذه المادة المنفجرة الجديدة أن يرسل مثل هذه المقذوفات الى ارتفاع عظيم في الجوّ وأنه اذا تمكن من توصيلها الى هاومشي ميل تسنى له الحصول على معلومات عن أحوال الجوّ في ذلك العلو تكون ذات أهمية كبيرة لدى أهل العلم . وسيجهز الاستاذ هذه المقذوفات بعدة أجهزة لتسجيل الارصاد الجوّية متى بلغت آخر حد وعند ما تنقلب هابطة الى الأرض تفتح فيها المظلة المعروفة « بالبراشوت » فتصل الى الأرض سالمة بما فيها من المعلومات وقد كانت التجربة الأخيرة باعثة على التشجيع فان الاسطوانة الفولاذية التي أطلقها في الجوّ بعد ما فرغت منها المادة المنفجرة هبطت بالمظلة هبوطا طبيعيا ووصلت الى الأرض سالمة من العطب

أما الصاروخ التالي الذي سيكون أكبر من هذا كثيرا فستوضع فيه أربعة أجهزة أحدها للحصول على نموذج من الهواء لتحليله كيميائيا وآلة تصوير شمسي لاختبار أشعة الشمس في ذلك العلو إذ يظن أن الأشعة فوق البنفسجية قوية جدا وجهاز لقياس الحرارة وتسجيلها وجهاز لقياس الضغط الجوّي . انتهت الشذرة الثانية

### ﴿ الشذرة الثالثة في غرائز الحيوان ﴾

جاء في مجلة « السياسة الأسبوعية » ما يأتي :

#### ﴿ غريزة النظم عند الحيوان ﴾

قد نتصور أن الحيوانات المتوحشة التي لا تدخل في دائرة الإرادة البشرية فوضوية أي لا قانون لها ولكن جميع مخلوقات الحية ليست إلا نتيجة قوانين كيميائية وأخرى طبيعية . فالمواد الكيميائية التي تتكوّن فيها خاضعة لقوانين ونظريات الكيمياء وليست نتيجة فعل إجباري للإنسان بل هي عمليات فيسيولوجية محضة مما يجعلنا نجزم بأن أفعال وطباع السكائنات الحية مقيدة بقوانين ثابتة لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا شك أن عالما بدون قوانين هو عالم « فوضى » يقطنه مجانين

إن حجرا تقذف به من أعلى في الهواء يسقط دائما تجاه الأرض ودائما يسقط بحالة منتظمة ثابتة . وإذا أكل الإنسان شيئا كثير العصارة فإن هناك غدها تفرز مادة بالفم تعرف باللعاب . وهذه المادة دائما تفرز تبعا لقوانين فيسيولوجية وكيميائية ولها دائما تركيب مخصوص حيث تفرز من خلايا معينة ونسب ثابتة تحت شروط معينة ولا يمكن ذلك إلا إذا كان هناك قانون تخضع له كل هذه الأشياء . فمثلا الإنسان لديه قوة يعبر عنها بالتفكير والإرادة ، وأما الحيوان فلديه قوة يعبر عنها بالغريزة ، والاميبا والبكتريا التي هي حيوانات طفيلية يتمشى نموها وحياتها تبعا لقانون ، وليست حركاتها تأتي جزافا أو هي متغيرة الأطوار وإنما هي على السوام تأتي بنتائج مؤدية على الأقل لما فيه راحتها ، ومن ذلك نعرف أن الحيوان مهما صغر فانه خاضع لقوانين لا يمكن له البقاء بدونها ، ولناخذ الآن مثلا العنكبوت فانه ينسج بيته بغاية الدقة المقرونة بكل صبر حيث يعمل عقده وحشيه من الخيوط ويكون عمله هذا كأعظم مهندس فني يعمل تبعا لنظريات وقوانين هندسية محضة ، فيبتدئ بوضع خيوط دائرية ثم يحدد بها المساحة التي يريد النسيج عليها ثم يصنع خيوطا مشطرية تتقاطع في الوسط وتعمل خيوطا حلزونية أخرى هي عماد ما ينسجه

ولنتقل الى شمع العسل الذي يصنع بواسطة النحل العادي نجد انه لا يصنع جزافا بل تبعا لقانون إذ أن كل نحلة تعمل ما يخصها من العمل القليل ليس إلا ، وكل هذه النحيلات تعمل وتبني قوانين الهندسة بعملها خلايا سداسية هي غاية في الدقة والجمال بل وتعمل قاع الخلية من ثلاث مستويات تتقابل في زاوية أثبت الرياضيون انها زاوية اقتصادية أي غاية ما يمكن عمله لتوفير المادة والوقت

زد على ذلك أن العمل يوزع بينها توزيعا منتظما ينفذ بكل دقة كأنه صادر بمشور ، فبينما يوجد عدد كبير يقوم بملاحظة النحل الصغير نجد عددا نيطبه تغيير أهوية الخلايا وتبخير الماء من العسل بروحة الأجنحة وعددا آخر عمله معماري محض يقتصر على عمل قرص العسل ، كما أنه يوجد رعاة بينها لاحضار الحبوب والملح والماء ، هذا خلاف عدد كبير عمله كيميائي يتلخص في تجهيز حامض الفورميك ، هذا ولم يفت النحل أمر حراسة الخلية حيث يوكل أمر الحراسة الى فريق آخر يحافظ عليها من أي خطر عدائي كما أن هناك الملكة التي تلد ، فاذا نظرنا الى ما يحدث بين طائفة النحل نجد انه لا يمكن حدوث ذلك إلا بقانون ينفذ بكل دقة دون أي خلل كعمل الساعة حتى ولو كان في ذلك ضرر بالأفراد

هذا ويوجد خلايا رئيسية هي بمثابة الإدارة الحكومية حيث يستمد منها الأوامر ، وهذه بعيدة عن مقر الملكة ، ولقد تتكوّن الخلية من عشرة آلاف غرفة صغيرة لوضع البيض

والآن اذا نظرنا الى الطيور نجد انها تهاجر من مكان الى آخر تبعا لقانون في أوقات وفصول معينة الى جهات مقصودة ، فأوجدح يطير من ألمانيا الى جنوب افريقيا ويقطع آلاف الأميال ولا يمكن ذلك إلا اذا

كانت هجرته هذه طبقا لقانون . والحيوانات التي تعيش قطعانا نجد أن لها قانونا وقواعد تعيش بواسطتها ، فالصغار تحت محافظة الأمهات ولا حرب بين أعضاء القطيع الواحد إلا في أوقات الجدل كاجتياز رئاسة أوقادة (انتخاب)

هذا وحركات هذه القطعان دائما متمشية مع قوانين غير مكتوبة يعاقب كل مخالف لها . مما تقدم نعرف أن القانون في عالم الحيوان أساسه ليس العقل وإنما أساسه الفريزة وكلها تعمل من أجل الصحة والدوام والمحافظة على الأفراد واطاعة هذه القوانين حياتها ومخالفها دمارها

هذا ما يختص بالحيوان ، ولنلق نظرة الى الانسان الذي كان في عصره الأول خاضعا لقوانين الحيوان أى القوانين الفريزية كميله الى الغذاء والانتقام من العدو والقنص واللعب . ثم وجد نفسه بمضى الزمن محتاجا الى التعديل والتبديل فأدخل ما ارتأه يناسب حالته وعصره فوضع قوانين مدنية وأصبحت هي القوانين الخاضع لها منيحا من الفريزية والوضعية التي استمدتها من الكتب السماوية ومن أفكاره مما جعله حاملا القيادة الفكرية لجميع الحيوانات . انتهى ما أردته من مجلة « السياسة الأسبوعية » والحمد لله رب العالمين

\*\*\*

### ﴿ نظرات في بلدة المرج ﴾

منذ ليال في هذا الشهر وهو أكتوبر سنة ١٩٣٠ كررت راجعا من حقلنا وكان ذلك بعد غروب الشمس في نفس المكان الذي كنت أراقب فيه القمر وكتبت تلك المراقبة في ﴿ سورة فاطر ﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - وفيه أيضا نظرت مزرعة القطن وأزهارها وقطنها وكتبت ذلك في أول ﴿ سورة الصافات ﴾

أقول : في نفس هذا المكان نظرت أمرا عجبا ! نظرت مئات من الغربان أتت أفواجا متلاحقة لتبيت في شجر النخل وقد قدرتها فوق الألف لأن النخل هناك كثير جدا ، فلم أكد أراها حتى أخذت النفس تفكر في هذا الانسان ، هذا الانسان ذوالعقل وذوالعلم وذوالأنبياء كيف عاش أجيالا ولم يرتق عن الغربان ! غربان قرية من القرى لا تعيش مع غربان قرية أخرى إذ لا سبيل للاتصال والفريزة لم تعطها ذلك ، ولكن الانسان له عقل ، فإذا فعل بعقله ؟ عقله المخبوء ، عقله الجوهر المسكنون . الانسان لا يكون انسانا حتى تكون أمه كلها متحدة . فهذه الغربان التي أشاهدها الآن راجعة الى هذا النخل لتبيت فيه . والانسانية بدون هذا غيبة جاهلة . ولما استتمت فكرتي انطلقت راجعا الى القاهرة وعرفت اني أتممت درس الموضوع بقدر الامكان . انتهى الكلام على الشذرة الثالثة

### ﴿ الشذرة الرابعة في الفوائد الطبية ﴾

#### ( الكلاب وأخطارها )

قليل من الناس عدد الذين يعرفون الأخطار التي تتعرض لها حياة الانسان من مساكنة الحيوانات الأليفة التي اعتادت عليه فأمن لها وأمنت له . والواقع الذي لاشك فيه هو أن ثلاثة أرباع الأمراض الحيثية التي يصاب بها الانسان تنشأ في جسمه من المكروبات القتالة التي تندس فيه من كلب أو حصان أو غيرها من الحيوانات التي يقترب منها وتقترب منه

وقد أدركت الحكومات الراقية أخطار هذه الحيوانات فحذرت الانسان منها وعلمته كيف يتقى أخطارها بقدر الامكان ان لم يستطع الاستغناء عنها تماما . ورأينا صرّات كثيرة على جدران الدوائر العمومية في أوروبا وأميركا صور الحيوانات الأليفة وقد كتبت فوقها بخط عريض عبارات التحذير منها والابتعاد عنها ووصفها



بكونها الدأعداء الانسان

و بلغ جهل أخطار هذه الحيوانات في الناس أنهم يسمعون لها ( لاسيما للكلاب والتقطط ) بالنوم في أسرهم وبجانب أولادهم جاهلين أنهم بهذا العمل يضعون الموت بجانب أولادهم بما تنفثه هذه الحيوانات في وجوههم من المكروبات القتالة وبما يسرى الى جسوم الاولاد من جسوم الحيوانات من الأربئة الجلدية كالجرب وغيره بواسطة الاحتكاك وانتقال جراثيم الأمراض السريعة العدوى . وأشد الحيوانات الأليفة خطرا على الانسان هي الكلاب والتقطط . وبجثنا اليوم بنوع خاص في الكلاب وأخطارها . وقد أخذنا هذه المعلومات الصحية عن اختبارات كبار رجال علم الطب في العالم الراقى الاميركي . واذا استصعب الانسان الحياة بدون كلب في بيته مثلا فليعلم أن حياته آمن وأنفع له ولغيره من حياة كلب . ومن الجهل الفاضح أن يعرض الانسان حياته وحياة عائلته لخطر الموت من أجل سلواه بمباشرة كلب أو أى حيوان آخر . ومثل السكب خطرا الطيور البيتية التي يدخلها الانسان الى بيته كالجمال والبيغوات والنموس والعضاير وغيرها . لكن أشد الحيوانات خطرا آكلات الأوساخ والهوام والديدان التي تحمل جراثيم أوبئة خبيثة

للكلاب مرض خاص خبيث اسمه مرض السود فان السود الصغير سريع النمو وكثير العدد في الكلاب . وينشأ فيهما من أكل الهوام والحشرات كالبراغيث والعث والعناكب والذباب . وهذه الهوام كلها سموم وجراثيم أوبئة خبيثة محمولة من الأقدار والجيف المنتنة التي تتغذى بها أحيانا كثيرة وبرغوث واحديا ككله كلب كاف لاملأ جسمه كله بمكروبات هذا المرض الخبيث وجعل أمعائه وكل أعضائه الداخلية تعج بالودود الصغير الذي قلما يزول الابعوت السكب ودفنه في مكان لاتصل اليه بقية الحيوانات . والسكب المصاب بمرض الجراثيم السوداء يعدى سواه حتى بأنفاسه والناس عادة يقبلون السكب في وجهه وفه ويسمعون له بتقبيلهم ولحس وجوههم ووجوه صغارهم ومنهم من يطعمه بيده ويدخل اصابعه الى فيه ويسمع له بالنوم في فراشه غير عالم بأنه يعرض نفسه للموت السريع بهذا العمل الفظيع والقذر

ولو أن الحكومات تأمر الناس بالابتعاد عن الكلاب وتمنع تربيتها وتقتلها كما تفعل في أحيان اشتباهاها بمرض السكب (بفتح اللام) فيها لأحسن صنعها وتوفر عليها وعلى شعبها أهم أسباب الموت الذي يجهل الناس أسبابه وزادت في رفاهيته وسعادته لأن السعادة تنتج أو ينتج أهم أسبابها من حسن الصحة العمومية وبعد الناس عن الأمراض (١)

### ﴿ أعراض المرض في الكلاب ﴾

ان للأمراض الخبيثة في الكلاب اعراضا لا تخفى على الناظر ولكن من الأمراض الخبيثة مالا أعراض لها في بدايتها ولا يشبه بها أحد فتعدى أسيادها بدون أن يشعروا وقبل ظهور الاعراض عليها ، ولهذا سواء ظهرت اعراض المرض في الكلاب أولم تظهر فخير لنا إبعاده عنا إذ لا فائدة لنا منه والرجل الذي لا يستطيع أن يحرس مواشيه أو بيته بنفسه فاذا تفيد الكلاب . والصيادون يغنى عنها أيضا واذا استغنى الانسان عن الكلاب يتحوّل قسم كبير من عناية الكلب وانتباهه اليه بدلا من أن يتسكل في كل شأن وعمل على كلبه . واعراض المرض في السكب انه يصاب باسهال دائم وضعف عزيمة وخوار وفقد شهية الأكل وسوء هضم وفقد النعومة في الشعر ، وأجرية الكلاب التي تصاب بهذه الأمراض تصاب باضطرابات وضيق نفس وحك جلدتها وتر كض من مكان الى آخر باضطراب وتصرخ بدون داع من الألم

(١) يقول المؤلف : وهذه معجزة اسلامية فقد ورد « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها »

وورد وجوب غسل الاناء الذي ولغ فيه الكلب سبعا إحداهن بالتراب

وأهم أسباب نقل هذه الأمراض الى الانسان أكل اللحوم غير الناضجة على النار لاسيما لحوم الخنازير التي تعيش على الأقدار والأوساخ والحشرات . وجراثيم الدود تنتقل من الكلب الى الخنزير والانسان بسهولة وسرعة غير يبتين وتدخل الى الانسان من فمه ومن عينيه بواسطة انفاس الكلب ومتى تكاثرت تتجمع في الامعاء . وقد صورت هذه الجراثيم في إمعاء كلب فوجدوها تبيض بيوضا صغيرة لاتكاد ترى بالعين المجردة و يبلغ مجموعها أكثر من ٤ مليون بيضة كلها تنقف وتتوالد وتكبر وتتمو حتى تقتل الجسم كله وللكلاب أيضا مرض اسمه مرض الجرب وهو مشهور ينتج عن وفرة الأقدار والمكروبات على جسمه وتغلغل البراغيث والبق الجرب في فيه . وهذا ما يشاهد كثيرا في الكلاب . فاذا أصيب الكلب بمرض الجرب فقتله بقى العائلة كلها من عدوى هذا المرض وجراثيمه المنقولة عنه بواسطة البراغيث والبق والبرغش والقمل . وللجرب جراثيم تتولد على سطح الجسم فتأكله وتسقط عنه الشعر وتفسده وتدخل الى داخله فتقتله أما الأدوية المستعملة لشفاء الكلاب من أمراض الدود فكثيرة منها المسهلات القاتلة لجراثيم الدود . وعندنا أن أفضل دواء لشفاء الكلب من أمراضه ومنع سرعان المرض الى سائر أفراد العائلة هو قتله أو إبعاده عن البيت الى حيث يموت وحده وتموت معه كل جراثيم مرضه . واننا ندهش من الانسان الذي يعرف شدة أخطار الكلاب والقطط والخنزير وسائر المواشى عليه وعلى عائلته كيف يسمح لها أو لنفسه بعد أن يعرف ذلك أن تقترب منه أو يقترب منها وهو المعروف بأنه الحيوان الراقى الذي يمتاز عن أخيه الحيوان المنحط بسعة العقل والادراك والانتباه والحذر وان لم يكن كذلك يفقد كل حق يدعيه للتفوق على الحيوان الذي يدب على أربع . انتهى من مجلة الشمس

\*\*\*

### ﴿ فائدة طبية في الخرشوف ﴾

جاء في جريدة الاهرام مانصه

#### ﴿ فائدة الخرشوف الطبية ﴾

نبحث في هذه المقالة عن الخرشوف من جهة فائدته في مداواة أمراض الكبد . وقد كان الأقدمون يعرفون هذا الامر ولكن أهمل استعماله حينما من الزمان والآن عادوا اليه في معالجة اليرقان وحصاة الكبد وغير ذلك من الأمراض التي تصاب بها الكبد وطريقة ذلك أن يغلى ورق الخرشوف ويحلى بالسكر ويشرب وقد لاحظوا أن منفعته لاتلبث أن تظهر

وفي الخرشوف مادة تقوى الكبد على التخلص من السموم المتسربة اليها وتساعد خلاياها على القيام بمهمتها وهذا الامر تهم معرفته الكثيرين لأن المصابين بأمراض الكبد كثير عددهم والناس يعوّدون شيئا فشيئا الى التداوى بالعقاقير الطبية التي كان الأقدمون يعولون عليها في معالجة المرضى وكان الاطباء قد انصرفوا عنها وآثروا عليها الأدوية الكيماوية

ومن النظريات الأولية أن الطبيعة أوجدت الدواء بآراء الدواء فهي « صيدلية واسعة » ولكن يجب البحث فيها وتعرف ما تحتوي عليه لوجود أدوية فيها تفضل كثيرا الأدوية التي يلتقونها في دور التحليل والعديدات وتكون معقدة التركيب وقد فهم الناس من عهد بعيد أن الطبيعة بنجوة من التعقيد ولذلك رأوا أن التداوى بالأدوية البسيطة أفضل من التداوى بالأدوية المركبة المعقدة

وفي لبنان أسرتان فيهما أطباء لا يزالون يعالجون مرضاهم بعقاقير يجمعونها بأنفسهم من البرية ولهم منزلة عند أبناء وطنهم وهؤلاء ثقة عظيمة بهم . انتهى الشذرة الرابعة

## ﴿ الشذرة الخامسة في فوائد أدبية ﴾ ( مقالات في كلمات )

جاء في مجلة « كل شيء » مانصه :

- (١) - « المواهب المعتدلة تكسب صاحبها الحمد وكثيرا ما تفوق شهرته شهرة صاحب الذكاء العالى »
- (٢) - « اذا كنا أصحاب كفاية احترمنا الرجال الحقيقيون . واذا كنا أصحاب سعد ونجحت احترمنا جمهور الشعب »
- (٣) - « إن حلاوة اللقاء هي ثمن مرارة الفراق . والا ما احتتمل هذه المرارة انسان »
- (٤) - « الفراق يطغى الشهوات الصغرى ويزيد العظمى كالريح تطفىء الشمعة وتزيد النار التهابا »
- (٥) - « كثيرا ما تصادفنا في هذه الحياة مفاجآت لا تزول إلا باستعمال شيء من الحق »
- (٦) - « ليس بين المصائب مصيبة لا يستطيع اللبيب أن يجنى منها فائدة له ولا العبق أن يجنى منها شرا عليه »
- (٧) - « اذا كان المرء لا يصطنع لنفسه أصدقاء جددا كل يوم الى نهاية عمره فسيجد نفسه وحيدا . فالواجب عليه أن يرم صداقته على الدوام »

### ﴿ الماء والصحة ﴾

الماء أهم مواد الطعام طرا والرجل البالغ الصحيح الجسم يحتاج كل يوم الى (٧٠) أوقية ماء حتى (١٠٠) أوقية . وثالث هذا القدر من الماء فى الطعام الذى نأكله فان الأعمار والبقول تحتوى على مقدار عال من الماء بالنسبة الى قيمتها الغذائية . أما الثلثان الباقيان فنشربهما ماء أو سوائل أخرى ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان جسم الصحيح البالغ يحتاج الى نحو ستة أرطال ماء يوميا ووظيفة الماء بناء أنسجة الجسم وتحليل الطعام وبذلك يساعد على حله الى الدم وتنظيف الامعاء ومنع تجمع الفضول فيها مما يفضى تجمعه الى تسمم الجسم كذلك ينبه غدد اللعاب فى الفم على الافراز واللعب يساعد على هضم المواد النشوية فى الطعام ويحل المواد الملحية والسكرية . انتهى من مجلة « كل شيء »

### ﴿ لطيفة ﴾

( فى قوله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله

وأولئك هم أولوا الالباب - )

هذه الآية أصل عظيم فى الاسلام توجب أن تنقب الأمم الاسلامية عن العلوم والصناعات والاختراعات وتصطفى أحسن ما أنتجته عقول الأمم وأبدع ما أبرزته مباحث العلماء وخير ما أظهره الجدوا برزه الاجتهاد وأدى الى القياس وأوضحه الدليل واضرب لهذا مثلا واحدا من آلاف . ذلك اختزال الكتابة فاسمع ماجاء فى جريدة الاهرام يوم الجمعة ٤ يوليه سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

### ﴿ طريقة الاختزال فى الكتابة ﴾

( اختراع شرقى لا غربى )

حضرة صاحب العزة المفضل رئيس تحرير الاهرام الغراء . يظن الناس أن طريقة الاختزال فى الكتابة هى حديثة العهد وان الذين اخترعوها هم الغربيون أسوة بغيرها من المخترعات التى اخترعوها

ولكن الحقيقة ان هذه الطريقة هي قديمة العهد جدا والذين اخترعوها هم الصينيون منذ نيف وألف سنة .  
والدليل على ذلك ما جاء بكتاب الفهرست لابن النديم المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجرى صفحة ٢٤ و٢٥  
طبع مصر قال : وللصين كتابة يقال لها كتابة المجموع وهو ان لكل كلمة تسكتب بثلاثة أحرف وأكثر صورة  
واحدة ولكل كلام يطول شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة فاذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مائة  
ورقة كتبوه في شح واحد بهذا القلم . قال محمد بن زكريا الرازي قصدي رجل من الصين فقام بحضرتي نحو  
سنة تعلم فيها العربية كلاما وخطا في مدة خمسة أشهر حتى صار فصيحاً حاذقاً سريع اليد فلما أراد الانصراف  
الى بلده قال لي قبل ذلك بشهر اني عزمت على الخروج فأحب أن تلمي على كتب جالينوس الستة عشر لأكتبها فقلت  
لقد ضاق عليك الوقت ولا يبقى زمان مقامك لنسخ قليل منها فقل الفتي أسألك أن تهب لي نفسك مدة مقامي وتلمي  
علي بأسرع ما يمكنك فاني أسبتك بالكتابة فتقدمت الي بعض تلاميذي بالاجتماع معا على ذلك فكنا تلمي عليه  
بأسرع ما يمكننا فكان يسبقنا فلم نصدقه الا في وقت المعارضة فانه عارض بجميع ما كتبه وسأله عن ذلك فقال  
ان لنا كتابة تعرف بالمجموع وهو الذي رأيتم اذا أردنا أن نكتب الشيء الكثير في المدة اليسيرة كتبناه بهذا  
الخط ثم ان شئنا نقلناه الى القلم المتعارف والمبسوط . انتهى

وإذا كان هذا الكتاب قد طبع لأول مرة في أوروبا سنة ١٨٧٢ ميلادية فلا يبعد أن يتكون الغربيون لما  
اطلعوا على هذه الطريقة أخذوا في الأسباب التي توصلهم اليها كما توصلوا الي غيرها من المخترعات الأخرى  
وفق الله الشرقيين الى اقتفاء أثر الغربيين الى ما فيه نفع المجتمع الانساني

وبهذا تم الكلام على سورة الزمر والحمد لله رب العالمين

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثامن عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم  
ويليه الجزء التاسع عشر وأوله سورة غافر )



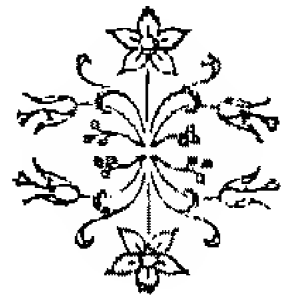
## ( الخطأ والصواب )

غلبنا التصحيح ففاتنا سقطت أشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاهوذا :

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
التجارة انتهى أقول	التجارة	٩	١٢٠	العلم	لعلم	٣٣	١٠
مرضاه	مرضاة	٥	١٢٥	محوطة	ألفا و	١١	١٦
يتوهم	بتوهم	١٢	١٢٦	قطر	محاطة	٣١	١٦
لا تؤدى	تؤدى	٤	١٢٨	اليقطينه	قدر	٥	١٧
النبات	النبات	٩	١٣٢	بانت	اليقطينيه	١١	٢٣
منجى	منجا	٩	١٥٠	ابتداء	بانت	٣	٢٩
يثاب	يجب	٣٣	١٥٣	والريق	ابتداء	٦	٢٩
انكارا	انكار	١٩	١٦٢	عليها	والريق	١٠	٣٠
البروستاتى	البرستاتى	٢١	١٧١	صرب	عليه	١٥	٣١
الأحوال	الأسوال	٢١	١٧٢	من لم يتعمق	ربح	١٦	٣٩
وتثقف	وتثقف	٢١	١٧٢	هذا	من يتعمق	١٩	٣٩
ونشوء	ونشوة	٢٧	١٧٢	مظهر لغيره	والنور هذا	٢٣	٤٩
الحاله	الجاله	٧	١٧٣	والثالث والرابع	يظهر لغيره	٢٤	٤٩
القرية	القرية	١٠	١٧٣	ينبى	والثالث والرابع	٢٣	٨٨
منى	من	٢٠	١٧٣	لم يحز	ينبى و بين	١٩	٩٠
١٣٥٠	١٣٥	٧	١٨٨	ظبيان	لم يحز	٥	٩١
البن	البن	٣	١٨٩	واصبر	طبيان	٢١	٩٢
تحت العنوان	تحت	٢٩	١٨٩	خلفاءها	واصل	٦	٩٣
س س	س س	٨	١٩٠	زن	خلفاؤها	٣٤	٩٩
ول	ول	٩	١٩٠	فأبى	ازن	١٠	١٠٤
تكون كثافة غباره	يقلل ضوء الشمس	٢٢	١٩١	إياك	فأبى	٢٥	١٠٤
أكثر من كثافة				ليقدد	اباك	٢٧	١٠٤
ما هو أعلى				فساررته	كيقدد	١١	١٠٧
يكونان	يكونا	٥	١٩٢	والانتمون	فساررته	٢٩	١٠٧
التاسع	لتاسع	٢١	١٩٣	والقنبيط	والانتمون	٢٨	١١٥
السريان	السريانى	٢٦	١٩٥	والقنبيط	والقنبيط	٢٢	١١٧
وفى الرابع	وفى الرابع	١	٢٠٢	الجزع	والقنبيط	٢٣	١١٨
					الجزع	٣٥	١١٩

صواب	خطأ	سطر	تخفيفه
إذا	وإذا	١	٢٠٥
عليها	عليهما	١٨	٢٠٥
روحا مسكينة	روح مسكينة	١٣٣	٢٠٧
عالم	علم	٢	٢٠٩
اخصاب	اخصاب	٣	٢١٠
لهم	له	٧	٢١٤
وموافقة الحياة	وموافقته والحياة	٣ و ٢	٢١٦
وغلبة	غلبه	١٥	٢٢٤
تجتمع	تجتمع	٢٥	٢٢٧

( تمت )



## فهرست

( الجزء الثامن عشر )

### من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيحة

- ٤ ﴿ سورة الصافات أربعة فصول : الفصل الأول ﴾ في تفسير البسملة  
فكرتني قبيل فجر ٢٤ مايو سنة ١٩٣٠ في تفسير البسملة في سورة الصافات
- ٥ لما تجلت لي أنواع الجمال في هذه الدنيا حين هبت النسمات وتمايلت الأغصان رأيت أن الدنيا عجوز شوهاء عند الجهلاء وهي عروس لبست الحلى وازينت عند الحكماء . فههنا زينتان : زينة يراها البصر بالأنوار والجمال وزينة تدركها البصيرة بسبب الرحمة ، ذلك كله في البسملة التي يقرؤها الجهلاء ولا يعرفونها إن الرحمة في هذه السورة تذكرنا بجمال السموات والأرض والمشارق والمغرب وزينة الدنيا المذكورات في أولها ، ومن الرحمة محاورات القرناء إذ يلوم كل منهم الآخر تذكيرا للمفكرين وتقريرا للعافلين ، ومنها تساؤل أهل الجنة وقول بعضهم انه لم يعبا بأغواء قرينه له في الحياة الدنيا ، إذن الانسان له ﴿ ثلاث حالات : أولا ﴾ تكون له حياة ومن أسبابها هذه الأنوار ﴿ ثانيا ﴾ تعرض له الشبهات ﴿ ثالثا ﴾ اذا خلص منها فقد كملت حاله ، وهذا كله في الآيات بالترتيب ، ويلى هذا تطبيق وهو نجاة نوح ومن معه و ابراهيم والياس ولوط ويونس . ومن عجب أن ﴿ سورة الصافات ﴾ لخصت في آخرها كما لخصت ﴿ سورة يس ﴾ كذلك في نفس الآيات
- ٧ ﴿ الفصل الثاني ﴾ كتابة الآيات من أول السورة الى قوله تعالى - إلا عباد الله المخلصين - مشكلا بالحرف الكبير
- ٩ التفسير اللفظي لهذا الفصل من أول السورة الى قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب -
- ١٠ إيضاح قوله تعالى - إلا من خطف الخطفة - الخ وبيان أن هذه العوالم مملكة بديعة ولن يكون أهل المملكة سعداء إلا اذا حفظت من الأشرار والأشمرار هنا هي النفوس الضعيفة من الأدميين ومن الجن وكلاهما مطرود عن الحكمة ، فأكثر أهل الأرض اليوم يعيشون وهم لا يدرون ماهذا الوجود بل حياتهم كلها وقف على الشهوات والأحوال الجزئية فهم يقذفون من كل جانب دحورا بشهواتهم والسياطين يقذفون بالشهب والطائفتان لم ينالا الحكمة المحيطة بهم
- ١١ مثال يوضح أن الخطفة تكون حسرة لقوم وهدى لآخرين كأن يسمع رجلا ن آية - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - فأحدهما يتحسر على ذلك والآخر يبتدى
- ﴿ لطيفة ﴾ في أن مسألة الشهب كانت عند القدماء في الاسلام مشكلة في الفلسفة القديمة ولمسكنها في الحديثة موافقة للقرآن . أسرار القرآن في علم الأرواح والتصوف وأن الأرواح العالية لا تخاطب إلا نفوسا نقية والأرواح الناقصة تسر بمحادثة الجهلاء
- ١٢ بيان أن كشف حجاب الحس ليس مقصودا للا كابر وما هو إلا لذة من لذات النفوس يتصدها قوم في الحياة وهذا جهل والصوفي المعرم بمعرفة ما وراء الحس مخدوع وذلك استدراج له ، ولا فرق بين الصوفي الذي قصد بالعبادة معرفة زمن موت زيد وحياة عمرو وبين محضر الأرواح الذي يقصد أمثال ذلك

والفرقان اذا قسدا رقى الانسانية بالعلوم العائمة فهما ممدوحان

تفسير الآيات من قوله تعالى - فاستفتهم أهم أشد خلقا - الى قوله - إلا عباد الله المخلصين -

١٤ ﴿ وصف أهل الجنة ﴾ ما كانهم ومجالسهم وشرابهم ونساءهم ، وحديث أهل الجنة

١٥ جوهرة في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا - الخ والكلام على المجرة ومركز الكائنات ، وبيان

رأى الدكتور (شابلي) الأمريكي وهو أن الكون لا فراغ فيه وأن الشمس لانهاية لهددها وأن بعض

المجرات يصل ما بين طرفيها الى ما يزيد على ألوف الملايين من السنين النورية ، وأن نظامنا الشمسى مع

مجرةتنا كرة واحدة تدور بسرعة (٢٠٠) ميل في الثانية كما تدور الأرض حول نفسها ولا يتم دورته في

أقل من (٣٠٠) مليون سنة والمسافة التي تجتازها المجرة تباع نحو ١٦٠ مليون مليون ميل و ٨٩٢

ألف ميل ، وكرتما الأرضية كطفل حديث الولادة في الأجرام الفلكية ، ومركز الكائنات نقطة بين

المقرب والحية والراعى ، وهذه النقطة تبعد عن أرضنا بنحو (٥٠) ألف سنة نورية وعدد نجوم مجرتنا

يبلغ عشرة آلاف مليون نجم والمركز المتقدم حوله (١٠٠) مليون نجم من هذه الملايين وتجانة المجرة

تباع نحو (٥٥) ألف سنة نورية

١٧ والسكل كوكب حد لا يتعداه والنجم المسمى (منكب الجوزاء) شمس تساوى (٢٥) مليون شمس

كشمسنا ، وقد عرف الناس مجرات كثيرة بواسطة التلسكوب ، ومتى أنشئ تلسكوب مرصد (مونت

ريلسون) الجديد الذى يبلغ قطرعدهسته (٢٠٠) بوصة فسيرى الناس عجائب كثيرة ولو أصيبت مجرتنا

بكواكبها البالغة (١٠) آلاف مليون كوكب أصبح أقرب المجرات اليها لا يعرف هذه الإصابة إلا بعد مئات

الآلوف من السنين لأن الضوء يظل متصلا تلك المدة لشدة البعد ، واذا كانت المجرة يوهها (٣٠٠)

مليون سنة ، فسألة خلق العوالم فى ستة أيام أصبحت سهلة جدا ، واذن اليوم عند ربك يكون ألف

سنة و ٥٠٠٠ سنة و ٣٠٠ مليون سنة وأكثر من ذلك وأقل إذن أسرار القرآن ظهرت فى هذا الزمان

١٩ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى قصص الأنبياء من قوله تعالى - ولقد نادانا نوح - الى قوله - فتعنهم الى

حين - كتب مشكلا

٢٠ التفسير اللفظى لقصة نوح و ابراهيم وموسى وهرون والياس ولوط ويونس

٢٣ أقوال التواراة فى مسألة يونس ، و بيان الكلام على يونس و ابراهيم وأن الأول تعجل والثانى صبر

﴿ الفصل الرابع ﴾ من قوله تعالى - فاستفتهم - الى آخر السورة

التفسير اللفظى لهذا الفصل

٢٥ ﴿ لطيفة ﴾ فى آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ وخواطر المؤلف فى ذلك . و بيان أن الانسان حين

يرى الكواكب تكون له حال من أربع (١) إما أن يرى يبصره فقط (٢) أو يحس مع ذلك بالجمال

(٣) أو يفكر فى بدائع الحساب والنظام (٤) أو يفكر فى صفات الذى أبدعها ويستغرق فى حبه ، وكل

مرتبة تتوقف على ما قبلها ، فالأولون همج ، والآخرون هم الأعوان ، والثالث والرابع متوسطون

٢٧ وكما أن الناس اذا نظروا الكواكب لهم هذه الدرجات الأربع هكذا الذين يقرؤن القرآن لهم هذه الدرجات

(١) فمنهم من يكتب بالالفاظ (٢) ومنهم من يكتب بالبلاغة (٣) ومنهم من يزيد فيعرف العلوم الكونية

(٤) ومنهم من يفكر فى صفات خالق العالم ، ونظرات الفلاسفة على هذا النمط ، فطاليس المالى

وديموقراطيس (١) كالفرىق الأول وقفوا عند المادة وقالوا : « أصل العالم الهواء أو الماء الخ » ثم



جاء السوفسطائية (٢) فتجبروا (٣) ثم جاء فيثاغورس وأنبذقليس . فقال الأول : « أصل العالم الحساب » وقال الثاني : « أصل العالم المحبة والنفور » (٤) وجاء آخرون وهم أنكساغورس وسقراط وأفلاطون فقالوا : « للحساب حاسب ، فالعالم له إله أبدعه » وهذه السرجات الأربع لا يشد عنها عالم في عصرنا الحاضر . فكل المتعلمين في المدارس المتجبرين هم من الفريق الثاني ، وكل من يقولون « إن الإله موجود ولكنه ترك العالم » فهذا مثل أنكساغورس لأنه أثبت الإله واسكنه يقول إنه ترك المادة أما سقراط ومن بعده فانهم يقولون : « إن الله يعلم كل جزئي وكلّي »

٢٨ وهذه النظرات الأربع لها نظائر في نظرات الخليل الأربع : للكوكب والقمر والشمس ثم وجهه وجهه لله . فهذه أربع مراتب ماقبلها . وههنا بيان أن هذه النظرات الأربع عند كل الأمم تتأجها أن تكون جزاء للمحسنين ، وهل جزاء المحسنين إلا الفرح بمعرفة الحقائق السكينة ومعجائب المصنوعات . تفصيلا فلا يقف الانسان عند الاجال ، ولا يجمل عقله ، موقوفا على الامور الجزئية فهى باب الضلال والخيرة كأن يرى الذكي فقيرا والغبى غنيا وهكذا ، وكأن يدهش إذ يرى الفيل وهو كبير له أربع قوائم ، والبقر وهو صغير له ستة أرجل وجناحان فتكون هناك الخيرة ، فهذه الامور من لم يكن مرتاضا بالعلوم حيرته فأضلته ، ولكن السعيد من يزداد بصيرة بمعرفة المعجائب تفصيلا

٣٠ وهنا حكايات تقص للعامة فتنتفعهم إذ عجزوا عن ادراك الحقائق الحكمية ، فيذكر لهم قصة ذلك الفارس الذي شرب من ماء العين ونسى صرّة فيها دراهم وجاء بعده راعي غنم فأخذ الصرّة وجاء بعده رجل حطاب مقوس الظهر يحمل حزمة حطب فخطبها واستلقى فجاء الفارس فسأله عن الكيس وهو لا علم له به فقال لا أعلمه فقتله ، ثم ظهر بعد ذلك أن أبا الشيخ الحطاب قتل أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لأبي الراعى بمقدار مائتي الكيس ، وهكذا حكاية النبي الذي رأى غلاما مكفوقا والصبيان يفوضونه في الماء فدعا الله فردّ بصره فلما أبصر أفرق حالا أحد الصبيان وطلب غيره فهرب الباكون فعرف الحكمة وطلب من الله أن يرجعه كما كان ، ومن ذلك حديث الخضر وموسى في القرآن وبالاختصار :

(١) إن النظر في العوالم يقربنا من الله

(٢) وأن النظر في الامور الجزئية يجعلنا في شكوك

(٣) وأن العلماء المفكرين يحصل لهم يقين وهو نفس السعادة أما العامة فكفاهم حكايات ، كما تقدم

٣١ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ . اذا كنا نسمع سقراط وأفلاطون ومن نحا نحوهما يقولون : « إن المادة لا تصلح مناطا للعلم لسرعة تغيرها ولا يصح أن تسمى موجودة إذ لا معنى لها هو متغير » ونرى أرسطاطاليس يقول لهما : « نعم المادة لا تصلح مناطا للعلم » ولكن المثل الأفلطونية التي جعلها أفلاطون مناط العلم لا تصلح لذلك لأنها لا دليل على وجودها ، فهكذا هنا نحن نقول : إن ما هو متغير لا يصلح مناطا للسرور والفرح ، وجميع الزينة على الأرض قسيان : طبيعية كالأزهار والأشجار ، وصناعية كالزينات المنصوبات في الولاثم وما أشبهها ، والعامة أكثر فرحا بالصناعية منهم بالطبيعية لأن الصناعية فعل مخلوق مثلهم والطبيعية فعل الله ، أما زينة السماء فأكثر الناس عنها غافلون ذلك لأن أكثر الناس مغمورون في الشهوات من النساء والبنين الخ فليس عندهم وقت للتفكير في مثل هذه العوالم العجيبة ، وأما زينة بعض الملوك والأمراء ونحوهم فهى على قدر عقولهم فتبهرهم . فهؤلاء كالشياطين الذين جاء فيهم - وحفظناها من كل شيطان رجيم - الخ وانما حرموا لضعف بصائرهم . فالجهال كالسفهاء في آية - ولا تؤتوا السفهاء أموالكم -

٣٤ بهجة العلم في آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ . في ليلة ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ بت مع الفلاحين في القرية وقد شاهدت المجرمة . ولما طاع النجر خيل لي أن هنا ستارا أسدل على النجوم وعلى الزرقة السماوية . وهذا الستار لاهومن قطن ولاصوف الخ بل هو نسيج أدبجت فيه الصفرة والخضرة والجرمة الى آخر الألوان السبعة . وما هذا النسيج في مادة بل هو حركات في الأثير . فهذه الحركات بانتظامها صارت ستارا مكونا من سبعة ألوان فصارت أبيض وحب تلك العجائب الليلية . وههنا فصول متعاقبة من الليل والنهار تشابه الفصول المتعاقبة في النفوس الانسانية التي تنام فترى صوراً في الأحلام عجيبة . فإذا أغمض الانسان عينيه رأى صوراً عجيبة في الأحلام هكذا اذا جئت الظلام رأى في السماء صوراً عجيبة . واذا استيقظ ذهبت تلك الصور الخفية . هكذا اذا طلع الفجر غابت تلك الصور السماوية . ولقد قلد الناس في دور التمثيل صنع ربهـم . فهم اذا أرادوا اظهار صور عجيبة تسرّ الناس أطفوا المصابيح وأظهروا تلك الصور التمثيلية . فاذا أتوا عملهم أضوا المصابيح فرأى الناس بعضهم بعضا كما يحصل نظيره اذا طلع النهار . وهذا تقليد الناس لفعل ربهـم في صنعه الليل والنهار . ولقد قلدوا حيوانات كثيرة . قلدوا الجرذان في الحياة تحت الأرض والظباء في الحياة في الأدواح واتخذوا بيوتنا كما اتخذت النمل وهكذا . ولقد كان نسيج الصباح جيلا مصنوعا من الحركات البديعة لأنه نسيج اللطيف الخبير الذي جعل نسيجه فيما هو لطيف . فأما الانسان فنسيجه في المادة وهي غليظة

٣٥ نظر المؤلف في المزرعة إذ تبنت الزهرات المختلفة وهن ذوات ألوان بهجات وقال كأنهن ينظرن الى كما كنت أتخيل النجوم تفعل ذلك ليلا وآنت القطن قد بدا من أكامه وخيلت لي الدنيا كأنها عروس بهجة جميلة قد ازينت للناظرين والزهرات وماعها يسلمن علىّ وهنّ باسمات محليات بأقراط من الماس من الندى فلم آتمالك نفسي أن قلت : « يا الله . أفع هذا الجمال كله يكون خوفنا منك ؟ فن جهل هذا فهو أحقّ بالخوف منك . أما الحكيم فن حقه أن يفرح بك »

الجاهل زين الله له شهواته والحكيم زين له السماء والطبيعة . إحساس المؤلف بأن قرأ هذا التفسير لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة بالسرّات بجمال هذه الدنيا وأكثر الناس يموتون ولا يفهمون هذا الجمال . إذن الدنيا ازينت هذه الطبقة وأمثالها وسواهم همج الهمج

٣٧ ما حقيقة السموات ؟ وهل للنور وزن ؟ واذا كان النور ببق طويلا ؟ أفليست الأرواح أولى بذلك الدوام . أدلة القدماء والمحدثين على أن للسماء وجودا . فالأثيون استدلوا بالنور والظلمة فهما عرضان قلما بجوهر أوجوهان . إذن هما موجودان . والمحدثون قالوا انها موجودة لأن الأثير الذي تخيلناه يحمل انتقال هذه الكواكب التي لاحد لها بر ان كشافه المليمتر الواحد من هذا الأثير الذي تخيلناه لا تنقص عن (٢٢) ألف قطار وهذه لانظر لثقلها في المادة . إذن ظهر سرّ آية - وبنينا فوقكم سبعا شدادا - وههنا بيان الأوصاف التسعة للأثير من كونه شفافا كثيفا مرنا لحرارة له ولا صوت وفيه الجاذبية بقسميها وههنا ذكر آراء (نيوتن) فيه انه أشبه بالحبل وهو يجسن القائل انه ذرات الخ وفرنل الفرنسي وكوتنفي وجورج توكس وماكسول وامايقين وايشتين . وبيان أن النور الخارج من الشمس في الثانية ٤ ملايين طونولاته . ذلك انهم وجدوا أن الأشعة الكاشفة المنبعثة من جهاز قوته (٥٠) -صاناً في مدة (١٠٠) سنة لا تبلغ أكثر من جزء من عشرين مر الأوقية . ولو كان هذا المقدار من تراب الأرض لأقيم به عمود قاعدته (١٠) يردات سرابعة وارتفاعه ربع ميل . وهذا المقدار أيضا يحتاج في حمله الى ١٠٠٠٠٠ قطار في كل ثانية وكل واحد منها يحمل (٤٠٠) طونولاته . هذا ولا جرم أن الضوء نراه بعد مئات

الملايين من ابتداء خروجه من كوكبه . فاذا كانت هذه حال الضوء فالأرواح بقاؤها من باب أولى فهو دليل على الحياة الأخرى بطريق قياس التمثيل

٤١ وذكر أن المؤلف نام ليلا في الحقل في أواخر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظ قبل الفجر ورأى الكواكب بهيئة لم يهدها في المدن ولا في القرية التي ولد فيها لأن هيئة النجوم في جهات الجبال والصحاري غيرها في المدن وبلاد الريف وهبت النسمات واضطربت بحسب منظر العين تلك المصايح وهن راقصات مستبشرات ، ورأى الدبران والثريا والهنعة والهنعة ونجوم الجبار

٤٣ امتحان عقول الناظرين من الأمم في الأرض :

(١) فالبدوي تخيل القمر رجلا والثريا امرأة وقد طلبها لزوج فأبت فأرسل اليها الدبران ليقتم لها مهرا وهو الكواكب السبعة اللاتي تشبه شكل الدال فهو أبدا يسوق الغنم لها وهي أبدا لاتقف ولا ترضى

(٢) والعاشق العربي تخيل الليل خيمة جهته ومعشوقته سامي

(٣) والعاشق الاسلامي يخاطب الليل متخيلا انه كافر وانه هو يجاهد ذلك الكافر وبوازن بين محبوبته وبين البدر ويفضل محبوبته على البدر

(٤) والشاعر الذي وقف بباب الأمير يستجديه لتأخر الأمم الاسلامية في القرون المتأخرة يتخيل الجوزاء المتقدمة واقفة أمام الملك أو الأمير وهي ذات نطق ، وبيان ما قاله (سديو الفرنسي) من أن شعراء الاسلام يساؤون في العدد شعراء الأمم والأندلسيون لما أغرموا بالشعر نسوا عقولهم ودينهم ووطنهم فطردوا من البلاد وهذا قوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاوون - الخ وبيان أن الشاعر العربي كان يتغزل في محبوبته فلا يذكر اسمها غالبا وشعراء الجاهلية يعتنون على الأصابع وفي العصر الأموي كانوا أضعافهم ، وهنا كثر الغزل والتشبيب لاسيما في المدينة التي عمر معاوية أبناء الصحابة القاطنين بها بالمال فكثرت القصف والغناء لوفرة المال وكثرة السبايا والمحظيات من الجوارى المسبيات في الحروب فهؤلاء أصبحوا مغرمين بزينة الشهوات لا بزينة السماء المذكورة في هذه الآيات فقد زينها الله للناظرين وأكثر هؤلاء ينظرون الشهوات ، وقد منع الخلفاء الرشيدون التشبيب والغمس المسلمون بعدهم في الشهوات ، وكتاب الأغاني أكبر مفسقة اسلامية

٤٥ نداء المؤلف لام الاسلام يذكرهم بأن أبناءهم أمانة في أيديهم فليرفخوا عنهم الشعر المهج للشهوات في شبابهم وليقتصروا على شعر الجاسة والأدب والنخوة والشرف كقول عمرو بن كاثوم :

إذا ما الملك سام الناس خسفاً \* أبينا أن نقرر الدل فينا

وليهرت فوهم الزينة السماوية والأرضية وهما يشملان جميع العلوم فان الله ابتلى أهل الأرض بالزينة . فالغافلون من المسلمين وغيرهم زينت لهم الشهوات كالبهائم والشعراء ونحوهم والخواص زينت لهم الطبيعة من سموات وأرضين والفرنجية عرفوا قيمة هذه الزينة فأدلوها المسلمين لأنهم لم يفهموا في هذه القرون - وزيناها للناظرين -

٤٦ بيان أن العلم جنة العارفين وأن الاقتصار على الجنة الحسية انما يكون عند الجاهلين . ولا جرم أن لذات

العقول أرقى من لذات الأجسام . وبيان مراتب الناس في اللذات . وبيان أن الشجاعة والحب صفتان بهما سعادة الانسان في هذه الحياة ومن لم يعرف العجائب لا يدخل الحب قلبه . ولذة معرفة العجائب فوق اللذة الغضبية والشهوية بما لاحظه وكلما ازداد العارف علما ازداد لذة . وذكر كلام الامام الغزالي

في سبب تفاوت الناس في الحب . وبيان أن الجمال في هذه العجائب السماوية والأرضية لا حد له والانسان يدركه وهو صغير فيعتهه فلا يفهم له معنى وهكذا يدوم على ذلك حتى يموت وهو لا يعقله ، فأما المفكر فإنه يقول في نفسه : « إن أعضاء جسمي مدهشة بديهة التركيب وهكذا روحي وكل موجود في الأرض وفي السماء ولكن هذه الدلائل لا حد لها فصارت كالشمس والشمس تبهر العيون فهكذا هذه العجائب بهرت بصرتي فحجرت عن الادراك ولولا أن النور يخفت في غيب الشمس ما أدركنا أن ههنا نورا ولكن السرّ الإلهي لم يغب عن الوجود لحظة . فالنور عرف بظنه وهذه الشواهد لم تفقدها لحظة فكيف نعرفها كما عرفنا النور بالظلام أي بظنه

٥٠ ﴿ زور بيده ﴾ في قوله تعالى : فأنتبهه شهاب ثاقب - والكلام على حوادث كرة الأثر من الشهب الساطعة واقتضاض الكواكب وذوات الأذنان . وبيان آراء القدماء الذين وصفوا هذه الشهب بأنها عمدة مخروطية قائمتها على كرة النار ( التي كانوا يعتقدونها تابين علماء اليونان ) وخروطها يلي وجه الأرض وهي في زرعهم دخان يابس خارج من الأرض اشتعل هناك ثم انطلقاً كالسراج المشتعل بالنفط مستدلين على أنه دخان بأنه يظهر أيام الجذب أكثر ومثاؤها بالكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات المجهولة من سندروس وعقاقير أخرى وينسعونها في أفواههم ويرقصون بها . ويقول علماء العصر الحاضر . كلا . ثم كلا . إنما الشهب أجسام صغيرة لا تزيد الواحدة منها عن حجم البلاطة وهي تدور مع كثرتها حول الشمس في كل ( ٣٣ ) سنة مرة واحدة ولا حصر لمددها وقطر المسميات منها بالأسديت ( ١٠٠٠٠٠ ) ميل أو أكثر والذي يخرق جوّنا ونهره منها في كل سنة ( ١٥٠ ) مليوناً وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى فيها . هذه هي الشهب . أما السكرات النارية فهي تظهر وتختفي بسرعة ولكنها أبطأ من الشهب وهي تنزق بالقرب من الأرض وفي تركيبها الحديد والسليس والميزيا والنيكل وغيرها وأعلى ارتفاعها ( ٢٠٠ ) كيلو وهي قذاع صغيرة إذا قربت من الأرض جذبتها وهي المسماة بالحجارة الجوية . وههنا أوضح المؤلف الفرق بين مازعمه القدماء وبين ماحققه المحدثون . هذا ما جاء من جهة العلم . أما من جهة الدين فإن الأرواح الشيطانية تعيش في هذا الجوّ ونحوه وهذه السكرات والنيازك تنفص عليها حياتها فلا تفكر في الحقائق والمعارف وتصرف عنها وتحفظ السماء منها كما تصرف العلم عن النفوس الانسانية المجسمة الشيطانية سواء بسواء وهذا بعض عذاب البرزخ وناره

٥٤ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - وبيان أن الناس قسمان : عالم وجاهل . فالجهال كاللذود والحكماء على نقيضهم . وكل فريق لا يعيش إلا مع مثله . والمسيح مسيحيان مسيح صادق وهو معروف . ومسيح كاذب . ويرمز بهذا لكل الأمم والأفراد المضلين الذين يظهرون الصلاح ويضمرون الفس كما تعمل دولة أوروبية ببلاد المغرب وكما قاله هنري الفرنسي . إن الخرج جلبتها أوروبا لجزائرهم لك المسلمين بها فنعهم الدين . فأمثال هذه الأمم المقصودون على طريق الرمز بالمسيح الدجال وهم الذين سهلوا دخول المخدرات بلادنا . والذي كشف هذا رجل انجليزي وهو الحاكم مدار بمصر فكشف أن الكوكابين والهرويين يسممان الأجسام . وقد جمع الشرطة ( ٢٥٠ ) رجلاً من هؤلاء المدمنين . وههنا قصص النجار الذي ابتلى بهذه المخدرات وطلب من امرأته أن تباع عرضها وأجر ابنتيه في المنازل للخدمة

٥٧ صور هؤلاء المدمنين ( شكل ١ ) وههنا أظهر الحاكم مدار ( رسل باشا ) أن هذا الداء انتشر بين الفلاحين وعاب أوروبا على أنها أهلكت مصر بهذا ومن تلك الدول المهلكة لمصر سويسرا وألمانيا وفرنسا



وايطاليا واليونان ونحوها . هذا كله من تفسير قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - فهؤلاء احشروا معا في السجون وصوّروا بالتصوير الشمسي ، فشكل طائفة لا تحشر أفرادها إلا مع أمثالهم والذي احشروهم هم الدجالون الاوروبيون المستعمرون أولا والصانعون لهذه المخدرات

٥٩ بيان السبب في انتشار المخدرات بمصر وهو الجهل الذي نشأ بين أهل الأندلس المسلمين قديما فشنت شملهم حين اتفق الصليبيون على محاربة العرب بالخر واجتقار الدين و بث حب الشهوات والاستدانة بالربا وفرح الملوكة بها وخالفهم رجل منهم فلم يعبؤا به ، فانتشرت الموبقات وطرد المسلمون من هناك ، وهامهم أولاء يطاردون المسلمون في الشرق ، فهم أتباع المسيح الدجال فعلا ، ألم يقيم راهب اسباني فيسقى أبناء المسلمين تلاميذه الخمر بعد أن عصرت عن قرطبة كلها فجعله خرا

٦١ ذكر اعتراض على المؤلف بأن هذا خارج عن الآية لأنها في الآخرة وجوابه بأن الآية تشمل هذا كما كان يفهم الصحابة ، ألم يستشهد عمر للربيع بن زياد لما قال له : أريد لك طعاما ألين من هذا بآية - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - فلم يقصرها على الكفار وان كانت واردة فيهم

٦٢ الكلام على آية - وقفوهم انهم مسئولون - الخ وخطاب من المؤلف للأمة الاسلامية ومنها بلاده المصرية يقول لهم : « كفوا عن الجلوس في محال الفرنجة المعهدة للشرب حتى القهوة ورقوا تجارة الأوطان واستغنوا بها عن تجارة الأجانب » ثم ذكرهم بما فعله البابا برومه وبارونات أوروبا من إشاعة الفسوق واذاعة الخمر في المسلمين لينالوهم وانهم بغير هذا لا يذلون ، فلما أخضعوا الأندلس أخذوا يخضعون شمال افريقيا كحصر وتونس والجزائر ومراكش ، وبيان أن أجسام الشرقيين قوية وهكذا عقولهم ولكنها متروكة ، الأطباء في أوروبا درسوا الماء والهواء والنبات وكل شيء ولأطباء في الاسلام إلا قليلا . سؤاس أوروبا بأخذوا ويفرقون بين أمراء الجزيرة ، فهؤلاء أتباع المسيح الدجال لأنهم يظهرون الخير ويبطنون الغدر ، يطلب المؤلف استخراج كل قوة من قوى الشعب وكل قوة من قوى المادة في بلاد الاسلام

٦٥ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - إني كان لي قرين - وذكر مسألة من المسائل التي جسدت عليها العقول ثم ظهر خطؤها بالخروج عن التقاليد ، فهذه الصخور المعدنية لما قال بعض العلماء انها أجرام سماوية ردّ عليه كثير منهم (لافوازييه) المشهور مدعيا أن هذا ينافي الجاذبية ولكن كروا الأعوام كذبتة هكذا كتاب أصل الأنواع لداروين قاومه العلماء ثم خدت عزائمهم ، وباستور كاشف المكروبات لما طعن عليه العلماء أولا ثم خضعوا له آخر . ونظرية دوران الأرض حول الشمس أزالت النظرية العكسية التي شاعت قبلها

٦٨ ﴿ تفسير سورة ص ﴾ وهي ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في تفسير البسملة والكلام على أن لفظ الجلالة تلاحظ فيه الذات الواجب الوجود . فأما الرحمن والرحيم فالملحوظ فيهما الكثرة في الخلوقات ونحن نرى الوحدة في جسم الانسان وروحه . والكثرة قد تجلت في الأعضاء والحواس . فالأعضاء منها ماهو للبطش وما هو للحس . وما للحس قد قسمت العوالم عليه من المهوسات والمشعومات والمنذوقات والألوان والأصوات . والذي للحركة مقسم على الأعمال لأنها إما أعمال انتقالية واما أعمال صناعية فالرجلان الانتقال واليدان للصناعات . ثم ان الحواس ابتدعت لاجتلاب صور الموجودات التي في الخارج الى الذهن فلا يزال يستحضرها وقتا بعد وقت حتى يعرف العوالم اجالا ويصل في العلم الى أقصاه ثم يستعين بالمناظير المعظمة والمقربة لتريه بقية العلم وهكذا يستعمل البراهين العقلية . إذن العقل يستخدم الحواس واستخدام الآلات لأجل المعرفة والعلم . وكما استخدم الآلات البصرية لمساعدة البصر وعلم المنطق لمساعدة البصيرة

استخدم القطرات والسفن البرية والبحرية لمساعدة الرجلين في الانتقال من مكان الى مكان واستخدم أيضا الآلات المختلفة في الصناعات لمساعدة اليدين ، ثم انه رأى له رأسا وعينين وثلاث مفاصل في اليد الواحدة وأربعة أعضاء باطشة وخمس حواس ، وأصابع اليدين خمس أيضا ، فهناك استعمل الأعداد لضبط العلوم لأن المادة لا يضبطها إلا العدد والعدد قد استنتجه من أعضاء جسمه ، فليدان لها عشرة أصابع واستمر في الزيادة (٢٠) و (٣٠) الى الآلاف وآلاف الآلاف ، ذلك كله لكبح جماح المادة وما الهندسة إلا نظام للتبادير المتصلة كما ان الحساب نظام المقادير المنفصلة . الانسان ابتدع نوعين من الصور نوع له صور في الخارج وهي العلوم الطبيعية . ونوع لا وجود له في الخارج وهي العلوم الرياضية . الانسان عالم بديع . فهو باليدين والرجلين تنقل في الأرض وصورها فيها صوراً مادية وأثر فيها بأنواع الحرف والحواس أصدر صوراً معنوية للمادة . فآلات البطش خدمت الجسم بصور المادة نفسها وآلات الحس خدمت النقل بصور مخترعة على مثال صور المادة المجرسة وهو من جهة واحد ومن جهة كثير . هنالك بحث فيما وراء المادة هذا الانسان الذي تصرف في المادة بالصناعة العملية وتصرف فيها بهد ذلك بالعدد والهندسة فضبطها بصور ذهنية قال أما واحد وقد حكمت على المادة ظاهرها وباطنها وروحي هي التي حافظت على كثيرتي فجعلت لها وحدة ، إذن هذا العالم كثيرة لا بد لها من وحدة تجمعها حكم الأكبر حكم الأصغر على قياس التمثيل ولكنه لم يقل ذلك إلا بعد أن تصور للاله دورا شتى اخترعها بالاقانون يضبط تصوره من فيل وحية وبقرة وهكذا والعلوم يصدقون والخواص يرمزون

٧٢ سياسة الأمم تتبع عقائدها ، فكما ضبط الانسان المادة بالعلوم الرياضية حفظت كثيرتها هكذا يضبط كثيرة أمته بوحدة العقيدة كما حصل أيام النبوة إذ جمعت العقيدة أشدات العرب المفرقين عقيدة وليست وحدة الدين بمجدية اذا بقيت في القلب ولم تسكن لها آثار في الخارج باجتماع الصلوات والأعياد وعبادة المرضى والاتحاد في الصيام والحج واثارة الفقراء بالزكاة . فالعرب اجتمعوا بالدين لما فعلوا ذلك وتفرقوا لما أصبحت العقيدة خالية من العمل . واجتماع الأمة يتوقف على هذه الأحوال وجاهة العصبية النسبية والوطنية واللغة والملاك الجامع والاستعباد والمعاهدة كلها تؤدي المقصود اذا قويت بالأعمال فاذا أهملت الأعمال تفرقت الأمم . واليابان عابدة الأصنام اجتمعت باللغة والوطن وهكذا . والعرب في مصر والعراق والحجاز وشمال افريقيا لم يفتوا الدين بالاجتماع واللغة والنسب ولا المجاورة فهم متفرقون حتى يفتوا ذلك . الأمم عمياء اذا لم تجتمع لبلدين ولا بنسب الخ . عوراء اذا اجتمعت بوحدة من هذه الخصال وكرهت بقية الأمم . ببصرة اذا اجتمع الناس كلهم . فأمم الأرض أكثرهم عوراء وكثير من أمم الشرق عمى لأنهم لم يصلوا للهور

٧٥ سورة ص فيها وحدة باعتبار أن أمثال مصائب أيوب ونعم داود وسليمان ترجع كلها الى الابتلاء فالناس يبتلون بالنعم والنقم فهنا وحدة في نفس السورة

٧٦ ﴿سورة ص﴾ مكتوبة مشككة كلها

٧٨ تفسيرها اللفظي

٨١ تفسير قصة سليمان . فتنة سليمان عليه السلام

٨٢ تفسير قصة أيوب . وصف الجنة

٨٣ تفسير وصف جهنم وقصة آدم عليه السلام

٨٤ ﴿الفصل الثالث﴾ في مقصود السورة . السورة مبسوطة بحرف ص وملخص ما فيها يرجع للبصر الذي

أول حروفه ص :

- (١) صبر الكفار على آلهتهم  
 (٢) فليصبر النبي ﷺ على ما يصيبه .. واصبر على ما يقولون -  
 (٣) - إنا وجدناه صابرا -  
 (٤) لم يصبر داود في مسألة الخصم حتى يسمع كلام الخصم الآخر  
 (٥) وهكذا سليمان تهجّل ولم يقل إن شاء الله  
 (٦) يظن الكافر أن السموات والأرض خلقت باطلا وذلك لعدم صبره على البحث في هذا الوجود  
 (٧) والصبر حتم على من منح النعماء كما أنه حتم على من أصابه البلاء كسلمان وأيوب
- ٨٦ - واتعلمن نبأه بعد حين - . من أنباء القرآن اليوم أن أتباعه (٣٥٠) مليون ، ومنها أن العلوم الحديثة طابقت مثل كون الأرواح أحياء بعد الموت ، فمن كانت أرضية الأخلاق كانت أقرب إلى الأرض ، ومن كانت أغزر علما وأصفي أخلاقا كانت في عوالم أعلى ، ومن عجب أن المؤلف رأى رؤيا كانت هي سبب قراءته علوم الفلسفة ، ذلك أنه رأى وهو في شبابه في المنام أن قائلا يقول له وهو في مقبرة قريبته في الفلاحين : « انظر هذه هي الروح ، فرأها أشبه بكرة بيضاء قليلا ، ولما أصبح وقع في يده كتاب ابن مسكويه فرأى أول عبارة فيه الاستدلال على بقاء النفس » ثم وجد أن آراء الفلاسفة كلها على نمط ما رآه ، فالنفس التي تميل للذات تنجذب للأرض وضدها تميل للعالم الأعلى ، عواطف المحبة والبغضاء لها سوائل روحانية تميزها الأرواح ، الأخلاق النميمة تتأذى بها الروح عقابا لها ، المغمومون بالملل يألمون لفراقه ، السفاكون والقتلى تطاردتهم أشباح من قتلوهم في البرزخ ، هناك للأرواح أطمان وأناسيد ، فهذه كلها أشبه بتفصيل لرؤيا المؤلف وموافقة للقرآن لأن القبر إما روضة أو حفرة الخ
- ٨٨ لا عمل يتم خيرا أو شرا إلا بالصبر ، فالكفار صبروا على الكفر والمؤمنون صبروا على الإيمان ، الألم روحي وجسمي فالأول لموسى وداود وسليمان والثاني لإبراهيم واسحق وأسماعيل ، الندم مظهر من مظاهر ارتقاء النفس
- ٨٩ تطبيق ذلك على نبينا ﷺ . معنى - وليتذكر أولوا الألباب - وأن هناك رابطة وثيقة بين أنواع الصبر المتقدمة وبين صبر القضاة العشرة الآتي ذكرهم ، ألا ترى إلى محمد بن عمران كيف صبر على أن يستعدي على أمير المؤمنين المنصور ويقضى عليه للعجمانيين ، وهكذا عاقبة بن يزيد القاضي الذي قدم استقالته للمهدي قائلا : « إن أحد الخصمين أحضر لي رطبا فلم أقبله فقال قلبي له وقت الحسك فعملت أتى لا أصلح للقضاء » وشريك بن عبد الله القاضي السكوفة إذ ظلم الأمير موسى ابن عيسى ابن عم أمير المؤمنين المهدي امرأة إذ خلط نخل بستانها بنخل بستانه فاستغاث بالقاضي فأمر بالحضارة فأبى وأرسل العظماء للقاضي واحدا بعد الآخر يفهمه أن حضوره لا يليق فبسطهم واحدا بعد الآخر ، وأخيرا حضر الأمير وأطلقهم من السجن فهم شريك أن يرحل إلى بغداد ويقابل المهدي ففزع الأمير موسى وسلم للمرأة ماطلبت وانتهى الأمر
- ٩١ ولقد أرسلت الخيزران نصرانيا من أتباعها إلى السكوفة فأخذت رجلا وكتفه وأهانته فاستغاث بالقاضي فاقتصم شريك من النصراني ولم يبال بأن الخيزران هي التي أرسلته
- ٩٢ وعبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقعة جاءه رجل فاستعدي على الأمير عيسى بن جعفر وكان له عليه (٥٠٠) ألف درهم فأرسل إليه ثلاث مرات فلم يحضر فأبلغ القاضي الخبر إلى أمير المؤمنين هرون الرشيد

فأرسل الجنيد وحاصروا دار ابن عمه فسلم الأمر للقاضي وأعطى الرجل حقه . وعمر بن حبيب القاضي إذ حضر في مجلس الرشيد ومال الخليفة إلى أن أبهر يرة متهم في الحديث فرد عليه القاضي ، فلما انصرف القوم بحث في طلبه مأمورا أن يحضروا الكفن معه لأنه لا محالة ميت ، فلما أبان للخليفة أن اتهام أبي شريفة يجرى إلى ضياع الشريعة أتم عليه . وحفص القاضي الذي حضر لديه رجل من أهل خراسان قد كان باع جمالا لمرزبان وكيل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فحضر عند حفص وأقر بالمبلغ فقال الرجل يعطيني مالي والا الجبس فقال الرجل الدين على السيدة أم جعفر فقال له القاضي يا مجوسى تقر ثم تدعى الله لأم جعفر فحبسه فبشمت أم جعفر فأطالته فتوجه المجوسى إلى أم جعفر ورجاها أن تردها إلى السجن وتسكام الخليفة الرشيد ففعلت فأرسل الرشيد خطابا فلم يقرأه حتى أنفذ الحكم فعلم الرشيد فأعطاه (٣٠) ألف درهم

٩٤ القاضي أبو حازم أرسل له المعتضد يطلب منه أن يعطيه نعييا من مال رجل أفلس فطلب منه البيعة فذكر رجلا فقال اجث عنهم خفاف الشهود أن يردّ شهادتهم . أبو حازم عبد الحميد القاضي كان متوليا وقت الحسن بن سهل وقد كان المعتضد أخذ من هذا الوقت شيئا أدخله في قصره ، فلما أراد قسمته على مستحقيه قال له القاضي خذ ما على أمير المؤمنين وأرسله إليه ليأخذ المال منه ففكر ساعة ثم أعطاه ومده . واسماعيل القاضي أرسل المعتضد له أن يرفع الحجر عن يقيم وهذا اليتيم مة كانت في دار الخليفة ، فلما سأل عنه وجدته لا يصلح للتصرف فأرسل إلى الأمير كتابا فيه مانصه : « - يادارد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق - »

٩٥ فهؤلاء عشرة قضاة وهذه أوصافهم فأخذت أفكر في مناسبة آية - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما بطلا - آية - يادارد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق - فرأيت مما في الأرض عالم النبات ويدخل في أغذيته هذه الثمانية الكبريت والحديد وهكذا ، وإذا نقص البوتاسيوم من غذاء النبات كان قصيرا جدا كالذي في (شكل ٢) وهكذا كل عنصر نقص من غذاء النبات نجد النبات نقص نموه بمقداره بحيث لا نجد هناك اختلالا ، إذن أبو حازم واسماعيل وعبيد بن ظبيان وشريك ونحوهم لم يفعلوا إلا تقليد ما فعله الله في النبات من العدل إذ ينقص نمو النبات على مقدار ما نقص من الغذاء بالعدل . وهذا هو سرّ ذكر آيات خلق السموات والأرض بعد ذكر خلافة داود وأمره أن يحكم بين الناس بالحق

٩٧ ومن هذا القبيل ما تراه في (شكل ٣ و ٤) من جذور النباتات المختلفة في البقعة الواحدة فلها تمتد إلى الطبقات التي تناسبها لأجل أن لاتزاحم غيرها ، فهذا عدل في داخل الأرض إذ قسمت المناطق الأرضية على الجذور المختلفة ، وهكذا أعطيت الجذور التي وجدت في غير طبقتها بصلات تجذبها إلى أسفل وإلى أعلى . أليس هذا هو قوله تعالى - اهدنا الصراط المستقيم - أليس هذا هو صراط الله -

٩٨ ﴿ تذكرة ﴾ ازدياد هذه العلوم يعطى ملكة التفكير وبها حصلت للأمم العظيمة ملكات التفكير ، وذكر ما كتبه المؤلف لوزارة المعارف يبين لها أن التعليم في زمن الاحتلال ضعيف لم يدخل فيه الفلك ولا العلوم الطبيعية وهو خائف أن يكون الوزير والمهندس غافلا في المستقبل ، وقد دخلت تلك العلوم وحصل التأليف وبعض التأليف أثرت ، وبيان أن المسلمين لهم عدوان : عدو خارجي هم المستعمرون وعدو داخلي هم الكذابون من شيوخ الصوفية وجهالة رجال الدين ، والمؤلف يوصي أذكيا القراء أن يذيعوا هذه الآراء في الأمم الإسلامية



٩٩ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ كيف تربي قضاة الأمم الاسلامية وحكامها وخلفاءها  
 ١٠٠ أذكر هنا ما جاء في « جمهورية أفلاطون » ثم ألقى على آثاره بما جاء في الكتاب والسنة . لقد ذم  
 أفلاطون الأمة التي يكاد فيها القضاة والأطباء . أما يقضى النضاة بين الأشرار من الناس الذين كثر  
 بينهم الخلاعة والفسوق ، ومن أسباب ذلك شيوع التنان في الموسيقى ، أما الموسيقى البتة فأنها تهيب  
 الأخلاق ، والطبيب لا يداوى إلا أولئك الذين يفترون أنواع الطعام ، فعلى الأمم أن يكون طعامها  
 بسيطا وموسيقاها كذلك والا كانت جاهلة . ومن عجب أن الامام الغزالي كان يسب على أمم الاسلام  
 كثرة فقهاها الذين يتولون القضاء إذ جعلهم جيشا عابلا والأمة أحوج الى نظام كامل بكل علم وصناعة  
 لا بالقضاء وحده ، ولما نظرت أمتنا بمصر الآن وجدت ﴿ ثلاثة جيوش ﴾ : أطباء وقضاة ومخامرين ،  
 وذم القاضي الذي ألف الرذيلة في صباه مدعيا انه بهذا قد أحرز قصب السبق في الدهاء فيعرف أسرار  
 التضايح مع انه هو قد أصبح هزوا وسخرية لافضيلة له في نفسه . ومدح الطبيب الذي جرتب الأمراض  
 وأدويتها في نفسه لأن القاضي يقضى بعقله وعقله قد ناله ما أصل بفضائله بخلاف القاضي فطبه بعقله لا  
 بشعنه وليس يمنعه مرض الجسم . ثم ذكر أن مصر اليوم ترقى في القضاء وفي الطب واتسع نطاقهما  
 وذكرا ما تقدم في ﴿ سورة يس ﴾ من أن الرياضة البدنية والعفة في المأكل والمشرب والتضلع في العلوم  
 الرياضية وفي منظم السكون من الواجبات في تعليم الملوك والأمراء ورجال الجيش والقرآن فهل ذلك  
 قال تعالى - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم - وذكر مسألة النهر وأن الذين لم  
 يشربوا منه قليل وهم الذين غلبوا . أما الشاربون كثيرا فأنهم لم يجاروا وهذه هي العفة بعينها .  
 وأمر الله بعدم الاسراف في الماء كل والمشارب . وجاء السبق والرعي في الاسلام لتقوية العضلات .  
 وجاءت الصلاة بدل الموسيقى وتنتأجها عظيمة بل كثرة الصلاة لا تؤدي الى رذيلة . أما كثرة الموسيقى  
 فانها تؤدي الى الضلال ولذلك كانت نتأج مدينة الاسلام أعلى من مدينة هؤلاء الفلاسفة بل نشين لم  
 تر لهم دولة اللهم إلا في الخيال

١٠٤ ومن قرأ الأحاديث الشريفة وجد تقليل الطعام في حديث عائشة أن آل محمد صلى الله عليه وسلم ما أكلوا من  
 خبز شعير يومين ولأمن البر ثلاث ليال وتمضى ثلاثة أهلة فلا يوقدون نارا ويا كاون التمرو يشربون  
 الماء لا غير . ولم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان ولا مرققا ولا رأى شاة سميطا بعينه ولم يلا بطنه من  
 ردى التمرو ولا رأى منخلا وكانوا يأكلون الشعير بالانخل ولم يأكل النقي ولما أكلوا من شاة عند  
 الأنصاري قال لصاحبيه لتسألن عن هذا النعيم

١٠٥ وفي خطبة عتبة بن غزوان انه كان سابع سبعة أكلوا الورق . وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم إزار غليظ  
 وكساء وكانوا يأكلون ورق السمر وكان أبوهريرة يعتمد على الأرض من الجوع . وهنا قصة قدح  
 اللبن الذي شرب منه القوم وآخروهم أبوهريرة . وقد يضع الرجل قدمه على عنق أبي هريرة ظانا انه  
 مجنون وما هو كذلك ولكنه به جوع . وفراشه صلى الله عليه وسلم من ادم حشوه ليف

١٠٦ ﴿ نصائح عامة ﴾ مثل أن نبذل الفضل من المال ونمسك الفضل من القول . ومثل أن المدار على أن  
 يصبح الانسان آمنا في نفسه عنده قوت يومه . فهذه تسكفي . وههنا مدح لمن آمن وعنده كفاف .  
 وههنا مدح للصبر على الفاقة ومدح للاقتصار في الأكل على ثلث البطن والبداذة وقصة أبي عبيدة إذ  
 أخذ معه جرابا من تمر وكان يعطى الرجل تمره فيمصها بالماء ثم يأكلون ورق الشجر

١٠٧ وهم كانوا ثلثمائة فرأوا دابة العنبر فأكلوا منها وحلوا معهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعينها

كانت تسم (١٣) رجلا منهم والبعير برحله يمر من تحت ضلع من أضلاعها . وهنا قصة يوم الخندق إذ جاء جابر إلى امرأته فابحت عناقا وعندنا صاع شعير فأكل منهما ألف وهذا من باب المعجزات ، وهكذا أبو طلحة وعند امرأته أقراص من شعير فأكل منها سبعون أو ثمانون وبقى منه سور . هذا هو خلاصة الأحاديث . ومقتضى هذا أنهم كانوا لا يشبهون ولا ينجحون الخ وهذا كله صحة للبدن وهذا موافق لما كشفه الأطباء حديثا ، فهم أمروا بقله الطعام وعدم نخل الدقيق كما سيأتي ، وبقى الكلام على السبق والرمي

١٠٩ في الحديث أن السبق يكون بالإبل والحيل والسهم ، وفي حديث « من تعلم الرمي فتركه فليس منا » وحض النبي ﷺ الرماة على الرمي

١١٠ يجب على الأمم الإسلامية أن تذيب الصنائع اليدوية والسبق والرمي وتعليم الجندية ، وأن يكون القضاء والأصراء أعلمهم

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - قال رب اغفر لي وهب لي ملكا - الخ وأن الملك هنا لا يقصد به نفس المملكة السلمانية من حيث ظواهرها كالعظمة على الناس ولا من حيث أنها منفعة للناس فحسب كلا . بل من حيث أنها صادرة من الله تعالى فالملحوظ هنا مصدر النعمة لانفس النعمة ، أما نبينا ﷺ فقد أعطى الكوثر وهي النعم الكثيرة والمقام المحمود وهكذا

١١١ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - قال فبجزتك لأغوينهم أجمعين - وبيان أن بني آدم مثلوا قصة أبيهم ، فهام أولاء الذين يكسون ورق الموز في بلاد السودان في الرسم المتقدم في آخر ﴿ سورة يس ﴾ وأولئك العراة هناك ، ويشابه الأولون آدم بعد الأكل من الشجرة والآخرين يشبهونه قبل الأكل منها ، وهام أولاء أهل المدينة الحاضرة كلهم يشابهونه لما طرد من الجنة ، وسر تكرار هذه القصة في القرآن أن نحترس مما دفعنا إليه جهلنا بفوائد الخبز الذي لم ينخل دقيقه والخضر التي لم تطبخ وبفوائد ضوء الشمس وبضرر الاكثار من الطعام والتوابل وهكذا ، وبيان أن الطب الحديث وكشف الفيتامين قد أضافا إلى معجزات الاسلام معجزات جديدة ، فهذه الخبز الذي لا ينخل دقيقه وعدم طبخ الطعام هذان وردا في الأحاديث السابقة ، والعلم الحديث يقول : « إن الفيتامين أي قوة الحياة في النخالة وفي الطعام الذي لم يطبخ » إذن دين الاسلام ابتدأت تظهر أسرارها الآن ، وإذا كان الأمر كذلك فلنذكر ما جاء في كتاب « دستور التغذية » المترجم عن علماء أوروبا وكيف يقولون « إن الانسان يمكنه أن يعيش مائتي سنة بحسب ظنهم ، وأن التداوى بالعقاقير مهلك . وخير التداوى ما كان بالشمس . والحجامة وتدير الأغذية والمركبات الطبية مهلكة للناس . والطبيب قد يكون شرًا من المرض »

١١٧ وهالك أسلوب الدكتور هيج وكاتاني وسوبر وسكي وكوهن إذ يقول الأول « حمض البوليك هو أصل الشقاء . وهذا الحمض سببه ما يتخلف من الأغذية فهو يسد المسام . وأمر باقلال اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصوليا واللوبياء الجافة والسكرن والقنبيط والشاي والقهوة والكافور . ومتى ترك الانسان هذه الأشياء وأكل الخبازي والاسفاناج والسكرن والفواكه واللبن والجبن والقنبيط صح جسمه » وكاتاني يمنع الدهنيات والسكر والنشا واللحلال واللبن والجبن مخالف هيج في هذين والأمراق والحبوبات والارز والبطاطس والحلوى والتوابل ويكتفي بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق

- ١١٨ دسوز ويسكي أمس بالفواكه أيضا واليهون والنباتات كالشكوريا والكمثرى والحمض والمنسوبا  
والخمس والسكر فوس والجرجير والفجل
- ١١٩ ومثل هؤلاء كوهن فانه يمنع التوابل واللحم والأشربة الخندرة كالبيد والعرق والقهوة والشاي والشوق  
والتبغ وهكذا الأبنزة الصاعدة من أما كتبها والفبار ، وهو يقول باستعمال الحمامات الجلوسية مع  
ذلك الجسم بفوطه خشنة مبتلة والحمامات البخارية ، ثم ذكر ملخص لذلك
- ( الفصل الثاني ) في ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذائها وأسماؤها بالأرض المصرية ونيلها والفرين  
الذي فيها . فالجسم كالأرض والدم كالماء . والفرين في الماء كالمواد الغذائية في الدم . والسود في  
النيل كسود العروق وازالتها بالحمامات أو بالبقول والفواكه الخ كإزالة السدود من النيل وكثرة  
الأورام والأمراض بسبب انسداد العروق كهلاك الزرع بقلة الماء أو كثرة في بلادنا المصرية . والآنسان  
بعد حفظ صحته أشبه بالأمة المصرية التي بلغت الآن ( ١٤ ) مليوناً والآنسان إذا لم يحفظ على صحته يكون  
أشبه بالأمة المصرية قبل أيام ( محمد علي باشا ) إذ لم يكن للنيل قناطر تحفظ الماء فكان السكان نحو  
مليونين أو ثلاثة . فأنت أيها الدكي إما أن تكون كآدم قبل الأكل من الشجرة فتتبع نصائح الأطباء  
وأما أن تكون كآدم بعد الأكل من الشجرة فتتبع العادة ، إن سر هذه القصة ظهر الآن
- ١٢٢ ( نصائح عامة ) نصيحة الاستاذ ( هندسيدي ) انه قال : « إن الناس يدفنون الأثمان غالية ولا يشتركون  
إلا الموت باللحم والبيض . وقال : يكفي من المادة المغذية من ( ٢٠ ) إلى ( ٢٥ ) غراما بدل ( ٨١ )  
في الرأي القديم وهذه تحصل من ثلاثة أرطال من البطاطس وقد أعطى هذا القدر لرجلين مع أشياء  
أخرى فغلبا في الجري من أكلوا اللحم ، إن الوفيات في المدن أربعة أضفها في القرى لكثرة  
اللحم في المدن ، والخبز والتمر يجعلان في البدن صلابة وقوة تدهش الأوربيين »
- ( نصيحة دورفيل ) يقول : « إن دولة قوة المصارعين الذين يأكلون اللحم قصيرة الأمد ، والذين  
يتلئون شحما بالأغذية الفنية إما أن يمرضوا بالبثور ونحوها ، وأما انهم تظهر عليهم علامات الصحة  
والجمال . فالرياض هو القوي لأن جسمه صرف مافيه من الفضلات والذي لا يمرض هو الضيف لأن  
جسمه عجز عن استخراج الفضلات وهذا يموت فجأة في عشية أو فحشاها »
- ١٢٥ ( ضرر الأغذية المركزة ) لسورفيل أيضا . يقول : « إن مستخرجات اللحم والأنبذة والبرشامات  
وما أشبه ذلك أشبه بضربة سوط للمهصان يجري ثم يقع »
- ١٣٦ ( ضرر السكر الصناعي وفوائد الطبيعي ) السكر المعلوم مهلك فيجب الاقلال منه . نعم الصغار تظهر عليهم  
علامات الصحة ولكن ذلك لا يدوم فيجب أن يستغني الناس بالفواكه عن السكر ولا فرق في الضرر بين  
السكر والتمر واللحم وهذه هي الأغذية الثلاث المميتة
- ١٣٧ نصائح الاستاذ بلز : متى نأكل وكيف نأكل ؟ يجب إطالة المضغ ونظافة الأسنان وعدم شرب ما هو  
حار . والأحسن أن يضطجع بعد الأكل من نصف ساعة إلى ثلاثة أرباع ساعة . التوابل والحبوب  
هي أجدد الأغذية وأفضل الحبوب القمح ومثل الحبوب النباتات
- ١٤٠ نصائح دو فورست :

( ١ ) لاتأكل بين أكلتين ولو تفاحة

( ٢ ) لاتأكل بسرعة بل امضغ جيدا كل الطعام وأجد المضغ

( ٣ ) لاتأكل غذاء حارا ولا باردا بردا مفرطا

( ٥ ) الأغذية الدسمة المقلوبة مضرّة

( ٦ ) احذر الفلفل والخردل والقرفه والقرنفل وجميع التوابل لأنها تحدث النزلات والأمراض

( ٧ ) الجبن وكل مخلل واللحم وما يستعمل نقلا من الأجسام الدسمة المركبة ، كل هذا يجب منعه

١٣١ الكلام على الفيتامين أى سرّ الحياة ، الفيتامين هو ( ا . ب . ج . د ) وهذه قد كشفوها فى الغذاء الطازج الذى على حاله الطبيعية ، وقد حبسوا بعض الحيوانات فى مكان مظلم وأعطوها أغذية مطبوخة فصارت ضعيفة جدا ، فلما رأّت نور الشمس وأكّت الماء كل النيئة صحت أجسامها ، ووجدوا ركاب البحار الذين يأكلون طعاما محفوظا فى العلب مرضى لأن الطعام لاهية فيه فأطعموهم أغذية نيئة وعرّضوهم للشمس فشفوا ، ووجدوا أن مرض الأسقريوطشى بالليمون المالح والبرتقال والخضر النيئة ولم يشف بشرات البرتقال ولا بالخضر المغلى على النار ، وثبت ثبوتا لاشكّ فيه أن الأغذية النيئة هى المشبعة بالحياة والزيوت النيئة كذلك ، أما التى مرّ عليها زمن أوالتى غليت بالنار فانها لم تفد

١٣٣ الحبوب كالقمح والبقول والذرة اذا استعملت نيئة كما تأكل الحيوانات أعطت قوّة جيدة جدا . طبيب روسى جرّب فى مكتبه ( ٢٠ ) سنة تجارب فأعلن أن الانسان يعيش ( ١٦٠ ) سنة اذا أكل النبات الذى لم يطبخ ، وههنا ذكر أن العلوم التى نقلها الناس عمّن قبلهم وقلدوهم فيها أشبه بالمطبوخ من الطعام أوالمحفوظ فى العلب فان هذا فقد قوّته ، فلا بد من التفكير فى تلك العلوم ليستجدّ البحث وكما أن نارالفحم من آثار حرارة الشمس ولكنها لا تقوم مقامها فى إعطاء الطعام قوّة الحياة ، هكذا آراء كبار العلماء فى الاجتهاد لا تقوم مقام الرجوع للعقل والسير بلا تفكير عليه يؤخر الأمم فليرجع الناس للكتب والسنة حتى يفهموا كيف استنبط الأوائل علومهم . المسموع اذا خلا من المنظور كان قاصرا على التقيد

١٣٤ بهجة العلم فى قوله تعالى - قال فبعرّتك لأغوينهم أجمعين - أيضا مع قوله - فالحق والحق أقول - الانسان له شهوات آكلات النبات وله غضب آكلات اللحوم وقصة ابليس وآدم جمعتهما ، فاذا سمعنا أن ابليس تكبر وأغوى الانسان فان ذلك ظاهر فى كبرياء الناس وحسددهم وحقدهم وهكذا فهم كالسباع والآساد ، واداسمعنا أن آدم أكل من الشجرة فهذا هو الذى نشاهده فى الشره والطمع والبخل والحرص والادّخار ، ومن هذا القليل العادات الفطرية التى نسمعها عن أهل السودان فكما تدلنا على حياة الناس قديما منسببين بعض الشبه آدم وحوّاه فى الزمان الأوّل حين خرجا من الجنة ، يكرمون الضيف ولهم شجاعة عظيمة بها يقابلون الثور والاسود ويأكلون الحيات العظيمة والفيلة ولهم فى الزواج عادات خاصة بخور معروف ، ويمتدون الزوجات ولكن لاغيره هناك ولا حسد وهم لا يسرق بعضهم بعضا . ولاجرم أن هذه الأخلاق أكثرها شريفة قد حرّمها المتعلمون فى الأمم المتحضرة وهذا المعنى فهمه المتقدمون قبل ألف سنة . فقد جاء فى كتاب « اخوان الصفاء » فى المفاخرة بين الحيوان والانسان أن زعيم الطيور سخّر من الانسان وحقر شأنه من جمعه وكبده وادّخاره وجمعه الخطب وايقاد النار وأن الطيور والحيوانات البرية تأكل من نعم الله بلا طبخ ولا عجن ولا تعب ولكن الانسان مسكين متعب شقى يجاهد هلا كه فهو فى همّ بالليل والنهار فى جلب قوته ولانتيجة له إلا التخمّة والجشاء وعسر البول والجرب والجدرى الخ . فالانسان فى الصحراء يقل مرضه لقلة إفراطه فى اللذات وهكذا حيوانات البرّ والطيور وكل حيوان ، ش مع الناس حرموه غريزته فأكل وشرب بلا نظام فرض كما يمرض هذا الانسان الجاهل . يقول المؤلف : وبالجملة هذه الحكاية بها عرفنا أن



القدماء أدركوا سرّ الطعام والشراب والكشف الحديث أيد ذلك . وجميع هذا وذلك تشير له قصة آدم  
إذن الانسان في المستقبل سيقصر على النبات الذي لا يطبخ ويكون أسعد صحة وأخلاقاً وجمالاً وعاماً  
وتهذيباً ويقلّ طمعه . ومن عجب أن الانسان له بدل الفرح البكاء وبدل الأعراس المآتم وبدل  
الاسورة والخلاخل الأغلال والقيود والطيور وغيرها سميدات بالرياض والأنهار والأشجار والأزهار  
والحرية والصحة والسعادة

١٣٩ اعترت المؤلف ثلاثة أمراض مرّة واحدة في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ عند طبع هذه السورة فلم  
يستعمل دواء كما في الطب بهذا التفسير واكتفى بالجوع وشرب الماء الدافئ مع الليمون والاستحمام  
بالماء الحار ثم البارد عقبه مع مقابلة الهواء والشمس في الخلاء ، فهذه المداواة الطبيعية قتلت الأمراض  
الثلاثة حالاً بل لم يحصل لها أثرٌ ما . ومصداق قصة آدم أن طبيبا صحب امرأة وعاش اليوم معها في  
جزيرة (شاولز داروين) بالقرب من أمريكا الجنوبية وقد تجردت من الملابس كآدم ولا يتعاطى إلا  
الأطعمة النيئة على مقتضى الفطرة الأولى . وهنا تعجب المؤلف من هذا الانسان الذي أصبحت جميع  
حياته خاطئة كاذبة ، والأمم المستعمرة اليوم أشبه بوصف المسيح الدجال يظهرون الغيرة على الأمم وهم  
يعلمونهم البطنة والاسراف وكل شهواتنا وملذنا تقطعنا عن السعادة فهي أشبه بالمسيح الدجال أيضا  
تفرحنا ظاهرا وتقتلنا باطنا ، اللهم إن الانسان اليوم جاهلة خاطئة في كل شئ ولا يصلحها إلا حكماء  
تخلقهم أنت من مواطن الأنبياء بالشرق فيصلحون الشرق مع الغرب

١٤١ ﴿ نور النبوة في هذا الزمان ﴾ ورد في الحديث أن المؤمنين كالجسد الواحد ، وورد اننا لن ندخل الجنة  
حتى نتعاب . إن انتشار الطيارات سيجعل بين المسلمين مودة و بغير المواصلات لا يمكن التفاهم بل  
هناك انقطاع وهذا الحديث ستظهر ثمرة التامة في المسلمين في مستقبل الزمان إذ تصل الطيارات بين  
بلادهم ويعرف بعضهم بعضا . وسيكون الناس أشبه بالطيور الواردة في حديث « لو توكلتم على الله حق  
توكله لرزقكم كما رزق الطير » من حيث أكل الطعام بلا طبخ ومن حيث الطيران في الجوّ ومن حيث  
أن كل امرئ له عمل كالطائر فأينما حلّ وجد رزقه ميسورا سهلا وهذا سرّ الفيتامين وسرّ إيقاف  
الحرب في المستقبل الوارد في آية - حتى تضع الحرب أوزارها - وسرّ أن الناس سيأتى عليهم يوم  
لا يأخذون المال ممن يعطيهم إياه وهذا يوجب على المسلمين أولا :

١٤٢ (١) تعميم الطيران

(٢) وأن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد

(٣) وأن يعمروا أرض الله

هذا سرّ حديث السوكل المتقدم . ومتى ارتقى الناس بهذه الأعمال قلّ إغواء إبليس فيحنث في يمينه  
- فبعضك لأغوينهم - الخ

١٤٤ تفسير سورة الزمر . هي ثلاثة أقسام : القسم الأول في تفسير البسجلة . بالرجة قامت السموات والأرض  
إذا ثبت ثبوتا طبييا أن الارزليس كالبرتقال من حيث أن الأول يقلّ فيه القوّة الحيوية التي استمدّها  
من الشمس والثاني تكثر فيه تلك القوّة التي استمدّها منها . إذن معنى هذا أن المواد على الأرض  
ونفس الأرض قد عجزا عن استكمال قوّة الحياة من طبيعتهما . إذن الأرض وما عليها لا حياة فيهما  
إلا بما يستفيدن من ضوء الشمس . فاذا ثبت هذا في الامور المادية فبالأحرى تكون الرججات التي  
اتصف بها الطير وسائر الحيوان والانسان ليست من المادة لأنها عجزت عمّا هو أسفل وهي قوّة الحياة

١٤٥ فاستمدتها من الشمس . إذن الرحمة المنجوبة في الرجال والنساء وغيرهما من عالم أعلى كاله رحمة ونهبر عنه بهالم الملائكة أو الأرواح ، فلننظر في الطفل : إن رحمة خاصة بجسمه هو ، فكل ما حوله يعتبره مسخراله ، وكلما كبر ازداد رحمة حتى يصير أباً وزوجاً وأماً وملكاً وحكماً ، وتعمّ إذ ذاك رأفته ، فمن أين أتت ؟ من عالم غير هذه الأرض ، فكل ذي رحمة اقتبس رحمة من الرحمة العامة كما اقتبس الارز والبرتقال قوتيهما الحيوية من ضوء الشمس وهذا برهان قاطع . وخبرالرحمات وأعلاها ما كان أشبه برحمة الأم ترضع ولدها بلاطلب جزاء في الآخرة ولا في الدنيا . ومتى ظهر في الأمم أفراد على هذا المنوال فبشرها بالسيادة وهذا يؤخذ من قوله تعالى - إنا أخلصناهم - الخ وآية - إلا عبادك منهم المخلصين - فاعبد الله مخلصاً - الخ - ألا لله الدين الخالص - قل الله أعبد مخلصاً له ديني - وأخيرا قوله تعالى - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافئين - . فزن نفسك أيها الذكي بهذا القانون تعرف مقدارك في الحياة ، فليكن تعليم المسلمين لهذه الأحوال : إعداد العقل للفكر . والعواطف للحب . واليدين للعمل :

- ١٤٧ (١) عندكم أيها الخواص من المسلمين لوحان : السماء والأرض فيهما محو وأثبات . إذن هما كألواح البيان . إن كل محبوب على الأرض لم يكن إلا لواحد من خمسة أسباب : الجمال العلم . الشجاعة . الاحسان . المناسبة المجهولة . ولاجرم أن هذه كلها مستمدة من عالم أعلى كما انه ثبت أن مادة الحياة من ضوء الشمس لا من نفس المادة الأرضية . إذن فليكن الحب لمسدى هذه النعم لأنه أكل في هذه الأوصاف
- (٢) لكم درسان : خلق الحيوان وخلق الانسان
- (٣) ليكن ليلكم قياما وصلاة وعلما مع حب الله - آمن هو قانت - الخ
- (٤) لتكونوا صابرين وستكون لكم حسنات - قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم - الخ
- (٥) ليكن من أوصافكم التعقل والحكمة - الذين يستمعون القول - الخ
- (٦) لتكونوا خلفاء الله تبشرون عباده - قل يا عبادي الذين أسرفوا - الخ
- (٧) سقنلون العلم - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ
- (٨) ستكونون في غرف وتشرق لكم الأرض بنور ربكم وتسلم عليكم الملائكة وترون ربكم والملائكة حافين من حول العرش

١٤٨ الكلام على الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والحوقة ، جاء في الحديث « التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم مجموعها مائة مرة ثوابها عظيم والشيطان قد يلهي عنها ، وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار قبل موته لقوله تعالى - إذا جاء نصر الله والفتح - الخ ، التسبيح وأخواه خير مما طلعت عليه الشمس

١٥٠ ﴿ القسم الثاني ﴾ السورة مكتوبة بالخط المشكل من أولها الى قوله - لقوم يؤمنون -

١٥٢ التفسير اللفظي لهذا القسم

١٥٦ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ، ذلك هو النظر في نبات الأرض ومائها وحدائقها ، ذلك لأنه ذكر بعد ذكر الجنات . الكلام على المواد الغريبة التي لا بد منها للصلاحية الماء للشرب وهي خمسة ويجب أن تكون له خمس صفات كالبرودة وأن يكون خفيفا الخ

١٥٨ الكلام على المياه المعدنية والمياه الحارة مثل ماء فيشى والمياه الغازية والمياه الحضية التي تفور بتعرضها

- للشمس والمياه الحديدية وهكذا
- ١٥٩ حكمة ألمانيا جاء فيها أن المؤلف يجب أن يصنع في تأليفه ما صنعه الله في خلقه ، ومعنى هذا أن يكون كل ما في كتابه هو الذي صنعه وتصرف فيه . ذكر عذاب الظالمين في الدنيا والآخرة
- ضرب مثل لحال المشركين
- ١٦٠ ذكر الصادقين والكاذبين
- ١٦١ ذكر النوم والموت . لطيفة في معجزات القرآن في هذا الزمان بمناسبة هذه الآية
- ١٦٣ ههنا خمس لطائف : اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يكور الليل على النهار - الخ
- ١٦٤ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة - الخ وههنا (٥٠) حكمة في جسم الانسان مثل ان أعضائه قطع يسهل العمل بها ، ومثل المفاصل ، ومثل ان الرأس مركب من عظام ستة في القحف وهناك (٣٣) سنا ، ومثل الأشجار والشفتين اللتين هما كالباب يفتح ويفتح حسب الأحوال وهما ستر لثة يفيد الجمال وهكذا وآخرها ان هذا الانسان لو كمل عقله عند الولادة هلك حزنا لأنه يرى نفسه محمولا قنبرا الخ
- ١٦٦ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ وقد طلب المؤلف من المسلمين تكوين لجان للعلوم والفنون الخ وذكر عدد المؤلفين في ألمانيا وأن هناك في كل (٢٥٠٠) نفسا رجلا واحدا مؤلفا ، أما المسلمون فاهم ناعمون
- ١٦٨ ﴿ نبذة في الطب ﴾ وذكر ٣٩ مصابا بكل الكسكسي وعليه التراب والأوساخ وهكذا البسبوسه
- ١٦٩ ومن الجهل الفاضح في البلاد الذي تدمه الآية أيضا الخولى التي تضر الأطفال فكلمها مضرة للصحة فلا يجوز إعطائها للأطفال فضلا عن غيرهم
- ١٦٩ ﴿ قائمة الأكل في المستقبل ﴾ يقول الدكتور برنار الانكليزي : « سيكون الفطور محضرا من شعاع الشمس ، والغداء من الهواء ، والعشاء من ماء البحر ، وهذا كله بصنع الكيمياء ، ولكن هذا بعد أجيال كثيرة لأن افريقيا فيها أراض تكفي لملايين كثيرة غير سكان الأرض »
- ١٧٠ الاقتصاد وجمع الثروة وذكر مسألة البحار الميت وأن الجاهل يحقره والعالم يراه ذهباً كما تقدم في التفسير ﴿ الفصل الثالث ﴾ في الجامعات الأوروبية ، وبيان أن أكثر طلبة مصر مجتدون وقليل يلعبون بل يفسقون لاهمهم . والمهم اننا نعرف أن جامعات سويسرا كانت جامعات دينية فاقبلت علمية مع المحافظة على الدين . فهذه جامعة لوزان في مدينة لوزان بسويسرا نشأت سنة ١٥٣٧ م وفيها علوم الحساب والطبيعة والصيدلة ومدرسة المهندسين والأساتذة فيها (١٢٩) وذكرت هذا الفسيف في هذا الطريق لأن الدين الاسلامي أولى بهذا من دين المسيح
- ١٧٢ ﴿ فوائد التعليم الاجباري ﴾ يفضل توماس جفرسون رئيس جمهورية الممالك المتحدة بقاء التعليم الأولى وتعميمه على بقاء التعليم العالى لوخير بينهما . إن وجود طبقة متعلمة وبقية الأمة جاهلة معناه أن هؤلاء يستعبدون البقية . ومن جهة أخرى العالم وسط الجهال لاقيمة له . إن هولندا والدانمارك والسويد والنرويج لما عدت الأتية منهم أصبحت بعض الولايات لاجنابيات فيها فأولى بهذا المسلمون
- ١٧٣ المدرسة القروية هي محل استشارة القرية كلها
- ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - والكلام على جوف الأرض وجبال البراكين والجبال التي تبتلعها الأرض والآبار الارتوازية . الماء معلق فوق رؤسنا . الآثار الجوية المائية

- ذوبان الجليد . رشح المياه . فعل القنوت الشعرية الأرضية . جرى المياه الى الجهة المنحطة
- ١٧٥ ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ في قوله تعالى - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وأن الآية ليست قاصرة على اختصاص الكفار والمسلمين بل تشمل المتحاربين بعد زمن النبوة
- ١٧٦ ﴿ القسم الثالث ﴾ كتب مشكلا من آية - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الى آخر السورة
- ١٧٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٧٩ هذا القسم أربع لطائف الثالثة منها - وأشرق الأرض بنور ربها - وذلك في الآخرة . والحكمة يشاهدون مبادئه في الدنيا . ألا ترى كيف رأينا العدل في عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ورأينا في البر والبحر . ففي كليهما حدائق مثل ماني المحيط الهادي من شجر المرجان وهناك جزائر مرجانية يثبت فيها الشكولاته . وهناك ١٠٠٠٠٠ جزيرة وألف جزيرة مرجانية . ومن ذلك عدل الله في خلق العيون وعدمها . فالسمك الذي يهش على بعد (٢٧٥٠) قامة لاعيون له لأنه لاضوء الشمس هناك . وهناك سمك له مصباح يضيء في قرار البحار
- ١٨٢ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ - وترى الملائكة حافين من حول العرش - وقد ذكر العرش في السورة بعد الخ
- ١٨٣ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن في آخر سورة ص وأول سورة الزمر من قوله تعالى - ما كان لي من علم بالأعلى - الى قوله - فأني تصرفون - . وههنا ورد سؤال على المؤلف وهو أن الله عظم الانسان إذ أسجد له الملائكة الأرضيين وخلق له السموات والأرض وأنزل له الأنعام ولكنه أذله أيضا بتسليط إبليس عليه وعلى ذريته وجعلهم في ظلمات ثلاث . فأجاب المؤلف بأن الاجابة على هذا السؤال لا تتم إلا بعلم الهواء والضوء وانكساره وانتشاره ولا يتم ذلك إلا بعلم الطبيعة والفلك . إن الهواء مركب من الاكسوجين والاوزوت وتنقص حرارته كلما ارتفع فاذا زاد عن (٧٠٠٠) متر صارت الحرارة (٦٠) لانقص وهذا ظن القوم وله ثقل يعادل (٥٨٥) مكعبا من النحاس وكل مكعب ضلعه كيلومتر وارتفاعه (٤٨) كيلومترا أي جزء من  $\frac{1}{33}$  من نصف قطر الأرض وهذا الهواء أمره عجب لا يرى الشمس صباحا بضوء أقل من الضوء وقت الهجرة بمقدار (١٣٥٠) مرة . وسبب هذا النقص أمر وهو أن الغبار الذي يتخلل جوونا فوق رؤسنا أقل من الغبار الذي يتخلل الجو بالقرب من الأرض (١٦) مرة . فهذه (١٦) طبقة من الغبار تحجب عنا كثرة ضوء الشمس صباحا فترجعها الى واحد من (١٣٥٠) وبهذا الحجاب يسهل لنا أن ننظر شعاع الشمس . أما في وقت الظهر فلا . وبهذه يأتي ضوء الشمس للأرض بالتدريج . وهذا الغبار يظهر لنا أن الشمس صباحا أبعد منها ظهرا والكواكب القريبة من الأفق أبعد في الظاهر من الكواكب التي في وسط السماء وتظهر قبة السماء كأنها منحطة . فقرب الشمس وقت السموت وقرب الكواكب هناك وقرب القبة السماوية لسبب واحد وهو قلة الحجب الغبارية في الهواء وبعد الكواكب الأفقية للحجب الستة عشر
- ١٨٧ لولا الهواء لم يضيء نور الشمس إلا ما قابله وتكون الدنيا كلها ظلاما ماعدا المقابل للشمس ويكون الجو حالك السواد وتظهر النجوم نهارا وقت الظهر ولا يكون هناك ضوء صبح ولا ضوء بعد الغروب لأن ذلك لم يحصل إلا بانتشار النور بواسطة الهواء وبانكساره والانكسار يتضح لمن يضع عودا في الماء فانه يرى كالمكسور وما هو بمكسور وانما ضوءه انكسر . وهذا ظاهر في (شكل ٦) في صحيفة ١٨٨ والبيان في حرف (ا) وحرف (ب) وهذه التجربة السهلة من علم الطبيعة هي الواضحة في علم الفلك (شكل ٧)



١٨٩ إن الضوء بانتقاله من الجو الخالي من الهواء الى الجو الذي فيه الهواء ينكسر بهيئة خاصة لأنه انتقل من لطيف الى كثيف ، وهذا الانكسار يوجب الانتشار ، ومن هذا الانتشار يكون النجم والصبح والشفق ، ولولا ذلك لطلعت الشمس بفتة فأهلكت كثيرا . إذن هنا غبار في الهواء لطف الضوء . إذن هذا نظير الظلمات الثلاث المحيطات بالجنين . فاذا كان الجنين لا يحتمل انكشاف جسمه للشمس مع انها نعمة هكذا الانسان والحيوان جعل الغبار الضار بأجسامهم نعمة عليهم لأنه يلفظ الضوء ويجعل سيران نور ووصوله لهم تدريجيا . فتتليل الغبار الجوي والحجب نعمة لانقمة كما ان ظلمات الجنين نعمة عليه . وهكذا إغواء الشياطين لبني آدم لا معنى لها إلا تاخير رقيهم . ذلك لأنهم لو أعطوا العلم دفعة واحدة طمست أرواحهم . فلا بد من معوقات جسمية بالأصراض والحروب ومعوقات روحية تنبهم عن العلم فيتقبلونه بالتدريج والشوق كما يتقبلون ضوء الشمس بالتدريج . والفضل في الشئ للغبار الذي هو مكروه ضار والفضل في الأول لاغواء الشياطين . هذا هو الجواب على هذه الأسئلة

١٩٣ اللطائف العامة لأقسام السورة كلها : اللطيفة الأولى في قوله تعالى - خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل - مع آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - وههنا ذكر حركتي الشمس السريعة والبطيئة والدرجات (٣٦٠) والبروج (١٢) وكيف اخترعها العقل الانساني قديما . ذلك انه رأى نجوما تخيلوا انها كالحل فسميت (١٨) وهكذا البقية . ولكل برج (٣٠) درجة وبضربها في (١٢) يكون ذلك (٣٦٠) ولكل برج (٣٠) يوما . وهناك (٥) أيام وربع يوم توزع عليها . وبيان أول فصل الربيع اذا حلت في رأس الحمل وقد أخذت في الارتفاع الى الشمال في يوم ١٧ من برمهات . فاذا قطعت الشمس الحمل والثور والجوزاء وحلت بالسرطان في أول الصيف كرت راجعة الى جهة الجنوب . يأخذ النهار في النقص والليل في الزيادة . وهذا على عكس حالها حين تصل الى آخر القوس في الجنوب . إذن يكون ذلك أقصر يوم وأطول ليلة في السنة . وهناك تنتقل الى الجدى في ١٧ من كيهك وتسكر راجعة فتأخذ في الارتفاع . فهذان هما الانقلابان الانقلاب الصيفي والانقلاب الشتوي . وهذان غير الاعتدالين إذ فيهما يكون النهار والليل متساويين أما في الانقلابين فالنهار يكون أطوله ١٤ ساعة ويكون الليل ١٠ ساعات . واذا بلغ الليل ١٤ ساعة كان النهار ١٠ ساعات وذلك في مصر وما مثلها وبقية الأقطار الأخرى منتظمة بحسب غير هذا أقل أو أكثر

١٩٥ بيان شهور القبط وموازنتها بشهور السريان وشهور الروم وهذان الأخيران متوافقان . وبيان الأشهر التي هي (٣٠) يوما وهي (٤) وواحد ينقص يومين والباقي (٣١) وذكر نظم القدماء شهور السريان وشهور الروم

١٩٦ الكلام على المنازل وانها (٢٨) منزلة أولها السرطان وآخرها بطن الحوت وأن لكل منزلة (١٣) يوما وبقى يوم وربع فيضاف ذلك لمنزلة الجبهة آخر السنة . وفي كل (٤) سنين يكون للعجبة (١٥) يوما وههنا بيان طلوع المنازل وقت الفجر مثل ان الشرطين في ٢٣ برمودة وفي ١٨ نيسان الذي هو شهر ابريل وهكذا فتعرف المنزلة بمعرفة الشهر القبطي أو السرياني أو الرومي

١٩٨ الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له وانها قسمان : جنوبية وشمالية . والمنزلة مقدار ربع سبع الدور . وما كواكب المنزلة إلا حدود فوارق بينهما . وههنا تطبيق لمعرفة القمر في أي منزلة

١٩٩ الكلام على أحوال الأهل التي عليها مدار الشهور . ذلك ان القمر يتأخر كل ليلة ستة أسابيع ساعة

- ولا يزال يتأخر حتى يكون في الليلة السابعة مغيبه نصف الليل وفي الرابعة عشرة طلوع الشمس وطلوعه ليلة ٢١ نصف الليل وليلة ٢٨ مع الغداة . وههنا طرق حسابية لاستخراج أول الشهر العربي ٢٠٠ ههنا أن نذكر نتائج انتظام الأجرام السماوية في الأعمال الزراعية في الأرض . فكما انتظم سير الكواكب انتظم الزرع في الأرض . فالزراع ونحوها مقسمات على الشهور . مثال ذلك :
- « شهر توت » فيه النيروز ويلقط الزيتون وتفتح أكثر الترع « بابه » فيه يطيب الرمان الخ « هاتور » فيه يزرع القمح وأكثر البقول الخ « كيهك » فيه تزرع الحلبة الخ « طوبه » فيه يكمل النرجس والقرط الخ « أمشير » فيه تفرس الأشجار الخ « برمهات » فيه تزهر الأشجار الخ « برمودة » فيه تقطف أوائل عسل النحل الخ « بشنس » فيه يكثر التفاح الخ « بؤنه » فيه يكثر الحصرم الخ « أيب » فيه يكثر العنب الخ « مسرى » فيه يصنع الخل
- ٢٠٢ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وبيان أن العلم أشرف شئ والعلماء قليل فهو كالراديوم
- ٢٠٤ ﴿ الراديوم وخواصه ﴾ هو دأماً يلعب كوهج النار يتقدد ولا ينطفئ الخ . هذا المعدن له نظير في الناس وهم الحكماء الذين يؤثرون في عقول الأمم . لما ظهر الاسلام استخرج أهله الحكمة من بلاد اليونان أيام الهباسبين ثم ذهبت تلك الدول وانتقل العلم الى بلاد الأندلس ثم الى أوروبا لأن أبناء العرب اكتفوا بالشعر
- ٢٠٨ إن قول الله سبحانه وتعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - جاء العلم فيه بالفعل المضارع إشارة للتجدد وقتنا بعد وقت الخ
- ٢٠٩ يخاطب المؤلف المسامحين قائلاً لهم : « أتم خير أمة أخرجت للناس قديماً فكيف لا تستوعبون علوم الأمم لتسكنوا خير أمة أخرجت للناس في المستقبل »
- ٢١٠ ﴿ الفصل الثاني ﴾ فيما قاله الفيلسوف « كنت » الألماني في كتاب التربية . للكتاب مقدمة وأربعة فصول ، وفي المقدمة اختصاص الانسان بالتربية ، ثم تربية الطفل في المهيد ، ثم تهذيبه بطريق سلمي . ثم تلقينه العلوم الخ والتهذيب يمنع عنا الأخلاق الحيوانية إذ لم نمنح غريزة لذلك . وتجب المبادرة له في الصغير والاعسر في الكبر . ومن فاته التهذيب صغيراً تعسر عليه كبيراً بخلاف العلم فهو لا يفوت بالكبر
- ٢١١ إن صفار الحيوان لا يحتاج الى تعليم اللهم إلا الطيور فهي تعلم صفارها هيئة أصواتها . والمجب أن كل طائر في الأرض شرقاً وغرباً له صوت واحد يحافظ عليه ( هذه العبارة في الأصل الانجليزي وسقطت من الترجمة سهواً ) . لو تعاون الأصراء مع ذوى المواهب على تعليم الانسان أو علم الانسان عالم أعلى منه لأصبح الناس اليوم في حال أشرف من هذه . ومتى بلغ الانسان درجة التبصر وأحس بالخلل أخذ يفكر : أهذا من نقص التهذيب أم التعليم ؟
- ٢١٢ ضرر نقص التهذيب أشد من ضرر نقص التعليم . على كل جيل أن يخطو خطوة الى الأمام . نهاية ذلك السعادة الانسانية . ليكن لنا يقين بذلك . التعليم التقليدي ينتهي بالنقص الانساني كالنبات الذي نبت من الجذر في العام الثاني فزهرة يكون أقل بهجة
- ٢١٣ الكمال محبوء في الانسان . التعليم اليوم صناعة فإذا ارتقى الانسان صار أشبه بالفريزة . ليس في الأرض حكومة صالحة ولا تعليم حقيقي . لابد من تضافر الأفراد على النفع العام وذلك لا يضر بمصلحة الفرد لأن المواهب تظهر بذلك القصد . الشر يأتي من اهمال الطبائع

- ٢١٦ آراء الاستاذ « كنت » كلها ترجع لما في القرآن - اقرأ باسم ربك - الخ - قل هل يستوى - الخ وههنا ﴿ زبرجدتان : الأولى ﴾ في أصل أهل ألمانيا بمناسبة ذم العلامة « كنت » للأمرء من حيث انهم لا يصلحون لتعليم الشعوب ، أصل أهل ألمانيا من العائلة الآرية و بلادهم كانت موطن للحيوانات المنتهسة الخ
- ٢١٧ ﴿ الزبرجدة الثانية ﴾ إن الأمة المصرية علمها المغفور محمد علي باشا و ذريته عشرات السنين ، ولكن الحرية ليست تامة ولم يتم بالثورة إلا أحمد عرابي وهو لم يتعلم في مدارس الحكومة ، والأمة المصرية انقسمت قسمين فدخل الانجليز مصر ، ولكن لما قللوا التعليم فيها تعلم الشعب بنفسه ، فطالب نفس المتعلمين بالحرية
- ٢١٩ ﴿ نعمات الحكمة ﴾ وهي أن المؤلف سمع موسيقى تصدح بعد كتابة هذا الموضوع ففيل له أن هناك مسررات لاحد لها عند الأمم الآتية بعدنا في الشرق بسبب هذه التعاليم وأمثالها
- ٢٢٠ الأحاديث النبوية من الكتب الستة الصحاح في آداب العلم والتعليم . وبيان أن يكون التعليم لمن يطلبون العلم برغبة
- ٢٢٣ ﴿ الفصل الثالث ﴾ من المقام الأول في الكلام على الملك والوزير الذين أحبا العلم والحكمة وزهدا في الملك
- ٢٢٨ ﴿ المقام الثاني في شذرات ﴾ وهي خمس : الأولى في إصلاح التعليم . وذلك أن عالما سويسريا جاء الى مصر أثناء طبع هذا التفسير وقال ان تعليمها بائس وترك للحكومة كتابا ملخصه نحو ٢٠٠ مسألة الخ
- ٢٣٢ معنى التعليم الاجباري وانه ليس القصد منه تعليم العوام العالية بل القراءة والكتابة والحساب الخ
- ٢٣٥ ﴿ الشذرة الثانية . في العجائب السماوية ﴾ وذكر أقرب نجم من الأرض وهو الافاق . وأن هناك كوكبا يبعد عن الأرض لع قرن بسير النور
- الكلام على رصد الجوّ بالسهم البارقة . وأر (جارو) صنع صاروخا متى وصل الى (٢٠٠) ميل أعطانا معرفة بهواء هناك وبأشعة الشمس كذلك وبالحرارة وبالضغط الجوى فهذه الأربع مجهولة الآن
- ٢٣٦ ﴿ الشذرة الثالثة ﴾ في غرائب الحيوان . غريزة الخوان منظمة كأنظمة حركات الاحجار ونحوها في سقوطها الخ
- ٢٣٨ ﴿ الشذرة الرابعة ﴾ في الفوائد الطبية . الكلاب وأحطارها
- ٢٤٠ مقالات في كلمات مثل : ان حلاوة اللقاء ثم مرارة لفراق . ومثل : المصائب تعطى الايبس حكمة والجاهل شرا
- الكلام على الماء والصحة
- الكلام على الاختزال بمناسبة آية - فبشر عباد الذين يستمعون يقول فينبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولئنا الألباب -